

مِنْ خَلْقِ الْإِنسَانِ إِلَى خَلْقِ الْحَبْلِ

مدخل إلى عصر الخرافات

الكاتب: مصطفى فرج حسن

تصميم الغلاف: عمرو أنور

تدقيق: محمد السيد غنيم

إخراج فني: الباشا عبدالباسط

رقم الإيداع: 2018 / 7534

الترقيم الدولي: 4 - 029 - 844 - 977 - 978

Facebook Page: دار بنت الزيات للنشر والتوزيع

E_mail: bentelzayat1@gmail.com

Website: www.bentelzayat.tk

رئيس مجلس الإدارة / د. شاهنده الزيات



جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة ©

لدار بنت الزيات

المشهرة قانوناً بسجل تجاري رقم / 49351

مِنْ خِلَالِهَا إِلَى عَصْرِ الْمُرَافَاتِ

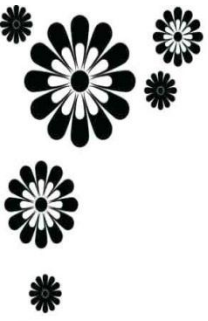
حَوْلَ التَّقَدُّمِ وَالتَّطَوُّرِ وَالتَّأَخُّرِ

الكاتب

مُصْطَفَى فَرْجِ حَسَن



دار الحياة للنشر والتوزيع
مدى حاكم يتحقق



إهداء وشكر

الى نزام التعلیم (التدریث)، الی علمینی کیفیت الکتبة،
فلولا هو لیمّا اسططعطو ولا کنتو قادرن علا کتّابت حرفن
وحدن او کلیمّا واحدا صحیحّا من هاذّا البتاع.

إلى الذین عانوا حتی تمکنوا من فک تلك الشیفرات

اللعینة!

* * *



بسم الله الرحمن الرحيم

"إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنْذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (6) خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (7) وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ (8) يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ
(9) فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۖ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (10) وَإِذَا قِيلَ
لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (11) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا
يَشْعُرُونَ (12) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ ۗ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ
السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ (13) وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا
إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ (14) اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (15)
أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهَدَىٰ ۖ فَكَأَيَّ رِيحٍ تَجَارَتْهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (16) " .

قرآن كريم، سورة البقرة، الآيات 6:16

مقدمة المقدمة

ألبرت أينشتاين حطم بنسبته الثابت العامة العلمية، وقال إن الكون بسيط لكنه معقد جدا، ونحن البشر كذلك، بسطاء، ولكن معقدون جدا.. لقد قال الرجل بكل بساطة إن كل الأشياء والمفاهيم نسبية.. ربما نكون نعرف كل شيء، ولكننا في الحقيقة لا نعرف شيئا، ونفهم كل شيء، ولكننا في حقيقة الأمر لا نفهم شيئا، ربما نكون نرى ونسمع، وربما لا.

وقد قيل ويقال إن ألبرت هذا قد قلب العالم رأسا على عقب بنظريتيه "النسبيتين".. والحقيقة أن الرجل يؤكد ويسجل هدفا في مرمى الماديين والمتعولمين والمتعلمين، بتقريبه فكرة أن لا إله إلا الله الرحمن، الرحيم، السميع، البصير، الحكيم، العليم.. إلى ما قبل وبعد الآية!

الحقيقة المطلقة هي الله، الله هو الحق والله هو الحقيقة، الله هو الهادي (وكلامه هدى)، وما دونه هواة (وكلامهم هوى).

أميركا ليست ربا، ولا حتى رسولا وسيطا للسلام والسماحة والرحمة والحرية والعدالة والإنسانية.. إلخ، من الآيات التي تترفع بها على أمم الأرض ودول العالم.. "قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ" (البقرة-111)

أميركا تميت ولا تحيي، ولا ترزق، ولا تعطي بدون مقابل.. ولكن لا بأس في أن تأخذ بدون مقابل.. فهي التي يحج القاصي والداني إلى بيتها الأبيض.. وهي تحج أيضا لبيت القاصي والداني.. ولكن لتسلبه الأبيض والأسود، فقسمت العالم درجات، والبلدان دويلات باسم التطور.. الدارويني سواء أو التكنولوجي.. ويسمون ذلك تارة باسم التطور الدارويني (البقاء للأصلح)، وتارة باسم أو تحت مسمى "الحرب على الإرهاب"!

يقول عالم السياسة والمؤرخ والمفكر الأميركي الشهير (هوارد زين) (1922-2010)،

متسائلا: "كيف يمكن أن تشن حربا على الإرهاب، فيما الحرب بحد ذاتها إرهاب؟!"

أين التقدم والتطور والتحضر في الفساد في الأرض وقتل الغير وسفك دمه، صغيرا كان أو كبيرا، طفلا رضيعا أو سيدة عجوز.. دون رحمة أو هوادة، لمجرد أنه يختلف معك، أو لسلب ونهب مواردهم وأرضهم.. من أجل حفنة من الأوراق اللعينة؟!

أين الحكمة والتحضر في تصنيع أو اختراع أكثر الأسلحة فتكا ودموية، لشن حروب عبثية وبربرية وهمجية على المدنيين والعزل؟!

وبالنهاية- بعد تخريب الأنظمة والعقول والبلاد- يلعبون دور "السلام"، ويستعطفون ويمنون على هؤلاء "المستضعفين" -أو سمهم الخونة إن شئت!- بجزء مما نهبوا وسلبوا، فيما يسمون ذلك بكل سذاجة "معونة"!

لا يوجد بين الذئب والخراف أية علاقة وصلة الصلة بين الاثنين هي علاقة افتراس بين المفترس والفريسة! ليت الخراف تدرك ذلك!

هناك فرق شاسع بين التوصل لنظرية علمية، واختزالها رياضيا، وبين أن يكون البشر فئران تجارب تلك النظرية. فلما لا تكون الحكمة، الطرف الثاني في معادلة التقدم، في مقابل العلم؟

إذن فالتكنولوجيا لا تعني "التقدم البشري".. بل تعني انحطاط الإنسان وسحقه، واستبداله بقطع الخردة اللعينة. هذا سهل وهين في زمن الورقة الخضراء.. وعصر الخرافات.

لقد فتك التطور بالإنسان المعاصر، وأحاله إلى شيء آخر غير ذلك الذي يعرفه جميعنا ليس هناك مفر من الاعتراف بأن الإنسانية ليست بحاجة إلى الغرب والدول العظمى لتكون أكثر تمدنا وتحضرا فالدول العظمى هي فقط عظمى ماليا..وما من ذلك من تواضع ما أسخفها. والمال يورث القوة.. وما أسوأ من أن يكون المال مصدرة قوة. حينها

تجد الانحلال فضيلة، والدين رزيلة، والإلحاد أيديولوجية وعقيدة، والفن هزلي وعراء، والقتل قضاء، والهيمنة والسطو والاستعمار وقتل المدنيين في حربها على الإرهاب، والإرهابي لا يمكن أن يكون غربيا، "الضعفاء" هم الإرهاب، "والأقوياء" هم الأتقياء والقديسون والمسلمون.الرأسمالية دين، والبنوك هي المعابد والمساجد، المصرفيون هم الكهنة، والحكام آلهة، والشعوب هم الخدم والعبيد، والثروة هي الجنة والنعيم، والفقر هو الجحيم، الأغنياء هم الأتقياء والملائكة والقديسون، الفقراء هم الخطاة والزنادقة والشياطين، الاستهلاك والبيع والشراء هي الشعائر المقدسة.. والغرب هو الرب الغني والخالق والعاطي والمنافع والقادر والمقتدر..!

ألم يقل خليفة المسلمين العباسي عبدالله بن المعتز (861-908): "وما العيش إلا مدة سوف تنقضي، وما المال إلا هالك عند هالك".

ويقول الروائي الروسي الأشهر فيودور دوستوفسكي (1821-1881) إن: "عندما يتكلم المال، يصمت الصديق".

ويقول ويليام شكسبير (1564-1616) الكاتب المسرحي الإنجليزي الأشهر: "يجب أن تمنع ثلاثة من التحكم في حياتك: المال، الناس، الذكريات السيئة".

ويقول الله تعالى: "أَمْ أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فَتَنَةٌ" (الأنفال-28)

وفي نفس الوقت يقول تعالى: "الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا" (الكهف-46)

وما بين هذا وذاك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "نعم المال الصالح للمرء الصالح" رواه أحمد وصححه الألباني.

قديمًا كنا نعتقد أن المال يشتري السلع والمنتجات، والمأكولات والملبوسات والمشروبات فقط..أما اليوم فقد تأكد لنا أنه يمكن أن يشتري الأصوات والأسماء

والمبادئ والسلطة والقوة..والعقل. نعم، فالمال يشتري العقل والفكر. ولكن لا يكسبها، ويكسب القلوب ولكن يستحيل أن يصلحها فمنافق ذلك الذي يشتريه المال.

فهو يصدق ويؤمن "بكم"، لا "بمن" كما وصف وسأل عمنا أحمد فؤاد نجم أحد الإعلاميين المتلونين، قائلاً له: "عزيزي فلان: تصدق وتؤمن بكام..!"

يقول عبد الرحمن منيف (1933-2004)-الخبير الاقتصادي والمفكر السعودي المعروف: "إن الشيء الوحيد الذي يتعذر كسبه عن طريق المال هو العقل".

وفي نفس الوقت، تجد الحكام، وأولى أمور المحكومين، وشيوخ السلاطين، يأمر الناس بالفقر والصبر والتحمل والزهد: فالفقراء يدخلون الجنة . وبذلك يزيد الغنى ثراءً والفقير فقرًا وتقشفًا .. مألًا وعلماً ونهضة..دولاً وأفراداً.

وهنا يقول تعالى: "الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ" البقرة 268.

يقول الإمام محمد الغزالي رحمه الله في (الإسلام المفترى عليه) إن: "كل دعوى تحبب الفقر إلى الناس أو ترضيهم بالدون من المعيشة أو تقنعهم بالهون في الحياة أو تصبرهم على قبول البعث والرضا بالدنيا فهي دعوة فاجرة يراد بها التمكين للظلم الاجتماعي وإرهاق الجماهير الكادحة في خدمة فرد أو أفراد وهي قبل ذلك كله كذب على الإسلام وافتراء على الله ..".

"المستضعفون" ليسوا مستضعفين لقلة مواردهم وموادهم الخام وأرضهم الخصبة..إنما لتشرذمهم وتفرقهم وتشتتهم وتخاذلهم وطمعهم وأنايتهم..واتخاذهم الغرب إلها، والسلطة والمال دين لمن لا دين له.

كذلك فإن المطالبين بالحرية والعدالة وتطبيق الشريعة والمفكرين، كل هؤلاء إرهابيون ومكانهم السجن خلف القضبان..فهذا ما لا يريده الإله أميركا.أما الرويضة

والساقطين والتافهين والعاطلين عن الفكر والعمل هم عليه القوم والمحتفى بهم هنا وهناك...عندما تجد أن ذلك كذلك..فاعلم أن ذلك هو "عصر الخرافات".

يقولون إن البشرية تتجه نحو التقدم والتطور، إذ أن الإنسان "البداي" كان هدفه البقاء..أما الإنسان "الحديث" فتلك غايته!

وإن دل ذلك على شيء إنما يدل على أننا أكثر بدائية من ذلك الإنسان..فإلى أين تتجه البشرية؟



المقدمة

لماذا نرى الأمور ولا نبصر حقائقها؟
هل نحن نفكر؟ أم أن هناك من يفكر بدلاً عنا؟
هل الإنسان الشرقي المتخلف أقل سوءاً من الإنسان الغربي "المتحضر"؟
هل هناك ما يسمى تحضر وتخلف أصلاً؟
هل الإنسان المعاصر متحضر؟
ماذا نعني بالتحضر؟
هل التطور مستمر؟
الحضارة الغربية: أصلها وتاريخها وحقيقتها
هل الغرب ما نراه؟ هل الغرب متحضر؟ ما حقيقة أميركا؟
ما حقيقة اكتشاف أميركا؟
ما تاريخ الغرب الدموي والأخلاقي؟
ما الإرهاب؟ وما أصله؟
الحرب الحالية وطبيعتها؟ الحرب القادمة وطبيعتها؟
ماذا يريد الغرب؟ وكيف يحصل على ما يريد؟
من يتحكم بالعالم؟
إلى أين تتجه البشرية؟ وما مصيرها؟
ماذا نعني بـ "عصر التكنولوجيا"؟

ما ثمار العصر؟

ماذا قدمت الحضارة الغربية للبشرية؟

تلك الأسئلة وغيرها في طبيعتها بديهية وبسيطة.. ولكن الإجابة عنها ليست كذلك ففهم حقيقة العالم.. أو قل الحقيقة المطلقة، لا يمكن الوصول لذلك والإحاطة به علمًا في كتاب واحد، بالإجابة على عدة أسئلة والحديث في عدة موضوعات. ففي البداية كان هدفنا تأليف كتاب للإجابة على السؤال الثالث عشر فقط أو كان هذا موضوع الكتاب فوجدنا أنه في كل فصل من الفصول.. أو قل في كل صفحة.. تتضح لنا أسئلة وموضوعات أخرى كان يجب علينا الإجابة عليها للإحاطة علمًا بالموضوع الأصلي: الحرب الحضارية الأولى.. في حين أن سؤالاً أو موضوعاً من تلك الموضوعات لا يمكن- أكبر من- أن يفرد له فصل أو باب أو حتى جزء .. ولكن فعلنا هذا في تلك المقدمة لعصر الخرافات الذي نعيشه.. كمدخل لسلسلة من الكتب والموضوعات والقضايا التي سنناقشها ونعالجها في المستقبل إن شاء الله ورضي ببناء على تلك المقدمة.



الجزء الأول

الثقافة

تمهيد

الثقافة وجمعها ثقافات.. مفهوم من أعقد المفاهيم التي يصعب تعريفها بدقة.. بل من المستحيل الإجماع على تعريف واحد لها.. سواء من الناحية اللغوية أو الناحية الاصطلاحية .. وما يهمنا هنا أكثر هو الناحية الثانية، الأكثر تعقيدًا في اللغتين الإنجليزية والعربية على السواء.

وقد قال رجل الثقافة رايموند ويليامز⁽¹⁾ صاحب كتابيه الأشهر: الثقافة والمجتمع الصادر عام 1956، والآخر، الكلمات المفتاح: معجم ثقافي ومجتمعي والصادر عام 1979.. قد قال هذا الرجل: لا أدري كم مرة تمنيت أن هذه الكلمة اللعينة- أي الثقافة- لم أصادفها في حياتي. لتعقيدها من ناحية ولأنها تحمل مفاهيمًا أيديولوجية من هيمنة واستغلال واستعمار.. إلخ من تلك المفاهيم الثقافية من ناحية أخرى. وقد قال رايموند هذا أيضًا إن تلك الكلمة- ثقافة- هي واحدة من اثنين أو ثلاث كلمات الأكثر تعقيدًا على الإطلاق.

وكثيرة هي التعريفات- بل وربما الأكثر- في ذلك الباب "ولكن لا تزل تلك التعريفات عبارة عن آراء أو قل إن شئت اجتهادات، لا تعبر على أي حال من الأحوال عن التعريف الحقيقي.. ولكن أرى أن أشمل تلك التعريفات وأدقها.. هو الذي وضعه (إدوارد تايلور)⁽²⁾

⁽¹⁾ 1921:1988-ناقد ثقافي ومفكر إنجليزي شهير.

⁽²⁾ 1832:1917-أنثروبولوجي بريطاني شهير.

في كتابه الثقافة البدائية: هي ذلك "المركب المعقد" المكون من الاعتقاد والأدب والفن والصناعة والعادات والتقاليد..

ومرة أخرى يقول إنها: المعرفة والعقيدة والفن والأخلاق والعبارات وأي قدرات يكتسبها الإنسان كعضو في المجتمع. فيعتبر الثقافة أنها كل مكونات المجتمع وعناصره.. هو يريد أن يخبرنا- وهو محق في ذلك- أن الثقافة هي كل شيء.

وعلى هذا "الأساس" فإن كل شخص داخل المجتمع فهو- بالمقياس التقليدي - يمكن أن نطلق عليه لقباً أو يأخذ وصف "مثقّف" .. وكل مثقف يتبنى مجموعة من العادات والتقاليد والرؤى .. التي تختلف من شخص أو مجموعة أشخاص ومن بلد إلى آخر.. فالمثقف الغربي يختلف عن المثقف العربي، والمثقف الألماني يختلف عن المثقف الأمريكي، والمثقف السوري يختلف عن المثقف المصري.. وهكذا دواليك وبهذا فالثقافة هي ما يميز مجموعة أو جماعة عن أخرى.. ربما على أساس ديني أو اجتماعي أو وراثي أو علمي- وأكثرهم تأثيراً وتكويناً للثقافة هو الأول وأقلهم هو الأخير.

وهنا ينبغي أن نفرق بين نمطين أو شكلين من الثقافة أو المثقف:-

الثقافة الفردية والثقافة المجتمعية.

- أما المثقف كفرد:-

فهو النضوج والقدرة والإمكانية على التقبل والرفض.. والعادات والرؤى الفردية.. كالتدخين واحتساء القهوة والسهر والجلوس بطريقة معينة وأداء طقوس معينة عند أداء أمور معينة.

"فالمثقف" في هذه الحالة هو ما يعزز عادة أو أمراً ما جيداً أو يتخلص ويغير من آخر سيئ أو غير نافع ومجموع الثقافات الفردية هي التي تكون الثقافة العامة.

- أما الثقافة المجتمعية أو العامة:-

فهي مدى حضارة ومدنية هذا المجتمع.. وتتفق تلك الثقافة- نوعًا - مع المدرسة التي تنظر إلى الثقافة على أنها- بمفهومها الواسع- ذو طابع ومفهوم مادي.. أي بمكان قياسها ولسها.

ومتى أمكن تغيير الثقافة الفردية.. يمكن حينها تغيير الثقافة العامة.. من خلال التعليم والتدريب والقانون وغيرها من الأدوات السلطوية كالإعلام وخلافه وسنأتي على ذكر ذلك فيما بعد.. وهذا الجزء فقط من الثقافة التي تعيننا أو التي سنهتم به في هذا الباب.

* * *

تقسيم وتصنيف وتكوين الثقافات

عندما نقول "تكوين" فإننا نقصد الأساس والنشأة وفي نفس الوقت هذا تقسيم وتصنيف ثقافي.. من حيث هي- الثقافات – عادات وتقاليده.. أو لوائح وقوانين.

وتختلف بطبيعة الحال- كما أسلفنا- من شخص وبلد إلى شخص وبلد آخر.

وسواء كانت هذه الثقافة عجيبة أو غريبة أو كنيية أو غير مثالية أو غير مفهومة أو غير آدمية أو إنسانية.. إلا أنها في نظر أصحابها أعقل المعقولات وأصح الثوابت وأحكمها.. وإلا تخلصوا منها لو كان ذلك غير كذلك.

والثقافات على أي حال تكاد لا تخلو من تلك المفاهيم وغيرها التي لم أجد لها وصفا يقابلها- وبالذات الغربية الأوروبية التي لم تتحرر تلك الثقافة بعد من يوم كانت في العصور الوسطى أو المظلمة.. إلا أنها اليوم تغلفت بطابع علمي أعمى!

وهنا حديثنا في حدود العادات والثوابت التي تشكلها الثقافة العامة- سواء شكلتها الظروف أو القوانين أو الموارثة أو غير ذلك- وليس عن المفاهيم الثقافية التي يشكلها العلم ومجريات الحياة والعصر.. ولهذا فقد أفردنا لهذا بابًا خاصًا لنفهم ما يعنيه – ويقدمه العلم وما تعنيه الثقافة على وجه التحديد.

إن في ثقافات بعض الشعوب نضرب بعض الأمثلة عليها.. بداية من المحيط نهاية بالمركز.

* * *

ثقافات بعض الشعوب الأوروبية- الغربية

- في قبيلة داني التي تعيش في غينيا الجديدة يعبر أي شخص عن حبه لشخص آخر عن طريق قطع أصبعه وتقديمه له وعندما يتوفى شخص ما من العائلة كالزوج مثلاً تقطع أصابع الزوجة ويتم دفنها مع الميت كتعبير عن حب الزوجة ووفائها لزوجها.
- في الصين معظم الناس لا يأكلون الجبن باعتباره عملاً همجياً لأن منتجات الألبان ترتبط بسكان البدو الرحل الذين يعيشون على مشارف الصين.
- في الصين أيضاً، يتم وضع دبابيس تحت ذقن الجنود في الجيش خلال التدريبات لكي يبقوا رؤوسهم مرفوعة.
- وفي الصين يتم بيع البيض المسلوق في بول الصبيان، ووفقاً لرئيس الطهاة (لو مينغ) أن هذا البيض صحي ولذيذ ويساعد الناس على التركيز إذا كانوا يشعرون بالنعاس.
- وفي بعض المناطق في الصين الشرطة تستخدم الأوز بدلاً من كلاب الحراسة في مراكز الشرطة لأن بصرها حاد جداً وسهلة التدريب.
- بإمكان الأثرياء في الصين استئجار أشخاص لقضاء فترة عقوبة السجن عوضاً عنهم.
- في الصين أي شيء يمكن بيعه حتى الهواء! الذي يتم تعبئته في علب معدنية بنكهات مختلفة وذلك نظراً لزيادة الضباب وتواجد الدخان بكثرة.
- بعض العائلات الصينية تصمم على تزويج الأحياء من أقاربهم الموتى غير المتزوجين لذلك يقوم بعض الأشخاص بسرقة الجثث وتزويجها لهم مقابل آلاف الدولارات.
- في الدنمارك يمنع أي شخص من غسل الخنازير في يوم الأحد من كل أسبوع.

- في تورنتو يمنع في شارع يونج ستريت سحب أي حصان إذا كان ميتًا.
- في النمسا يمنع أي شخص من تناول البوظة أمام أي بنك من بنوكها.
- في إندونيسيا.. يقوم سكان إحدى القرى بإخراج جثث موتاهم والطواف بها في جميع أرجاء القرية مرة واحدة كل ثلاث سنوات.. ويسمى هذا الطقس بال (ماننه).. وطبعاً هذا بعد غسل وتنظيف وإلباس الجثة ملابس جديدة.
- أما في غابات الأمازون – وتحديداً ما بين فنزويلا والبرازيل- في قبيلة (يانومامو) عند وفاة شخص ما، يتم لف الجثة في الأوراق لتسمح للحشرات بالانقضاض عليها وبعد 45 يوماً تجمع رفات الجثة ويتم سحقها ثم تخلط بشوربة الموز، ويتم تناولها من قبل الجميع (اعتقاد ديني بأن صاحب الجثة سيدخل عن طريق ذلك الجنة).
- في سان فرانسيسكو ممنوع إطعام الحمام.. فهذا يعرضك لاتخاذ الإجراءات القانونية ضدك.
- في جزر المالديف ممنوع اصطحابك للكتاب المقدس سواء في الحديقة المجاورة أو الشاطئ القريب.. فهذا يضعك تحت طائلة القانون.
- في سبع ولايات من الولايات المتحدة يمنع منعاً باتاً على الملحنين شغل أي وظائف عامة وفقاً لدساتيرها.
- في ولاية أيوا ... لا للشوارب.
- في مدينة ميلانا الإيطالية الابتسام إجباري وغير ذلك يعرضك للغرامة.. إلا في حينين فقط: سواء كنت في المستشفى أو في جنازة أما دون ذلك فأنت مجبر على الابتسام في كل زمان ومكان.
- في هونولولو بهاواي ممنوع الغناء بعد غروب الشمس.
- في ولاية فيكتوريا بأستراليا من غير القانوني تغيير المصباح الكهربائي إلا إذا كنت كهربائياً مرخصاً من الدولة.

- وفي ماليزيا وتحديداً منطقة (بورنيو الشمالية) يتم منع العروسين من الاستحمام قبل زفافهما بثلاثة أيام (لاعتقادهم بأن هذا الطقس يجلب العمر المديد لحياتهما الزوجية).
- في إنجلترا ومنذ عام 1267 تقام مسابقة سنوية يقوم فيها المتسابقون بوضع حدوة حصان حول وجوههم ويظهرون الوجه بأبشع أشكاله.. وصاحب الوجه الأبشع هو الفائز.
- في إندونيسيا.. وتحديداً في منطقة (توارجا) يعيش الأشخاص مع أقاربهم الأموات قبل أن يتم دفن جثثهم لفترة من الزمن في غرفة من غرف منازلهم.
- في رومانيا.. من تقاليد أو شروط الزواج هو أن تختطف فتاة بنجاح.. وإن أبقيتها في بيتك من 3: 5 أيام فإنها تصبح زوجتك إلى الأبد.
- في الصين لا يستخدمون الرقم ثلاثة ويتحاشونه لاعتقادهم أنه منحوس.
- في كينيا وتزانيا يعتبرون أن البصق في وجه الصديق المقرب دليل على الاحترام.
- في أستراليا يحيي الأستراليون بعضهم بإخراج السننهم.
- أما في الفلبين يرفع الشخص الذي يؤدي التحية قدمه بوجه الآخر.
- وفي إيطاليا.. يعتقد الإيطاليون أن السباحة بعد الأكل تسبب الموت لدرجة أنهم وضعوا قوانيناً لهذا الأمر.. ولم تتغير بالرغم من أن الدراسات دحضت هذا الاعتقاد.
- أما أكثر القوانين والثقافات غرابة وجنوناً فيمكنك أن تجدها على وجه التحديد في أميركا وكوريا الشمالية.
- فمثلاً في الولايات المتحدة:-
- في مدينة فيريانكس بولاية ألاسكا من غير القانوني تقديم الكحوليات للغزلان.
- في مدينة جليندال بولاية أريزونا ممنوع قانوناً قيادة السيارة للخلف.
- وفي مدينة سان فرانسيسكو بولاية كاليفورنيا من غير القانوني استخدام ملابسك الداخلية القديمة في تنظيف سيارتك.

- وفي مدينة كوينتن بولاية جورجيا من غير القانوني تبديل الملابس بعد شرائها إلا لو كانت مخططة بالطول.
- في مدينة ساوث بيند بولاية إنديانا من غير المسموح للقروء بأن تدخن السجائر- لكن إذا دخنت الغوريلا فهذه حرية شخصية.
- في مدينة نيو أورلينز بولاية لويزيانا من غير القانوني أن يتمضمض المرء و يتغرغر في الشارع.
- في مدينة بوسطن بولاية ماساشوستس من غير القانوني الاستحمام إلا بوصفة طبية.
- في ولاية مينيسوتا تواجه النساء عقوبة السجن لمدة 30 يومًا لو قمن بارتداء زي بابا نويل- نتطلع لتلك الحرية والثقافة الواعية في بلادنا!.
- في ولاية تكساس من غير القانوني إطلاق النار على ثور من الطابق الثاني من أي فندق.
- في مدينة فارجو بولاية نورث داكوتا من غير القانوني أن يستلقي الشخص وينام وهو يرتدي حذاءه.
- في مدينة أكسفورد بولاية أوهايو من غير القانوني للنساء أن يخلعن ملابسهن أمام صورة رجل – ربما لما يدور في نفس المرأة وليس ما يدور في نفس الصورة كما يفهم!.
- في ولاية أوكلاهوما الأشخاص الذين يضايقون الكلاب عن طريق عمل تعبيرات وجه قبيحة يعاقبون بالغرامة والسجن.
- في مدينة ماريون بولاية أوريجون من غير المسموح للقساوسة بأن يتناولوا البصل واللحم قبل تأدية الاحتفال.
- في مدينة موريسفيل بولاية بنسلفانيا يجب على النساء الحصول على إذن قانوني قبل وضع مساحيق التجميل – نحن أحوج – أقصد ثقافتنا بالطبع! لهذا

القانون .. فربما يساهم هذا في انخفاض الاستهلاك وتوفير النفقات بشكل ملحوظ وكبير .. ويمكن أن يساهم أيضًا في زيادة نسبة العنوسة!.

- وفي ولاية ساوث داكوتا من غير القانوني النوم في مصانع الجبن.
- في مطاعم مدينة ممفيس بولاية تينيسي يجب إنهاء كل الفطائر المطلوبة في المطعم نفسه .. ومن غير القانوني اصطحاب الفطيرة إلى المنزل.
- في ولاية يوتا للطيور حق الجانب الأيمن من الطريق في كل الطرق السريعة.
- في مدينة سياتل بولاية واشنطن، النساء اللواتي يجلسن على أقدام الرجال في وسائل المواصلات العامة يواجهن عقوبة السجن لمدة 6 أشهر وهذا – القانون – في حد ذاته يخلص إلا أن هناك ثقافة أكثر قبحًا من تلك الوليدة أو التي تأخذ الطابع القانوني.
- فالقانون بطبيعته ينشأ لتحريم فعل غير مقبول أو لتفعيل أمر فيه مصلحة فهو في النهاية يدل على أثر ما نهي عنه أو أمر به – وسنأتي على ذكر هذا في تشكيل الثقافة فيما بعد.

- وفي ولاية ويست فرجينيا من غير المسموح قول النكات يوم الأحد في الكنيسة.
- في ولاية ويسكونسن من غير المسموح للنساء ارتداء أي ملابس حمراء اللون علناً.
- وغيرها الكثير من القوانين الغريبة والعادات الأغرب التي تشكل ثقافة الأمة للعامة.

أما في كوريا الشمالية .. فهناك ما هو أكثر غرابة وجنونًا من ذلك كله

- لا تتابع على التلفاز إلا ما تريده الحكومة.
- يجب الموافقة على قصة شعرك من بين عدة قصات معينة غير مسموح بسواها سواء للذكور أو للإناث.

- غير مسموح بالموسيقى الغربية بكل صورها .. بل ويسمح فقط بأنواع محددة من الموسيقى المحلية.
- ممنوع ارتداء الجيز الأزرق باعتباره أحد الرموز الأميركية خاصة في شخصية راعي البقر.
- غير مسموح بالسفر للخارج إلا لأسباب مقنعة للحكومة.
- غير مسموح باستخدام الإنترنت أو مواقع التواصل الاجتماعي على الإطلاق ولكن يظل بإمكانك استخدام شكل واحد من أشكال الإنترنت المحلي وهو مراقب بطريقة قمعية مشددة .. أو مراجعة رسائلك الإلكترونية .. ويتم هذا الاستخدام بتصريح حكومي.
- ممنوع منعاً باتاً الإعلانات والصور الإعلانية.
- الطالب الكوري الشمالي مطالب بأن يدفع كل شيء .. حتى أنه يقوم بدفع مقابل للكرسي الذي يجلس عليه في المدرسة.
- غير مسموح بتجول السياح بحرية بدون مرشد سياحي.
- غير مسموح بامتلاك أو قيادة سيارة خاصة .. لبعض فئات الشعب الكوري .. ولا يسري ذلك على كل المواطنين.
- ليس لديك الحق بارتداء ما تريد أو عمل ما تحب أو تمشي بطريقتك الخاصة.
- من أسوأ الجرائم التي يمكن أن ترتكب هي طي صحيفة عليها صورة الزعيم الكوري أو والده أو جده أو من سبقه بالحكم.
- يتم القضاء على كل العقائد الدينية .. وغير مسموح بأي ديانة أو أي إيمان لأي إله داخل البلاد.
- مكاملة هاتفية واحدة قد تؤدي بك إلى الإعدام.
- التاريخ بدأ بولادة الرئيس السابق كيم ايل سونغ عام 1912 مما يعني أننا في عام 105 حسب التاريخ الكوري الشمالي.

- غير مسموح بالعيش في العاصمة إلا للنخبة والناجحين والأغنياء ورجال الأعمال.

إذا وجد - والموالون للحاكم .. وبتصريح مسبق منه.

وإن هذه الثقافة الانغلاكية والقمعية هي وسيلة - قمعية - لحماية ثقافة الدولة من الثقافات الأخرى ومعاداتها بشدة.

في الزواج .. حدث ولا حرج:

- في ألمانيا من طقوس الزواج هو قيام أهل العروسين كسر البلاط والأطباق والمرايات والمراحيض في بيت الزوجية ليقوما بتنظيفها ليلة زفافهما.

- في اسكتلندا أهل وأصدقاء العروسين يسكبون عليهما مواد لزجة وأكلات متعفنة وماء وبعدها يطوفون بهما في شاحنة في الشوارع.

- في كوريا الجنوبية أصدقاء العريس يخطفونه ويربطون قدميه ويديه ويضربونه على قدمه بالسلك والعصا.

- في العديد من القرى الصغيرة في ألمانيا يقوم أصدقاء العروس والعريس بخطف العروس وإخفائها في مكان ما، وعلى العريس حينئذ البحث عنها لإيجادها.

- في الهند من طقوس الزواج إخفاء حذاء العريس في ليلة الزفاف بأي طريقة .. وعلى العريس دفع أي مبلغ يطلبه أهل العروس لاسترداد حذائه.

- في فرنسا بعد انتهاء حفل الزفاف يجتمع أهل العروسين وأصدقائهم في المساء ويضربون القدور والقلابات ويقرعون الأجراس وينفخون في الأبواق ويثيرون الجلبة بهدف إقلاق وإخراج الزوجين إليهم عند سماع الضجيج ثم يستقبلونهما ويقدمون لهما الحلوى والمرطبات.

- في السويد يعتبر من طقوس الزواج حفل التقبيل .. فيقبل العريس كل النساء الموجودات بالحفل ويقبل العروس كل الرجال الموجودين بالحفل .. أو محاولة تقبيلها.

- ومن طقوس الزواج أيضًا هو وضع العروس لقطع نقدية في حذائها .. ففي حذائها الأيسر تضع قطعة نقدية ذهبية يعطيها إياها والدها وفي الحذاء الأيمن تضع قطعة نقدية فضية تعطيها لها والدتها .. لضمان فكرة بقاءهما حولها دائماً.
- لدى شعب قبائل الماساي في كينيا عادة غريبة .. ففي يوم الزفاف يتم حلق شعر رأس العروس وتغطية رأسها بدهن الماعز وبعد ذلك يبصق والدها على رأسها وجسمها قبل تسليمها لعائلتها الجديدة.
- في الصين على العروس وأهلها البكاء لمدة شهر قبل يوم الزفاف لمدة ساعة يوميًا .. وقبل عشرة أيام من يوم الزفاف يجب على كل المدعوين البكاء.
- في فرنسا يجمع العروسان بواقي النبيذ في حفل الزفاف ويشربونه في نموذج مصغر للحمام أو في الحمام نفسه.
- وعلى جزر بولينيزيا الفرنسية بعد حفل الزفاف يقوم كل من أقارب العريس والعروسة بالاستلقاء على الأرض على بطونهم ويقوم العريس والعروس بالسير فوقهم.
- في إندونيسيا تصبغ العروس أسنانها باللون الأسود .. وتغسل قدمي زوجها أثناء حفلات الزواج .. ويمنع عليها أن تخطأ قدمها الأرض أثناء انتقالها إلى بيت أهلها لذا يقوم والدها بحملها مهما بعدت المسافة.
- في جزيرة جاوا والباسفيك مهر العريس هو 25 ذيل فأر وتقدم لحاكم جاوا .. أما في الباسفيك فيقدم العريس عددًا من الفئران غير الميته.
- في بعض المدن في الصين مهر العروس هو اثنين كيلو من الذباب .. أو عدد معين من الفئران.
- في تزانيا مهر العروس هو مصارعة الزوج - أو التقدم للزواج - لأسد ثم اصطياده وقتله.
- في أرمينيا حتى تختار المرأة زوجها يجب أن تأكل قطعة من الخبز المالح حتى تتمكن من رؤيته والرجل الذي تراه في المنام أنه قدم لها كوبًا من الماء هو من تتزوجه.

- في بريطانيا العظمى وتحديداً في ويلز مهر العروس هو ملعقة خشب.
- في النيجر يقف العديد من الرجال للرقص أمام النساء وبعد أن ينتهوا من العرض تختار المرأة الرجل الذي أعجبها أداءه أكثر لتتزوج به .. والرقص هو المهر.
- في جمهورية جزر فيجي - بملانيزيا - مهر العروس هو تقديم سنة حوت لوالد العروس المطلوب الزواج منها، ونفس المهر بمدينة فوجي اليابانية.
- العروس هي من تدفع المهر في الهند لدى بعض القبائل الهندية.
- في إندونيسيا يمنع المتزوجون من استخدام الحمام أو إخراج فضلاتهم خلال الثلاثة أيام الأولى من الزواج ولا يقدم لهم إلا كميات قليلة من الطعام.
- في الصين لدى شعب اليوغور من عادات أو طقوس الزواج هو رمي الزوج زوجته بالسهم الخفيفة ثم جمعها في نهاية الحفل وتحطيمها.
- في بولندا وبعض دول أوروبا يجب أن تدفع المال للعروس لتنال شرف الرقص مع أي من العروس والعريس.
- في المملكة المتحدة واسكتلندا وايرلندا يجب ألا تلامس أقدام الزوجين الأرض خلال الرقص .. وذلك بسبب اعتقادهم أن الأرواح الشريرة تحب أجمل الأشياء وأكثرها فتنة هي العروس أثناء رقصها في أجمل أيام حياتها.
- في قبيلة داني بغينيا يعبر الزوج عن حبه لزوجته بقطع إصبعه وتقديمه لها .. وفي حال موت زوجها فعليها أن تقطع أصابع يديها وتدفعها معه.
- في مدينة بوندا بورجاس الهندية تختبر المرأة المتقدم بخطبتها بأن تكويه في ظهره فإن تألم رفضته وفضحته في القبيلة وإن تحمل الألم قبلته.
- في ماليزيا يدخل العريس لحفل الزفاف محمولا على هودج وتطلب منه قربات العروس مبلغاً من المال وبعد أن يدفعه وتوافق عليه العروس يستطيع رؤيتها وبعدها تبدأ مراسم الزفاف.

- في تايلندا في مقاطعة قريبة من العاصمة بانكوك تبدأ طقوس الزواج من داخل توابيت الموتى تحت مباركة الكهنة.
- في اليونان ينثر المال والورود على السرير ليلة الزفاف وتدرج الأطفال الرضع على سرير الزوجين لاعتقادهم في ذلك الخير والبركة.

بعض ثقافات الوطن العربي:

- الاحتفال بأسبوع مولد الطفل وهو احتفال يعود للدولة المصرية القديمة.
- التحية بتقبيل الكتفين أو بتقبيل الأنف والأخيرة تشتهر في شبه الجزيرة العربية في بعض دول الخليج مثل الكويت وعمان.
- الترابط الأسري .. على عكس كل ثقافات العالم هذا ما يميز الثقافة العربية.
- التحية بعد التسليم في الصلاة .. واعتبار أن من لا يصافح من بجواره مخالف شرعا (وهذا لا يمت للشرع بصله).
- زيارة المقابر صباح عيدي الفطر والأضحى.
- الحلويات في الأعياد.
- شرب القهوة وحسن الضيافة.
- المقاهي والنرجيلة (الشيشة)
- التعديد .. أي اللطم على الخدود وشق الجيوب وقول كلمات معينة بنغمة معينة عند موت أحدهم أو أحد الأقارب .. كتعبير عن الحزن الشديد.
- الأكل والتسوق والاستهلاك الترفي (حيث تبلغ قيمة مشتريات الفرد العربي بالمتوسط من مستحضرات التجميل والعطور فقط 334 دولارا)
- النسيمة بين النساء .. تكاد لا تخلو أي جلسة نسائية عن التكلم عن فلانة وفلتكانة.

- الطبخ – الأكل – ومشاهدة التلفاز .. تلك أبرز المحببات للقلب العربي .. وفي نفس الوقت أسوأها هو الوزن الزائد – الذي تسببه تلك الأشياء الثلاثة بشكل أساسي أصلاً!.

- مسح الوجه بعد الدعاء .. وهي عادة اجتماعية وليست دينية.
- أما من طقوس الزفاف .. ففي لبنان يخطف العريس قبل زفافه واحتجازه في منزل أحدهم ليأتي أهله لاصطحابه حاملين معهم بذلة العرس .. وتناول الفطور في منزل الخاطفين.

- في إحدى قبائل الصومال يقوم الزوج بضرب زوجته ضرباً مبرحاً (ومن ضمنهم أهل العريس) كي تعترف العروس برجولة زوجها.

- في اليمن بعد أن تطأ العروس عتبة منزل الزوجية بقدمها حتى يسارع العريس بوضع قدمه على قدمها فإن سحبت قدمها بسرعة كان معني ذلك أن إدارة البيت لها .. والعكس صحيح.

- في مدينة صفاقس التونسية تقفز العروس فوق السمك مرات عدة مرات طلباً للحظ السعيد .. فيما تقوم العروس في مدينة بزررت بجر سمكة مربوطة برجلها بضعة أمتار ثم يقفز فوقها سبع مرات من قبل العروس وتكون هي أول من يأكلها.

- وفي قرى الجنوب التونسي يتم طلاء بيضة بالحناء وتكسرهما العروس ليلة زفافها على واجهة منزل زوجها قبل دخولها إليه للمرة الأولى .. ونفس العادة في بعض قرى ومدن المغرب.

- وفي السودان خلال أداء رقصة العروس الثنائية في الزفاف تقوم العروس بإسقاط نفسها على الأرض وفي كل مرة على العريس التقاطها وإلا تعرض لسخرية المدعوين.

- وفي قبيلة الجعليين بالسودان فإن العريس يجلد بالسوط في مراسم حفل الزفاف.

- وفي بعض القبائل السودانية هناك عادة تدعى (البطان) يجلد خلالها العريس أصدقاءه ليثبت لأهل عروسة قدراته البدنية.
- في محافظة ديالى العراقية يتفائلون بتبول طفل على فراش العروسين فذلك يعني أنها ستنجب مولودًا ذكرًا.
- في موريتانيا لا تبدأ الاحتفالات قبل خروج العريس من غرفة الزوجية حاملاً شمعة مضاءة دلالة على عذرية الفتاة.
- أما في مصر فلا تحمل شمعة بل تذهب أم العريس والعروس للتأكد في (الصباحية) وهو صباح اليوم التالي للزواج.
- المهر في المغرب عبارة عن مجموعة من الإبل والأبقار والأغنام التي يقدمها الأب لابنته.
- في مصر تجتمع الفتيات - أصدقاء العروس - حول العروس وتحاول كل واحدة أن تقرصها في ركبتيها .. ويجتمع أصدقاء العريس حوله ويحاولون أن يقرصوه أسفل ظهره، وفي العراق تقرص العروس في خدها.
- في غينيا تقوم الفتاة التي تبحث عن زوج بالسباحة عارية وحينما تصل إلى الجانب الآخر يتقدم أحد الشباب إليها ويقدم لها ملابس لتغطية جسدها.
- وفي اليمن يقذفون العريس بعجينة الحناء ثم يقذفونه في البحر ليغتسل ويزف وهو مبلى الثياب إلى بيته.
- وفي مناطق أخرى باليمن يقوم أصدقاء العريس بوخزه ثلاث مرات بالإبر حتى يصل إلى بيته.
- وفي المغرب توضع العروس فوق فرس لاعتقادهم أن ذلك يساهم في جلب المواليد الذكور.
- في مصر ينثر الملح والحلوى على المدعوين.

- في البحرين يحضرون وعاء من الفخار ويضمونه وسط باحة المنزل ثم يأتي العروسان ويجلسان متقابلين ويضمان قدميهما في الوعاء بحيث يلامس إبهام كل منهما إبهام الآخر. بينما يقوم العريس برمي قطع نقدية في الوعاء.
- في العراق تقوم الفتاة التي تبحث عن زوج بكتابة اسمها على حذاء العروس في يوم الزفاف.
- يذهب العريس في سوريا مع الزفة إلى منزل عروسة سيراً على الأقدام برفقة الأصدقاء.

الثقافة والعادات المصرية:

- الثقافة المصرية لها طابعها الخاص .. فتتميز عن كافة ثقافات العالم، أو الوطن العربي في إنها ذو طابع فكا هي .
- وإن كان هناك ما يثير العجب في الثقافة المصرية فإنه هذا..
- المصري لو يذور واحد فنص الزيارة في الغالب بتكون على الباب وانت ماشي.
- مفيش مصري مش اتقاله اتفضل معانا .. ومبيتفضلش برضو.
- الفصل في المشتريات .. ولكن البياح حويط أكثر من المشتري فيبرفع السعر 3 أضعاف.
- في مطبخ كل بيت مصري في كيس كبير فيه أكياس كثير.
- في كل تلاجة في نص لمونة قديمة وزجاجة دوا كحة تقريبا صلاحيتها منتهية.
- خد الزبالة معاك وانت نازل.
- المصري بي فهم في كل حاجة .. مفيش حاجة اسمها معرفش.
- كلمة "باشا" للضابط.

- كل شخص له الحق المناداة بكل الألقاب اللي عرفتها البشرية، باشا، برنس، أسطى، أستاذ، نجم، شبح .. ودول أعلى مستويين في الألقاب.
- الرشوة والواسطة.
- لو حصل خناقة بين واحد عجوز وواحدة وحشة .. الناس تقول للوحشة: عيب ده قد أبوكي .. ولو حلوة يقولوا للراجل: عيب دي قد بنتك.
- رمي الزبالة من شبابيك العربية.
- الكورنيش هو مكان لإقامة العلاقات العاطفية والغرامية.
- انت مش عارف انت بتكلم مين!.
- جمعيات حقوق الإنسان والحيوان (نقابات، هيئات، مؤسسات) كلها واجهة اجتماعية وناس بتاكل عيش بما يرضي الله .. والوطن.
- خناقة .. تعال نتفرج.
- البنت المصرية تتميز بكم من الميكاب و المكياج المبالغ فيه.ايه ده يا شيخه.
- تتميز بالتكتل والأوزان الفلكية.
- العريس له تحيته الخاصة يوم فرحه .. حاجة استغفر الله العظيم يعني.
- الكتابة على العربيات والتكاتك والتكاسي .. فالحكمة تجدها في "الشارع المصري.
- النقطة في الأفراح.
- علشان تتأكد أن الأنبوبة صالحة ولا لازم تعرضها للنار.
- النيش .. هو ملهوش لازمة تقريبًا بس أهم من العريس عند أم العروسة.
- متلعبش بالنار بليل عشان متعملهاش على نفسك وانت نايم.
- دلق القهوة خير.
- يعلق الشبشب عشان الحسد.
- يعدل الشبشب علشان – مفكرها سنة عن الرسول..ما هو مؤمن.

- لما يروح درس يعد العيال علشان يشوف الأستاذ بيكسب قد ايه.
- صراع القمة – الوهمي – في مصر هو أبرز ما في الثقافة المصرية .. فأنت لازم تدخل علمي عشان تدخل طب أو هندسة .. مش مهم تفهم، المهم تحفظ .. اخرب بيوت الناس .. بس المهم تفتح بيت ابوك.
- أي بيت مصري له بصمة صوت .. لما حد يخطب، بنقول: مين، أول ما يقول: أنا، نفتح على طول .. احنا كده عرفناه.
- الشعب الوحيد اللي بيتكلم ويرد السلام بكلاكس العربية.
- الشاي هو رمز من رموز الثقافة المصرية .. لدرجة أنه يمكن مصه ومضغه وإصدار أصوات غريبة أثناء شربه .. واستئذان كباية الشاي قبل الشرب عن طريق الطرق عليها مرتين أو ثلاث بعد تحريكها .. وهو فطور أساسي بجانب الكيك أو العيش أو البسكويت .. أو حتى من عدم ذلك كله.
- ثلاث أرباع كراسي مصر فيها لبانة على الجنب أو من تحت.
- الكتابة على سور المدرسة وحماماتها.
- أكل السمك المملح (الفسخ) في أعياد شم النسيم.
- يرتدي نظارة .. إذن هو مثقف – مش عارف إيه العلاقة بصراحة.
- الاحتفال بالسبوع..أو بمرور أسبوع على ولادة حمادة..حيث يتم تعذيب المسكين والصراخ فيه عاليًا: اسمع كلام أمك ومتسمعش كلام أبوك، اسمع كلام جدك ومتسمعش كلام جدتك..وهو أصلا ماييسمعش ولا بيّفهمش..ده عنده أسبوع ياكفرة!..وفي الآخر الولا بيطلع عاق ومعاق.
- اختلاف اللهجات وده معناه تعدد العلاقات والثقافات واختلاف العادات وتنوعها من مكان إلى آخر داخل القطر المصري.

ففي صعيد مصر:

- الناس هنا أكثر تمسكًا بالعادات والتقاليد والقيم الاجتماعية .. ومن الصعب جدًا جدًا التخلي عنها .. سواء إذ كانت تمثل هوية هذا المجتمع .. أو حتى كانت فارغة من أي مضمون وغريبة .. على أي حال يتمسك بها ويتعصب لها .. ومن المدهش أو الغريب - لا أعلم - على سبيل المثال .. إنه منذ قبل القرن التاسع عشر كانت العباءة هي الزي الرسمي للنساء المصريات - وكانت بديلاً عن النقاب الحالي - ثم بدأ يختفي تدريجياً حتى كانت الإسكندرية فقط هي ما تتميز بهذا الزي - مع بعض التغير عليه - ثم اختفي تمامًا في مصر.. ما عدا الصعيد .. فما زال هذا الزي - أو العباءة - ترتدي حتى اليوم في الصعيد من قبل النساء المعمرات.

- فنذكر بعض تلك العادات والتقاليد - التي تمثل واجهة الثقافة في الصعيد - على سبيل المثال.

- بعض أشكال الحداد على شخص مات هو عدم تشغيل التلفزيون لمدة 15 يوما وتصل لـ 100 يوم في حالة وفاة الأب أو الأم أو الأبناء كتعبير عن الحزن الشديد.

- لا تحلق اللحية لمدة 40 يوما في حال موت أحد الأقارب.

- ممنوع دخول واحدة عندها الحيض أو واحد حالق دقنه على ست "والدة" للاعتقاد بأن ده يمنع اللبن عنها..هو مفيش علاقة بين الاتنين. بس اشطة

- والربع جنيهه المخروم اللي لازم يتعلق على رقبة المولود والمختون.

- ودق الهون والأذان في ودن المولود - والأذان سنة.

- لو حد مخضوض أو كلب ابن حلال جري وراه .. فلازم يتبخر(من بخور..يعني مش بيتلاشي ولا حاجة) في المكان اللي اتخض فيه عن طريق تغطيته بالتراب..اه والله بالتراب يامؤمن.

- الكف .. وهو فن غنائي ارتجالي في الأفراح الشعبية في الصعيد.

- ممنوع تضرب القط الأسود .. لأنه في الحقيقة جن وممكن يلبسك ويولع فيك وفي أهلك.

- لو ابنك نجح أو جاتلك الوظيفة .. تعمل عقيقة وتعزم الأحباب والجيران.

- يزف العريس والعروسة للمقابر وتوزع الحلوى.

- لو واحدة اتخضت تمنع الخلف.

وعلى كل .. أي موروث ثقافي له ارتباط ديني (عقائدي) أو متوارث من الأجيال القديمة .. ومدى وعي الشعب الديني أو العلمي على حد سواء هو ما يشكل الثقافة أو يجعلها صالحة من عدمه. فالعادات ليست كلها صحيحة أو مبررة، ولكن تحدث وتستمر وفقًا لظروف المجتمع .. ومع التكرار تصبح ثابتة وموروثة اجتماعيا .. مبرره الوحيد، العادة.

عوامة الثقافات

الثقافات ليست ثابتة بل تتطور أو تتعولم - إذا أردنا الدقة - من الثقافات في المجتمعات الأخرى - سواء قسرًا وعمدًا كشكل من أشكال الاستعمار لكسر الاستقلال أو نقلًا وأخذًا عن طريق الوسائل المختلفة - بشكل يمكن تسميته "غزوا" أو "تسللا" ثقافيا .. والتي تعدو خطرًا قوميًا .. وليس اجتماعيًا فحسب .. متى تفشت وغزت تلك الثقافات مجتمعا ما . وهذا ما يحدث بالفعل .. بداية من عوامة المفاهيم والمعرفة .. حتى المنتجات والسلع .. فالعري والملابس - الضيقة والقصيرة والساقطة - وقصات الشعر الغربية والفن الهابط والميك اب وأدوات التجميل .. ألغى كلها ثقافات غريبة دخيلة .. وليست عربية أو شرقية .. وذلك يهدد الهوية ويجعلها تندثر مع الوقت.

وعن تكون الثقافات الدخيلة وتشكيل وتشكل العولمة

يحدثنا المفكر الكبير جلال أمين⁽¹⁾ أن (العناصر الأساسية في فكرة العولمة: ازدياد العلاقات المتبادلة بين الأمم سواء المتمثلة في تبادل السلع والأفكار أو في تأثر أمة بقيم وعادات غيرها من الأمم)² ويتجلى هذا - الأثر السيء للعولمة على الشعوب - في نمط تفكير وحياة الأفراد داخل المجتمع، ما بين الحاضر والماضي .. فنرى أن: متوسط دخل الفرد كان مرتفعاً، أسعار المنتجات والعملات والاقتصاد بشكل عام كان جيداً، الحياة كريمة وهادئة وممتزجة، الأمن والأمان والطعام كان متوفراً وكان هناك نوع من الاكتفاء الذاتي .. ذلك قبل أن يحدث الانفتاح على العالم الخارجي والثقافات الأخرى .. وكان من المفترض أن يتحسن ذلك كله إلى الأفضل (مع الزمن والتطور المفترض والانفتاح على الثقافات الغربية) وليس العكس!

ربما يقول أحدهم إن الزيادة السكانية تؤدي إلى العكس .. وهذا في حد ذاته يشكل تناقضاً أكبر .. إذ أنه من المفترض أن يكون هذا (رأس المال البشري) عنصراً أساسياً في النهضة والتقدم ومصدراً أساسياً للدخل القومي .. وهذا لا يعدو إلا دليلاً على التلوث الفكري وعولمة الإنسان وإنسانيته .. وهذا يخبرنا أن هناك ثمة شيء مريب يحدث .. يوضحه لنا المفكر جلال أمين قائلاً إنه: (لم تعد حدود الدولة القومية هي حدود السوق الجديدة بل أصبح العالم كله مجال التسويق سواء كان تسويقاً لسلع تامة الصنع أو تسويقاً لمستخدمات وعناصر الإنتاج، أو تسويقاً لمعلومات وأفكار، فقفزت الشركة المنتجة فوق أسوار الدولة وأخذت هذه الأسوار تفقد قيمتها الفعلية، بل أصبحت أكثر فأكثر أسواراً شكلية، سواء تمثلت في حواجز جمركية أو حدود ممارسة السياسات النقدية والمالية أو حدود السلطة السياسية أو حدود بث المعلومات والأفكار أو حدود الولاء والخضوع الحواجز الجمركية تتخطاها هذه الشركات إما بالاستثمار المباشر داخل

(1) 1935-.. عالم الاقتصاد والأكاديمي والكاتب المصري الأشهر.

² جلال أمين - العولمة ص 17.

البلد المطلوب غزوه أو عن طريق اتفاقيات من نوع اتفاقيات الجات وجولة أورو جواي وحدود ممارسة السياسة النقدية والمالية تتخطاها هذه الشركات إما بقدرتها على التهرب مما تفرضه الدولة من سياسات نقدية ومالية أو بقدرتها على فرض ما تشاء من سياسات على الدولة نفسها عن طريق مثلا ما يسمى ببرامج التثبيت الاقتصادي والتصحيح الهيكلي وحدود السلطة السياسية تتخطاها هذه الشركات لا بالغزو المسلح كما كان يحدث في الماضي (إذ كان من الضروري - والممكن - في الماضي استبدال دولة بدولة) بل عن طريق استبدال رئيس برئيس أو زعيم بزعيم آخر أو حتى مع الإبقاء على الرئيس أو الزعيم نفسه ولكن بإجباره بطرق شتى على اتباع المسلك المطلوب .. أما حدود بث المعلومات والأفكار فقد تكفلت بتخطيها أطباق الدش والتلفزيون وشاشات الكمبيوتر - ووسائل التواصل الاجتماعي والإنترنت - وأما حدود الولاء والخضوع فيجري تخطيها ليس فقط على نحو طبيعي وتدرجي بما يحدث من تغير في الولاء مع تغير مصدر الكسب والربح ولكن أيضًا ببذل جهود واعية ومتعمدة لنشر أفكار تساعد على تحطيم موضوع الولاء القديم وهو الوطن أو الأمة - بثقافته وقيمه - وإحلال ثقافات جديدة محله وأفكار من نوع "نهاية الأيديولوجيا" و"نهاية التاريخ" و"القرية العالمية" و"الاعتماد المتبادل" .. إلخ

مما يصلح استخدامه مع جميع الأمم، أو من نوع "الشرق أوسطية" والقول إننا "لسنا عربيًا فقط بل أيضًا شرق أوسطيين" الذي يستخدم مع أمة بعينها فضلًا بالطبع عن فكرة العولمة نفسها)¹ عوضًا عن القوانين التي تُسير أو يسير من خلالها الأفراد داخل المجتمع أو في ثقافة معينة.. والقوانين تختلف من ثقافة إلى أخرى وفقًا لظروف المجتمع.. والشعوب تتصرف وفقًا للثقافات أكثر من القوانين المكتوبة ببساطة لأنه يشعر أنه هو الذي وضع تلك القوانين الخاصة.. وليس مجبرًا بتطبيقها.. وأيضًا لبساطتها.

¹ المصدر السابق- ص 21.

والملاحظ أن..

1. بعض القوانين وضعت لتغيير وتهذيب تصرفات الفرد داخل المجتمع إذا كان يغلبه الطابع اللاأخلاقي أو الهمجي: كره، حقد، عدم احترام للخصوصيات، سرقة، عدم الاهتمام بحقوق الآخرين وأداء الواجبات والالتزامات، الرشوة والواسطة.. إلخ.

فالجنس البشري يحتاج للتوجيه على أي حال.. وما يحكمه ويحكم تصرفاته فإذا نظرنا على سبيل المثال إلى التعليم في القرون الوسطى الأولى، نجد أن الطفل كان عند سن معين يتعلم في مكان معين (سواء كان ذلك المكان المسجد أو المدرسة فيما بعد) دون إجبار أو قانون يحكم ذلك.. حتى أصبح التعليم وطلب العلم ثقافة في الموروث الاجتماعي في بلاد المسلمين - في ظل الحضارة الإسلامية- في القرون الوسطى.. حتى بدأت الحروب الصليبية- وأول غزو ثقافي حقيقي في التاريخ- عندها سادت الهمجية والعنصرية وعداء الفكر والإنسان الآخر.. حتى قل تدريجياً العلم وطلبه- بعد تصفية العلماء وطلاب العلم والمفكرين (والتاريخ يعيد نفسه اليوم!) وبالتالي زاد مع ذلك الجهل والتخلف والفقر والمرض والهمجية والبربرية.. فلما شعروا بذلك وأدركوه بعد حين طويل من الزمن.. جعلوا للتعليم قوانين خاصة بل وجعلوه جبراً في السنوات الأولى.. ومستمر هذا الحق الفطري جبراً بالقوانين حتى اليوم.. بعد إن كان ثقافة حقيقية لا مصطنعة.

فالقوانين صنعت ثقافة، لكن لا يمكن أن تكون بقوة الموروثات. وكما قلنا إن الشعوب تتصرف وفقاً للثقافات أفضل أكثر من القوانين المكتوبة.. وإذا ما أردت دليلاً ملموساً فانظر إلى ما يقدمه التعليم اليوم .. إنه يقتل التفكير والإبداع ولا يبنيه أو ينميهِ! فيقول الفيلسوف الفرنسي (كلود هلفلتيسوس): الناس يولدون أذكياء والمدرسة تجعلهم أغبياء، ويقول بيكاسو: الأطفال يولدون فنانين ونحن من نحولهم إلى تماثيل، ويقول الشيخ الطنطاوي: ندمر الأطفال حين نطالبهم بحفظ كتب لم يحفظها أصحابها.. وهنا يكمن السر .. سواء في تحويل الاهتمام من الفهم إلى الحفظ أو في التفكير في حدود

وعدم الخروج عنها ومنها .. وهذا أسوأ ما في الدراسة لأن الطفل هنا أو التلميذ مجبراً ومقيداً – وليس مخيراً – على التفكير والتحصيل فتكون النتائج عكسية تماماً.

وهنا يقول العالم الفيزيائي الأشهر (ألبرت أينشتاين) "أؤمن بكل ثقة أن التعليم الذاتي هو التعليم المثمر الوحيد على وجه الأرض"، ويقول روبرت كيوساكي – رجل الأعمال الأميركي "التعليم الرسمي يوفر لك لقمة العيش، التعليم الذاتي يجعلك صاحب ثروة"، ويقول كاتب الفانتازيا الأميركي (راي براد بري) "جميع الذين يقدرّون التعليم لم يتلقوا تعليمًا جيدًا فبدون هذا لم يكونوا ليكملوا تعليمهم ذاتياً" .. ويقول المخترع ورجل الأعمال الأميركي (ستيف جوبز) " وأخيراً يبدو أن جميع المفكرين قديماً وحديثاً اجمعوا على أهمية التعليم الذاتي".

يبدو أن جميع المفكرين قديماً وحديثاً اجمعوا على أهمية التعليم الذاتي..وذلك لما فيه من حرية وتحصيل (للمعرفة لا للدرجات..وتكون في الغالب بلا معرفة!) وعدم تقييد .. وهذا ما كان يتميز به التعليم في القرون الوسطى – ولذلك حققوا ما حققوه - إنه كان ذاتياً وليس مقيداً بقوانين وقيود عبثية وروتينية ! لذلك فقد أنجزوا ما استعصى على الحضارة المادية الغربية إنجازه طوال عدة قرون حتى يومنا هذا .. وسنرى ذلك كله بالتفصيل في الفصول القادمة من هذا الباب .. والاستزادة فيه بالأبواب القادمة – إن شاء الله ورضى.

2. والبعض الآخر – من القوانين – وضعت للملائمة – وفقاً – تقاليد المجتمع وربما تكون تلك القوانين شرعية أو وضعية .. وذلك ملاحظ جداً في مجتمعات العالم الثالث .. فالتعليم مثلاً .. يدار ويعمل وفقاً للعرف والعادات أكثر من القواعد والقوانين المنظمة له – والعادات في الغالب غير منطقية أو غير مبررة – ولذلك وضعت قوانين تحاكي تلك العادات .. وبالتالي خدمت بعض الأفراد في الشعب دونما أفراد باقي الشعب!.

لذا فالقانون إن انهار، ربما -بل من المؤكد ذلك – يتحول المجتمع غير الأخلاقي ذو الثقافة الوضعية .. إلى غابة، وهنا تكمن أهمية الثقافات، وأهمية تنميتها أو تغييرها –

في حالة إذا كانت سيئة أو غير مناسبة أو مفيدة – قبل وضع قانون يحاكمها أو ينظمها حتى!!.

- فننمي تلك الأصلية – التقليدية، الفريدة .. التي تشكل هوية الشعب والمجتمع.

- والتصدي ومحاولة تغيير تلك المتعولمة والدخيلة التي تقضي على الحضارة والتحضر – وأسس قيامها – وتزيل الهوية .. والهوية كما يعرفها جلال أمين هي (معناها في الأساس التفرد، والهوية الثقافية هي التفرد الثقافي بكل ما يتضمنه معني الثقافة من عادات وأنماط سلوك وميل وقيم ونظرة إلى الكون والحياة)¹

لك إذن أن تتخيل مدى عاقبة وسوء انتشارها حتمي لابد من الخضوع له عاجلاً أو أجلاً! وأنا أزعّم أن تجريد الإنسان من هويته .. هو أشبه بتجريده من الحياة، و(لكي يسيطر المنتج على المستهلكين ويحولهم جميعاً إلى دجاجة يسهل التهامها من المفيد فعلاً تفكيك الفرد من أسرته ومن أمته ومن بيئته، باسم الفردية مرة وباسم الحرية الشخصية مرة وباسم التنوير مرة وباسم النسوية وتحرير المرأة مرة، وهذا كله يصور لنا على أنها نتائج حضارة إنسانية عامة يلتزم الجميع باتباعها، لأنها تستجيب لنوازع طبيعية في الإنسان ومن ثم فإن انتشارها حتمي لابد من الخضوع له إن عاجلاً أو آجلاً، وأنا أزعّم على العكس أن كثيراً مما تعمل هذه الحضارة على نشره يتعارض تعارضاً صارخاً مع بعض من أقوى النوازع الطبيعية في الإنسان وأن تفكيك الإنسان على هذا النحو ينطوي على عملية أشبه بالقتل)².

والإبادة الثقافية عنصر جوهري في فكرة أميركا، فكرة احتلال أرض الغير واستبدال شعب بشعب وثقافة بثقافة³. ولعل "من السمات الخاصة بهذه الحضارة – المادية –

¹ جلال أمين العولمة ص 50.

² المصدر السابق، ص 39، 40.

³ منير العكش، أميركا والإبادة الثقافية، ص 139.

أنها حضارة تفكيكية"¹ إنها ثقافة سيئة جدًا أن تكون بلا ثقافة، بلا هوية، بلا مبادئ، بلا قيم .. هذه يمكن تسميتها ثقافة انعدام الثقافة .. عندما تتفشى ثقافة العزلة والوحدة والانطواء والاكتفاء، بدلاً من الأسرة والعائلة وثقافة التجمع والجماعة والترابط والوحدة، ثقافة السرعة والرغبة في الحصول على أكبر وقت ممكن من الفراغ .. وهدر المزيد من الوقت في سبيل تحقيق تلك الرغبة .. أنها (نعم ثقافة أميركية ولكنها ليست ثقافة أصلاً)² وفي النهاية تجد المدافعين عن تلك الثقافة والعولمة باسم الحرية والرفاهية والإنسانية والمدنية والتحضر .. فإن لم تكن تتبع الغرب بعراهم وقصات شعرهم وسكرهم ومجنهم ونبيذهم وبناطيلهم الساقطة وعلاقات قبل الزواج .. إلخ من تلك الترهات، فأنت متخلف!. (هناك أيضاً المفتونون بالحضارة الغربية بوجه عام ليس فقط بكفاءتها منقطعة النظير في الإنتاج المادي بل وفي نقل المعلومات وتخزينها وتوفيرها لمن يريد الانتفاع بها وبما حققه الغرب في مضمار التنظيم السياسي والاجتماعي والإنتاج الثقافي .. أولئك المفتونون بالديمقراطية الغربية وبالعلاقات الاجتماعية الغربية وبغزارة ونوع الإنتاج الثقافي في الغرب ويتمنون لشعوبهم سرعة اللحاق بكل هذه الإنجازات .. ويجدون في العولمة السبيل إلى ذلك ومن هؤلاء من لا تثير لديهم مسألة الهوية الثقافية إلا السخرية والاستهزاء، إذا ما تلك الهوية التي تبدو قلقاً عليها كل هذا القلق؟ هل تعني هذه الهوية شيئاً آخر غير التخلف والجهل والفقر والعقم والفقود التام عن الحركة والاستسلام للخزعبلات والتقاليد التي لم يعد لها دور في العالم الحديث؟ ولكنها تعني القيم والأخلاق والدين، الذي على أساسه أقيمت حضارة من أعظم الحضارات في البشرية .. ولولا العولمة لما كان هناك بد من قيام تلك الحضارة مرة أخرى، وليس هناك أدنى شك في ذلك .. ويستطرد الدكتور جلال أمين حديثه، قائلاً إن (هناك من يكره العولمة لا لسبب اقتصادي بل لسبب ديني فالعولمة آتية من مراكز دينها غير ديننا بل هي تنكرت للأديان كلها وأمنت بالعلمانية التي لا تختلف كثيراً في نظر هؤلاء عن الكفر ومن

¹ العولمة جلال أمين، ص 39.

² المصدر السابق ص 61.

ثم ففتح الأبواب أمام العولمة هو فتح الأبواب أمام الكفر، والغزو هنا في الأساس ليس غزوًا اقتصاديا بل غزوا من جانب فلسفة للحياة معادية للدين والهوية الثقافية المهددة هنا في الأساس دين الأمة وعقيدتها وحماية الهوية معناها في الأساس الدفاع عن الدين.¹

العزلة ليست حلا، كما أن الانفتاح ليس شرطا للمدنية والتقدمية. ولا نقصد بالانفتاح ما يعني التعاون والتعامل على أساس التكامل، إنما المقصود هو فرض ثقافة مجتمع على غيره من المجتمعات والأمم الأخرى، بخير ذلك وشره.. والحقيقة أنه لو كان الأمر باطنه وقالبه أو قل به مثقال ذرة من خير لما دفعوا غيرهم دفعا.. ولما هممنا لذلك هما!.

وإن كان لا بد من هذا الانفتاح، تعزيزا لبعض الثقافات، أو نبذا وهما لسيئها، وحفاظا على الهوية وروح الأمة.. فإن أجدادنا عرفوا السر، فلما نستغيث بغارق؟! مازالت آثار الحضارة باقية والنماذج الناجحة والمضمونة لا حصر لها ولا قصر فيها.. فيجب أن نتفقد الأثر، لئلا نفقد ما تبقى من ملامح الهوية الثقافية.

وهذا ما يود أن يقنعنا به ويوضحه لنا شوقي جلال² في مقدمة (لماذا العلم)، مؤكداً ما شرعنا في أمره ومضيفا أن (المجتمعات أو لنقل الثقافات الاجتماعية صنفان، والتصنيف ليس قدراً أبدياً وإنما السيادة والغلبة لهذا أو ذاك رهن شروط وجودية للنهوض أو الانحسار. أقول صنفين هما: ثقافة الوضع وثقافة الموقف، ثقافة الوضع قانعة بحالها راضية برصيدها التاريخي الموروث، والمعرفة عندها أو قل العلم الأسمى لا يتجاوز حدود تأمل هذا الرصيد وأقوال الأولين والأمل عود على بدء ومن ثم عزوف عن الإبداع والتجديد .. والزمان امتداد متجانس، فارغ من الأحداث إلا الحدث الأول والأهم فهو بداية التاريخ وغايته .. وثقافة الموقف، إرادة واختبار والإرادة فعل والاختيار وعي عقلاني وعزم على التغيير والتجديد – أعتقد أن الكاتب يقصد العكس وإن لم يصح

¹ المصدر السابق ص 44، 45.

² مؤلف ومترجم مصري.

اعتقادي فهذا رأينا - وفهم لمجريات الأحداث والظواهر وتراكم متجدد متطور لرصيد المعلومات والمعارف ومن ثم تطور وارتقاء مطرد للهوية الثقافية التي هي عين الفعل الاجتماعي النشط في الزمان وليس السكون والبحث عن هوية مجهولة في غيابات التاريخ".¹

- في إحدى الصفحات الترفيهية على الإنترنت وجدت أحدهم يضع صورة لتلفاز بداخل مسجد ما ويعلق عليها مندهشاً مستنكراً: ما الذي يحدث؟! وكان من بين تلك الردود التي تستبشع هذا السلوك اللاديني واللامنطقي داخل دور العبادة، أن وجدت أحدهم وبشيء من الغضب يشتم الصفحة وصاحب الصورة "ضيق الأفق" مبرراً ذلك بأن صديقه المغترب في إحدى الدول الأوروبية أخبره أن المساجد هناك بها ثلاثيات وشاشات تلفزة - ولا يستبعد أن يكون فيها شبكة إنترنت مجاني أيضاً "واي فاي" وأن الأمر عادي "ولكن" نحن - كما يقول هذا - أغبياء ومتخلفون وغير متمدنين!!.

- والبارحة كانت أولى ليالي عيد الفطر المبارك .. مشاهد الصلاة، ليس لها أي علاقة بالدين أو الشرع .. النساء تجدها تصلي في صفوف الرجال وفي مكان آخر تجد أنثى تؤم المصلين * وفي مكان ثالث شخص يرتدي بزة "بطوط" و"بن10" - الشخصيات الكرتونية - يصلون، بل يقفون في الصفوف الأمامية !! مشاهد لم تثر الغضب أكثر من إثارتها للسخرية .. وكأن الأمر عادي وتقليدي وشرعي .. وباليات تلك هي أول مرة .. ويتساءلون مال هذا العيد ممل ولا طعم له ولا لون .. ببساطة لأن العيد للمسلمين! .. ونحن أضعنا ديننا واتخذناه هزواً ولعباً .. فحق علينا غضب الله.. فعندما يعولم الدين، أو يصعب علينا الحفاظ عليه أو على العقيدة .. فهنا تصبح الأمة بلا هوية .. بل إلى الهاوية .. حينها يكون قد تحقق هدفهم المنشود!!

¹ جيمس تريفييل، لماذا العلم ترجمة شوقي جلال ص 8.

*هذا على غرار مسجد (ابن رشد-جوته) الليبرالي، الذي افتتح في برلين داخل قاعة مستأجرة في كنيسة بروتستانتية..وأم المصلين رجلا وامرأة معا. ولم ترتد المرأة غطاء الرأس حتى، وليس بين المصلين والمصليات حجاب، ومرحبا بالمسجد بالمثلثيات والسافرات.. وتقول (سيران اتيس) في معرض تعريفها بالمسجد الذي شاركت في تأسيسه: نريد توجيه ضربة ضد الإرهاب الإسلامي واختطاف ديننا، نريد أن نمارس ديننا معا!.

الأمر لا يكتفي عند حد اعتبارها أن الإسلام إرهاب.. بل ودعت إلى ثورة جنسية في الإسلام!..حسب ما ذكرت وكالة وقناة الحرة..وفي بيان (ديانت): إن هذا المشروع لا يراعي مبادئ الدين الإسلامي السامي، موضحة أن الأمر يدور حول مساعي لتقويض وتدمير الدين.

الإله أميركا

فالتخلي عن الهوية ينبغي الاقتناع بأمرين الأول: أنك تتبع ثقافة، عقيدة مستهلكة وغير صالحة .. والثاني، أن هناك ما هو أفضل منها وأكثرها تحضراً وإنسانية ومدنية وعصرية وأخلاقية وحرية – وكل ما تصوره لنا وسائل الإعلام العالمية بأنه ليس موجودا عندنا.

بتدعيم الاعتقاد بأن أميركا بوجه خاص، وأوروبا بوجه عام هي (السوبر هيرو) هي the Avengers – Terminator – superman- iron man وأنها هي الإله القادر، المقتدر، الغني، الواهب، العالم، الرحمن، المهيمن، الباسط، المانع، السلام ..! هي كل شيء .. ولحاجة في "أنفسهم" راحوا "يجندون" العلم والعلماء ليبرهنون – عن طريق العلم! – أنه لا يوجد إله .. أضف إلى أن هناك الكثير مما يأتون به سيئا وغير صالح.. لطالما هذا

العلم هدفه لا ينشد بل هو ضرب من ضروب الجنون.. وأفلام الخيال العلمي وديزني..
ووحي خيال من يدعون أنهم علماء.

والمجند الثاني، والأكثر قوة وسيطرة هو وسائل الإعلام العالمية.. التي تعمل كمحطة
علمية من ناحية وكمحطة ثقافية من ناحية أخرى.

أما ثقافية:- فهي حصر الإنسانية في المبادئ اللاأخلاقية.. فإن لم تكن لأخلاقي-
ماجن، لا تستح- فأنت لست متحضرا أو إنسانيا لدرجة أنه مؤخرًا تكلم بعض الإعلاميين
عن أنه يجب منع- أو تخفيض- ذبح الأضاحي توفيرًا للمال ولأنه عمل لا إنساني تأثرًا
بالمصقات التي تندد بذلك أيضًا في بعض شوارع أوروبا!.. أما عن الأخلاق.. بتاريخ
2012/10/19 نشرت (ماجدة طنطاوي) خبرًا في "أخبار اليوم" تحت عنوان: الأمم المتحدة:
الزنا حق من حقوق الإنسان!

وكان نص الخبر: "شدد خبراء الأمم المتحدة في بيان أمام هيئة الأمم المتحدة المكلفة
بالقضاء على القوانين التي تميز ضد المرأة على ضرورة عدم اعتبار الزنا جريمة جنائية،
وقالت رئيسة الهيئة "كامالا شاندرأ كيرانا" إن تجريم الزنا وما يتبعه من آثار كالطلاق
والحرمان من حضانة الأطفال ومن النفقة هو تمييز ضد المرأة خاصة أن العقوبات
المفروضة على الرجال في هذا الإطار أقل صرامة.. ووصفت تجريم الزنا بأنه انتهاك
لحقوق الإنسان في الخصوصية والكرامة والمساواة.. مشيرة إلى أن تجريم العلاقات
الجنسية بين البالغين بالتراضي هو انتهاك لحقوقهم الإنسانية وانتهاك للعهد الدولي-
وليس الديني!! الخاص بالحقوق المدنية والسياسية على النحو المنصوص عليه قبل
حوالي عقدين من الزمان في الفقه الدولي- وليس الديني مرة أخرى-لحقوق الإنسان".

وبطريقة ما ربط الأمر اللاأخلاقي بالمدنية والإنسانية! .. ليس هذا فحسب.. بل أنها
"طالببت هيئة الأمم المتحدة المكلفة بالقضاء على القوانين- أو بالأحرى القضاء على
الأخلاق والقيم!- التمييزية ضد المرأة في التشريعات الوطنية حكومات العالم بالأخذ في

الاعتبار التطورات في القانون الدولي وتعديل تشريعاتها الوطنية لتتطابق معه، واحترام التزاماتها الدولية!"

يخبرنا الدكتور عماد الدين خليل أنه (تسعى العولمة التي تقودها أميركا إلى صبغ العالم كله وخاصة الدول والأمم التي تمتلك مقومات قادرة على التأثير والمنافسة والانتشار الفاعل في حياة البشر بصبغتها الثقافية القائمة على إعلاء القيم المادية والمتمحورة حول الفرد والمصالح الخاصة والتحرر من المبادئ والقيم السماوية ويلعب الإعلام بوسائله وتقنياته المتطورة الدور الرئيسي في تعميم أنماط الثقافة الأميركية وإلى جانبه مؤسسات التربية والتعليم في مستوياتها كافة¹.

ومن تلك الأمم وأولها التي أبيدت ثقافتها وهويتها وشعبها- بحجة التمدين- وتبديل أمة كاملة (بل أربعمائة أمة وشعب) بأمة أخرى وشعب آخر ووطن آخر، أقول أول تلك الأمم- في رأيي ورأي التاريخ. هم الهنود الحمر.. ويصف هذا التمدين- منير العكش قائلاً إن (هذا "التمدن" الذي تسليح بالتشنيع والغطرسة والعنف ثم توظيف المدرسة لتدور فيها آخر فصول الإبادة لأكثر من 400 أمة وشعب كانوا يعيشون في المنطقة التي تسمى اليوم بالولايات المتحدة ويسمون زنبوريا بالكنعانيين، هو من عبقرية الكابتن ريتشارد هنري برات، أحد جنرالات (ثروة الأمم) الذي اختارته الإدارة الأميركية لإنشاء هذه المدارس ووضع نظامها وبرنامجهما التعليمي تحت مظلة (مكتب الشؤون الهندية) والهدف كما أعلنه برات بنفسه هو "قتل هندية الهنود" أما طاووس "المكتب" وليم جونز فقد عبر عن هذا الهدف بلغة أكثر وضوحاً "أن الهدف من إنشاء هذه المدارس هو إبادة الهندي ولكن لخلق إنساناً آخر"²

وأما سر نفوذ الثقافة الأميركية اليوم .. يلخصها لنا خليل في ست نقاط

¹ عماد الدين خليل - أميركا مرة أخرى ص 43.

² منير العكش- أميركا والإبادات الثقافية ص 93 ، 94.

هي:

1. هيمنة شركات الإعلام الأمريكية على التسويق العالمي وسيطرة الاقتصاد الأمريكي واعتماد اقتصاديات دول أخرى كثيرة عليه.
2. التفوق الأمريكي في صناعة الأفلام والموسيقى والبرامج التلفزيونية وتمتعها بسوق خارجية ضخمة في ظل انتشار التلفزيون والأقمار الاصطناعية وقنوات الفضاء التي أدخلت البث التلفزيوني إلى كل بيت في العالم.
3. القابلية التسويقية التي تتمتع بها المنتجات الثقافية الأمريكية الهابطة والمكونة من مزيج ثقافات وافدة من أنحاء العالم وليست لها هوية ذات جذور محددة.
4. قيام أميركا بتطوير صناعة ثقافية موجهة لشريحة الشباب داخل وخارج أميركا وهم الشريحة الأوسع على مستوى العالم، وهم رجال المستقبل الذين سيشغلون في مجتمعاتهم مواقع التأثير والنفوذ.
5. فتح أميركا معاهدها وجامعاتها أمام الطلاب من أنحاء العالم وهؤلاء يشكلون النخب في بلدانهم بعد عودتهم إليها بما يحملون من الأنماط الثقافية وطرق التفكير المقتبسة من أميركا.
6. وهناك عامل سياسي عزز نفوذ الثقافة الأمريكية يتمثل في تفرد أميركا سياسيًا بعد انهيار الاتحاد السوفياتي وهو ما دفع دولاً كبرى وصغرى في العالم وكذا القادة والزعماء والمفكرين فيها إلى الاقتناع بشكل أو بآخر بأن الديمقراطية والتعددية والليبرالية واقتصاد السوق تحت رعاية الدولة، هي النهج الأصوب والأسلم والصيغة المثلى للنظام الاجتماعي وهو ما جعل أميركا مؤخرًا النموذج السياسي الذي يجب على كل شعوب العالم والدول أن تحذو حذوه وتنسج على منواله.¹

¹ عماد الدين خليل، المصدر السابق ص 43 ، 44.

ويؤكد تلك العلاقة -بين ما تبثه وسائل الإعلام وبين العنف الثقافي - الدكتور جلال أمين، قائلاً: "يناقش الناس والكتاب أحياناً حول إذا ما كانت هناك علاقة بين ارتفاع معدلات الجريمة وازدياد حوادث العنف وبين ما يعرض على الناس على شاشة التلفاز من أفلام وأخبار تتعلق بالجريمة والعنف إذ لابد أن يتبادر إلى الذهن أن ازدياد حوادث القتل والاعتصاب والسرقة بالإكراه والسطو على البنوك والمحلات التجارية .. ألخ وعلى الأخص في البلاد المسماة (بالمقدمة) قد يكون من أسبابه كثرة ما يعرضه التلفزيون من أفلام حقيقية أو مختلفة تتضمن هذه الجرائم بالضبط خاصة أن التلفزيون قد أصبح أكثر وسائل الإعلام شعبية وتأثيراً وقد يفترض المرء أن بعض المشاهدين قد يميلون إلى تقليد ما يرونه على شاشة التلفاز أو تقمص بعض ما يعرض عليهم من شخصيات.¹

فأميركا وجدت نفسها في العولمة .. والرأسمالية، ولو على حساب الإنسان والأخلاق أو الدين حتى، عن طريق استخدام الوسائل التكنولوجية لإحكام السيطرة على الثلاثة .. وقد أصاب بدقة عندما أشار الأستاذ عبد الوهاب المسيري² في ندوة له حول العولمة في ربيع عام 2002 إلى أنها (عولمة المصنع والكباريه)، أما الخليل فيضيف ويسهب في وصفه قائلاً إنه: الإنتاج والجنس والاستهلاك .. الحضارة الغربية في أقصى حالاتها تكشفاً ووضوحاً وتركيزاً في الوقت نفسه - مضيقاً - فإذا حاولنا أن نلم جل مفردات هذه الحضارة وأنشطتها في أنساق محددة، فإننا سوف لا نجد أكثر من ثلاثة أنساق تندرج في أطرها تلك الأنشطة والمفردات: الإنتاج أو التنمية والتكاثر بالأمور (بما فيها الأسلحة والجيوش) .. والجنس، أو الترفيه في أكثر حالاته حسية ومادية والسوبر ماركت، أي النزعة الاستهلاكية التي يزيدها الإعلان، والتكاثر، والنزوع الحسي، سعاراً وجموحاً.. وتحت مظلة هذه الحضارة - المادية الغربية - التي زادت العولمة قدرة على الانتشار والتحكم في العالم كله .. تمضي كل القوى الفاعلة لتصعيد وتأثر هذه الأطراف، أو الحدود الثلاثة.

¹ جلال أمين، العولمة ص 103.

² 1938-2008 مفكر ومؤلف وأديب وعالم اجتماع مصري شهير.

التي تمسك اليوم بخناق الإنسان والدولة والمؤسسة والمجتمع والفرد على السواء .. كل يعمل من جهته لنفخ النار فيها، منفردًا حينًا، متوافقًا، أو منسقًا مع الأطراف الأخرى حينًا آخر .. والعالم يجري كالمجنون .. يركض إلى حد اللهاث، أفرادًا وجماعات وشعوبًا وأممًا .. الكل يريد أن يلحق بالركب الأميركي الذي يقود حملة السوء هذه .. لكل يريد أن يتكاثر بالأشياء، وأن يشبع نهمه الجنسي، ونزوعه الذي لا حدود له للاستهلاك .. معتقدًا - على الطريقة الأبيقورية البائدة - أن الحياة فرصة لتحقيق اللذة .. أو الطريقة الإسطرطية "التحقق بالقوة"، بغض النظر عن ارتباط اللذة والقوة بمنظومة القيم الدينية والخلقية والإنسانية أو عدم ارتباطها على الإطلاق ومن العجب أن إحدى الكنائس في إنجلترا والتي يفترض فيها أن تقف في مواجهة الطوفان انسأقت وراء الإغراء نفسه فأعلنت عن قبول الزواج النمطي في أروقتها من أجل كسب المزيد من الاتباع .. بمعنى أنها أذعنت هي الأخرى للمنطوق الأبيقوري باعتباره الوسيلة الأكثر فاعلية وتأثيرًا في العباد والاتباع ويتساءل المرء: ماذا لو مضى مثلث الشر هذا إلى النهايات القصصية التي يراد له أن يمضي إليها، كيف ستصبح الحياة؟ وهل ستستحق فعلًا أن تعاش؟ وقد فقدت عمقها الروحي، وبعدها الإنساني، وضوابطها الأخلاقية وضيعت مغزى الوجود البشري في العالم وغدت مجرد لهاث وراء التكاثر بالأشياء والتحقق بالإشباع الجنسي في أحط صيغة حسية وحيوانية .. ونزوعًا إلى الاستهلاك الذي يكسب ويكسب حتى يجد الإنسان نفسه كما يقول اونسكو في إحدى مسرحياته: محاصرًا بالأشياء حيث يفقد حريته وقدرته على الاختيار؟! ..

العولمة .. نعم" ولكن بضوابط الدين والقيم وبحياة تليق بالإنسان .. وإلا فإنها اللعنة التي ستمسح إنسانية الإنسان والحياة البشرية على السواء.¹

أما عن ما ينادون به .. فهم أحوج خلق الله إليه! ..

¹ عماد الدين خليل، أميركا مرة أخرى 44، 46.

فنذكر نبذة عن ..

الأخلاق والإنسانية: نظرة عن كثب؟

من الأمثلة على مدى الانفلات الأخلاقي والإنساني لدى الغرب، نذكر:

- في تقرير للنويويورك تايمز تذكر أن: حوالي 50 ألف امرأة وطفلة يتم تهريبهن إلى الولايات المتحدة سنوياً لاسترقاقهن وإجبارهن على ممارسة البغاء.
- وفي تقرير صادر عن (المراكز الوطنية الحكومية للتحكم بالأمراض) يقول إن: في أميركا وحدها منذ عام 1973 إلى 2002 قتل بالإجهاض أكثر من 42 مليون جنين!.
- وطبقاً لوزارة العدل الأميركية فإن في أميركا يتم اغتصاب 683 ألف امرأة سنوياً، أي بمعدل 78 امرأة في الساعة .. مع العلم أن 16% فقط من حالات الاغتصاب يتم التبليغ عنها.
- وفي تقرير آخر لوزارة العدل الأميركية عن العنف الأسري يقول إن 1320 امرأة تقتل سنوياً .. أي حوالي أربع نساء يقتلن يومياً بواسطة أزواجهن أو أصدقائهن في أميركا.
- ونقلاً عن الموقع الرسمي الحكومي لولاية نيوجرسي عن وزارة العدل الأميركية فإنه سنوياً حوالي 3 ملايين امرأة في أميركا يتعرضن لاعتداء جسدي من زوج أو صديق.
- 78% من النساء في القوات المسلحة تعرضن للتحرش الجنسي من قبل الموظفين العسكريين (الوزارة الأميركية).
- المعدل القومي للزنا تحت 18 سنة هو 55% حيث يصل في المدن إلى 80% وفي القرى إلى 33%.
- 350 ألف حالة حمل بدون زواج في السنة (ضف إلى ذلك نسب الإجهاض).
- المعدل القومي للعائلات بأم وبلا أب هو 23% ويرتفع إلى 34% في المدن.

- في يونيو 1994 نشرت وزارة العدل الأميركية تقريرها حول الاغتصاب جاء فيه أن عدد الفتيات المغتصابات بالإكراه كان عشرة آلاف فتاة منهن 3800 تحت 12 سنة .. منهن 20% اغتصبن بواسطة آبائهن .. و26% اغتصبن من قبل أقارب لهن .. 51% اغتصبن بواسطة معارف وأصدقاء العائلة (مشاكل الاختلاط الماجن) بينما 4% اغتصبن بواسطة مجهولين.
- 200 ألف طفل يختطف سنويًا في أميركا عن طريق أقارب الطفل .. 40% من هؤلاء يتم قتلهم.
- 32 ألف حالة انتحار في السنة في أميركا.
- ووفقًا لدراسة نشرت منذ عام 2006 جاء فيها أن سويسرا في المرتبة الثانية عالميًا بعد الولايات المتحدة في معدلات الانتحار.
- كما انتشرت في أميركا وأوروبا مطاعم تقدم الطعام على أجساد النساء العاريات.¹
- أما عن عقوق الوالدين، فإنه وحسب دائرة الإحصاءات الأميركية - حوالى نصف عدد النساء الأمريكيات ممن تجاوزن 75 سنة يعشن وحدهن.
- وحسب الB.B.C - توم كارفر فإن 25% من سجناء العالم في أميركا .. رغم أن عدد سكانها لا يتجاوز 5% من سكان العالم.
- وحسب الC.N.N والمراكز الأميركية الحكومية للسيطرة على الأمراض فإن أكثر من 65 مليون شخص مصابون بأمراض جنسية لا يمكن شفاؤها.
- وفي إحصائية نشرتها الديلي ميل عام 1870 أن ما يقارب من 80% من الرهبان والراهبات ورجال الكنيسة يمارسون الزنا وأن ما يقرب من 40% منهم يمارسون الشذوذ الجنسي.
- وفي فرنسا يوجد 300 ألف مولود سنويًا بلا أب شرعي.

¹ نيويورك تايمز عدد 2007/4/18 وعدد 2008/8/24.

- يقول الدكتور البار محمد على البار – المستشار الصحي لرابطة العالم الإسلامي " إن الأمر وصل إلى تعليم الأطفال ممارسة الجنس في سن مبكرة ومن خلال المدارس تحت دعاوى الثقافة الجنسية وفي إحدى المدارس الأميركية قامت المعلمة بممارسة الجنس مع التلاميذ تحت ذريعة تثقيفهم جنسياً.

- بلغت نسبة التلميذات الحوامل من الزنا في المدارس والجامعات 48% في بعض المدن الأميركية.

- أما عن المثلية الجنسية .. فقد سمحت المحكمة العليا في الولايات المتحدة يوم السبت الموافق 2015/6/27 بزواج المثليين قانوناً، بعد أن كانت المثلية مرضاً نفسياً .. بل ومعضلة أخلاقية في الوقت نفسه .. وفي عام 2005 كانت بريطانيا رابع بلد أوروبي بعد بلجيكا وإسبانيا وهولندا تبيح زواج الشواذ فيما بينهم .. وقالت وسائل الإعلام البريطانية إن عدد البريطانيين الذين يحتمل أن يتقدموا للزواج سوف يبلغ 22 ألفاً بحلول عام 2010.. والرقم في ارتفاع كل يوم .. طبعاً نسي هؤلاء الشواذ أمر الإنجاب .. وخصوصاً فيما بين المرأة والمرأة .. حيث تأخذ حيواناً منوياً من بنوك المني (لأي رجل) فيتم تخصيب بويضة الزوجة منهما بهذا الحيوان المنوي للرجل الزاني المجهول! وبالتالي تحصلان على طفل ممسوخ الحياة .. لا يعرف له أب رجل! بل له أم تلعب دور الزوج وأم تلعب دور الزوجة.

- أما عن الأمراض الجنسية التي تسببها تلك العلاقات الشاذة فهي كثيرة ومتعددة .. نذكر منها على سبيل المثال: القرحة التناسلية، الدبيلة الأربية، فيروس الإيدز، التورم النصفي، التهاب الملتحمة، الزهري، الوليدي، التعقبة، القرص اللين، القريح، التآليل، فيروس الورم الحليمي البشري، هربس، السيلان المتدثرات، التهاب الكبد، الجرب، فيروس العوز المناعي البشري، داء المشعرات العدوي باليوريا بلازما (المبيورة)، الامبيات، داء الشيفيليات، خفيات الابواغ وكلها – وغيرها – أمراض خطيرة جداً .. لا تقل أحدها خطورة عن الأخرى.

وفي عام 1974 في مؤتمر ضخيم عقد في أميركا لبحث تلك الأمراض الجنسية الناتجة عن الشذوذ الجنسي والزنا .. حضر المؤتمر 1500 أخصائي من 50 دولة مختلفة، جمعت محاضراتهم في كتاب بلغ 500 صفحة .. وفي الطبعة الثالثة عشر عام 1977 من مرجع مارك الطبي يقول: إن الأمراض الناتجة عن طريق الزنا والعلاقات الجنسية الشاذة هي أكثر الأمراض انتشاراً في العالم اليوم – وبالذات في دول أوروبا – ويزداد كل عام عدد المصابين بهذه الأمراض وذلك من أربعة عقود من الزمان تقريباً.

ويقدر مركز أتلانتا لمكافحة الأمراض المعدية في ولاية جورجيا بالولايات المتحدة أن عدد المصابين بالسيلان في الولايات المتحدة بثلاثة ملايين شخص وعدد المصابين بالزهري 400 ألف شخص وذلك عام 1976 .. وكل عام تحصد الولايات تقدماً في هذا المضمار الذي لا ينافسها فيه أحداً! .. وتقول مجلة (Graduate Doctor) عدد مايو 1983، ومجلة التايم الأميركية عدد 4 يونيو 1983 إن 20 مليوناً من الأميركيين يعانون من مرض الهربس التناسلي، ويتم تشخيص نصف مليون حالة جديدة سنوياً في الولايات المتحدة فقط .. وفي بريطانيا تم تشخيص 15000 حالة في عام 1982 وندرت مؤخراً هذه الإحصاءات لزيادتها الرهيبة، أو بسبب آخر.

وفي نهاية الأمر تصدر الولايات المتحدة تقريرها السنوي بأكثر الدول زيارة للمواقع الإباحية وتأتي السعودية ثم مصر .. ثم باقي الدول العربية والإسلامية في المقدمة عالمياً .. "على أساس أنهم يبيعون سبيح ومصاحف"، وتلك الدول هي من تنتج وتمثل! بل وما يوضح ويكشف زيفهم أن بعض تلك الدول التي جاءت في التقرير الأخير تعمد إلى حجب الوصول إلى هذه المواقع مثل تركيا والسعودية.

* * *

المدنية .. والمبادئ "الثقافية" الأميركية

"مدنية" أوروبا لا تكمن في وازع ذاتي ديني عن طيب خاطر، بل لرداع قانوني فلولا القانون والخوف من العقاب، سعوا في الأرض فسادًا وخرابًا – أكثر من هذا – ذلك إن لم يسعوا بالفعل .. لكن الإعلام العالمي المضلل هو الآخر يزيّف الحقائق .. مع الأخذ في الاعتبار أن تلك التصرفات الجيدة التي يحددها القانون والتي تحدث كدافع للخوف من العقاب، لا يمكن أو يصح اعتبارها "أخلاقًا" بالمفهوم الدقيق للأخلاق. يقول مبتعث أسترالي: لا يمكن أن تقيم علاقة صداقة مع أي غربي إن لم يكن يرجو منك مصلحة – مضيئًا – سكنت مع الغرب وزاملتهم وتعلمت على أيدي بعضهم فلم أر أخلاقًا ووافر احترام للأجنبي إلا بمقابل، فإن ذهب المقابل (المال مثلاً) فستذهب الإنسانية والقيم والآداب .. وأن أخلاقهم لا تظهر إلا في إطار التعامل التجاري التنافسي .. أو إذا كان ذلك الموقف الأخلاقي مع امرأة.

أما بالنسبة لمبادئ وثقافة الأمة الأميركية – المزعومة – أو الحقيقية!- فقد أفاض الخليل وقال (صرح رامسفيلد – وزير الدفاع الأميركي – تعقيبًا على الانتهاكات القانونية لما يسمى بحقوق الإنسان في سجن (أبو غريب) والتي نشرتها وتناقلتها وكالات الأنباء كافة: "إن ما حدث في العراق لا يتفق مع مبادئ أميركا وهي ليست سلوكًا أميركيًا" ويضيف معقبًا – أين هو السلوك الأميركي والمبادئ الأميركية يارامسفيلد، في معتقلات واقفاص جوانتانامو؟ أم في القنابل المفرغة للأوكسجين في جبال أفغانستان؟ أم في أطنان اليورانيوم المخصب في العراق، حيث يكتسح السرطان المئات من العراقيين كل يوم؟ أم في إمداد إسرائيل بالأسلحة الأكثر فتكًا لنذبح الشعب الفلسطيني الأعزل؟ أم – قبل هذا وذاك – في ضرب هيروشيما وناجازاكي بقنبلتين ذريتين حسماً للمجابهة العسكرية الطويلة مع اليابان؟ أين هو السلوك الأميركي والمبادئ الأميركية يارامسفيلد .. ومهزلة

الانتخابات الأميركية تدفع المتنافسين الديمقراطي والجمهوري: كيري وبوش، إلى حمى المزايدات الرخيصة، ليس فقط على حساب فلسطين والشعوب المستضعفة في العالم كله، وإنما على حساب الشعب الأميركي نفسه، استرضاء للوبي اليهودي، من أجل ضمان الوصول إلى البيت الأبيض؟ أين هو السلوك الأميركي وكيري يتحدى الرأي العام العالمي وقرار محكمة العدل الدولية بخصوص عدم شرعية الجدار الإسرائيلي العازل، ويعلن بأن من حق إسرائيل أن تقيمه وأن تمضي فيه حتى النهاية؟ أين المبادئ الأميركية وكيري يزايد على بوش (المحافظ) بإعلان إقراره بشرعية الزواج النمطي للرجل بالرجل والمرأة بالمرأة .. أي اللواط والسحاق من أجل أن يكسب أصوات سفلة الأميركيين من الشواذ والخارجين على القيم والأديان؟

أي سلوك هذا وأي مبادئ، اللهم إلا إذا كان السلوك الأميركي يعني تحكيم شريعة الغاب في التعامل بين القوي والضعيف وإلا إذا كانت المبادئ الأميركية ترى في اللواط والسحاق حقاً مشروعاً لبني الإنسان؟ أن تعذيب السجناء والموقوفين سواء في (أبو غريب) أو في (جوانتانامو) أو (أفغانستان) هو -إذا توخينا الصواب - الوجه الحقيقي (للأميركي) الذي حولته حرب فيتنام إلى وحش كاسر، ومنحته فلسفة (هوبز) شرعية استخدام أعلى وتأثر القوة لفرض هيمنة الدول الكبرى واحترامها في العالم والمبرر لكل الأساليب اللاإنسانية من أجل تحقيق الهدف المطلوب .. ها هم رعاة البقر القادمون من الجنوب الأميركي يلوحون بحبالهم وبنادقهم للشعوب المستضعفة في العالم من أجل أن يمسكوا بها من رقابها وإلا فهو التعذيب والذبح الذي أتى على أمة من الناس في أميركا نفسها كانت تدعى يوماً: الهنود الحمر".¹

وبالعودة لسابق عهدنا في حديثنا الأول: تأثير وسائل الإعلام، بالنسبة للجانب الثقافي .. أما عن الجانب العلمي.

¹ عماد الدين خليل، أميركا مرة أخرى، ص 119، 120.

فإن مداه أقوى أثرًا وتأثيرًا .. عن طريق التقنية ووسائل الإعلام، على الطفل الصغير والرجل الكبير، على الجاهل والأمي والعامي، كلهم سواء، تغذيمهم وتغذينا -وسائل الإعلام- ما يراد لنا أن نصدق ونسلم فيه وله.. ففيها نري صورة "الفارس الوسيم".. الغرب المتحضر المتقدم، وأصبحنا نود.. بل نتمنى ولو أن نلحق بركبهم ونكون مثلهم، فأرتدينا القلائد وتزيينا، وارتدت النساء (اللينسيز) ليبدون حسناوات كفنانات هوليوود ونساء أوروبا.. ووضعن المكياج وارتدين القصير والضيق.. وارتدى الشباب الساقط والمقطوع.. ليصبح ذلك "موضة" لكلا الجنسين!..

إن (الذين يهللون لظاهرة العولمة يقعون في رأي في خطأ فادح، فهم يفهمون العولمة أو يحاولون تصويرها على أنها تنطوي على عملية (تحرر) من ربقة الدولة القومية إلى أفق الإنسانية الواسع تحررا من نظام التخطيط ذلك الأمر الثقيل إلى نظام السوق الحرة، تحررا من الولاء لثقافة ضيقة ومتعصبة إلى ثقافة عالمية واحدة يتساوى فيها الناس والأمم جميعاً، تحررا من التعصب لأيديولوجيا معينة إلى الانفتاح على مختلف الأفكار من دون أي تعصب وتشنج، تحررا من كل صور اللاعقلانية الناتجة من التحيز المسبق لأمة أو دين أو أيديولوجيا بعينها إلى عقلانية العلم وحياء الثقافة.

– ثم يضيف – هكذا تصور لنا العولمة ومن ثم فقد اقترن الحديث عنها بكثرة الحديث عن أشياء براقة تخب لب: من حقوق الإنسان والديمقراطية إلى الإشارة بالعقلانية والعلم وبقدرة التقنية الحديثة على التغلب على كل ما يتعرض له الإنسان من عوائق ومشكلات والهجوم على التعصب بكل أشكاله: الديني أو القومي أو العرقي والزعم بأننا في كل هذه الأمور مقبلون على عصر جديد مجد تنتصر فيه كل هذه القيم الرفيعة: احترام حقوق الإنسان (وبخاصة حقوق النساء) والديمقراطية والعقلانية والموضوعية والتقدم التقني.. كل هذا يصور على أنه جزء لا يتجزأ من ظاهرة العولمة كما يصور كل من يقف في وجه العولمة على أنه يقف في الحقيقة ضد التحرر من كل هذه الصور من

صور الاستبعاد: استبعاد الدولة، استبعاد الجهل والفقر واستبعاد التعصب"¹ الذي يسهم فيها بشكل أساس الإعلام والتعليم، وإن كنت ضد نظام التعليم فأنت ضد نظام الدولة وضد الحداثة والتقدم .. والتعليم – أو نظام التعليم على سبيل الدقة – منذ وأن كان ولا نرى أي حادثة بل على العكس من ذلك.. هو -نظام التعليم السيئ – سبب رئيسي في زيادة معدلات الانتحار والفقر والجهل..! ثم جاء دور الإعلام ليكمل مسيرة التعليم و"التثقيف".. بداية من تكوين الطفل وتنشئته وتكوين ثقافته بالأفلام الكرتونية .. أو طلب العلم من أفلام الخيال العلمي! فالأمر تعدى كونه ثقافة اجتماعية.. بل هو يبني ثقافة علمية – مرجعية – أيضاً.. سواء عند العامة من الملقنين أو عند العوام وأشباه العلماء من المتعلمين.. فإن ما مقداره 15% من الحقائق العلمية التي تشكل الثوابت – أصلها ديزني وأفلام الخيال العلمي.. أي عبارة عن خرافات من وحي خيال مؤلفيها وليس عليها أي دليل علمي واحد.. أو حتى قائمة على مبادئ البحث العلمي – وسنرى ذلك في الفصل المناسب.

عن طريق ربط "الثقافة" بـ"العلم" يكون "المتعولم" أو المتأثر بحضارة الغرب متعلماً.. ومثقفًا.

تأثير أفلام الكرتون الثقافي

أما عن التنشئة الثقافية للطفل عن طريق الأفلام الكرتونية فهي ذو تأثير سلبي قوي وبالطبع هناك جانب إيجابي وأنا شخصياً لا أنكر تعليمي لغتي الصحيحة من – عن طريق – أفلام الكرتون لا عن طريق الفصول الدراسية .. والكثير من الفنون والأمور الأخرى .. لدرجة أنني كنت أعتبر لفترة من الزمن أن (سبونج بوب) هو قدوتي!.. ولكن ما زال

¹ جلال أمين، العولمة، ص 32.

الجانب السلبي أكبر وأكثر تأثيرًا .. بطريقة قسرية ممنهجة للغاية .. كوسيلة للتدوين الثقافي .. ومن ناحية أخرى تكمن خطورتها القيمية والثقافية أن تلك الثقافة الكارتونية جاءت من مجتمع وثقافة غير ثقافتنا وقيمنا .. وقد اطلعنا على نبذة من تلك الثقافة والقيم في ذلك المجتمع .. وقد (وجهت ضربات عديدة إلى مقاتل المجتمع المسلم بقصد تغريبه عن دينه وتجهيله بحقيقته ومسخه إلى مجتمع مفتوح على كل الثقافات دون احتفاظ بشخصيته المميزة بحيث يكون بدون هوية يعتنقها أو يدافع عنها ولم تكن كل تلك الضربات عسكرية بل أن بعضها نوع غريب وخبث، بطيء التغيير ولكنه يصل إلى العظم، استهدف به أعداؤنا فئات عدة من مجتمعات المسلمين مثل الشباب والنساء، ولكنهم لم يتركوا أيضًا فئة عزيزة على نفوسنا جميعاً، تمثل مستقبلنا الواعد وأمانينا الجميلة .. فئة هي أكثر استعدادًا لقبول كل جديد والتغيير السريع، إنها فئة (الأطفال)، تلك الفئة العمرية التي تتعامل مع ما حولها ببراءة مقتصرة على التلقي واكتناز المعلومات لتحويلها إلى سلوك عملي، يحدد كثيرًا من منحنيات حياتهم بعد البلوغ .. أننا إذا كنا نظن أن الخطر الغربي عسكري محض، فذلك خطأ تاريخي جسيم وغفلة حضارية خطيرة، فإن التأثير على القيم وتغيير الشعوب من الداخل أكثر خطورة من التغيير بالتهديد العسكري .. لقد علم أعداؤنا أن غالب الأطفال في عالمنا اليوم يتلقون ثقافتهم – وبخاصة قبل المدرسة – من التلفاز بحيث تشكل تلك الثقافة الخارجية 96% من مؤثرات الثقافة في حياتهم وغالبها من أفلام الرسوم المتحركة أو ما يسمى أفلام الكرتون، يليها برامج الأطفال الأخرى، والمسلسلات والأفلام وأمثالها)¹

أما المتخصصة في التربية والإرشاد الأسري د/ بسمة جمال فتقول: إن هناك تأثيرا كبيرا تحدثه تلك الشخصيات الكارتونية على الأطفال والذي يظهر على مراحل تدريجية فالطفل في مرحلة التكوين يتلقى معلوماته من الأعمال الكرتونية، ففي حالة مشاهدته

¹ طريق الإسلام_ العدد 2005/4/23_ المعد: خالد بن سعود الحليبي (1964:...) شاعر وكاتب وأديب ومستشار أسري سعودي.

لرجلين يقومان بتقبيل بعضهما من فمهما كأصدقاء مثلاً أو كنوع من السخرية، يبدأ هو الآخر في تقليدهما دون وعي وبشكل تلقائي ومع دخول فترة المراهقة يؤثر ذلك في سلوكه ويبدأ في التحول إلى هذه التصرفات وربما يتحول إلى شخص مثلي بشكل كامل في مرحلة لاحقة.

الهدف إنتاج شخصية كرتونية

أما عن أشهر الشركات المنتجة لأفلام الرسوم المتحركة فهي ليست من ثقافة غربية وغريبة فحسب، بل من أسسها ويديرها ماسونيون – والماسونية هي فكر معادي للأديان والإنسان والأخلاق والمبادئ الإنسانية وتسعى لنشر العلمانية، والسيطرة على العالم وتوحيده ضمن أفكارها.. وبالفعل فإن أضخم الشركات والمؤسسات العالمية والبنوك الدولية والأنظمة المحلية والدولية .. بقبضة يدها – نذكر منها على سبيل المثال :

- شركة (حنا باربرا) لمؤسسها جوزيف باربرا¹ وويليام حنا² والمنتجة لتوم وجيري فيلم الرسوم المتحركة الأشهر.

- شركة وارنر براذرز .. وهي من أضخم وأكبر شركات الإنتاج في العالم .. وثالث أقدم استوديو سينمائي في الولايات المتحدة .. وأسسها الأخوة وارنر الأربع: ألبرت³، هاري⁴، سام⁵، جاك⁶. وجميعهم مهاجرون يهود.

¹ 1912-2006، رسام ومنتج أميركي.

² 1910-2001، منتج ورسام أفلام رسوم متحركة أميركي من أصل أيرلندي.

³ 1884-1967، منتج أفلام أميركي من أصل بولندي.

⁴ 1881-1958، يعتبر من الرواد المساهمين في صناعة السينما.

⁵ 1887-1927 اسمه الحقيقي صمويل إيلخاوم، منتج أفلام أميركي من أصل بولندي.

⁶ 1892-1978، منتج ومخرج وممثل أميركي- كندي.

- والت ديزني¹، صاحب شركة ديزني الأضخم والأشهر كواليت نفسه .. الذي يعد العضو رقم 33 في الماسونية .. وفي معرض حديث الخبير الاستراتيجي خالد رفعت بقناة القاهرة والناس مع الإعلامية أماني الخياط، قال إن (جميع أفلام والت ديزني فيها رسائل ماسونية .. أطفالنا يشاهدون أفلام الكارتون وتوضع لهم رسائل ماسونية وجنسية في الأفلام – مضيئاً أن – كل صور كارتون بوكمون، سبونج بوب، أبطال الديجيتال .. هي بها رموز ماسونية لتغيير أفكار الأطفال وتفكيك المجتمعات).

وفي تقرير لها بهافينغتون بوست، العدد 2016/12/15 جاء فيه، ما نصه:

- خلال الحرب العالمية الثانية تعاون – والت ديزني – مع حكومة الولايات المتحدة الأميركية عن طريق إنتاج أفلام تعليمية وتدريبات عسكرية لرفع الروح المعنوية للقوات الحربية. وهذا يعني أن أفلام الكارتون والرسوم المتحركة سلاح قديم يسري بطريقة ممنهجة جداً ومنظمة للغاية، وليست عبثية.

- في أوائل التسعينيات كشفت بعض الوثائق التي تثبت أنه كان عميلاً لمكتب التحقيقات الفيدرالي منذ عام 1960 حتى وفاته .. وهذه الوثائق تثبت تدخل المكتب الفيدرالي في كتابة بعض النصوص.

- كان عضواً في منظمة ماسونية تدعي (مولا أورديت).

وبين الحين والآخر يمكن ملاحظة ومشاهدة بعض الرموز الماسونية والمشاهد غير الأخلاقية والإباحية ومشاهد الإلحاد والإغراء والفساد – التي لا يمكن وصفها وتضمينها على أي حال .. إلا أننا سنذكر ما يمكن وصفه في السطور القادمة.

○ وأخطر وأحقر وأقذر ما تم تقديمه على الإطلاق والذي لا يعدو إلا جريمة إنسانية

.. وليست مشاهد بريئة للأطفال، في أفلام: علاء الدين، المخوفتية، ميكي ماوس Lion

.King

¹ 1901-1966- رجل أعمال، ومنتج ومخرج وسينارست وأخصائي رسوم متحركة أميركي.

○ أما في فيلم على بابا - وكفيض من غيض - فقد أظهر فيه المسلمين على أنهم قطاع طرق ولصوص وفيه تمجيد للصوصية .. لأن البطل - علاء الدين - كان حرامي - ووالده أيضًا زعيم الـ 40 حرامي.

○ في فيلم (يوجي يو) Yo Gioh الياباني والذي يعني (ملك اللعبة) يشكك في عقيدة التوحيد بتأصيل فكرة وجود أكثر من إله.

○ في الشهر الرابع عام 1996 صدرت مقالة في أميركا بمناسبة مرور 50 سنة على إنتاج توم وجيري .. وقال كاتب المقالة اليهودي: صنعنا توم وجيري لأننا كنا نريد أن نكرس حق اليهود في فلسطين .. ولا مانع في أن يكون ذلك الكلب الذي يمنع القط (القوي الأحمق) من افتراس أو أخذ حقه من الفأر (الماكر الضعيف) هم بالترتيب: أميركا، العرب، إسرائيل.

○ بالإضافة إلى الصراع القائم في كل الحلقات بين الخير والشر، القوي والضعيف بل وصراعًا طائفيًا عنصريًا، في بعض الحلقات .. وأبرزه ضد السود .. وتعديًا في بعض الحلقات على الذات الإلهية في الحساب.

○ وقد عبر الكاتب ماركيز¹ الحاصل على جائزة نوبل في الأدب عام 1982 عن كرهه لأفلام توم وجيري وقال "إنها ابتكار متوهم كرهه، والذي يختلف تمامًا عن سحر الخيال الذي يعتبر وجهًا جميلًا لنقل الواقع" كما قال إنه كان يري عين الطفل تتبع المشهد في انفصال تام عن الواقع الحقيقي فلا تعطيه فرصة للتخيل والإبداع.

- وجاء في صحيفة اليوم، يوم الاثنين الموافق 19 مارس 2012 العدد 14157 تحت عنوان: أفلام الكارتون .. تمبيع لأخلاق الأطفال وتحريض على التمرد الاجتماعي .. ما يلي:

○ أثبتت بعض الدراسات النفسية والاجتماعية الحديثة أن الإدمان على مشاهدة الرسوم المتحركة يؤدي حتمًا إلى انحراف الطفل فكريًا وسلوكيًا كما أكدت دراسات

¹ غابرييل غارثيا ماركيز، 1927-2014، روائي وصحفي وناشر وناشط سياسي كولومبي.

بحثية أخرى تأثير ما يشاهده الطفل من الرسوم المتحركة على مستوى ذكائه وتسارع نموه الفكري .. وقد يتجاوز ذلك إلى تمييع أخلاقه وصرفه عن عادات مجتمعه وتقليده الاجتماعي.

○ أحمد الجار الله – إحصائي اجتماعي وباحث في مجال تنمية الطفل – تحدث حول خطورة بعض أفلام الكرتون فقال " أفلام الكرتون من أكثر الرسوم خرافة مما يجعل الأطفال عرضة للتأثر من حيث حب المغامرة والتقليد، وكذلك كثرة الشرود الذي يجعل الطفل يعيش بخيال واسع بعيداً عن الواقع..

○ أكدت الدراسات والأبحاث التي أجرتها منظمة اليونسكو العالمية تأثير التليفزيون على عقلية الطفل خاصة، وخرجت الدراسات إلى عدد من النتائج موجزها أن هذه المواد التي تقدم للأطفال تمنعهم من ممارسة الأنشطة الحركية والثقافية الأخرى كما أنها تحرم الطفل من التفاعل والتواصل الاجتماعي، وتزداد احتمالات إصابته بالبدانة من جهة وبالانطواء النفسي من جهة أخرى .. وأخيراً الانفصال عن الواقع والقيم والتقاليد .. نتيجة العيش في عالم مبهر بعيداً عن الواقع وتسارع التقنية الحديثة والإعلام الحديث، ومن جانبها أكدت دراسة أصدرها المجلس العربي للطفولة والتنمية التأثير السلبي لمعظم برامج الرسوم المتحركة المستوردة على الأطفال "وذلك كونها لا تعكس الواقع ولا القيم العربية وعلى اعتبارات هذه البرامج تحمل قيم البلاد التي أنتجتها وتعكس ثقافتها.

أضف لذلك أن تلك الثقافة الكارتونية تورث العنف والتمرد .. ودائمًا ما يكون البطل سواء في الأفلام الكارتونية أو الشبابية – مخرباً ودموياً وشريراً ضد شر آخر أقوى-وفي النهاية ينتصر الشر، وتتعاطف مع البطل حتى ولو كان شريراً، ومعه حصانة، فهو لا يعاقبه القانون لو خرق اللوائح والقوانين..لأنه البطل!- .. وفي دراسة أجرتها جامعة بيرغهام يانغ الأميركية خلصت إلى أن السلوك الاجتماعي والجسدي للأطفال أصبح عنيفاً بشكل واضح بسبب أبطال المسلسلات الكرتونية الخارقين، على غرار سبايدرمان،

وباتمان، وسوبر مان .. وأجرى الباحثون بقيادة الخبيرة سارة كوين اختبارات على 240 طفلاً تتراوح أعمارهم بين ثلاثة وستة أعوام ونصف العام على مدار سنة كاملة ودرس الخبراء كل بطل كرتوني وإلى أي مدى يمكن أن يؤثر على سلوك الأطفال سواء بالفعل أو بالكلام .. وتبين أن الرغبة في العنف تزداد لدى الأطفال كلما أقبلوا أكثر على مشاهدة مسلسلات الأبطال الكرتونية .. وبينت الدراسة أن الأطفال أجابوا عما يجعل البطل بطلاً، بالقول "لأنه يضرب ويدمر كل شيء" فيما قال آخرون "إنه يمكن أن يطير ويصطاد آخرين بشبكته" .. وأكد الخبير الألماني في العلوم الاجتماعية بجامعة بوتسدام روبرت بوشينغ ذلك حيث قال "لم تفاجئني نتائج الدراسة الأميركية لأن العنف كان دوماً مبرراً في مسلسلات الأبطال الكرتونية" وحذرت كوين – رئيس فريق البحث – من أن الأطفال لا يستطيعون حماية أنفسهم من تأثير الأبطال الكرتونيين لذلك على الآباء أن يقوموا برعاية الأطفال نفسياً ويحاولون التقليل من تأثير الأبطال الكرتونيين فيهم¹

- وفي الدراسة التي قامت بها منظمة اليونسكو – على أثر الرسوم المتحركة على

الأطفال – كان ملخصها في أرقام ..

- 97% منها تحوي أفكاراً ومشاهد عنف.

- 75% تسبب البدانة.

- 70% من المشاهد تحوي لبساً فاضحاً ومشاهد جنسية.

- 47% منها تعلم النصب والاحتيال.

- 30% منها تعرض بعض الأفكار والعقائد غير المتوافقة مع المبادئ والقيم.

- 20% منها تقدم العلم والمعرفة.

- 28% منها يشاهدها الوالدان وأبنائهم.

¹ ص حيفة العرب، عدد 10540 تاريخ 2017/2/11 ص 21.

الغزو أو التدويب الثقافي لم – ولا – يتوقف بالطبع على الطفل – أو التركيز عليه –
أو ذلك الجزء "البسيط" من المجتمع بل تعداه لتدويب كامل لمجتمعات كاملة وأمم
حافلة، بطرق قسرية وممنهجة .. بل وهمجية في الوقت ذاته ..
ولكن قبل أن نتقل للحديث عن ذلك الجزء المهم من "قضية" الثقافة .. ينبغي أن
نكون أكثر دقة في تعريفنا للثقافة .. وبناءً على ما تقدم ..

ما الثقافة .. ومن المثقف؟!

بعد تلك النبذة القصيرة السابقة عن الثقافة .. فمن ذا الذي يمكن اعتباره مثقفاً؟
"المثقف" كلمة غامضة، لها مدلولاتها المتعددة وتعريفاتها التي لا تعد ..
وبرغم غموضها، ألا أنها تحمل معنى جذاباً ومغرياً كالذكاء والفتنة والمعرفة
والعبقرية والموسوعية..! – كما هو متعارف عليه شعبياً ومعجمياً .. ولكن كيف، ولدينا
اكتفاء ذاتي من المعرفة! .. لدرجة أننا – باحثونا – توقفوا عند تعريفات الثقافة
التقليدية المعجمية والقواميسية بكل تلقين وبلادة، دون حتى الإشارة إلى مدلولاتها
وللأسف لم يسلم نعوم تشومسكي¹ من الوقوع في تلك المغالطة.
ويعتبر تشومسكي من أشرس المدافعين عن القضية الفلسطينية برغم يهوديته.
ومشهود له بموضوعيته في آرائه وكتاباته.

¹ 1928-..، فيلسوف ولغوي وناقد إعلامي وأكاديمي وعالم لسانيات ومؤرخ وناشط سياسي وعالم
بالمنطق أميركي.

أما التعريفات المعجمية فقد أعطت للثقافة حجمها المطلق دون مراعاة للزمنية والمكانية .. فهذا أقرب للعبث وسوء التقدير .. فلا بد وأن يكون لها مدلولاً خاصاً عصرياً وفقاً لمجريات العصر الحقيقة .. فمثلاً.

- العلوم قديماً كانت مقتصرة على حجم صغير من المعرفة .. بالإضافة إلى أنها لم تكن تزيد عن بضع علوم – في فترة متقدمة من الزمان – بل كانت الفنون أكثر منها عدداً .. أما اليوم فقد أصبح كل فرع في العلم، يمثل علماً خاصاً، والعلوم باتت كثيرة جداً، لدرجة يصعب عدها كتابة.

فتلك العلوم لا يمكن الإلمام بها .. بل يمكن الذهاب لأبعد من ذلك والقول إنه يستحيل الإلمام بتلك المعرفة داخل العلم الواحد، أذن بالمعنى التقليدي يستحيل أن يوجد شيء اسمه "مثقّف".

ومن ناحية أخرى .. ماذا لو كان – على افتراض – أن هناك شخصاً يلم بعلم ما بالكامل .. لكن لديه مشكلة في تطبيقه أو العمل به، وذلك أشبه بالثقافة المدرسية – نظام التلقين والحفظ عن ظهر قلب .. وآخر يلم بجزء فقط من العلم (أو تخصصه الدراسي أو مجال علمه وتعليمه) .. ولكن يطبقه ويعمل به وبمقتضاه ويبذل فيه.

وبالمقارنة بين الاثنين .. في ظل اختلاف وتباين جودة العمل وكفاءة الناتج أيّاً منهم يمكن اعتباره مثقفاً!!.

- ثم يجب الأخذ في الاعتبار أن الثقافة لا دخل لها بالتخصص العلمي أو الوظيفي فالأديب والباحث – مثلاً – ليسوا مثقفين، وفقاً لمثالنا السابق والتعريف التقليدي للمثقف.

- أما الأديب .. فنعتبره مثقفاً لاقتران "الأدب" بالثقافة وهذا تقدير خاطئ ولا علاقة للأدب بالثقافة أصلاً.

- ومن ناحية أخرى فلا يمكن اعتبار الأديب مثقفًا لأن أبواب وألوان الأدب مختلفة منها الرواية والقصة والشعر.. ألخ من ألوان الأدب.

حتى ولو كان لفظة "المثقف" تطلق على الكتاب ورواد الفنون دون العلماء والخبراء بالذرة والطب والفضاء وعلم النفس .. ألخ .. ربما يكون هذا أقرب، ولكن في الغالب أولئك الفنيين من علماء الأرض والسماء، يكونوا روائيين وكتاب خيال علمي!.. فنذكر على سبيل المثال - لا الحصر - إسحاق عظيموف¹، كارل ساجان²، آرثر سي كلارك³، ستيفن هوكينج⁴، برنارد فيريير⁵، أما هؤلاء - مثلاً - فمعظم إنتاجهم الأدبي والخيالي - وهم أيضًا علماء بمجالاتهم - تبنتها شركات الكارتون وأفلام الخيال العلمي .. واليوم هذا الإنتاج الأدبي - الخيال العلمي - بات من الثوابت العلمية التي تشكل "ثقافة" المجتمع العلمي، بعد إن كانت مادة ثقافية ترفيهية للأطفال!.

إذن (المثقف) في هذه الحالة يمكن تعريفه وإجماله في ميزتين وضعهما المفكر الإسلامي (علي شريعتي)⁶ فالأولى: أن يمتلك العقل النقدي والثانية: أن ينخرط مع الناس في محاولات التغيير باعتباره يملك الرؤية الواقعية والمتغيرات والمسارات المختلفة - مضيئًا - أن المثقف هو ذلك الشخص الذي يقوم بدور النبوة حيث لا نبوة.

الإبادات الثقافية

على مر العصور والأزمنة السحيقة يحب الإنسان لعب دوري الفارس والقائد، والأرض بما رحبت هي أرض المعركة، وفي الوقت عينه هي الهدف .. فسعى فيها الإنسان -

¹ 1920-1992، كاتب خيال علمي، روائي، عالم كيمياء حيوية، كاتب غير روائي.

² 1934-1996، عالم فيزياء فلكية، روائي كاتب خيال علمي، كاتب غير روائي.

³ 1917-2008، كاتب خيال علمي، روائي، كاتب سيناريو، مخترع.

⁴ 1942-، فيزيائي، فلكي، عالم رياضيات، كاتب روائي، مؤلف.

⁵ 1961-، كاتب خيال علمي، كاتب غير روائي، صحفي فرنسي.

⁶ 1933-1977، سياسي وفيلسوف وكاتب واجتماعي إيراني.

وبالأخص الغربي الهمجى - فسادًا .. وكان جهله سببًا في فسادِه وإفساده وسفكه للدماء وغزوه واستعمارِه لأرض الغير (بداية من الحروب الصليبية).

وبين قوسين الثقافية - وأيضًا كان علمه - المادى وسيلة لنفس الهدف.. اليوم في ظل الحروب الحضارية، فالإنسان الغربى لم يمدن بعدا!.

ويمكن القول، والوقوف على حقيقة أن المجتمع الغربى ليس مدانا بقدر ما هو مغيبا تغييبا لا يقل شأنًا عما نحن المجتمع العربى بصدد.. نحن عبيد لسياسة مادية شيطانية تلتف حولنا وتتحكم في القاصي والداني، شعوبا وحكاما وأوطانا.. جميعنا مدانون وجميعنا متضررون.. شعوب العالم الأول والثاني والثالث.. كلنا في القاع من أجل أن يطفوا الكبار على حسابنا.. ولن ينجوا.. هكذا يقول العلامة والمفكر المصرى الكبير مصطفى محمود-رحمه الله:-

(لقد وقعنا نحن الدول الصغيرة النامية في الشباك العنكبوتية للماكرين الكبار، وهم قد وضعوا الكلام في أفواهنا فأصبحنا نتكلم كما يريدون، ونقتل من يريدون أن نقتل، ونحارب من يريدون أن نحارب ونظن أنفسنا أحرارا ننفذ مشيئتنا وما ننفذ في الحقيقة إلا مشيئتهم..ومشيئتهم هي الفساد والإفساد بكل السبل.. وبأيدينا لا بأيديهم.. ونحن نوفر لهم الدم والمال وسوء السمعة فنقوم بقتل أنفسنا بدلا منهم وتمزيق وحدتنا بدلا منهم

تركوا لنا المهمة القذرة لنؤديها.. ونحن نؤديها بنشاط.. بل نتنافس على تأديتها ..أنا لا أتهم أحدا.. فنحن جميعا متهمون نحن صناع هذا الزمن(...).وربما كان عزاؤنا أن البلاء شامل والمصيبة عامة. فهل لندن اليوم هي لندن الثلاثينيات؟ وهل باريس اليوم هي باريس الثلاثينيات؟

إن التدهور شمل الجيل الثانى في أوروبا وإنجلترا وأميركا.. فلم يخرج هذا الجيل قمما تضاهي بيتهوفن وشوبان وفانجر وشابلن بل أخرج الخنافس والفيس بريسلي ومايكل جاكسون وبوي جورج وحفنة من أبطال الكاراتيه-وحفنة من أبطال الكارتون أمثال

السوبر مان والباتمان والأيرون مان.. هؤلاء هم القدوة والنخبة المصطنعة والوهمية، في عين الرجل الأميركي، حيث لا رجل ولا قدوة ولا بطل حقيقي!.. هم حفنة من المهاجرين والهواة والساقطين والمدلسين والمنتسبين والضالين والمضللين والمتعالمين.. إلا من رحم ربي.

ويضيف الدكتور مصطفى قائل:

ووصلت السيارات المغمومة إلى قلب الشانزلزيه وانفجرت القنابل في مطار هيثرو وانطلق الرصاص على بابا الفاتيكان وتكررت حوادث الخطف في روما ولم يسلم مكان في أوروبا من الإرهاب والفوضى والمخدرات، ولم تسلم أيدي الكبار الذين يدبرون ويحكيون المؤامرات من أن تحرقها النار، والمفاعل الذري الذي يجهزون فيه وقود اللوتونيوم لتحضير القنابل الهيدروجينية للترسانة الروسية وصل خطره إلى شواطئ السويد وأطلق سحابة من الإشعاع القاتل ظلت أوروبا بأسرها.

لن يسلم الكبار من النار التي يشعلونها للصغار.. التهديد سوف يشمل الكل.. والضنك سوف يخيم على الكل.. وحينما تغرق السفينة لن ينجو أحد.. الكبار سوف يسبقوننا إلى القاع.. لا غالب ولا مغلوب.. لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم¹

الهوية هي خط الدفاع الأخير للحفاظ على المتبقي من كينونة الإنسان.. وحقه كإنسان، مخير لا مسير، ومرغم على قبول ومعرفة ما يجب معرفته، والتخلي عما يجب عليه التخلي عنه، والتصرف طبقا لما يجب أن يتصرف، والتكلم طبقا لما يجب أن يقول.. هذه هي العولة، وهي بؤاد الحرب الثقافية، ففيها لا معنى للإنسان وحقوقه، ولا للديمقراطية ولا الحرية.. عندها تنقرض كل تلك المفاهيم، وتصبح مجرد أسماء لا أفعال في قواميس الساسة وخطاباتهم الشعرية والإنشائية، وواجهة يجب فقط أن تراها على باب البيت الأبيض وتؤمن بها وتثرثر عنها وتقول "هو ده التحضر والتقدم ولا بلاش".. لكن

¹ مص طفي محمود - السؤال الحائر، انظر الصفحات: 32 ، 33 ، 34.

لا يجب عليك أن تطالب بنصيبك منها.. ففاقد الشيء لا يعطيه.. ولو كان يملكه، فإن الأسد يطعم الزراف ليلتهمها، لا شفقة وتعاطفا وحبًا!.

العولمة دائما ملازمة للعلمانية.. فالعلماني هو رسول الرب، الغرب.. جاء ليخبرنا ويوعينا وينورنا برسالة التغريب التي أوحى له بها.. فلا سلام ولا ديمقراطية ولا حرية ولا رحمة ولا تراحم.. ولا شيء عند العرب أو الإسلام، فكل شيء لدى الغرب: القوي، العظيم، الحكيم.. فهو كذلك-الغرب-لأنه لا يؤدي شعائر الإسلام، ويعتبر العري حرية شخصية، والشذوذ كذلك، وكل شيء متاح مباح، حتى الإباحية.. والمرأة من حقها أن تمارس علاقاتها مع من تحب، والرجل كذلك من حقه أن يمارس علاقاته مع من وما يحب (حيوان كان أو طفلة أو امرأة أو ذكر.. إن شالله يكون ذكر بطا!)..والسكر مباح والخمر متاح.. لماذا إذن لا نتبع هذا الرب الكيوت حتى نفوز بالدنيا.. ولما نقول لا للعولمة!!.

ولهؤلاء الفاسدين المغيبين نقول: أجدادنا فازوا بالدنيا ونحسبهم من الفائزين بالآخرة، ولم يتنازلوا عن دينهم ولم يفسدوا دنياهم.. بل عمروا ونفعوا.. وجاء بعدهم من خربوا وفسدوا.. وسموا ذلك صلاح وحضارة وعلم!

إنها حرب ثقافية..فتبا للعولمة.

وهنا يقول جلال أمين -مع حفظ الألقاب- مضيفا ومؤكدا:

(ومن هنا تكمن في رأيي الأهمية القصوى لإدراك أن العولمة هي عولمة حضارة أو ثقافة بعينها وإدراك خصوصية هذه الحضارة ذلك أن الاعتقاد بأن العولمة ظاهرة محايدة بين الحضارات والثقافات أو الاعتقاد بأن الحضارة الغربية هي حضارة إنسانية عامة وليست مجرد إفراز من إفرازات ثقافة بعينها، إن هذين الاعتقادين من شأنهما بالطبع أن يرسخا الاعتقاد بأن العولمة حتمية لا مفر منها .. ولكن من الجائز جدًا أن يكون هذان الاعتقادان خاطئين .. فالعولمة هي عولمة حضارة بعينها وهذه الحضارة

بدورها تعبير عن ثقافة أمة معينة أو ثقافة مجموعة من الأمم، صحيح أن هذه الحضارة قد توفر لها منذ زمن طويل يرجع إلى ما يقرب من خمسة قرون وسائل فعالة مكنتها من فرض نفسها على أمم أخرى غير الأمة أو الأمم التي أنجبته¹

على مدي خمسمائة سنة تعرض هنود أميركا لحملات غزو إسبانية وبرتغالية وفرنسية، وهولندية، وإنجليزية سلبتهم إنسانيتهم، وأنزلت بهم فنوناً عجيبة من القتل والتدمير ونظرت كلها إلى حياتهم ولغاتهم وأديانهم باحتقار، لكن الإنجليز (أو الزناير) – اسم أو مصطلح يطلق على البيض الأنكلوسكسون البروتستانت – وحدهم كانوا الأكثر عنجهية وعدوانية وإصراراً على تدمير الحياة الهندية واقتلاعها من الذاكرة الإنسانية، وحدهم جاءوا بفكرة مسبقة عن أميركا نسجوها من لحم فكرة إسرائيل التاريخية، فكرة احتلال أرض الغير واستبدال شعب بشعب وثقافة بثقافة وتاريخ بتاريخ فاستنسخوا بذلك أحداثها وتقمصوا أبطالها وجعلوها قدرهم المتجلي².

يسترسل الدكتور أمين حديثه ويضيف قائلاً: ولكن هذا وحده لا يجعلها تستحق وصف الإنسانية أو العالمية بالمعنى الذي تستخدم به عادة هذه الأوصاف ولا يزيل عنها خصوصيتها، فالاعتراف بأن حضارة ما (أو ثقافة ما) قد اكتسحت العالم لا يعني الاعتراف بأنها من نتاج العالم بأسره ولا يعني الاعتراف بأنها تستحق أن تكتسح العالم بأسره أو أنها يجب أن تكتسح العالم بأسره³.

وقد سلخت هذه الفكرة جلدها من حقبة لحقبة وجددت لغتها من جيل لجيل ووطورت معاذيرها مع كل تطور جديد كالثورة الصناعية ومع كل نظرية علمية جديدة كنظرية التطور لكن جوهرها ومعناها وأهدافها لازمت المستعمرين الإنجليز وقناعاتهم

¹ جلال أمين، العولمة، ص 37، 38.

² منير العكش- أميركا والإبادات الثقافية: لعنة كنعان الإنجليزية ص 9.

³ جلال أمين- المصدر السابق ص 38.

وتاريخهم وسياساتهم واستحوذت على ألبانهم وعقولهم كذلك ظلت حوافز هذه الفكرة وحروبها "الخيرية" ورسالتها الحضارية واحدة لا تحول ولا تزول.

إنعاش الأسطورة:

إنعاش أسطورة "لعنة كنعان" التي نسجها بدو رعاع مستبدون حاقدون على كل حضارات عصرهم، نسجوها من هاجس نهب هذه الحضارات بأهلها وأرضها وسمائها وأورثوا الزناير -الذين يرضعون هذه الأسطورة قبل حليب أمهاتهم- عنجهية "الجلاد المقدس" وأبلغ أداب "مسخ الآخر" و"عبادة الذات" و"تقديس الجريمة"¹

1992 .. الحقبة الكولومبية.. والسوق الكبير للعالم الجديد.

قبل 500 عام من هذا التاريخ (سنة 1492) بدأ الاستعمار الكولومبي (على يد كريستوفر كولومبوس: 1451 - 1506 - البحار الإيطالي) - لأميركا - والغزو الثقافي لشعب الهنود الحمر، واستحالت من أمة إلى أخرى، هي أميركا التي نعرفها اليوم - وفي نفس العام وفي الجانب الآخر، في إسبانيا، كانت الحرب دائرة في الأندلس .. حيث سقطت غرناطة منارة العلم والعلماء ونصر أهلها قسراً للديانة الكنيسية، ودمرت الثقافة والحضارة الإسلامية عن بكرة أبيها - التي تقام - أميركا على أنقاض 112 مليون روح أبيدت في تلك المعركة الثقافية - الحضارية - ومن وقتها - وما قبلها .. وتحديداً عام 1095 حيث بدأت الحرب الصليبية الأولى بدعوة من البابا أوربان الثاني - لم تهدأ غزوات أوروبا - خاصة أميركا - الاستعمارية حتى اليوم لشعوب الأرض قاطبة.

¹ منير العكش- المصدر السابق ص 10.

يقول المفكر نعوم تشومسكي في معرض الذكر: (يطرح عام 1992 تحديًا أخلاقيًا وثقافيًا خطيرًا على القطاعات صاحبة الامتياز في المجتمعات المسيطرة على العالم – مضيّفًا – بحلول الحادي عشر من تشرين الأول 1992 ينتهي العام 500 من عمر النظام العالمي القديم والذي يدعي أحيانًا الحقبة الكولومبية من تاريخ العالم أو حقبة فاسكو دي غاما- البحار الإيطالي (1469 – 1524) – تبعًا لأي من المغامرين النهابين الذين بدأوها، أو "رايخ الـ500 عام" إذا ما أردنا استعارة عنوان الكتاب التذكاري الذي يقارن طرائف النازية وأيديولوجيتها بمثيلاتها عند الغزاة الأوروبيين الذين أخضعوا أكثر العالم)¹

أما روجيه جارودي فيضيف قائلاً في معرض الذكر إن (عام 1992 واحدًا من تلك اللحظات في التاريخ حين تثير إحدى الأزمات العميقة التساؤل من جديد حول يقيننا، إنها أزمة تززع جذور حياتنا وأهداف مجتمعاتنا وفي نفس الوقت تتحدى الآمال) ثم يتابع قائلاً (إن ما درجنا على تسميته "اكتشاف أميركا" وتصفه اليونيسكو على استحياء بـ"التقاء الثقافات" ويحتفل به البابا جون بول الثاني بزهو كأنه "تبشير بالإنجيل للعالم الجديد" هو في عام 1992: الاحتفال بمذابح الهند وبداية العهد الاستعماري في التاريخ الحديث – مضيّفًا .. وفي نفس الوقت – كان عام 1992 مغلّدًا أيضًا لذكرى مرور خمسمائة عام على سقوط غرناطة، آخر مملكة للثقافة الإسلامية في إسبانيا، الجسر الأخير بين الشرق والغرب، حيث ظلت قرطبة طوال ثلاثة قرون مركزًا لإشعاع العلوم والفلسفة والآداب والفنون إلى كل أوروبا، وفي عام 1492 سلخت قرطبة عن الثقافة العربية الإسلامية المصدر الثالث لحضارتها .. في عام 1992 سجلت حرب الخليج اكتمال العمل الذي بدأ عام 1492 وهو انقسام العالم إلى نصفين .. كشف تدمير العراق في عام 1992 عن حرب من نوع جديد، حرب قائمة ليس فقط على استعمار دول أوروبية متنافسة مثل ما كان من إنجلترا وفرنسا، لكن على استعمار جماعي، متعدد الجنسيات،

¹ نعوم تشومسكي -501 سنة الغزو مستمر، ص 9، 10، ترجمة: مي النبهان.

متآلف تحت سيطرة الأقوى: الولايات المتحدة .. إنها أول حرب استعمارية عالمية، حرب تحالف كل المستعمرين القدامى دون استثناء ومعهم "عملائهم" التقليديون المشترون والمجندون في المواقع مثلما حدث في الحروب الاستعمارية لإحدى الدول الأوروبية ضد أحد شعوب العالم الثالث(...)

إن الاحتفال بإنجاز عمل المشاركة الاستعمارية لم يهدف فقط إلى إعادة إحدى دول العالم الثالث إلى عصر ما قبل الصناعة لكن أيضًا إلى أن يجعل من هذا السحق نموذجًا للهيمنة الغربية، تحت القيادة الأميركية، إنه إنذار للعالم الثالث أجمع، بفضل هذا النظام العالمي وريث النظام الاستعماري، فإن خمس سكان الأرض يتحكمون في أربعة أخماس ثروات كوكب الأرض، بما فيها البترول عصب النمو الغربي! يؤدي هذا النظام إلى مصرع 60 مليون إنسان سنوياً، بسبب الجوع وسوء التغذية، يكبد هذا "النظام العالمي" الجنوب يوميًا ما يقارب من ضحايا هيروشيما!!.. كان عام 1992 عام إتمام انهيار اشتراكية الدولة في الشرق، الفشل الثالث، بعد أعوام 1848، 1871، و1917 لمحاولات إيجاد نظام بديل للنظام السائد حيث السوق هو المنظم الوحيد للعلاقات بين البشر، .. في عام 1992 بدأت أوروبا كما بدأت الأمم المتحدة من قبل، في القرن التاسع عشر سوقًا فرديًا سوقًا للقارة يعمل بفكر داروين! مفتوحًا للولايات المتحدة واليابان، فتلعب القارة دور الحلف المقدس باسم الدين السائد "وحدانية السوق" في مواجهة الجنوب؟ وهل أصبح الشرق أرضًا للتبشير بهذه العبادة الوثنية: السوق، التي استحضرها البابا؟ .. عام 1992 كان عام قمة الهيمنة للولايات المتحدة الأميركية¹

أما هذا السوق العالمي فطرفاه وهدفاه الإنتاج والاستهلاك، والعالم مصنع كبير وسوق للتسويق والإنسان فيه مجرد أداة عادية ذو صلاحية والدليل هو السعي لتطوير الذكاء الاصطناعي كبديل للإنسان .. يقول الدكتور جلال أمين إن (المجتمع الاستهلاكي

¹ روجيه جارودي-حفارو القبور: الحضارة التي تحفر للإنسانية قبرها، ترجمة: عزة صبحي، انظر الصفحات: 5، 8.

يعامل الإنسان كمستودع للسلع والبعض قد يقول كصندوق قمامة يقضي حياته في عملية لا تنتهي من الامتلاء ثم التفرغ ثم الامتلاء من جديد(..) ويضيف قائلاً: كنت كلما رأيت مظهرًا من مظاهر المجتمع الاستهلاكي فيما أזור من بلاد أوروبية أو في الولايات المتحدة يعتريني الأسف على رضوخ أصحاب هذه الحضارة العظيمة (المسماة بالأوروبية أحياناً أو الغربية أحياناً أخرى) لمتطلبات التطور التكنولوجي بصرف النظر عما يمكن أن ينتج عن ذلك من آثار نفسية واجتماعية مدمرة، المهم هو الإنتاج ومزيد من الإنتاج ومن أجل ذلك لابد من التسويق ومزيد من التسويق ومن أجل التسويق تجوز التضحية بأي شيء حتى روح الإنسان نفسه¹

يتساءل جارودي: ما هو إذن معني هذا المنعطف التاريخي الذي وجدنا أنفسنا فيه عام 1992؟ .. وكان جوابه أنه:

خطط لهذا المنعطف بمد نفوذ السوق كمنظم وحيد للعلاقات الإنسانية على الصعيد العالمي عن طريق الاستعمار الذي قام في البداية بجعل الدول المحتلة مجرد روافد لاقتصاد الدول الاستعمارية، واليوم أدى إزالة كل الحدود لهذه الهيمنة العالمية إلى انهيار الدول الاشتراكية – ثم يضيف قائلاً – لا يجب اعتبار العالم الثالث مجرد سوق فائض إنتاجنا بداية من التسليح إلى الآلات لكن على العكس، يجب إعادة توجيه صناعتنا لتلبية الحاجات الضرورية للعالم الثالث هكذا نخرج من المأزق الزائفة: تغيير العالم أولاً، أم تغيير الإنسان أولاً؟ مشيرًا إلى أن تحويل اهتمامات الصناعة إلى سابق عهدها والاهتداء الروحي أمران لا يمكن الفصل بينهما²

فكل أحداث العصر بشتاعتها وبشاعتها – التي سببها الحضارة الغرب – أوروبية – سببها عدم الإيمان إلا بالمال والإنتاج وحب الذات دون مراعاة لأي أخلاق أو مبادئ أو حتى لحقوق الغير .. كل ذلك تلخصه كلمة واحدة: علمانية وهي أبسط صورة للقضاء

¹ جلال أمين - المصدر السابق، انظر الصفحات 130، 131.

² روجيه جارودي - المصدر السابق ص 9 ، 10 ، 11.

على الغير وحقوقه وثقافته بدعوى الحرية والديمقراطية والتنوير، والتعمير .. بإقامة دولة علمانية! .. ومع ذلك يقول جارودي مستشهداً بما قاله مالرو (وكما كتب مالرو حضارتنا هي الأولى في التاريخ التي إذا طرح السؤال الأهم: ما معنى الحياة؟ أجابت: " لا أعرف" مضيفاً - على مدي القرن، فشلت كل محاولات الإجابة!¹ وعلى مدي أكثر من أربعة قرون ظلت فكرة أميركا تخطف روح الدين وتطوعه لأهدافها الإمبراطورية الثلاثة التي استعارتها من "فكرة إسرائيل" التاريخية".

1. اجتياح أرض الغير.

2. استبدال سكانها بسكان غرباء أو استعباد من يعصي منهم على الموت.

3. استبدال ثقافتها وتاريخها بثقافة المحتلين الغرباء وتاريخهم ومنذ ما يعرف بالصهوة الكبرى (1720 - 1740) وهذه الروح الرأسمالية تعيد صياغة الظاهرة الدينية الأميركية لتناسب مجتمعات لا تعبد إلا السوق ولا تتخلق إلا بأخلاق العرض والطلب²

وفي مرحلة الفساد الثقافي الحالية، من الضروري التأكيد على أن المبادئ الاقتصادية التي يعظ الحكام بها إنما هي أدوات سلطة، مثلها مثل مبادئ الديمقراطية وحقوق الإنسان الموجهة للآخرين بحيث يمكن استغلالها وسرقتها على نحو أكثر فعالية، لا يقبل أي مجتمع غني هذه المبادئ لنفسه إلا إذا قدمت له منافع مؤقتة صادقة، ويكشف تاريخ هذه المجتمعات أن الافتراق الحاد عن هذه المبادئ كان عاملاً هائل الأثر في التنمية³ يولد اقتصاد السوق الخالي من الضوابط وحيث المال هو المحرك والهدف الوحيد، الفساد والعنف، يولد نظام مملكة المال، الفساد، وأيضاً العنف: يعتبر التفاوت الفظ في مدنا بين الثراء الفاحش من ناحية والبطالة من ناحية والمستقبل الخالي من الأمل لملايين الشباب من ناحية أخرى، منبعاً لانفجارات العنف والتخريب: المظاهرات

¹ المصدر السابق ص 8.

² منير العكش - تلمود العم سام: الأساطير العبرية التي تأسست عليها أميركا ص 11 ، 12.

³ نعم تشومسكي - المرجع السابق ص 174.

الشعبية، سرقات السيارات، الحرائق، المحلات المنهوبة في إنجلترا، في أكسفورد، في برمنجهام، في نيوكاسل لن تحل المشكلة بالردع الأمني طالما ظل الأكثر حرماناً بدون عمل وبدون مستقبل، لدينا هنا في ضواحيننا نموذج مصغر لما تفاقم في العالم الثالث، لنفس أسباب التناقض بين البذخ والتميش، يمكننا أن ننتظر نفس انفجارات اليأس، نفس هوس التخريب طالما لم يتم إقامة قسمة أخرى- ليست استعمارية- للثروة والسلطة.¹

وإذا ما أردنا أن نكون دقيقين فالمجتمع الغربي الأميركي والأوروبي- ليس مجتمعاً حضارياً إذا ما تكلمنا عن الحضارة، ولا إنسانياً إذا ما تكلمنا عن الإنسان، ولا أخلاقياً إذا ما تكلمنا عن المجتمع- أو العلم على حد سواء- فهو مجتمع السلطة، مجتمع "البقاء للأقوى".. وإذا ما أردنا أن نكون أكثر دقة، فيمكن أن نسميه مجتمع الشركات متعددة الجنسيات (أو مجتمع السوق) ولأجل هذا قامت- وتقوم- أميركا، لأجل هذا أميركا تغزو العالم، ولأجل هذا بدأ الاستعمار الكولومبي، الذي لم ينته حتى اليوم لا سيما لنفس السبب: تعظيم الإنتاج، ونهب الشعوب، وضم مقدراتهم إلى مقدراتها. (أدت خمسة قرون من الاستعمار إلى نهب ثروات ثلاث قارات، وإلى تدمير اقتصادياتها وتكبيّلها بالديون).²

هذا ما يعبدون

كل ما تتكبد به البشرية وتعانيه ليس دليلاً على أنه ليس هناك إله- كما يحتج بذلك مدعو العقلانية: الملاحدون- بل هذا معناه أنه ليس هناك إله لهم- ولو كانوا حتى يتبعون ديناً غير إبراهيمياً لكانت البشرية أفضل حالاً من هذا!- يقول جارودي (يقودنا دين

¹ روجيه جارودي - المرجع السابق ص 59، 60.

² روجيه جارودي، حفارو القبور.. الحضارة التي تحضر للإنسانية قبرها، المرجع السابق ص 17.

الوسائل هذا إلى الهاوية، حفارو القبور هم هؤلاء الذين يروجون له، هكذا يحفرون- بلاتبصر- قبورنا مضيئاً أنه ليس للحياة معنى إلا بالاعتقاد في وجود إله، نحن نعيش اليوم تحت شكل جديد من الهيمنة، هيمنة وسائل الإعلام ويتطلع الملايين من كل لون ومذهب إلى أن يصبح لحياتهم معنى!¹

مخالب الاستعمار الجديد

أما في العالم القديم- في خضم الحقبة الاستعمارية الأولى- فيعطينا العكش فكرة عن هذا الإله الجديد وفكرة قيام أميركا الاستعمارية قائلاً:-

لم يكد بريق الذهب يخطف عيني كريستوفر كولومبس في معابد الهنود وبيوتهم وزينة نسائهم حتى باح في يومياته (26 ديسمبر 1492) عن رغبته في أن ينكب الإسبان ثلاث سنوات كاملة على حصاد ذهب العالم الجديد ليعد به عرش إسبانيا وما يستطيع من قوة وعتاد لازمين لتحرير "أورشليم" غير أن الفاتحين الإسبان لم يكونوا في غير أورشليم ولا نفيها ولم يكن يعنهم من وصية كولومبس إلا الذهب، فبعد أن يروي بارتولومي دي لاس كازاس كيف سرق الغزاة من إحدى ممالك كوبا "4 ملايين جرام من الذهب لم يرسلوا منه إلى ملك قشتالة إلا النزر القليل" يقول: إن زعيماً هندياً يدعى "هاتوي" سأل رعيته: هل تعلمون لماذا يريد الإسبان أن يقتلونا فأجابه بعض البسطاء: إنهم يفعلون ذلك من أجل ربهم، إنهم يريدوننا أن نؤمن به، ولهذا يقتلوننا، وكان بين يدي الزعيم الهندي سلة صغيرة مملوءة بالذهب، فابتسم وقال لهم: "هذا هو ربهم"! هيا نرقص له ونرضيه فلعله إذا سمع دعاءنا أمرهم بأن لا يذبحونا، ثم رقص الناس حتى الإنهاك، وبعدها قال "هاتوي": اسمعوني جيداً، سوف أرمي بهذا الذهب في النهر لأنهم

¹ المصدر السابق ص 11.

سوف يقتلوننا بسببه، وكذلك فعل، ولما علم الإسبان بقصته شنقوه وقتلوا من استطاعوا من رعيته.. أما الإنجليز الذين اجتاحتهم الشمال الأميركي فقد بارزوا الإسبان في القتل والفتك لكنهم كانوا أكثر روحانية في عبادة (عجل الذهب)! فمنذ وصول ما يسمى بالحجاج الإنجليز إلى العالم الجديد كانت "الرأسمالية المتوحشة"- ورأسمالية اليوم ليست أقل وحشية، وعدم إنسانية من رأسمالية الأمس والأمس البعيد وتجارة العبيد، ونهب أملاك الهنود أسمى تعاليم (إله التراب).. خلال الزحف باتجاه الغرب أباد الغزاة الإنجليز أكثر من 400 أمة وشعب في هذه المنطقة التي يطلق عليها اليوم اسم الولايات المتحدة¹ لكنهم نذروا كل ذلك لربهم الذي كان يكلمهم قبل كل مذبحة ويخوض بفهم في دم أعدائهم ويضفي على "فكرة أميركا" وما تتضمنه من إبادة عرقية وثقافية بعداً أخلاقياً نبيلاً مستعاراً بكل تفاصيله من "فكرة إسرائيل" التاريخية² أين الهمج؟ قال الأسقف- دي لاس كاساس:- الهمجية جاءت من أوروبا!³

شيء عن القارة المدفونة قسراً.

عندما نتكلم عن منزل، فنحن نقصد: مبنى وحوائط، سكان، آلات وأدوات زينة وحلي وملابس وبعض الأشياء الأخرى.. فماذا لو تكلمنا عن قارة كاملة اختفت قسراً لم يتبق منها إلا بعض العظام والحطام والذكريات؟ قارة حلت محلها أمة وثقافة أخرى.. ثقافة أكثر وحشية وعدمية ولطالما أن أهل مكة أدري بشعابها، فجارودي أفضل من يحدثنا باستفاضة عن تلك القارة فقال:

¹ انظر مرجع التفاصيل: المدينة المقبورة: نكن شنتكه - فكرة أميركا ص 358.

² منير العكش - تلمود العم سام.. انظر الصفحات: 9، 10، 11.

³ روجيه جاردودي - حفارو القبور.. الحضارة التي تحضر للإنسانية قبرها، المرجع السابق ص 18.

إنه لمن النفاق ادعاء "التضحيات الإنسانية" ومحاولات إضفاء الشرعية على ذبح 80% من سكان هذه القارة بسبب الأشغال الشاقة في مناجم الذهب والمزارع لتحقيق حاجات العواصم الاستعمارية الغربية فقط جاء ذلك في شهادة السيد بارتالوم دي لاس كأساس في كتابه "العلاقة الصامتة لتدمير الهند الغربية" وهو الذي طرد من أسقفيته في التشيباس على أيدي المستوطنين من تجار العبيد- مضيفاً أنه- لا تنتمي مطاردة الهنود إلى الماضي فقط، أو إلى العنصريين من المستوطنين الأوائل فهي ما زالت مستمرة في الولايات المتحدة وكندا وحتى غابات الأمازون، حيث يقوم كبار ملاك الأراضي بذبح الهنود¹، كانت صيحات التذويب الثقافي تواكب حفلات السلخ، وتدعو إلى تدمير هذه الهندية وإعادة بنائها بحجارة التاريخ الأبيض والدين الأبيض واللغة البيضاء.

إن نهب ما تبقى من أرض الهنود لا يتم إلا بتدمير هندية الهنود: ثقافتهم وبنيتهم الاجتماعية التي لا تؤمن بالملكية الفردية، لقد صارت ثقافة الهنود مضرّة بالمصلحة الوطنية وليس هناك عدوان على أميركا أخطر من الإضرار بمصلحتها الوطنية، وليس هناك عدوان الذي قد يشمل كل ما يخطر على بالك بدءاً بالسطو على حسابك المصرفي (وحياتك عند اللزوم!)، وانتهاء باستثمار آبار نفطك وثروات بلادك، والتزاماً بهذه المصلحة كان لا بد من خلق جديد لهندي ليس له من هنديته إلا البيولوجيا، لا بد من صياغة جديدة لوعيه وذاكرته وأخلاقه ومسلمات عقله فإذا تعذر قتل الجسد لا بأس من استبطان الموت، ولا بأس به كائنًا طافحًا بالمحو ومزينا بالريش أو تمثالًا حجريًا منصوبًا فوق قبة الكابيتول- رمزًا ساديًا للحرية- ولا بأس أن يعرف هذا الهندي كل شيء إلا ذاته، وفي هذا الإطار اعتبرت الشعائر الروحية للهنود خطراً- وقس هذا وغير هذا- على مسلمي أندلس الأمس وما يجري بسعي لمسلمي عرب اليوم، كهدف إجرائي لوأد الثقافية الدينية والاجتماعية والأخلاقية – بتقويض الدين، أساس الهوية والعبث في العقيدة – وتم تحريم ممارستها، هكذا يمارس الهندي اليوم شعائر روحية منتقاة بأسلوب يتناغم مع

¹ المرجع السابق ص 18.

(المصلحة الوطنية) ومع البرامج السياحية التي ينظمها البيض، ولكي تؤتي حملة التذويب – العرفي والثقافي – ثمارها فتقتلع جذور الكراهية غير المبررة من نفوس الهنود وتشرح صدورهم للتخلي عن أراضيم رفعت شعار مفوض الشؤون الهندية فرانسيس لوب: أقتل الهندي واستثن الجسد (حرفيًا: استثن الجسد).¹

في تلك الفترة كان افتراس الروح الهندية قد بلغ مرحلة الاجترار والاستهتار الذي يصفه أحد فلاسفة الحركة الهندية فاين دولوريا – من شعب سو صاحب الإله الأحمر – بقوله:

إن الوجود الملتبس للهنود قد انعكس على معتقداتهم الروحية فأغرى الكثيرين باستباحة تزويرها وتشويهها وتسويقها إلى درجة أن الهندي صار يتعرض للسخرية والضحك حين يقف في وجه هذا السيل من التلفيق ليقول الحقيقة، إنهم لا يكتفون بتكذيبه، بل إنهم سرعان ما يوبخونه ويسألونه بعجرفة أن يتعلم تراثه جيدًا وفقًا لما كتبه الخبراء (غير الهنود!) وأن أبناء الهنود في المدارس والجامعات الأميركية اليوم يروضون على رؤية أنفسهم وثقافتهم ومعتقداتهم الروحية وفقًا لما يقوله هؤلاء "الخبراء" وليس وفقًا لتقاليد آبائهم وأجدادهم التي ورثوها جيلاً عن جيل، هناك ثقافات ومعتقدات هندية يخلتها هؤلاء "الخبراء" ويجبرون الهنود أنفسهم على اعتناقها بعد أن صارت لهم وحدهم كلمة الفصل فيما هو هندي وليس بهندي!. أما الباحثة الهندية الكندية بام كولورادو فتذهب إلى أبعد من ذلك حين تقول: إن هذا التزوير – الثقافي – يهدف إلى اختراق وجدان الهنود وخلقه من جديد لكي يروا أنفسهم بعيون جلادهم، إننا نتحدث هنا عن استعباد روحي مطلق يستكمل أهداف الاستعباد الجسدي، أما إذا نجحوا بهذا فإن أرواحنا التي لم يبق لنا غيرها ستتبخر كما تتبخر حبات المطر في فوهة البركان ففعلاً فإن كثيراً من أطفالنا فقدوا أنفسهم ومعنى حياتهم بعد أن تحولت ثقافتهم إلى عجينة من الشمع المحترق، فاللعبة المفضلة لدى أطفال الهنود اليوم كما يقول

¹ منير العكش - أميركا والإبادات الجماعية: حق التضحية بالآخر ص 116، 117.

الممثل الهندي تشارلي هيل هي "لعبة الكابوي" حيث يرتدي الطفل الهندي ملابس الكابوي ويتسلّى بتصويب مسدسه على الهنود كما في السينما، ولكي نتصور فظاعة الهيمنة الثقافية – كما يقول هيل – دعنا نتخيل أطفال اليهود يلعبون لعبة اسمها "النازي" حيث يتزين الطفل اليهودي فخورًا باللباس والشعار النازي ويتسلّى بحرق اليهود! إن الحديث عن المذبحة الروحية التي نتعرض لها ليس استعارة بلاغية فأرواحنا الآن هي التي تباد.¹

يضيف العكش قائلًا:

قرأت الكثير عن ظاهرة "الخوف من الذات" و"كراهية الذات" و"العنصرية ضد الذات" وعن الإرهاب الثقافي والنفسي "الأبيض" الذي جعل بعض السكان الأصليين يعتبر هويته كابوسًا وبجاهر بالقول "أتمني لو أنني لم أخلق هندياً!" -ونكاد نكون نحن العرب هنا وصلنا لتلك الدرجة التي يلعن فيها بعض المغفلين عروبتهم.. ويتمنون ولو أن كانوا من أصل أبيض!- لكن وجه الفتاة وهي تدعوني إلى أن أناديها باسم إنجليزي ذي أصول سلتية وليس باسمها الهندي كان أبلغ من أي كتاب، أنه سرد حي لفصل مأساوي آخر من فصول "فكرة أميركا" – فكرة احتلال أرض الغير واستبدال شعب بشعب وثقافة بثقافة .. حتمت على هؤلاء الأشقياء الذين نجوا بأعجوبة من أطول حرب وأدمى إبادة في التاريخ البشري أن "يتطهروا" من أسمائهم وأخلاقهم وثقافتهم وأجسادهم ويمثلون دور الموتى، هناك شعوب هندية كثيرة لم تفقد أسماءها الحقيقية وحسب بل صارت لا تُعرف ولا تُعرف نفسها إلا بالاسم الذي شنعها به غزاتها.²

في أول معركة خاضتها أميركا على طريق نهاية التاريخ، واجه أكثر من أربعمئة أمة وشعب من هنود أميركا قسوة الإبادة أو العبودية المطلقة، وواجه ستون مليون إفريقي

¹ منير العكش - تلمود العم سام: لعنة كنعان الانجليزية ص 74، 75.
² منير العكش- أميركا والإبادة الثقافية: لعنة كنعان الانجليزية ص 16.

قسوة العبودية والموت في أبشع تجارة للعبيد عرفتھا الأرض¹، لا نستطيع أن نفهم شيئاً من الأوضاع الفوضوية وأحياناً من احتضار بعض مناطق العالم، مثل إفريقيا السوداء، ولا من موجات التطرف والتدمير المادي والروحي لمجتمعاتهم وثقافتهم، وذلك إذا ما تجاهلنا خمسة قرون من الاستعمار، ترتب عليها الإخفاقات والانتفاضات وموجات الجنون التي نعاني منها اليوم².

وكانت التجارب العلمية التي أجريت على الهنود قد مدت الخيال الأدبي والشعبي ملحمة عن حتمية إبادة الهنود وانقراضهم تلقائياً بسبب طبيعتهم المنحطة! ولك أن تتخيل كيف ترجم هذا المسخ العلمي إلى مذابح وتطهير عرقي مع مجيء الرئيس أندرو جاكسون الذي أباح لكل فرد أميركي أن يطرد الهندي من أرضه وبيته وأن يستولي عليهما ومع حملة إبادة هنود تكساس عندما عرضت الدولة مكافأة لكل من يأتي بجثة هندي رجلاً كان أو امرأة أو طفلاً أو شيخاً مهما كان شعبه أو قبيلته، وكما يقول نيوكوم في كتابه عن هنود تكساس: إن الأميركي لم يكن يرى في حياة الهندي أكثر مما يرى في حياة الكلب بل أخط منها في بعض الأحيان! .. هذه أميركا الأرض التي وعد بها الشعب الأنجلوسكسوني³ المختار في بلاد الهنود منذ آلاف الأجيال⁴.

دين العصر الجديد!

تقدم الهند النموذج التقليدي لعمل الآلية الاستعمارية، حيث عانت المصائب الثلاث – والكلام لجارودي:-

¹ منير العكش - تلمود العم سام، ص 267، 268.

² روجيه جارودي - المرجع السابق ص 18، 19.

³ الأنجلوسكسون هم القبائل الجرمانية التي غزت وسكنت بريطانيا في القرنين الخامس والسادس للميلاد، تلك القبائل هي الإنجلز والسكسون واليوت، وقد تركوا أوطانهم الأصلية وهي شمال ألمانيا وهولندا والدنمارك واتجهوا نحو بحر الشمال على متن مراكب خشبية.

⁴ منير العكش - تلمود العم سام ص 277، 278.

o خلق طبقة متميزة من العملاء يخدمون المستعمر نظير أجر عال على حساب بقية الشعب.

o تسخير الاقتصاد كله لخدمة المستعمر، بشكل يصعب الفكاك منه، حتى بعد التحرر من المستعمر.

كتب السفير المقيم في مورشيد آباد في عام 1769: "إن هذا البلد الجميل الذي كان مزدهراً في ظل أكثر الحكومات استبداداً وتعسفاً أصبح على شفا الخراب منذ اشترك الإنجليز في إدارته".

- كشف التقرير الرسمي لشركة الهند في عام 1770 عن أنه "هلك أكثر من ثلثي السكان في الضواحي التي كانت سابقاً مزدهرة في برنيش والمأساة كبيرة في أماكن أخرى أيضاً " كما كتب الحاكم العام للهند الورد كورنواليس عام 1789 هذه الشهادة: "يمكنني أن أعلن بكل ثقة أن ثلث أراضي الشركة في هندوستان أصبحت الآن غابة تسكنها الحيوانات المتوحشة فقط"¹.

إن كل تاريخ أميركا كما يرى هربرت غانس كان حرباً على الضعفاء والضحايا والفقراء والمظلومين، استخدمت فيها كل أسلحة التشويه والتشنيع والتزوير الممكنة لقتل روح هؤلاء الضحايا وأخلاقهم، إنها تطلب منهم دائماً أن يبرهنوا على آدميتهم ويثبتون حسن سلوكهم لجلادهم ضمن شروط معجزة تختلف عن شروط حسن السلوك التي يطلبها الذئب من النعجة والمزارع من البقرة، وقد وقع بعض الهنود في هذا الفخ، كما وقع الفلسطينيون وبعض العرب والمسلمون الذين صار قصارى جهدهم أن يستجدوا من أعدائهم شهادات حسن سلوك لأنفسهم أو للعروبة والإسلام فكانوا وهم يقدمون لجلادهم البرهان بعد البرهان على آدميتهم وحسن سلوكهم يحفرون قبورهم بأيديهم ويمهدون الطريق لإبادتهم، كل ما أرادته هذه الحرب النفسية هو أن تضيف مزيداً من

¹ روجيه جارودي- المرجع السابق ص 19.

التعاسة والشقاء إلى حياة الضحايا من الهنود والسود والفقراء والعرب والمسلمين - والكلام للعكس - وتعريضهم من بشرية البشر لتجعل منهم فريسة سهلة، أنها كما يصفها غانس في كتابة الرائع (الحرب على الفقراء):

حرب تشنيع وتجريح وتعيير وسحق لهؤلاء الضحايا، لجأت إلى التشكيك في طبيعتهم وأخلاقهم وقيمهم وإنسانيتهم لتشجيع اليأس من وجودهم ومن مستقبلهم، بهذا تصبح مساعدتهم هدرًا ويصير إنقاذهم عبثًا لأنهم (وهذا بيت القصيد في هذا المنطق العلمي) منحطون طبيعيًا وأخلاقيًا ومسؤولون وحدهم عن كل ما أصابهم!¹

يضيف العكس في موضع آخر قائلاً:

كانت حرب التشنيع على الهنود جزءًا من حرب الإبادة والتوسع حتى آخر شبر في أرض كنعان، لم يترك التوسع للأميركيين أي أمل في قبول الهنود ضمن الأسرة الإنسانية ولم تبق لهم "إرادة الله" أي خيار غير إبادتهم، كانوا يرون في هذا التوسع - كما يقول مؤرخ الأديان توماس ميتلا - استمرارًا لمسيرة موسى إلى أرض الميعاد، أن شهوة التوسع الجائعة أبدًا إلى أرض الهنود الطيبة والعطشى أبدًا إلى دماء الهنود الزكية جعلت الحكومة الفيدرالية تضرب رقمًا قياسيًّا في نقض معاهداتها مع الهنود، فأميركا التي وقعت 371 معاهدة مع الهنود لم تحترم واحدة منها، لقد نقضتها كلها، وهذا ما عبر عنه الزعيم الهندي ردكلاود، بقوله: لقد عاهدونا ووعدونا بالكثير مما لم أعد أحصيه ولا أتذكره لكنهم لم يحترموا من كل عهودهم ووعدوهم إلا واحدًا، قالوا إنهم سيأخذون بلادنا منا وقد نفذوا ذلك فعلاً!

وحين كان الوزير جيمس باربور يتفاوض مع الهنود على معاهدة جديدة قال:

إنهم يرون بأعينهم أن بياناتنا ثرثرة فارغة، وأن وعدونا كاذبة وأن طمعنا في الأرض يجعل حياة الهندي عندنا ضحية رخيصة مبتذلة إننا نقول للهنود الآن إن لهم أن

¹ منير العكس- تلمود العم سام ص280.

يختاروا ما شاءوا من الأرض لأنفسهم ولكنهم يسألوني: كيف سنثق بأنك لن تنفينا من جديد عندما تشتبي امتلاك تلك الأرض، أنهم يعرفون أن مد الإنسان الأبيض قد فاض وإنه لن يتوقف إلا عند شواطئ المحيط الهادي¹.

الاستعمار لا يستهدف شعوبا لأسباب أيديولوجية، بل أن الأيديولوجية ذريعة ووسيلة لاستعباد الضعفاء ونهب مقدراتهم وتحويل أرضهم سوقا لاقتصادهم. واستحالته وطننا آخر وثقافة أخرى وهوية أخرى.. لجعل الغني أكثر ثراء والفقر أكثر فقرا.. ولطالما الحرب هادئة لا تزعج نائما، فليأخذوا ما شاءوا.. وليتركونا وشأننا.. نائمين!.

وعندما نتساءل من هي أميركا؟ يكون الجواب لا شيء!.

يخربون البيوت وأوطان الضعفاء.. فيسمون تهجيرهم القسري نزيحا وإيواء! ويعتبرون سرقة العقول أصالة وهي تجارة ويسمون ذلك اهتماما بالعلم والعلماء وينسبون ما عملوا وعلموا لأميركا.. وأصلهم من كل بلاد العالم.. إلا أميركا! يعيشون على أرض ليست أرضهم، وعلم لم يوجدوا أصوله، بل سرقوه ونسبوه قسرا.. سرقوا من الأراضي والأوطان والمقدرات والعلوم والفنون ودمروا حضارات وثقافات الشعوب والمستضعفين في الأرض.. لبناء الحضارة -المادية- المزعومة. هم حفنة من المهاجرين والهواة والضالين والمضلين والمغييبين واللقطاء.. حفنة من جمعة المال وآمال الفقراء.. حفنة من عبدة السوق، الذي لا مبادئ ولا أخلاق تحكمه.. البقاء عندهم للأقوى.. والأقوى هو الأغنى.. أما الفقراء فمنحطون.

هذا المجتمع الذي يدين ويتدين بالرأسمالية

حيث البنوك هي المعابد..

والمصرفيون هم الكهنة..

¹ منير العكش - تلمود العم سام - ص 284، 285.

والثروة هي الجنة..

والفقر هو الجحيم..

والأغنياء هم الاتقياء والقديسين..

والفقراء هم الخطاة والزنادقة..

والاستهلاك هو الشعائر المقدسة..

حتى أحل السوق واقتصاد السوق في هذا العصر (الذي سأسميه تجاوزا بالمتقدم) محل الله.

قد عبر عن ذلك، الاقتصادي (الشيوعي!) كارل ماركس بصورة أكثر وضوحا عندما قال: (إن الرأسمالية ستجعل كل الأشياء سلع: الدين، الفن، الأدب.. وستسليها قداستها).

فأميركا دولة عظمى ومتقدمة وأخطبوطية فقط لأنها غنية وماكرة (لأن الحرب - الثقافية- تستلزم هذا).. لا لشيء آخر.

ويؤكد تلك الفكرة (جارودي) فيقول مضيفا: "اقتصاد السوق" هذا الذي يطلق عليه اسم ملائكي وخادع، "حرية السوق" خلقت مجتمعا يدعي كل شخص فيه وهو يستهدف مصلحته الشخصية، أنه يحقق المصلحة العامة، أيضا ما يطلقون عليه بفضول "الليبرالية" هي غابة، حيث الصراع على مستوى الأفراد والأمم والعالم، والنتيجة الحال التاريخي الراهن، شيء لا يرغب فيه أحد - مضيفا أن - كل أشكال التطرف في العالم الثالث هي ردود أفعال لرفض هذه الديانة - يقصد السوق - التي لا تجرؤ على أن تبوح باسمها والتي هي بالفعل الوحيدة التي تسيطر في العلاقات الدولية(...) أطلقت عبارة "حفارو القبور" -والكلام ل جارودي - على هؤلاء الذين يمجدون هذه الديانة الشمولية لوحداية السوق، مضيفا ستندلع ثورات أخرى

وانفجارات أخرى ضد هذه الديانة العدمية، ضد حفاري قبور الإنسان، من آسيا وإلى إفريقيا وإلى أميركا اللاتينية، في أشكال دينية ضالة أحياناً، لكن في أشكال دينية لأن المقصود مشكلة دينية، تلك الخاصة بمعنى الحياة! - مضيئاً أن - حضارة الغرب غير قادرة على الإجابة على هذه المشكلة الإنسانية إلى أقصى درجات العمق - وخلص في النهاية إلى .. ألا يعني ذلك تعريضاً لها بالانحطاط؟¹

كيف يمكن لمجتمعاتنا عديمة المبادئ -والكلام لجارودي- دمج إخواننا المهاجرين وهي تنكر ما يمكن لإيمانهم أن يضيفه إلى كفاحنا الخاص ضد وحدانية السوق؟ كيف يندمجون فينا ونحن نستقبلهم بأذان وأبصار وقلوب رافضة مغلقة؟ ليس أمامنا إلا أن نعيش معاً أو نسقط معاً²

وببدو أن مصير البشرية أجمع يتجه للهلاك، لطالما تحكمه - أو تحاول ذلك - تلك الأمة الجشعة البشعة المتعطشة لسفك الدماء واحتلال أرض الغير وتشويه الثقافات وعداء الآخر، وهذا أبعد ما يكون عن مفاهيم الحضرة والتمدن، يقول صاحب "حفارو القبور.." إن:

الانحطاط هو قطع أو اصر النسيج الاجتماعي، لتحويل المجتمع إلى ذرات، لتخريب العلاقات بين الجماعات القومية، الاجتماعية أو الدينية، وذلك عندما لا تعتبر وحدة العالم هدفاً نهائياً وقاعدة كبرى .. يعني الانحطاط على المستوى الفردي، الاهتمام بالنفس ورفض الآخر ورفض أي مسئولية تجاهه، وعلى مستوى الجماعات، هو النزوع إلى السيطرة، مضيئاً أن عبادة السوق والملكية المطلقة للمال تقود مجتمعاتنا -كل مجتمعاتنا - إلى الانحطاط وإلى الموت، أصبحت السيطرة العالمية التي تمارسها الولايات المتحدة شاملة بعد حرب الخليج وأصبح ما يحدث في بقية العالم انعكاساً لحد ما لما يحدث في الولايات المتحدة، وإذا استسلمنا لذلك فسوف نتحرك جميعاً تجاه عالم

¹ روجيه جارودي-حفارو القبور، انظر الصفحات 26 ، 27.

² المصدر السابق ص 30.

الفساد - ذلك إن لم نكن بالفعل نعيش في عالم - أو قل مستنقع- الفساد!- تمثل الولايات المتحدة كل أعراض الانحطاط، وبصورة أكثر عمقاً من الانحطاط الروماني، وذلك بقيامها بالآتي:

- تفكيك النسيج الاجتماعي من خلال تراجع المسؤولية الجماعية لصالح الأنانية واللامبالاة.

- تفكيك المجتمع بسبب تزايد عدم المساواة، "التمييز العنصري" الاقتصادي والثقافي.

- تفكيك مستقبل المجتمع بسبب محاولة الاستفادة القصوى من الحاضر على حساب المستقبل باستخدام الوسائل المتاحة دون الوعي بالأهداف النهائية الكبرى.¹

المدرسة .. أداة التذويب الثقافي

في ظل الحرب الثقافية، فالأسلحة المعنوية - الفكرية - التي تخترق الروح وتدمر العقل هي أكثر فتكاً من تلك التي تصيب الجسد وتسحق العظام .. وتقل فيها المقاومة ويزيد فيها الاستسلام وصراع الدول - وخصوصاً دول الجنوب - وتأخرها وتناحرها سببها الأول أنظمة التعلم البالية والقسرية .. إذ أنه (تمثل مناهج التربية والتعليم واحدة من البوابات الكبرى لاختراقنا الثقافي وخلخلة ثوابتنا العقيدية والفكرية، وإغائها إذا اقتضى الأمر)²

ويقول العجيري مضيفاً ومفيضاً:

¹ المصدر السابق ص 68، 69.
² عماد الدين خليل - أميركا مرة أخرى ص 47.

نحن في عصر تقدمت فيه التقنية بشكل هائل وأصبحت الأفكار تشكل خطورة فائقة في التأثير والانتقال، حتى قيل: إن الحرب الحقيقية في هذا العصر هي حرب معلوماتية فكرية بالدرجة الأولى، فبواسطة الأفكار والمعلومات يمكن تدمير أقوى النظم السياسية والاجتماعية والأخلاقية وتفكيك أشد القيم تماسكاً، وتكمن خطورة حرب الأفكار في أنها تهدف إلى إخضاع الإنسان من خلال السيطرة على تفكيره والوصول به إلى النتائج التي يريدتها الخصم دون الحاجة إلى استخدام القوة، وإنما من خلال بناء إدراكات وإيحاءات لديه توصله إلى مرحلة التسليم لإرادة الآخر، والقبول بها وكأنها الحل الأمثل¹ لقد أدرك الغرب قبلنا خطورة وتأثير الأفكار فسلطانها غير محدود بمكان أو زمان أو أشخاص ولذلك قال المفكر الألماني (هاينه) محذراً من مغبة الاستخفاف بسيادة الأفكار وتأثيرها: "إن الأفكار الفلسفية التي يطرحها أستاذ من مكتبه الهادئ قادرة على إبادة حضارة بكاملها!"

لقد كتب روبرت رايلي - مدير إذاعة صوت أميركا والذي ظهر لأول مرة في صحيفة واشنطن تايمز بتاريخ 2002/1/28 - مقالاً بعنوان: "كسب حرب الأفكار" ومما جاء في ذلك المقال قوله: الطبيعة الحقيقية للصراع، صراع المشروعية الفكرية في قلوب وعقول الناس وليس القوة العسكرية، إن الحروب تخاض ويتم فيها تحقيق النصر أو الهزيمة في عقول الناس قبل وقت طويل من بلوغها نهايتها في ميدان قتال بعيد وهذه حقيقة يثبتها الواقع، فكم من هزيمة عسكرية كانت نتيجة حتمية للهزيمة الفكرية والنفسية - الاتحاد السوفيتي مثلاً - وذلك من خلال ما يبثه الخصم من أفكار ومعلومات مضللة ينشط بها ضمن الصفوف الداخلية لأي مجتمع من أجل تفكيكه وتحطيمه معنوياً ونفسياً².

وأخذ هذا (الاختراق) الفكري والثقافي - يتأكد أكثر وأكثر في عدد من البلدان العربية:

¹ عبد الله بن صالح العجيري - ميليشيا الإلحاد ص 208.

² المصدر السابق ص 209.

مايسة عبد الرحمن أعدت على سبيل المثال - دراسة عن تطوير مناهج الدراسة والتربية في مصر وقد تطرقت في دراستها إلى "مراكز تطوير المناهج" الذي أسسته الحكومة المصرية سنة 1990م بأموال معونة أميركية .. وقد ذكرت كما ذكر الكثير من المتابعين غيرها - والقول للخليل - إن هذا المركز يضم 29 مستشارًا أميركيًا من الاختصاصيين الذين يعملون أصلًا في مركز تطوير التعليم في واشنطن .. وبين هؤلاء المستشارين الأميركيين اثنان من اليهود.

ومن بين هؤلاء المستشارين: د. جيرالد فيرس، د. بيتر نويمان، د. جون كابروود، د. ديفيد بيتس، د. ايفرد كيتش، د. ليندا لامبرت¹

لقد كانت غزوة الحضارة الغربية للمجتمع المسلم من أكبر التحديات التي واجهت الأمة الإسلامية-والكلام للجندي- إذ كانت بالغة الأثر على البناء الاجتماعي من حيث أنها حجبت الشريعة الإسلامية وفتحت أبواب الإباحة والتحلل وهدم القيم بإيقاف حدود الله تبارك وتعالى وتأثر البيت المسلم بذلك، حيث جرى تدمير القيم الإسلامية والحيلولة دون سيطرتها وإذابة المسلمين والعرب في بوتقة الأممية وإخراجهم من ذاتيتهم الخاصة وفرض ثقافة الغرب عليهم حيث غلبت مداخل الربا إلى الاقتصاد الإسلامي وتمزيق ثروة الأمة، وكان أخطر ذلك كله سيطرة القانون الوضعي حيث كان التعليم هو الخنجر المسموم الذي طعنت به الأمة الإسلامية، أما المدرسة فقد حجبت عنها المفاهيم الإسلامية التي يقدمها القرآن الكريم والسنة النبوية حيث فرضت نظرية داروين التي ما تزال تدرس في أغلب البلاد الإسلامية وهي المدخل الأكبر إلى الإلحاد وتدمير الشخصية الإنسانية والتشكيك في قضية الخلق القرآنية. وقد أضيف إليها كثير من نظريات الفلسفة المادية والعلوم الاجتماعية والنفس والأخلاق حيث كان التصور المادي أن الإنسان تحكمه غرائز

¹ عماد الدين خليل، المرجع السابق ص 47.

الجنس -كما كان يتصور ويؤمن سيجموند فرويد..أبو المادية والنظرية الجنسية- ثم توسعت نظريات الفكر الغربي من جانبه الليبرالي الرأسمالي والماركسي¹.

يضيف الجندي في موضع آخر قائلاً:

وكان الفارق الواسع والعميق بين المنهج الغربي الوضعي الوافد وبين المنهج الغربي الوصفي الوافد وبين المنهج الإسلامي، ذلك العامل الأساسي الأصيل: "أخلاقية المجتمع" فقد أقام الإسلام منهجه على أساس الأخلاق التي هي جزء من العقيدة الإسلامية، فالإسلام عقيدة ومعاملات وأخلاق، والأخلاق في الإسلام من الثوابت التي لا تتغير مع الزمان أو البيئات، وهنا موضوع الخلاف الواسع والعميق مع المنهج الغربي أو الثقافة الغربية - الذي يتحدث عن "نسبية الأخلاق" ويربطها مع التطور بينما يجعلها الإسلام من القواعد الثابتة.

- ومن هنا كان تحريم الإسلام للخمر والزنا والقمار وإقامة الحدود وكان موقف الإسلام من مفاهيم الغرب من الإباحية الاجتماعية وإعلان عدم فطرية الأسرة وفطرية الجريمة.

- ومن هنا كانت مقاومة الإسلام للترف والتحلل الذي يحطم المجتمعات والشباب ويفرغ الأمم من طاقات المقاومة والرباط وحماية الثغور.

- ومن هنا كان رفض الإسلام للقوانين الغربية الخاصة بكل الموبقات وقد تبين أن أعظم المجتمعات الغربية ثراء هي أكثرها ارتباطاً بتعاطي المخدرات وكثرة الانتحار.

- ومن هنا كانت حماية القيم الأخلاقية من ثوابت المجتمع التي يجب الدفاع عنها وحمايتها حتى لا تسقط والتي هي أساس "هوية الأمة" وخصوصيتها الذاتية².

¹ أنور الجندي- عطاء الإسلام الحضاري ص 77.

² أنور الجندي- المرجع السابق ص 79، 80.

وهنا يقول العكش راويا معاناة شعوب أميركا الأصليين الذين أبادهم الاستعمار روحيا وثقافيا وماديا.. قائلا:

كذلك اقتضت المصلحة الوطنية ترحيل أطفال الهنود عن أهلهم وإخضاعهم في أبكر سن ممكن لغسيل دماغ منظم داخل معسكرات مدرسية أعدت خصيصًا لنحت أرواحهم وتتولى "الهيئات الفنية" إعادة صياغة ذاكرتهم الجماعية ووعيمهم لأنفسهم وللعالم¹ استباحة الجسد وتدمير المظهر الخارجي والهوية الثقافية للطفل الهندي في معسكرات تعذيب سميت زورًا بالمدارس هي مقدمة لأزمة لاقتلاع دماغ هذا الطفل واستبداله بدماغ أبيض عامرا بذاكرة الغزاة ولغتهم وملكة حكمهم ومزاجهم وأخلاقهم ودينهم.. يجلس هؤلاء التلاميذ أمامك خرساء، لا يفقهون كلمة مما تقول ولا يقولون كلمة مما تفهم، وجوههم الحزينة المسكونة بمشاعر الشوق إلى الأهل والبيت ليست مشجعة، كل شيء يبدو غريبًا في أعينهم، كلما تلمسوا رؤوسهم وجدوها عارية مكشوفة بلا جدائل ولا شعر طويل، ملابسهم غير مريحة، ولا تشبه ملابسهم، أنهم لا يفهمون لغتك، كما أنك لا تفهم لغتهم، يراقبون كل نظرة من نظراتك وحركة من حركاتك، أنت تبتسم وتقول (صباح الخير) وهم يبتسمون ببأس حزين ولا يردون تحية الصباح، ثم تلجأ إلى سلسلة طويلة من الحركات والإشارات التي قد يفهمون معها أخيرًا أن عليهم أن يردوا التحية، وما أن يلفظوا (صباح الخير) بكثير من الصعوبة والتصحييف والتحوير حتى تفتح لهم بوابة على طريق الإنسان الأبيض .. هنا، على طريق الإنسان الأبيض يبدأ المعلم الأبيض - كما يقول مفوض الشؤون الهندية وليم جونز - "بإبادة الهندي وخلق إنسانًا آخر" متمدًا يعمر قلبه بحب أميركا وفكرتها وأبطالها وعلمها ورموزها وأساطيرها ومتدينًا تقيًا يعبد الرجل الأبيض، ويتنازل عن كل ما تبقى لديه طوعًا للرجل الأبيض .. منذ المدرسة الأولى.

¹ منير العكش- أميركا والإبادات الجماعية، ص 117، 118.

قال الكابتن برات مؤسس هذه المدارس "إن اللغة والدين خط الدفاع الأخير للهنود ولابد من القضاء عليهما" وقد جند لهذه الغاية في مدرسته الأخت سارة ماذر والأسقف هنري بنيامين ويبل، اللذين علما الأسرى الهنود (وكانوا أول ضحايا هذه المدارس) قصص التوراة وجعلا جدران المدرسة/ السجن تراجع معهم ترنيم الصلوات .. حولت هذه المدارس - والقول للعكش - جهدها أن توهم هؤلاء الأشقياء "لا حضارة بدون مسيحية" أو بتعبير أدق بدون "بروتستانتية يهودية" إذ أن الكنائس البروتستانتية في العالم الانكلو سكسوني فرق يهودية من حيث العقيدة (المسيح فيها مجرد ديكور والإنجيل - باستثناء قيامة يوحنا البطمي - مرجع هاشمي) ومن حيث السياسة، فرق مكابية أكثر صهيونية من أشد اليهود تطرفاً، لهذا فإن تمدين الأطفال الهنود يقتضي جعل هذه البروتستانتية اليهودية جزءاً أساسياً من تعليمهم، وفي هذا السياق شن مديرو هذه المدارس حملة تبشيرية شرسة ذات هدفين رئيسيين، أولهما: الموالاة للعلم والدولة الأميركية وثانيهما: خلق روح الفردية لتدمير النظام الاجتماعي الهندي الذي لا يؤمن بالملكية الفردية ويحول بالتالي دون سيطرة الزنايير على ما تبقى من أملاك الهنود وقد رافق ذلك تسميم هؤلاء الأطفال بكل أساطير العبرانيين¹.

كانوا يحقنون هؤلاء التلاميذ بكراهية ثقافتهم ويوهمونهم بانحطاطها وتفاهتها مقارنة بثقافة الإنسان الأبيض وكانت هذه المعاول التبشيرية لا تني عن تدمير ثقافة الهنود سواء بتشويه تصوراتهم لأنفسهم عبر التشنيع على هذه العادة أو تلك القيمة، أو التقزز من هذا السلوك أو ذاك الطقس أو الاشمئزاز من اللغة أو الدين أو بطريقة الحياة كل هذا كان يشحن الطفل بالعنصرية ضد نفسه وأهله وثقافته وبكراهية نفسه وأهله وثقافته .. ويدعه في النهاية كالمنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى: كل ما وجده الخلاص الموعود والبياض المنشود أنه فقد سلامه مع ثقافته ومجتمعه وصار متلبساً في ثقافة تعتبره غير

¹ منير العكش - أميركا والإبادات الثقافية: انظر الصفحات 133، 134، 135.

جدير بها وفي مجتمع عنصري يزدريه ويحتقره ولا يزيد أن يتلوث به، إن (رش مادر) أحد آباء حركة تبشير الهنود كان يصف الهنود الذين نصرهم بأنهم "زبالة" وأنهم "أفضل قليلاً من الوحوش التي انقرضت¹ لم تكن المدارس حملة للتنصير القسري فحسب - كما هو الحال بالنسبة للحملة الشرسة المنظمة التي يقودها اليوم العلمانيون والصهاينة والملحدون والمسيحيون .. عبر وسائل الإعلام - وأنظمة التعليم ومناهج الدراسة لا سيما - ضد القوة العظمى: الإسلام.

سواء بطرق مباشرة وصريحة أو غير مباشرة وماكرة .. تحت مسميات التنوير والحدثة والديمقراطية وغيرها من المصطلحات الباهتة - بل والتشويه والتدمير للثقافة الهندية على مدار 500 عام .. لدرجة أنه عندما يختلط سمعنا بكلمة (الهنود الحمر)، على الفور يتبادر إلى الذهن: صورة لذلك الرجل الأسود البدائي الذي يرقص بطريقة غريبة بسهمه حول فريسته البشرية - الموضوعة بقدر الماء السخن - وهم يصدرون أصواتاً غريبة، غير مفهومة .. ألخ من تلك الصورة الكرتونية الهوليوودية! ولكن في حقيقة الأمر الهنود أكثر وداعة وتسامحاً مع النفس والآخرين - كما سنرى ذلك باستفاضة في الصفحات القادمة - ليس على غرار ما نعرف عنهم وما يلقن لنا الإعلام وهوليوود من زيف وتشويه - وعزز الإعلام نفس الصورة السيئة القبيحة - أيضاً - للإسلام والمسلمين في الغرب من تشويه وادعاءات باطلة كجزء من التشويه والتدمير الثقافي والعقدي ونزع الإنسان - العربي، المسلم - من هويته وروحه ودفعه لتقديس الغرب النقي، الديمقراطية، المسالم، الرحمن، الرحيم، الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن .. وكره هويته ونفسه وروحه وتمنى لو أنه أميركي أو حتى بربري فرنسي، ولا أن يولد مسلماً أو عربياً!! .. مثلما حدث للهنود بالأمس يتكرر اليوم بكل تفاصيله المشينة في الجنوب مرة أخرى.. يقول الدكتور العكش (قرأت الكثير عن ظاهرة "الخوف من الذات" و"كراهية الذات" و"العنصرية ضد الذات" وعن الإرهاب الثقافي والنفسي، الذي جعل

¹ انظر المصدر السابق ص 139، 140.

بعض السكان الأصليين يعتبر هويته كابوسًا ويجاهر بالقول: "أتمنى لو أنني لم أخلق هندياً!"¹

وفي موضع آخر يقول:

ترددت كثيرًا في استخدام اصطلاح "الإبادة الثقافية"، لا لأن مفهوم "الإبادة الثقافية" أكثر التباسًا ولؤمًا من الإبادة الجسدية على الرغم من أنه متمم لها ولا يقل عنها خطرًا وتدميرًا، بل نحن أمام فكرة أميركا، فكرة احتلال أرض الغير واستبدال شعب بشعب وثقافة بثقافة وأمام أكبر وأطول حرب إبادة في التاريخ الإنساني المعروف وأمام دمار ثقافات ما لا يقل عن 400 أمة وشعب كانوا يعيشون في المنطقة التي تسمى اليوم بالولايات المتحدة - مضيضًا - لا يسمح التاريخ ولا المسؤولية الأخلاقية والإنسانية أن نتناسى أو نتغافل أو نتجاهل أو نتحايل على هذا الاصطلاح الذي يلوح خطره اليوم في مهد العرب وقدس أقداس ثقافتهم هذا الاصطلاح يطلق عادة لوصف التدمير المنهجي المقصود لثقافة أي شعب أو أمة، وذلك لتحقيق أهداف سياسية أو عسكرية أو دينية أو أيديولوجية أو عرقية أو عنصرية، وهي الأهداف التي تشكل الوقود الدائم لفكرة أميركا والتي لازمت الغزو البريطاني لأستراليا ونيوزيلاندا ومئات الجزر التي أبادوا أهلها ودمروا ثقافتها، هذا ما يعبر عنه الشعار الذي أطلقه مؤسس المدارس الداخلية لأطفال الهنود ريتشارد برات: "اقتل الهندي وابق الجسد" - الذي علق عليه قائلًا: إن شعار برات هذا لا يدع مجالًا للشك أن الهدف النهائي لهذه المدارس هو الإبادة الثقافية².

¹ المصدر السابق ص 16.

² المصدر السابق - الصفحات: 140، 141.

ثقافة قطع الرؤوس

الحديث عن قطع الرؤوس له جذوره القديمة، التي لم "تنقطع" حتى يومنا هذا، بل تمارس باسم الإسلام من قبل هؤلاء الذين يتغنون بالإنسانية طيلة كل يوم، فثقافة قطع الرؤوس هي أوروبية بامتياز.. حيث "حاول الأميركيان وبعض مؤيديهم من الغربيين ومن العرب أيضاً، ربط هذه الثقافة المتوحشة (ثقافة قطع الرؤوس) بالمسلمين، وادعوا أن المسلمين وحدهم هم من يمارس هذه الأعمال الوحشية وقد استغلوا ما قامت به داعش عندما قطعت بعض الرؤوس علناً أسوأ استغلال حيث ربطوا الإرهاب بكل مساوئه بالمسلمين، وأعتقد أن قطع تلك الرؤوس هو الذي ساعد أميركا كثيراً على حشد عدد كبير من الدول لحرب داعش كما قالوا! لكن التاريخ ووقائعه وأحداثه تؤكد أن الأوروبيين والأميركان هم من بدأوا ومارسوا تلك العادات السيئة، وهم أيضاً من مارسوا الإرهاب بكل تفاصيله وأنواعه.

وقد أشار نعوم تشومسكي وهو واحد من أكبر علماء أميركا وفلاسفتهم، بل هو ظاهرة عالمية بحسب وصف "نيويورك تايمز" وهو أميركي يهودي ولكنه يميل إلى الإنصاف والواقعية ولهذا فهو غير محبوب في بلده وأيضاً في إسرائيل، يقول تشومسكي هذا إن أميركا بلد إرهابي بحسب تعريفها للإرهاب، فهو "التهديد أو استخدام العنف لتحقيق غايات سياسية أو غير ذلك من خلال تخويف الناس ونشر الخوف في صفوف المدنيين وما إلى ذلك"، ويضيف: "عندما نقارن بين ما تفعله أميركا عسكرياً في العراق وأفغانستان واستخدامها فلسفة (الصدمة والرعب) وبين ما تفعله حليفتها إسرائيل سنجد أنهما يمارسان الإرهاب بطاقته القصوى ضد المجتمعات والشعوب في العالم"، والمعروف أن أميركا مارست حرباً شرسة ضد الفيتناميين وقتلت منهم عشرات الآلاف، وفعلت الشيء نفسه في العراق وأفغانستان، كما أنها أسهمت مع إسرائيل في قتل آلاف الفلسطينيين،

وما زالت تدعمها لقتل الشعب الفلسطيني وقلعه من أرضه! وأميركا فعلت كل ذلك بحجة محاربة الإرهاب والعنف في العالم، والكل يدرك أن ما تقوله أميركا لا صحة له على الإطلاق، وإلا لماذا صمتت عن جرائم بشار الأسد وكذلك جرائم الصهاينة في غزة وغيرها من الجرائم التي يتعرض لها المسلمون في أماكن كثيرة؟.

ويروي جون سميث وهو واحد ممن ترجم ما كتب عن أفاعيل الأميركيين بالهنود الحمر، وذلك خلال معركة (ساند كريك) فقط، ارتكب الجنود الأميركيون أفظع مجزرة في الهنود الحمر حيث هشموا جماجمهم وسلخوا جلودهم وقلعوا أدمغتهم كما بقروا بطون الحوامل وعذبوا الأطفال وفصلوا الرؤوس عن الأجساد، ومع هذه الوحشية فقد احتفل الأميركيون بهذه المجزرة وأشاد بها الرئيس الأميركي تيودور روزفلت وأثنى على شجاعة جنوده واعتبر أن القضاء عليهم ضرورة ملحة، وكما تحدث التاريخ عن فظائع الأميركيين فقد تحدث أيضاً عن فظائع الفرنسيين زمن احتلالهم للمغرب العربي فعندما دخلوا قرية أكوازي في إقليم مكناس قطعوا رؤوس الأهالي وكانوا يضعونها على شاكلة رؤوس الحيوانات التي يصطادونها وقد عملت فرنسا من صور هذه الرؤوس طابعاً بريدياً وكان ذلك في العام 1949، وفي العام 1957 كرر الفرنسيون فعلتهم الشنعاء ولكن هذه المرة كانت في الجزائر حين كانوا يقطعون رؤوس الجزائريين ويلتقطون صوراً لهم وهم يحملون بعض تلك الرؤوس، وقد شارك الإسبان في حفلات قطع الرؤوس وكان ذلك مع المغاربة وكانوا يحملونها بأيديهم بعد قطعها، إذا ثقافة قطع الرؤوس بدأها الأميركيون والغربيون على نطاق واسع وبتشجيع من حكوماتهم وأما الدواعش فقد كانوا تلامذة صغاراً أو قل خليفة لهم وذريعة لتشويه الإسلام.. وإحدى صور الحرب الأيديولوجية الثقافية -على موائد الأميركيين والغرب، كما أن أفعالهم وجدت استنكاراً كبيراً من المسلمين بعكس ما كان موجوداً عند دعاة حرب الإرهاب قديماً وحديثاً فقد توغل أولئك في الإجرام وبكل

صنوفه، قتلوا وقطعوا الرؤوس وبقروا بطون الحوامل واغتصبوا النساء وفعلوا أكثر من ذلك، ولم يتوقفوا عن ارتكاب فظائعهم حتى الآن"¹.

بداية المعلم

كما أنه في إسبانيا يمجدون ويفخرون بـ ألفونسو الثامن (1155 – 1214) ملك قشتالة الملقب بـ (السفاح) لقتله آلاف المسلمين بالأندلس بل ويضع له تمثالا وتحت قدمه رأسا مقطوعا، وفي إيطاليا، كان أشهر تمثال في فترة النهضة الأوروبية في الفنون هو تمثال الملك بارسي ملك أراغوس وهو يحمل رأس (ميدوس)، قام بنحت هذا التمثال التشكيلي سيليني سنة 1554 وما زال موجودا في شوارع مدينة فلورنس حتى اليوم..وفي المتحف الوطني الفرنسي للعلوم الطبيعية يحتفظون برؤوس مقطوعة لسكان المستوطنات السابقة فصلت رؤوسهم ذات يوم للتنكيل بهم لا لسبب سوى أنهم كانوا يريدون استرجاع ما اغتصبته منهم فرنسا الاستعمارية بعد أن سلبت أرضهم بالقهر، كما تحتفظ فيه برؤوس قادة المقاومة الشعبية الجزائرية، وعددهم 37 رأسا وأشهرهم الشيخ الشريف محمد الأمجد ابن عبد الملك، المعروف بـ (بوبغلة) والذي استشهد سنة 1854 ورأس الشيخ بوزياد الذي فجر ثورة الزعاطشة واستشهد سنة 1849، وكذلك رأس المجاهد مختار بن قويد التبطراوي من المدينة ورأس الملازم الأول الذي كان اليد اليمنى لـ بوبغلة (عيسى الحمادي) وكذلك رأس المجاهد بن علال بلمبارك⁰

كما يقول (غوستاف لوبون) في كتابه (حضارة العرب): "اقترف الصليبيون من الجرائم ما لا يصدر عن غير المجانين وكان من ضروب اللهو عندهم تقطيع الأطفال إربا إربا وشيهم"! مضيقا " لقد أفرط قومنا في سفك الدماء في بيت المقدس وكانت جثث القتلى تعوم في الدم وكانت الأيدي والأزرع المبتورة تسبح وكأنها تريد أن تتصل بجثث

¹ محمد علي الهرفي - الوسط، العدد 4497، عدد يوم الثلاثاء 2014/12/30.

غريبة عنها" وينقل الكاتب نفسه عن كاهن ابوس (ريموند داجميل) قوله: "حدث ما هو عجيب بين العرب عندما استولى قومنا على أسوار القدس وبروجها - نهاية القرن الحادي عشر الميلادي - فقد قطعت رؤوس بعضهم وكان هذا أقل ما يمكن أن يصيبهم وبقرت بطون آخرين فكانوا يضطرون إلى القذف بأنفسهم من أعلى الأسوار وحرقت بعضهم في النار بعد عذاب طويل وكان لا يرى في شوارع القدس وميادينها سوى أكداس من رؤوس العرب وأيديهم وأرجلهم فلا يمر المرء إلا على جثث قتلاهم كل هذا لم يكن سوى بعض مانالوا".

وبعد توقيع الاستعمار الفرنسي اتفاقية السيطرة على المنطقة سنة 1912 قام جنود الاحتلال بقتل 15 شخصًا من أهالي قرية اكواري وقطع رؤوسهم وفصلها ووضعها بشكل منظم على شاكلة رؤوس الحيوانات التي يتم اصطيادها في رحلات السفاري ثم حولوا الصور بعدها إلى طوابع بريدية.

العنصرية الثقافية

العنصرية لشكلك أو لونك أو ملبسك .. هي من الأمور التي مع تكرارها أصبحت طبيعية وتحدث كل يوم بانتظام في شوارع المدن المسماة (بالمقدمة) .. فمعادة كل أشكال الاختلاف، هي إحدى ثقافات المجتمع الأمريكي والغربي.

o ارنولد ابوت - مثلاً - أميركي يبلغ من العمر 90 عاماً، كان يسير يوماً مع اثنين من رفاقه في حديقة ساوث فلوريدا فوجد عددًا من المتشردين فقدم لهم بعض الطعام، ليراه شرطياً ويمسك به، ووجه له تهمة (إطعام مشردين) علانية!، ويواجه أحكاماً بالسجن والغرامة في أول تطبيق رسمي لقانون جديد في فلوريدا يجرم إطعام المشردين وعقوبة مخالفة هذا القانون تصل عقوبته إلى السجن إضافة إلى غرامة 500 دولار.

- وفي أغسطس من العام الماضي قتل شاب أسود يدعي مايكل براون على يد شرطي أبيض في مدينة فرجسون بولاية ميسوري وصدر قرار هيئة المحلفين بتبرئة هذا الشرطي، وبعدها في ديسمبر لقي شاب أسود أيضاً مصرعه في ضاحية سانت لويس في ميسوري برصاص شرطي أبيض، طبعاً والأمثلة - في ذلك الصدد - لا تنتهي ولا يمكن حصرها إطلاقاً، فبرغم كل قوانين الحرية والمساواة والإنسانية وحقوق الإنسان .. التي يستخدمونها فقط كوسيلة للدفاع عن أنفسهم، وما هي إلا سلاح ضد المجتمعات والدول المخالفة لهم في السياسات والتوجهات.

- وفي تقرير صادر من مكتب التحقيقات الاتحادية الأمريكي (FBI) في 2009 يشير إلى تزايد عدد جرائم الكراهية (العنصرية) في أميركا، ووصل الرقم إلى 5 آلاف جريمة و542 ضحية وذكر أن 72.6% من الجرائم التي ارتكبت كانت بدافع الكراهية ضد السود، وقد أثبت التقرير - كذلك - تفاوت الدخول بين السكان البيض والسود ففي حين كان متوسط الدخل السنوي للأسر الأمريكية البيضاء نحو 49 ألف دولار كان متوسط دخل الأسر الأمريكية من ذوي الأصول الإفريقية 30 ألف دولار، وفي حين يبلغ عدد سكان أميركا السود 13% من تعداد الأمريكيين فإن 12.7% منهم يعيشون تحت خط الفقر، كما ذكرت صحيفة (يو اس ايه توداي) نقلاً عن إحصائيات حكومية أن شرطياً أبيض يقتل مواطناً أسود بمعدل مرتين أسبوعياً في أنحاء الولايات المتحدة وفقاً للأرقام المسجلة من 2005 إلى 2012.

- وفي دراسة ميدانية للواشنطن بوست تقول إنه قتل حوالي ألف شخص على يد الشرطة في 2015، مؤكدة أن الرقم الحقيقي أكثر من ضعف الرقم السنوي الذي أعلنه "إف بي أي" في السنوات السابقة، مشيرة إلى زيادة تلك الحوادث والعنصرية - بنسبة 6% في النصف الأول من 2016.

- وذكرت (سبوتنيك) في عدد الخميس 2015/12/31 تحت عنوان: الولايات المتحدة من الداخل.. التمييز العنصري سمة متجذرة، أن:

الكثير من الشواهد والأحداث التي شهدتها مدن أميركية مختلفة خلال العام 2015 تشير إلى أن التفرقة العنصرية لا تزال تسيطر على المجتمع الأمريكي. وفي هذا الإطار نشر موقع معهد (بروكينجز) الأمريكي للدراسات والأبحاث السياسية بحثًا للخير في الشؤون الاقتصادية "ريتشارد ريفيز" حيث أشار إلى أن ممارسة القتل ضد الأميركيين السود وما يترتب على ذلك من مظاهرات غاضبة بين السكان السود وتكرار هذه الحالات ما هي إلا تداعيات تظهر على السطح بعيدًا عن تلك التداعيات الاقتصادية والاجتماعية للتمييز العنصري في المجتمع الأمريكي بمفهوم أوسع وأشمل وأوضح الباحث ارتفاع التمييز العنصري في الولايات المتحدة وفق المعايير الدولية مشيرًا إلى أن 1 من 4 أميركيين سود و1 من أصل 6 من الإسبانيين يعيشون في فقر شديد مقارنة بواحد إلى 13 من الأميركيين البيض وفق تقرير حديث صادر من مؤسسة "القرن الجديد". ولفت التقرير إلى ثلاثة أنواع من التمييز، مشيرًا إلى التداخل ما بين التمييز العرقي والتمييز في الدخل وأن أقل من 10% من الأسر التي تعيش في فقر بالمناطق ذات الأغلبية البيضاء بينما أكثر من 50% من المناطق ذات الأغلبية السوداء يعيشون في فقر .. ينتهي عام 2015 بينما يستمر التمييز العنصري في الولايات المتحدة واضحة آثاره في حالة عدم المساواة الاجتماعية، الاقتصادية على أساس من العرق ولون البشرة، بما يدق ناقوس الخطر ويكشف كذب الادعاءات التي تتشدد بها الإدارات الأميركية المتعاقبة عن حقوق الإنسان بينما تمارس أشد أنواع العنصرية في حق مواطنيها..

التفرقة العنصرية .. بين الإسلام والغرب ⁽¹⁾ ⁽²⁾

يختلف مفهوم "الإنسان" ومدى قداسته بين الحضارة "الإنسانية" و"المادية" اختلافاً جذرياً .. أما الإسلام فقد اعتبر أنه لا فرق بين الأبيض والأسود والأجناس والألوان والشعوب والطوائف .. إلا بالتقوى والعمل الصالح، كما يقول تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) الحجرات 13، أما المجتمع المادي فبدأ لا يرى هناك إلا إنساناً واحداً - الأبيض - وعقيدة واحدة، أما ما دون ذلك الإنسان الأبيض فهي أعراق منحطة، بل ذهبوا لأبعد من ذلك، باعتبارهم - الغير - ليسوا بشراً بل من نسل القردة - بناءً على بشرتهم السوداء وأنوفهم العريضة ورؤوسهم الكبيرة .. وما شابه ذلك .. يقول الشيخ عطية صقر إنه:

يقصد بالتفرقة العنصرية في العرف الحديث - في الحضارة الحديثة أو المادية - التمييز بين الأجناس في القوانين والمعاملات على أساس الدم والخصائص البيولوجية المتعلقة بتكوين الجسم البشري وما يتبع ذلك من الحياة الفكرية ومظاهر السلوك والاجتماع - مضيفاً - لقد صنف العلماء والباحثون في العلوم الإنسانية الأجناس البشرية إلى جماعات تجمع بين كل منها خصائص ومميزات طبيعية متوارثة في مجموعها وإن كان هناك مجال للاختلاف البسيط بين أفرادها ومن أبرز هذه الخصائص لون البشرة وشكل الجمجمة وملامح الوجه وطول القامة وقالوا: إن هذه المميزات الطبيعية يتبعها اختلاف في المواهب العقلية والقوي النفسية وما إليها .. ورأى بعض هؤلاء أن

(1) قصدنا تلك المقارنة، على ألا نقابل الإسلام بالمسيحية، تحسباً لأي مقارنة عقائدية أو أيديولوجية أو على خلفية دينية، فالأديان السماوية كلها -في الأصل- جاءت لرفعة وسمو الإنسان.

(2) المرجع الأساسي لهذا الفصل: "موسوعة أحسن الكلام في الفتاوي والأحكام" للشيخ عطية صقر.. انظر الجزء السابع، الصفحات 518:528.

تقسيم البشر إلى أجناس يرجع إلى الدم نفسه على خلاف فيما بينهم على مقدار نسبة ما يوجد من دم الآباء والأجداد في الإنسان حتى ينسب إلى هذا الجنس وعلى أساس هذا التقسيم العنصري قرر الباحثون أن هناك امتيازاً لبعض الأجناس على بعضهم الآخر، يحق للأجناس العالية أن تكون لها قوانين وأن تعامل معاملة خاصة بخلاف الأجناس الأخرى التي لا ينبغي أن تدخل معها في هذه القوانين وتلك المعاملات.

التفرقة في النظم القديمة:

إن فكرة التمييز بوجه عام بين بني الإنسان فكرة قديمة، ضرورة اختلاف الناس بعضهم عن بعض في القوة الجسمية والمواهب العقلية والمظاهر المادية والتي كان من أثرها استعلاء بعضهم على بعض واستغلال القوي منهم للضعيف وتحكم الغني في الفقير وسيطرة العالم على الجاهل، والتي كان أكثر مظاهرها الرق.

- ففي الهند مثلاً كانت كتيم المقدسة تقرر التفاضل بين الناس بحسب عناصرهم التي خلقوا منها في زعمهم، فنذكر أن "براهما" خلق فصيلة البرهمنين من فمه وهم أشرف المخلوقات ولهم أرقى المناصب الدينية، وخلق فصيلة الكشترين أو الشاتري من ذراعه وهم الذين يتولون الوظائف الحربية وخلق فصيلة الفيشائين أو الفاشا من فخذه وهم الذين يقومون بالتجارة والإنتاج وخلق فصيلة السودرائين والمنبوذين من قدمه وهؤلاء لهم وظيفة واحدة هي خدمة الطبقات السابقة.

- وكان اليونان يعتقدون أنهم شعب مختار خلقوا من عناصر تختلف عن العناصر التي خلقت منها الشعوب الأخرى، التي كانوا يطلقون عليها اسم البربر وقد قرر أرسطو في كتابه (السياسة) أن الآلهة خلقت فصيلتين من البشر: فصيلة زودتها بالعقل والإرادة وهي اليونان، وقد فطرتهما على هذا التكوين الكامل لتكون خليفتها في الأرض وسيدة على سائر الخلق وفصيلة لم تزودها إلا بقوة الجسم وما يتصل اتصالاً مباشراً به وهم

البرابرة، أي ما عدا اليونان من بني آدم، وقد فطروا على هذا التقويم الناقص ليكونوا عبيدًا مسخرين للفصيلة المختارة المصطفاة. وكانوا يقرن الرق الذي يقول فيه أرسطو: إن الرقيق إله ذو روح أو متاع تقوم به الحياة. فهم لا يدخلونه في عداد المخلوقات الإنسانية.

- وكان الرومان يعتقدون كما يعتقد اليونان أنهم سادة العالم وأن غيرهم برابرة خدما لهم وكانت قوانينهم تقرر الرق وتعامل الرقيق على أنه متاع، مدعين استعباده رحمة به من القتل الذي تتعرض له الحيوانات وإلى جانب الاسترقاق بالحروب كانوا يسترقون الفقراء إذا عجز عن أداء الدين ولم تكن للرقيق حقوق قانونية ولا مدنية ولا يستطيع أن يقاضي سيده أو يتظلم في معاملته بل كان لسيده الحق في قتله دون مجازاة ولم يخفف من حدة هذه المعاملة الدين المسيحي الذي اعتنقه الرومان بعد ذلك.

- والعرب في الجاهلية كانوا يعيشون على التفاخر بالأحساب والأنساب ويعتقدون أنهم أفضل من غيرهم الذين كانوا يطلقون عليهم اسم العجم ولعل ذلك كان أساسه اعتزاز العربي بلغته الفصيحة التي لا يوجد لها مثل في العالم وكانوا بناء على ذلك يكرهون أن يتلوث دمهم العربي النقي بدم غيرهم عن طريق الزواج ويأنفون أن يزوجوا بنتًا من أحقر قبائلهم كباهلة وسلول إلى أعجمي حتى لو كان كسرى نفسه وقد خطب كسرى ابرويز بنت النعمان بن المنذر، فرفض النعمان مصاهرته مع أنه كان أحد ولاته وكانت حرب طاحنة بين الفرس والعرب تكتلت فيها قبائلهم من أجل حماية حرقه بنت النعمان أن يأخذها كسرى وانتهت المعركة بانتصار العرب في موقعة (ذي قار)، وكان العرب يستخدمون الرقيق في الأعمال المنزلية وفي التجارة بل كان يمارس معهم الحرب أحيانًا وإذا أعجبوا به اعتقوه وجعلوه أحد أعضاء الأسرة.

والمسيحية أقرت الرق كما أقرته اليهودية. وقد جاء في المعجم الكبير للقرن التاسع عشر (لاروس): لا يعجب الإنسان من بقاء الرق واستمراره بين المسيحيين إلى اليوم، فإن نواب الدين الرسميين يقرن صحته، ويسلمون بمشروعيته وجاء فيه: الخلاصة أن

الدين المسيحي ارتضى الاسترقاق تمامًا إلى يومنا هذا ويتعذر على الإنسان أن يثبت أنه سعى في إبطاله كما أثبت ذلك أيضًا (قاموس الكتاب المقدس) للدكتور جورج يوسف. وظل الرق معترفًا به بين المسيحيين وكثر كثرة فاحشة بعد اكتشاف - أو استعمار إذا أردنا الدقة والصحة - أميركا وجلب الرقيق من إفريقيا للعمل بها وكان الاتجار على أشده بين الدول الاستعمارية يمارسه ملوكها وكبار رجالها مع قسوة بالغة العنف، برروها بأقوال من كتبهم المقدسة وصدرت قوانين تنص على احتقار الجنس الأسود وإهدار كرامته وكان مفكروهم ينادون بذلك، كما جاء في كتاب (روح القوانين) حيث قال مؤلفه (مونتيسكيو) الفرنسي في الفصل الخامس منه: إن شعوب أوروبا بعدما أبادت سكان أميركا الأصليين وهم الهنود الحمر لم تر أبدًا من استعمار شعوب إفريقيا لكي تستخدمها في استغلال هذه الأفكار الشاسعة فإن هذه الشعوب سود البشرة من أقدامهم إلى رؤوسهم ولا يمكن أن يتصور أحد أن الله وهو ذو الحكمة البالغة قد خلق روحا وعلى الأخص روحًا طيبة في أجسام حالكة السواد!.

- ويرجع ظهور هذه النغمة في أوروبا أسباب منها:

1. النزعة الاستعمارية التي تبرر نقاء الجنس الأبيض الأوروبي وزمامته لبقية الأجناس ووصايته عليها.
2. النزعة القومية المعتدة بجنسها والداعية إلى وحدة شعوبها التي تنتمي إلى جنس واحد.
3. الانقلاب الصناعي والحاجة إلى الأيدي العاملة في المصانع وسوق الآلاف من العمال لخدمة الرأسماليين واستعبادهم وجليهم من الأجناس الآخري والأمم المختلفة وإعطائهم أجورًا قليلة دون اعتراف لهم بحقوق تحفظ كرامتهم.
4. اكتشاف- غزو- أميركا والحاجة إلى استغلال خيراتها الأمر الذي خلق تجارة الرقيق وجليهم من إفريقيا للعمل في مزارعها- ومناجمها- ثم في مصانعها0

- لقد سخر المستعمرون والمستغلون علماءهم لتبرير نقاء الجنس الأبيض وإثبات خصائص للألوان والأجناس، فزعموا أن الأجناس أربعة: البيض والسود والصفير والحمرة، وأعلاهم جميعاً الجنس الأبيض..لقد قال المستعمرون إن السود والهنود ليسوا من نسل آدم فروحهم مشتقة من أصل أقل من الإنسان، وفي معمة التطور الصناعي ومعاملة الطبقات العاملة نشأت نظرية "داروين" في تطور النوع وبقاء الأصلح، وسادت نظرية "مندل" في الوراثة، وظهرت مؤلفات كثيرة تبحث عن فكرة عدم المساواة بين الأجناس البشرية وعن سيادة الجنس الآري، وتكونت مدرسة لها نظرياتها تزعمها الكونت (جوبينو) الفرنسي وكذلك (فاجنر) الموسيقي الألماني، ومثله (ستيوارت شامبرلين) الإنجليزي وأيضاً (لوتروب ستودارد) الأميركي، وهؤلاء قالوا إن الجنس الأبيض هو وحده منشئ الحضارة وهو الجنس الآري المنحدر من شمالي الهند والقوقاز كما ظهرت نغمات: الشرق شرق، والغرب غرب، ولن يلتقيا. مع هذا التزييف للحقائق العلمية والتحيز الظاهر في الأحكام- والتفرقة العنصرية- على الأجناس البشرية الذي كان أثراً من آثار النزعة العنصرية، كانت هناك آثار واضحة تطبيقية لهذه النزعة، من أهمها:-

1. استعمار البيض للملونين- السود- وكسبهم مزايا سياسية واقتصادية انتعشت بها أوروبا وفكت بها أزمته وكثرت تبعاً لذلك رؤوس الأموال الأجنبية في البلاد المستعمرة واستنزفت ثرواتها كما كان من لوازم الاستعمار تخصيص محاكم ومصحات ونواد وغير ذلك للسادة المستعمرين لا يتمتع بها الملونون.

2. احتقار البيض لغيرهم واستخدامهم المزري لهم كما كان يحدث في الهند فقد كان الإنجليزي يركب على ظهر الهندي ليستطيع أن يمتطي جواده وفي الصين عندما كان يجبر الصيني جر العربة بالسائحين كالدابة سواء بسواء وقد كتبت لافتات على بعض الحدائق العامة في شنغهاي مدينة الامتيازات الأجنبية عبارة (ممنوع على الوطنيين والكلاب دخول هذا المكان).

3. العزل الاجتماعي والسياسي لأهل البلاد وعدم تمكينهم من ممارسة نشاطهم في هذه المجالات كما يظهر ذلك في جنوبي إفريقيا وروديسيا.

4. إبقاء الوطنيين على التأخر والجهل والانحطاط وذلك ليتمكن للأجنبي التسلط عليهم فإن من المقرر عند المستعمرين أن تقدم الأهالي يخلق فرصة للمطالبة بالحرية والاستقلال ولا شك أن ذلك كله يهدد الأمن الداخلي للبلاد التي تمارس التفرقة العنصرية ويزعزع أركان السلام العالمي ويثير الفتن والحروب بين الدول.

- وإذا كانت الحرب قد انتهت- مشيراً إلى الحرب الأهلية التي قامت بين الشمال والجنوب من سنة 1860 إلى سنة 1865 بقيادة إبراهيم لنكولن: أول من نادى بتحرير العبيد في أميركا، وقتل في 14 أبريل 1965 على يد متعصب يدعى (بوث)- بتقرير المساواة فإن التفرقة ما زالت تمارس علمياً ومنصوصاً عليها في قوانين بعض الولايات، ففي دستور ولاية ميسيسيبي في الفصل الثامن في التربية والتعليم (مادة 207) يراعي في هذا الحقل أن يفصل بين أطفال الزوج فتكون لكل فريق مدارس الخاصة. وفي الفصل الرابع عشر (أحكام عامة) مادة 263: أن زواج شخص أبيض من شخص زنجي يعد غير شرعي وباطلاً بل جاء في قانون هذه الولاية أن الذي يطالب بالمساواة الاجتماعية والتزواج بين البيض والسود بالطبع أو النشر أو أي وسيلة يعتبر عمله جرمًا يعاقب عليه القانون.

- وقد تأسست في الجنوب جمعية (كلوكلوكس كلان)⁽¹⁾ لإرهاب الملونين وانتشرت في جميع أنحاء الولايات المتحدة وهي قائمة على أنقاض جمعية لإرهاب الكاثوليك ومنع هجرتهم ومازالت حوادث التفرقة في أميركا دليلاً على أن هذا العالم الذي يدعي حماية

(1) منظمة عنصرية تأسست من قبل المحاربين القدامى في الجيش الكونفدرالي عام 1866 وكانت مهمة هذه المنظمة مقاومة إعادة التأسيس ومعارضة تحرير العبيد التي حدثت عقب الحرب الأهلية الأميركية ومازالت-وغيرها- موجودة حتى اليوم في أميركا.

الحريات يعيش على النفاق بعيداً عن مقررات الأمم المتحدة وعن قواعد الأخلاق والإنسانية.

- نبذ ورفض الإسلام للعبودية والتفرقة العنصرية:-

1. قرر الإسلام أن الناس جميعاً مخلوقون من أصل واحد هو التراب، قال تعالى "الله أنبتكم من الأرض نباتاً ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجاً" نوح 17، 18 وقال "منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى" (طه) 55

2. قرر الإسلام أيضاً أننا مولودون من أب واحد وهو آدم فنسبنا جميعاً واحد ونحن أخوة في هذه الأسرة الإنسانية الواسعة، وإذا كان لبعض أفرادها نوع امتياز بشكل أو لون أو نشاط فذلك لا يغض من قيمته في أنه يشكل ركناً أساسياً في تآلف هذه المجموعة وتضامنها في عمارة الكون وتحقيق الخلافة في الأرض.. يقول تعالى "يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء وأتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام" (النساء1) وقال النبي "إن الله أذهب عنكم عيبة الجاهلية وفخرها بالآباء إنما هو مؤمن تقي وفاجر شقي الناس بنو آدم وأدم خلق من تراب" رواه أبو داود والترمذي وحسنه

3. وقرر الإسلام أن الناس جميعاً مخلوقون لخالق واحد هو الله سبحانه فمبدأهم منه خلقاً ونهايتهم إليه بعثاً وحساباً "فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون" (يس) 83، "الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء" (الروم) 40.

4. جعل الإسلام الناس موزعين إلى مجموعات نسبية على الرغم من اتفاقهم في هذه الأصول وذلك ليميز بعضهم عن بعض ولتعرف الحقوق وتحدد الواجبات ويسهل تنظيم أمر الجماعة فهذا الإجراء تنظيمي بحث لا يمس جوهر المساواة الحقيقية في الأصول المذكورة وهذا التوزيع نعمة من نعم الله لأنه مقتضي النظام والنظام تستريح له النفس ويطمئن إليه القلب، قال تعالى "يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم" الحجرات 13، كما أن تقسيم الشعوب إلى ألسنة وألوان دليل على قدرة الله تعالى وتما إرادته واختياره في خلقه "ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين" الروم 23

5. جعل الإسلام هناك تفاوتاً في المعاملة بين البشر لا على الجنس أو اللون أو اللسان بل على أساس الكمالات النفسية والأخلاق الطيبة والعمل الصالح القائم على الإيمان بالله، فالطبيعة البشرية واحدة، وإن كان هناك اختلاف فهو لأمر عارضة كتأثير البيئة وعدم إتاحة الفرصة للبعض أن يكمل نفسه، وحارب الإسلام أن يكون هناك تفاوت في المعاملة على غير هذا الأساس كما تدل عليه آية الحجرات السابقة، وحديث "من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه" رواه مسلم وحديث "ليس منا من قاتل على عصبية وليس منا من مات على عصبية" رواه أبو داود وحديث "الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا" رواه البخاري ومسلم. والنصوص في ذلك كثيرة.

- يظهر موقف الإسلام جلياً في محاربته للتفرقة العنصرية في تشريعه الحكيم لإبطال الرق، يتمثل في ثلاثة إجراءات رئيسية وهي:

1. تضيق باب الرق الذي كان متسعاً جداً قبل الإسلام من حرب وخطف وشراء وغير ذلك وحصره في مورد واحد هو الأسر في الحروب المشروعة إذا رأي الإمام أن يضرب الرق على الأسرى.

2. فتح الأبواب الواسعة لتحرير الرقيق وإيجاد منافذ كثيرة الانطلاق من الرق إلى الحرية فحثت النصوص على العتق في كثير من الأحاديث وجعلته كفارة لكثير من الأخطاء كالقتل الخطأ والإفطار في رمضان والحنث في اليمين والظهار وشجع على مكاتبه الرقيق وتيسير دفع ما يلزمه وأباح التسري بالإماء دون تحديد بعدد وليس هذا إطلاقاً للمتعة الجنسية بل للحصول على حرية الإمام إذا حملن من السادة وولدن فإنهن يعتقن بعد موتهم وكذلك ليسرى الدم العربي إلى غيره من الأجناس الأخرى التي كان منها الأسرى.

3. الأمر بالإحسان إلى الرقيق حتى تحين الفرصة لعتقه والوصايا في ذلك كثيرة يكفي منها مراعاة شعوره، فلا يقال له: عبيد أو أمتى، بل يقال له: فتاي وفتاتي، أو غلامي وجاريتي كما رواه مسلم، وإكرامه في مطعمه وملبسه كما في الحديث: "إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ. فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ. وَلَا تَكْلِفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ فَإِنْ تَكَلَّفُوهُمْ فَأَعْيَنُوهُمْ" (رواه البخاري) (ومسلم) وعندما سمع النبي أن أباذر يعير رجلاً بأمه السوداء فقال له: "إنك امرؤ فيك جاهلية" كذلك نهى النبي عن ظلمه، فقد سمع أبا مسعود يضرب غلامه فقال له: "الله أقدر منك عليه" فكفر أبو مسعود عن ذنبه بعتقه، وقال النبي في ذلك: "لو لم تفعل للفتحت النار" (رواه مسلم)، هذا وإذا كان الإسلام يضرب أروع الأمثلة في احترامه لأدمية الإنسان عن طريق الإحسان إلى الرقيق فإنه من غير شك يراعي هذا التكريم مع من لا يملك الإنسان رقبته، بل يملك رعايته وتوجيهه لا غير، وذلك كحال الرعايا في البلاد الإسلامية من الأديان المختلفة، لقد قال عمر بن الخطاب في توجيه عماله أي حكام البلاد المفتوحة: "إني والله ما أرسل إليكم عمالاً ليضربوا أبشاركم ولا ليأخذوا أموالكم ولكني أرسلهم إليكم ليعلموكم دينكم وسنتكم فمن فعل به شيء سوى ذلك فليرفعه إلي فوالذي نفس عمر بيده لأقصنه منه"، وقد اقتص للقبطي من ابن عمرو بن العاص على ملاً من الناس، وقال كلمته الخالدة: "متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً"⁽¹⁾.

(1) سيرة عمر لابن الجوزي ص 67، 70.

الخلاصة

يقول أحد محرري (النيويورك تايمز) - على لسان فواز جرس مؤلف كتاب: أميركا والإسلام السياسي: صراع الحضارات أم تضارب المصالح؟ بفضل السياسة الدولية في الوقت الحاضر هناك شكل من أشكال التعصب العرقي، حظي باحترام أميركا ألا وهو التعصب ضد العرب والمسلمين⁽¹⁾.

وفي كتابه (اختفاء الهلال) يقول (روبرت اليسون):

"ورث الأميركيون عن أوروبا المسيحية صورة شبح كدين ولد من طغيان دين يؤيد القمع الديني والسياسي والجمود الاقتصادي وبناء على هذه الفرضية لم يهتم الأميركيون بما إذا كان الوصف للإسلام صحيحًا أم لا ولكنهم أخذوا به دون أن يحاولوا نقده وتحليله لأنه مناسب لهم سياسيًا - مؤكدًا ومضيقًا - أن الأميركيين استخدموا العالم الإسلامي مرارًا وتكرارًا كنقطة مرجعية لإظهار تميزهم في الحرية والقوة والتقدم الإنساني!. أن الأميركيين يستعيدون تلك الآراء وبيتدعونها بسرعة، خاصة أثناء فترات الأزمات ولذا فإن لدى الأميركيين احتياطيًا وفيرًا ومليئًا من النماذج السلبية للعالم الإسلامي عملت أجهزة الإعلام على ترسيخها وتثبيتها، ولها دور كبير في صنع السياسة الخارجية نحو الدول العربية - الإسلامية لا يكمن في وسط هذا الاحتياطي والكم الكبير من الصور لدى أميركا عن الإسلام والخوف والحيرة فحسب بل وكذلك شكوك عميقة نحو الخلط بين الدين والسياسة ويبدو أن خلط الاثنين معًا هو لمواجهة جوانب أساسية في التقليد الليبرالي الأمريكي الذي يقوم على الفصل بين الدين والدولة "إن" هذه الحضارة الظالمة الكالحة نهمة لا تشبع، تدور في فلك الشهوة والأنانية والعنف والتمرد الوحشي فمنذ خمسمائة سنة وهي تهب خيرات الأرض وتضع الأغلال في أعناق المستضعفين وتبيد

(1) انظر مرجع التفاصيل ص 363: الحرب الثقافية (الأيديولوجية) الجديدة.

الهنود الحمر في أميركا، تقتل منهم مائة مليون أو يزيد وتسوق الإفريقيين في سلاسل العبودية إلى حقول القطن وعيش الهوان على جماجم البشر ومن أرزاق المستضعفين المشردين بنت حضارتها وثروتها وبفائض الثروة المنهوبة استطاعت أن ترفع مستوى معيشتها وأن تفرغ أبنائها للتعليم وأن تشيد صرح الصناعة وهياكل البحث العلمي وأن تسخر العالم ومن فيه لخدمة النفوس الشاردة الماردة فهي اليوم وجه الاستكبار أكثر مما كان قتامة وكلوحًا وبأسًا ونهمًا وشرًّا⁽¹⁾.

حيث بدأ الصراع باستعمار أميركا – أو لنقل: يغزو الشعوب الأصلية لأميركا، إذا أردنا الدقة – ولن ينتهي حتى تستخرب الأرض بما فيها ومن عليها "حيث أن الغرب الذي تمثله دول مفردة كان نقطة البدء بالنسبة للزعات الاستعمارية التجارية والإمبريالية الصناعية والاستعمار الجديد لذلك فإنه سوف يظل حاضراً أبداً داخل الصراعات الثقافية الدائرة في كل أنحاء العالم طالما أن هناك مشروعات لفترة ما بعد الاستعمار التي تظهر وتسقط لقد كان هذا، وسوف يظل دائماً النقطة المرجعية الأولى"⁽²⁾.

وفي موضع آخر يقول مقتبساً عن الكسندرهاميلتون – أحد الأبناء المؤسسين للولايات المتحدة ومؤسس النظام المالي الأميركي "إن تفوق (أوروبا) الذي استقر في الأذهان أمداً طويلاً أغواها بالزهو باعتبارها ربة العالم والنظر إلى بقية البشر باعتبارهم خلقوا لنفعها وخدمتها وإن رجالاً حظوا بالأعجاب لأنهم فلاسفة ذوو فكر عميق أسهموا على نحو مباشر في إضفاء طابع تفوق مادي على سكانها مما رسخ في الأذهان على نحو مؤسف أن جميع الحيوانات ومعهم أنواع البشر يصيهم التحلل والانحطاط في أميركا، حتى أن الكلاب تكف عن النباح ما أن تتنفس قليلاً من هواء أجوائنا! وأكدت الوقائع منذ زمن طويل أن هذه الادعاءات المفعمة بالغطرسة عن الأوروبي، وأصبح واجبنا أن نبزئ شرف وكرامة الجنس البشري وأن نعلم الناس ونطرح افتراضاً صنوا وخلوا من هذا

(1) عيد السلام ياسين-العدل: الإسلاميون والحكم ص 464، 465.

(2) دييتر سنغاس-الصدام داخل الحضارات: التفاهم بشأن الصراعات الثقافية. ترجمة: شوقي جلال ص 163.

الغلو، وإن اتحادنا سوف يمكننا من أن نحقق هذا الهدف، على عكس التفكك الذي من شأنه أن يضيف ضحية أخرى لانتصاراته، لندع الأميركيين يزددون وضعهم كأدوات للعظمة الأوروبية، ولندع الولايات الثلاثة عشر⁽¹⁾ تتراص بقوة في اتحاد متماسك صلب لا يتحلل وأن يجتمع رأيها على بناء نظام أميركي عظيم أقوى وأكثر تفوقًا لكي تكون له السيطرة على كل القوى عبر الأطلسي أو أن يفرض نفوذه ويكون قادرًا على أن يملئ شروطه بشأن الرابطة بين العالمين القديم والجديد"، يضيف سنغاس قائلاً: "الفقرة السابقة هي رؤية الكسندر هاملتون (1757 – 1804) التي عرضها فيما اشتهر باسم "أوراق مفكر فيدرالي" وليس عسيرًا علينا وضع هذه الكلمات في سياق حديث. إذ يكفي إبدال كلمة "أوروبا" الغرب" وإذا أبدلنا "المسلمون" بكلمة "الأميركيون" الذين يوجه إليهم الخطاب، وتتخيل أن الكاتب ليس هاملتون بل واحد من الكتاب الإسلاميين الذين ذاع صيتهم يومًا ما، ولنفترض مثلاً إنه سيد قطب (1906 – 1966) هنا يبدو الاقتباس في الحقيقة وكأنه حديث النشأة ولن يكون المرء بحاجة سوى أن يكتب الولايات الإسلامية بدلاً من "الولايات الثلاثة عشر" وربما أن نبديل بـ "النظام الأميركي العظيم" عبارة "الأمة الإسلامية" أو أن نخزل السياق ليكون قاصراً على المنطقة الإسلامية – العربية، ونقول "الأمة العربية" والمعبرة عن أمة عربية واحدة ومتحدة، وإذا فهمنا الثقافة على أنها جماع صور حياة نمطية لجماعة من الناس بما في ذلك تكوينها الذهني الأساسي والقيم إذن فإن الظروف والملابسات التي عرضها هاملتون تؤلف في الواقع نزاعاً ثقافياً – أو ما نقوله بعبارات سياسية – صراع ثقافي⁽²⁾.

فلولا النزاع الثقافي الراهن فالغلبة حتمًا للإسلام .. في كتابة (فتح أميركا .. مسألة الآخر) يقول (تزفيتان تودوروف) إن: فتح أميركا هو الذي دشّن وأسس في واقع الأمر

(1) اليوم يبلغ عددها الخمسين ولاية وولاية.

(2) المرجع السابق 146، 147.

هويتنا الحاضرة – الأوروبية – ولا يوجد تاريخ أنسب لتمييز بداية العصر الحديث من عام 1492!

ويقول توماس هارت بنتون⁽¹⁾ السيناتور الأمريكي، في خطاب له أمام مجلس الشيوخ عام 1946: "إن قدر أميركا الأبدي هو الغزو والتوسع، أنها مثل عصا هارون التي صارت أفعي وابتلعت كل الحبال هكذا ستغزو أميركا الأراضي، ذلك هو قدرها المتجلي أعطها الوقت وستجدها تبتلع كل بضع سنوات مفاظات بوسع معظم ممالك أوروبا. ذلك هو معدل توسعها".

أما كورديل هيل وزير الخارجية الأمريكي (1933:1944) فيقول شارحا ماهية الحرب الثقافية.



⁽¹⁾ 1782:1858 سياسي أمريكي وعضو مجلس الشيوخ الأمريكي (1821-1851)، وعضو مجلس النواب الأمريكي (1853-1855).

الجزء الثاني

المعرفة

" المعرفة قوة " فرانسيس بيكون "

" المعرفة هي العقاب الأكبر، يود العقل أن يفهم فينتهي به المطاف لأن يعرف فقط " كارلوس ليسكانو.

" الاستقامة دون معرفة ضعيفة وغير نافعة والمعرفة دون استقامة خطيرة ومروعة " صمويل جونسون.

" وفرة المعرفة لا تعلم المرء أن يكون حكيماً " هرقليطس لا نبحت عن " المعرفة " الاصطلاحية " فهي ليست أساس الفهم .. لكن في بعض الأحيان هي وسيلة لذلك، فبيت قصيدنا " المعني " الذي يلخصه قوله تعالى: (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا) (البقرة-31)

المعرفة، وبناءً على الآية السابقة – مفهوم واسع وشامل ومعقد، يشتمل على عدة مفاهيم أخرى .. فقليل أن نعرف ماهية المعرفة، يجب أن "نتعرف" على اثنين على عجلة: المعلومة، الإيمان فما المقصود بهذه المصطلحات وما علاقتها بالمعرفة؟ أولاً:

المعلومات⁽¹⁾:

المعلومة: هي عناصر أصغر جزيء إلى أكبر شيء .. فإذا فككت أي شيء إلى أجزاء أصغر ستجده بالضرورة يحتوي على "معلومات" .. اسمه، شكله، لونه، تصنيفه، أبعاده..

(1) المرجع الأساسي لهذا الفصل هو (العولمة)-جلال أمين.

ألخ من عشرات إن لم يكن من مئات وألوف بل وملايين المعلومات .. التي يعج بها العالم حولنا، سواء تلك..

1. المعرفية (قراءة كتاب، مجلة، صحيفة، مقال..).
2. أو الثقافية (مشاهدة فيلم، النشرة الإخبارية، مشاهدة برنامج..)
3. إضافية (تلك التي على أغلفة السلع والمنتجات وكروت الشحن وأكياس الطعام والحقيبة المدرسية..)
4. استنباطية (تلك المجردة في الطبيعة)
5. تقديرية (تلك التي تبني على مدركات شخص وآخر، ومنظوره الفكري والبصري على حد سواء) فبينما أنت ترى - أو يهيا لك - أن الشخص القادم من بعيد، ذكر يراه صديقك، أنثى أو بنت .. أو أنه يقول إن $10 = 7 + 3$ وأنت تود إقناعه أن $10 = 5 + 5$.. فالمعلومات التقديرية المختلفة، أدت إلى نتيجة واحدة أو تلك التي تختلف من الأعمى والبصير، والأصم والسميع (مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) (هود-224)
6. الدلالية (رقمية، بيانية، صورية، رسومية) التي تعبر عن مدلول أو قيمة أو علاقة معينة.
7. تصويرية (موجودة في مخيلتك أو هي ناتج لها).

ولكن ليس بالضرورة كل المعلومات التي نستقبلها أو نأخذها أو نجدها ينطوي عليها معرفة .. إلا تلك التي ينطوي عليها رغبة في أن نعرف واستعدادنا التام لذلك .. لذا قيل إن (المعرفة لابد أولاً أن تنطوي على الفهم، أي إدراك بدرجة أو بأخرى للأسباب التي أدت إلى ظاهرة ما أو النتائج التي ترتبت عليها أو ربط عدد من المعلومات ببعضها ببعض على نحو يفيد متلقي المعلومات بشكل أو بآخر فتزيد قدرته على القيام بأشياء لم يكن

يستطيع القيام بها من قبل أو يتضح شيء كان غامضًا أو يصبح المرء أكثر حكمة مما كان عليه أو أكثر قدرة على التنبؤ بالأحداث أو التنبؤ بما يمكن أن يقوله شخص معين من تصرفات - مضيئًا - إذا كان الفهم بمعنى أو آخر من هذه المعاني عنصرًا أساسيًا في "المعرفة" في أكثر المعلومات التي نتلقاها ولا تزيد من "معرفتنا" كما هو الحال مثلًا في إخبارنا بغرق سفينة وعليها مائة شخص أو مائتان دون أن تخطر بأسباب الغرق أو آثاره أو معناه أو مغزاه⁽¹⁾.

ويقول في موضع آخر: (سألت نفسي أولًا عما إذ كان التكوين الطبيعي أو البيولوجي للإنسان يسمح له باستيعاب هذا الكم الهائل من المعلومات والذي يلقي به على سمعه وبصره خلال الدقائق التي تستغرقها نشرة الأخبار التي تتضمن من بين ما تتضمنه، أخبار ثورة هنا، وحريق هناك، ووفاة عالم كبير وزواج راقصة شهيرة وارتفاع أسعار الأسهم في طوكيو وإفلاس بنك في نيويورك، فضلًا عن حادثة تلوث في المحيط الهادي وسقوط طائرة فوق ولاية أمريكية، ثم يعقب كل ذلك أخبار المسابقات الرياضية وخبر وفاة أحد الأسود في حديقة الحيوانات، وما ينتظر أن يكون عليه الطقس غدًا وبعد أسبوع وبعد شهر.. إلخ - مضيئًا متسائلًا - هل حقًا يستطيع الإنسان العادي أو غير العادي أن يستوعب كل هذا في الدقائق التي تلقي عليه نشرة الأخبار وأن يفكر فيها وأن يعطي لكل خبر منها ما يستحقه من اهتمام، حتى يصل إلى مغزاه، ويربط بينه وبين غيره؟ أم أن الأمر ينتهي إلى أن يتحول السامع أو المشاهد لهذه الأخبار إلى متلق سلبي أبله، نسجل على حواسه هذه الأخبار دون أن تحدث أي إضافة إلى فهمه الحقيقي لما يحدث في العالم فلا يبقى إلا ما يتركه كل هذا الضجيج من أثر سيئ على جهازه العصبي؟⁽²⁾.

وبهذا يمكن القول إن المعلومات في تزايد مستمر - في الكم وليس في القيمة - وفي نفس الوقت يحدث العكس بالنسبة للمعرفة، فهي في انخفاض ملحوظ ومتسارع، وهذا

(1) جلال أمين - العولمة ص 68.

(2) المصدر السابق ص 73.

يتنافى بالكلية مع نظرية التطور – المعرفي- والتقدم .. إلا إذا كانت هذه المعلومات تبث بشكل منظم ومنهجي – للإلهاء أو ما شابه – وتقدم وتطور – أو بالأحرى تطوير – مجتمع على حساب مجتمع آخر! .. وهذا الأمر لا يخفى على أحد بالطبع .. خذ حرب الخليج والفتنة الطائفية والإعلامية أمثلة حقيقية "حية" على هذا، وحروب ونزاعات الجيلين الثالث والرابع.

عندما تكلمنا عن الحرب الثقافية، تكلمنا عن الإعلام والتعليم كوسائل وأدوات "قتال" فعالة، بل وفتاكة، والأمر لا يختلف كثيراً. بل لا يختلف البتة- عند التحدث عن المعلومات إذ: (أن تحول المعلومات إلى معرفة يفترض حدًا أدنى من الفهم واستخلاصًا للمغزي وربطًا بين معلومة وأخرى، أي أن هذا التحول يتطلب نشاطًا إيجابيًا هو ما نسميه (بالتفكير) بينما لا يتطلب نقل المعلومات أكثر من القدرة على تلقيها وترديدها⁽¹⁾.

وإذا نظرنا إلى التعليم، أو أنظمة التعليم في معظم البلدان العربية، سنجد أن كل ما بين دفتي الكتب عبارة عن "معلومات" ليست ذي فائدة أو قيمة، ما لم يعد تدويرها، ولم ولا ينطوي عليها إبداع وإنتاج. فإما المشكلة في نظام عقل المتلقي، أو في الملقن أو الأداة أو في الوسيلة..أو في نظام التعليم بشكل عام وتام..وعلى الأرجح هي في الخمسة معاً!.. أما عن التلقين- العادي- والحفظ عن ظهر قلب وتخزين المعلومات دون الاستفادة منها أو تدويرها أو تشكيلها بحيث تصبح ذي مغزى ومفهوم- إلخ من صور نظام البيروقراطية والروتينية-. فقط لتفريغها في آخر العام الدراسي، يجعل من الشخص -سواء كان طالب علم أو متلقياً عادياً أو طالباً جامعياً أو ما شابه- وعقله، أبله لا يعرف ولا يهمه ذلك أصلاً.. عبارة عن خواء وكيس مكدس بالقطن .. فقط يفتخر بكم المعلومات التي يخزنها .. ويعيد نفسه "مثقفاً"-لأنه وصل لدرجة دراسية ما مثلاً- وهو أصلاً لا يفقه نفسه ومراده، وهو الأساس في المعرفة، أن تعرف نفسك أولاً.

(1) المرجع السابق ص 74.

فطالب العلم "ما يعرف" ليس "ما يحفظ" وفي ذلك يقول د/ جلال أمين (ألم نكن نضحك في صبانا ساخرين من زميل (صمام) يحفظ الدروس عن ظهر قلب ويضعها كما هي في ورقة الإجابة دون فهم فيتكرر رسوبه في الامتحان لأنه وإن كان قد حفظ (المعلومات) لم يحقق (المعرفة)؟ - اليوم القاعدة مختلفة: احفظ تنجح!- أليس هذا شبيهاً بما تفعله بنا اليوم ما يسمى (بثورة المعلومات)؟ أو ليس هناك خطر حقيقي في أن يقرن اتساع معلوماتنا بضعف في الإدراك وتدهور في الفهم؟⁽¹⁾

وفي نفس الوقت، سواء كنا نتحدث عن الإعلام أو التعليم، أو أي وسيلة أخرى لاستقبال وبث المعلومات - بكثافة وبلا مبرر - فإنه في كلا الحالات: (هذا الجمع بين المعلومات قد يعطل قدرة متلقي هذه الأخبار على تحويل المعلومات إلى معرفة، إذ لا يترك له وقتاً للتفكير في المعلومة الأولى قبل أن تلقي إليه المعلومة التالية وغير المرتبطة بالمعلومة السابقة فإذا تكاثرت المعلومات على هذا النحو وتضمنت المهم وغير المهم كان هناك خطر حقيقي في أن تطرد المعلومات غير المهمة المعلومات الأكثر أهمية وتحل محلها، إذ أن قدرة المرء على استيعاب المعلومات في أي فترة زمنية معينة لا بد أن تكون محدودة وإذا حل غير المهم محل المهم فلا بد أن يؤثر هذا على القدرة على الفهم، أي أن يقلل من المعرفة⁽²⁾.

ومن ناحية أخرى، ماذا استفيد في أن هناك سيدة ما قتلت في شقتها، وأخرى اغتصبت من قبل جارها، وثالثة تعدى عليها اللصوص وسرقوا حقيبتها، وآخر توفي في حادث سير؟ فعندما يكون كل ما يطرح على سامعنا بهذا الشكل، فإن الإعلام هو الإرهاب الحقيقي!

وطبقاً للتحليل السابق للثقافة، والتحليل الواقعي للمعلومات، ومدى تطبيقها والاستفادة منها - لصالح أفراد على حساب آخرون - فإنه يمكن القول إن هذا العصر

(1) المرجع السابق ص 74.

(2) المرجع السابق ص 68.

هو - وبجدارة "عصر المعلومات" وعصر الخواء، عصر سيطرة اللاشيء على كل شيء عصر الجهل الحلو .. ولا يمكن أن يكون عصر المعرفة والإبداع والرقى بالمعلومة إلى صورة أبعد من تلك التي وجدت عليها، أما عن مصطلح "عصر" فهو - في حد ذاته وصف "نسبي"، مثل مصطلح القرون الوسطى مثلاً، فإنه عند ذكره يتبادر إلى الذهن تخلف وتدهور أوروبا، وتقدم ومدنية العرب .. والعكس بالعكس! (من ناحية أخرى يمكن القول إن كثرة المعلومات لا تكفي وحدها لحل كثير من المشكلات، تأمل فشل الدول الصناعية (المتقدمة) في حل مشكلات الجريمة والعنف وإدمان المخدرات بل ومشكلات التضخم والبطالة .. ألخ مع كل ما يتوافر لدى هذه الدول من معلومات تتعلق بهذه المشكلات، بل أتى أذهب إلى حد الزعم بأن كثرة المعلومات في بعض الأحيان يزيد ضررها عن نفعها⁽¹⁾.

وفي موضع آخر يقول أمين متسائلاً: ("لماذا تبدو لنا أعداد غفيرة من الناس وكأنهم لا يعرفون أي شيء ذي بال على الإطلاق؟" - ويضيف مجيباً - نعم، الأعداد الغفيرة من الناس زادت معلوماتهم بلا شك بل وتضاعفت، ولكن "المعرفة" شيء آخر، وهناك ما يدل على أن زيادة المعلومات قد تنطوي على تضائل المعرفة⁽²⁾).

وفي موضع ثالث يؤكد ما ذهبنا إليه، وما ذهب إليه في الموضع الثالث، قائلاً إنه: (قد يكون هذا العصر عصر المعلومات حقاً، ولكنه على هذا النحو لا يمكن أن يكون عصر المعرفة⁽³⁾).

ويقول د/ جلال أمين - مؤكداً ذلك مرة أخرى في موضع رابع قائلاً: (ثم سألت نفسي عما إذا كانت ثورة المعلومات تعنى بالضرورة ثورة في المعرفة: فالراجع أن المعلومات شيء والمعرفة شيء آخر، بل قد تكون العلاقة بينهما - في كثير من الأحوال - علاقة

(1) المرجع السابق ص 76.

(2) المرجع السابق ص 67، 68 .

(3) المرجع السابق ص 69.

عكسية فإذا زادت المعلومات عن حد معين قلت المعرفة بدلاً من أن تزيد، وذلك إذا أدت زيادة المعلومات إلى عسر في الهضم وضعف في الاستيعاب⁽¹⁾

ذلك أن كثرة المعلومات لا تعنى بالضرورة زيادة المعرفة، بل كثيراً ما يكون العكس هو الصحيح، وذلك عندما تضعف فائدة المعلومة الجديدة وسط كم هائل من المعلومات، وعندما تطيح المعلومات غير المهمة بالمعلومات المهمة، وعندما تضعف كثرة المعلومات فرصة التفكير أو التحليل، وإذا بكثرة المعلومات تضعف ملكة التفكير والنقد لدى القارئ أو المستمع⁽²⁾

بل أني أميل إلى الاعتقاد بأن الكلام الكثير عن ثورة المعلومات وأهميتها في زيادة درجة الرفاهية هو كلام مبالغ فيه إلى حد كبير، إن التقدم في ميدان المعلومات هو بلا شك ضروري للحاق بالعالم المتقدم تكنولوجياً، ولكني لست واثقاً على الإطلاق من أن هذا اللحاق هو بالضرورة شرط لرفع مستوى الرفاهية⁽³⁾

وكدليل على عدم كفاءة وليونة "نظام المعلومات" .. نضرب مثلاً بسيطاً واقعياً على ما سبق .. والتعليم مثلاً.

أنا كطالب في كلية الشعب: تجارة، دائماً ما أطرح على نفسي وأسأتذتي هذا التساؤل الممل!:

- يدرس في كلية تجارة فقط في السنة الأولى حوالي 1500 طالب $\times$ 4 سنوات = 6000 طالب تجارة في جنوب الوادي فقط (بصرفنا النظر عن طلاب شعبة اللغة والتعليم المفتوح)، ألم يفلح طالب واحد سنوياً في أن ينتج فكرة جديدة من هذا الكم الرهيب من المعلومات!!، ألم يفلح طالب واحد في أن "يتفوق" عن طريق - باستخدام - هذا الكم من المعلومات - غير هذا التفوق الدراسي الذي يعرفه جميعنا!

(1) المرجع السابق ص 73، 74.

(2) المرجع السابق ص 98، 99.

(3) المرجع السابق ص 76.

اضف إلى هذا، المنهج الذي لم يتغير منذ أن فتحت الجامعة أبوابها! - بالإضافة لذلك، هناك في مصر 27 جامعة حكومية + الجامعات الأهلية والجامعات الخاصة والأكاديمية = 63 جامعة .. يدرس في كلية تجارة جامعة القاهرة 50 ألف طالب + جامعة عين شمس 30.000 طالب، أما في جامعات مصر كلها، فإن عدد الطلاب ما بين 200 إلى 210 آلاف طالب ألم يفلح واحد من هذا الكم الهائل من دارسي الاقتصاد والإدارة والمحاسبة أن يقوموا هذا النظام الاقتصادي اليابس البائس؟

ألم يفلح واحداً في أن يكون طالب علم؟

ألم تفلح كل تلك الجامعات والكتب والمعلومات - والنظام المعلوماتي والتعليمي - في إنتاج طالب علم واحد!

يقول أنطونيو دانجيلو "حاول ألا تغرق في المعلومات وأنت تبحث عن المعرفة".

ثانياً:

الإيمان:

الإيمان هو: المعرفة المبررة، وجاء في القرآن الكريم مقترناً مرة باليقين ومرة بالفهم، وأخرى بالعلم، وبالعَمَل الصالح مرة أخرى ومرة بالعقل..

باليقين وضده مرة:-

○ (إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ) (التوبة- 45)

○ (إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ) (غافر- 59)

○ (الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (3) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ) (البقرة -4)

○ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْسِبُوهُمَا مِنَ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذَا لَمْنَا لِالْأَمِينِ) (المائدة - 106)

○ (قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كُتِبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ لِيَجْمَعَكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) (الأنعام -12)

○ (إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبٍ مِّنْهُ يَتَرَدَّدُونَ) (التوبة - 45)

وبالفهم والعلم مرة:-

○ (أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يَحْرِفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) (البقرة -75)

○ (وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلِمَ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ) (الأنعام -25)

- (لَكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ) (المنافقون-3)
- (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ ^ج إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ ^ج وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ) (الأنفال - 65)
- (لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهَدَى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) (يوسف - 111)
- (عَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ^ط فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا) (الطلاق-10)
- (إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ^ج فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ^ط وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ) (البقرة - 26)
- (أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يَحْرِفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) (البقرة - 75)
- (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ^ج ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) (الجمعة - 9)
- (تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ ^ج إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) (الصف - 11)

o (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ^ط وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانْشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) (المجادلة - 11)

o (يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ^ط بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ^ق أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ) (الشورى - 18)

وبالعقل مرة:-

o (وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بِعَضُّهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا اتَّخَذْتُهُمْ^ج بَمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ^ج أَفَلَا تَعْقِلُونَ) (البقرة-76)

o (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً^ج مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ^ج أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ^ط الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ) (آل عمران - 118)

o (وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ^ج وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ) (يونس - 100)

وبالعمل الصالح والأجر مرة:-

o (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ^ط هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (البقرة - 82)

○ (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (البقرة-277)

○ (فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ ^ط وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) (النساء-173)

○ (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نَكْلَفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ^ط هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (الأعراف-42)

○ (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ) (يونس-9)

○ (الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَا فِي) (الرعد-29)

○ (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا) (الكهف-30)

○ (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا) (مريم-96)

○ (فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) (الحج-50)

○ (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ

الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) (النور-55)

○ (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ) (العنكبوت-9)

○ (فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ) (الروم-15)

o (لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ^ج إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ) (الروم-45)

o (الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ^ط وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ) (فاطر-7)

o (أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ) (ص-28)

o (وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ^ج قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ) (غافر-85)

o (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ) (فصلت-8)

o (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ) (الانشقاق-25)

o (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ) (التين-6)

o (ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) (الشورى-23)

o (وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ^ج وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ) (الشورى-26)

وبالهدى والرحمة مرة:-

o (وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُرِّ الدَّوَائِرِ^ج عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ^ف وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (98) وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَاتٍ عِنْدَ

اللَّهُ وَصَلَّاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ
(التوبة-99)

○ (أَفَن كَانَ عَلَى بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً
أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِّن الْأَحْزَابِ فَلَنَأْرَ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ
مِن رَّبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ) (هود-17)

○ (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ
الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) (يوسف-111)

○ (وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) (الأعراف-52)

○ (وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بَآيَةٌ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَىٰ مِن رَّبِّي هَذَا
بَصَاطًا مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) (الأعراف-203)

○ (وَمَا أُنزِلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ
يُؤْمِنُونَ) (النحل-64)

○ (أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرًا لِّقَوْمٍ
يُؤْمِنُونَ) (العنكبوت-51)

○ (وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدًى آمَنَّا بِهِ فَمَن يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا) (الجن-13)

○ (فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبَعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)

(الأعراف-158)

- (قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) (الأنعام-12)
- (وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (الأنعام-54)
- (ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يُلْقَاؤُا رَبَّهُمْ يُؤْمِنُونَ) (الأنعام-154)
- (لَنَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْنَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى) (الكهف-13)

وبالتكبر مرة:-

- (سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلاًّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا) (الأعراف-146)
- (قَالَ مُوسَى إِنَّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ) (غافر-27)
- (فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا) (النساء-173)

○ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ (الأعراف-88)

○ (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضِعُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ (سبأ -31)

○ (الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ (غافر-35)

وبالحق مرة:-

○ (ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ) (محمد - 3)

○ (تَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) (القصص-3)

○ (إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعْضُهُ فَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ) (البقرة-26)

○ (خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ) (العنكبوت-44)

o يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ (المتحنة- 1)

o (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالْحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ) (العصر- 3)

o (تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ)

(الجاثية- 6)

o (يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ)

(الشوري- 8)

o (فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ) (غافر- 25)

o (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ) (الحديد- 16)

وبالتقوي مرة:-

o (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مِمَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) (الحشر- 18)

o (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (الحديد- 28)

o (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ؟ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ) (الحجرات-12)

o (وَاصْبِرْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُنَا إِلَيْكَ قَالٌ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَن أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ) (الأعراف-156)

o (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) (الأعراف-96)

o (الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ) (يونس-63)

o (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) (المائدة-8)

o (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ..) (المائدة-2)

o (..وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ) (المائدة-2)

o (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذْ كُورَا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَن يَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ^ط وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) (المائدة-11)

o "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ" (المائدة-35)

○ " وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاَهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ "

(المائدة-65)

○ " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوءًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَافِرَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُم مَّؤْمِنِينَ " (المائدة-57)

○ " وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ " (المائدة-88)

○ " لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ " (المائدة-93)

○ " وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ " (البقرة-103)

○ " زَيْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.. " (البقرة-212)

○ " نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَاتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُّلاقُوهُ ^ط وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ " (البقرة-223)

○ " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مَّؤْمِنِينَ " (البقرة-278)

○ " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ "

(آل عمران-200)

○ " يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ^ط فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ^ط وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مَّؤْمِنِينَ " (الأنفال-1)

- o " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ " (التوبة- 119)
 - o " وَلَا جُرْأَنَ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ " (يوسف- 57)
 - o " وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ " (النمل- 53)
 - o " قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ " (الزمر- 10)
 - o " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُومُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ " (الحجرات- 1)
 - o " إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ^ج وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ " (الحجرات- 10)
 - o " أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا^ط فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا^ج قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا " (الطلاق- 10)
- وجاء أخيراً مقترنا بالقلب، والقلب مركز للفهم والوعي والاطمئنان والتذكر والایمان والإخلاص والحب والإحسان..⁽¹⁾
- o " قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلْجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ " (البقرة- 97)
 - o " وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِذَا تُؤْمِنُ^ط قَالِ بَلَى وَلَكِنْ لَيْسَ مِنْ قَلْبِي " (البقرة- 206)

(1) انظر (كن عظيماً)، مؤلف آخر للكاتب.

○ " يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ لَا يَحْزُنَكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ " (المائدة-41)

○ " وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ^ط وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ^ج وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ آيَةً لَا يُؤْمِنُوا بِهَا " (الأنعام-26)

○ " وَتَقَلَّبُ أَفْئِدَتُهُمْ وَابْصَارُهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ " (الأنعام-110)

○ " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرُّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ^ط وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ " (الأنفال-24)

○ " إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ " (التوبة-45)

○ " قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ " (الحجرات-14)

○ " أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ " (الحديد-16)

○ " مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ.. " (النحل-106)

○ " الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ ^ط كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا ^ج كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ " (غافر-35)

o نلاحظ في تلك الآيات السابقة، أن القاسم المشترك فيها، أنها ترتبط إما بفعل أو بعلم -بطريقة ما - وهذا هو الأساس في الإيمان " مِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ " (البقرة-8)

o والأمر المدهش حقًا أن كل الآيات التي ذكرناها، كان المصطلح المقابل للإيمان عبارة عن وظائف، ومهام وأعمال لمصدر واحد: القلب

- اليقين- مصدره القلب

- الفهم والعلم- بالقلب

- العقل- بالقلب

- العمل الصالح- بالقلب

- الهدى والرحمة- بالقلب

- التكبر- القلب

- الحق- القلب

- التقوى- من القلب

- والملاحظ في الآيات أن بعضها - أولها - يرفع - الله فيها - المؤمن ويمدحه وله في الدنيا نصيب، وبالأخرة نصيب، وأجره غير ممنون، وفي البعض الآخر أو المنتصف الثاني من الآيات فالله يدعو المؤمن للتقوى والصالح والإيمان.

الإيمان له منزلتان: أعلاهما التقوى وتحدث بمعرفة الله، وأدناها درجة الاقتناع"
المؤلف

فما هو الإيمان، ومن هو المؤمن؟

للإيمان صنفان أو شكلان

- الأول عقائدي، نسبي: وهو المعرفة الوضعية، أي أعرف أن الله موجود، لكن ربما لا أعرف الله، أو بمعنى آخر: من يؤمن بالله وكتبه ورسله وملائكته وبالقضاء خيره وشره ولكن لا يصوم ولا يصلي، أو يصلي بعضه ويترك بعضه، أو يعمل ولكن لا يجد ولا يخلص في عمله . وتلك الفئة التي يقول الله فيها

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ " (الصف-2)

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوءًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُم مُّؤْمِنِينَ " (المائدة-57)

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ " (الحجرات-12)

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ " (آل عمران-102)

وهو الإيمان الذي اتفقت عليه جميع الأديان السماوية بدرجات متفاوتة فكل الديانات السماوية مشتركة في الإيمان بالله، وما دون ذلك فهو إما مشرك أو كافر - وسنفهم المقصود بذلك كما توضحه الآيات الكريمة-

أما الثاني: فهو المطلق، أو المعرفة المبررة، أي يعرف الله ويعرف أن الله حق، والجنة حق، والنار حق، والموت حق.. ومحاجاته فيما يؤمن بالمنطق والعقل والدليل.

اتفق الصحابة والتابعون فمن بعدهم من علماء السنة على أن الأعمال من الإيمان، وقالوا: إن الإيمان قول وعمل وعقيدة"
الإمام البغوي.

وأعلى مراتبه - هذا الإيمان-

"اليقين" وأعلى مراتبهم - هؤلاء المؤمنون - "المتقين" ومعرفتهم "منقحة" أي قرآنية، لذا يقول الله فيهم ويصفهم بقوله "إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ" (الأنفال - 2)

وفي بداية كتاب الله عز وجل قد جمع صفات "المتقين" مع كل روابط الإيمان السابقة، فقال تعالى:-

"ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۚ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (2) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (3) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (4) أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (5)" (البقرة 2: 5)

-ودائمًا ما يربط الله تعالى اليقين بالعلم أو الحق، والحق من الحقيقة أي المعرفة المنفتحة -وليست المستوردة- وليس كل علم أو معرفة تعتبر "حقيقة" أو بمعنى أدق ... كل ما يتعارض مع

"الهدى" هو هوى وليس علما حقيقياً:

"إِنَّ هَذَا لَهُوَّ حَقُّ الْيَقِينِ" (الواقعة-95)

"وَأَنَّهُ لَحَقَّ الْيَقِينِ" (الحاقة-51)

"كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ" (التكاثر-5)

"وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ" (الحجر-99)

وعكس اليقين، الظن والظن مخالف للحق – أي الحقيقة:

○ " مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا " (النساء-157)

○ " مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا "

(النجم-28)

○ " وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ

إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُستَيْقِنِينَ" (الجاثية - 32)

○ " وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنْ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنْ اللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ "

(يونس-36)

○ " قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ "

(الأنعام-148)

○ " وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ

عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ" (الجاثية-24)

○ " وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ " (البقرة-78)

واليقين في قاموس المعاني:-

- يقال على يقين من الأمر: عالم به حق العلم.

- عين اليقين: أعلي درجات العلم

- حق اليقين: (الفلسفة والتصرف) ما يعبر به عن عليا مراتب المعرفة عند الصوفية وفيها تتوحد ذات العارف مع موضوع المعرفة، بمعنى فناء العبد في الحق والبقاء به علما وشهوذاً

- هو على يقين بما سيحصل: أي عالم به حق العلم.

- ومما يمكن أن يضرب مثلاً على اليقين: خالد ابن الوليد (رضي الله عنه وأرضاه)

عندما شرب السم، وذلك عندما قالوا له: إن كان نبيك ودينك على الحق، فاشرب هذا السم، فلو قال لا : فأين اليقين، فشربه، فحفظه الله من ذلك.

- واليقين ما اليقين، وما ذكره الشيخ أحمد القطان، فيقول في تلك القصة التي سمعها من داعية، فيقول:

إنه في الكويت خرجت فتاة من الجامعة ووقفت عند باب الجامعة أو في مكان ما قريب تنتظر والدها أن يأتي ليأخذها إلى البيت، وبينما هي واقفة، مرت سيارة فيها 3 شباب لاصطحاب صديق لهم، ولم يخرج، فاستوقفوا هذه الفتاة ودعاها أحدهم للركوب معهم على أن يوصلوها البيت فرفضت بشدة، وقالت له: اتق الله أليس لديك أخوات، فقال لها: لأنك مثل أختي أريد أن أوصلك للبيت واستطاعت أن تفلت من الأول وتمضي في طريقها إلا أن أحدهم فتح باب السيارة ووقف لها وضربها وشدها بالقوة وأدخلوها السيارة ووضعوها في الكرسي الخلفي تحت أرجلهم ونزلوا بها ضرباً بالأحذية

حتى ما استطاعت شيئاً، وذهبوا بها إلى مكان بعيد، وكانوا يشربون الخمر، وكان قد دخل وقت المغرب فحين أخرجوها من السيارة قالت لهم: أريد منكم طلباً، هل عندكم ماء فأنا صائمة، وأريد أن أفطر فقالوا: ليس لدينا إلا الخمر وحاولوا إرغامها على الشرب، ولكنها تملصت من ضربهم، وقد أوجعوها ضرباً بالأحزمة، فقالت لهم إذا لي طلب أخير، فأنتم الآن قد تمكنتم فدعوني أصلي، فليس هناك مهرب من قضاء الله، فأنا أدرك أن ما أنا فيه ابتلاء فجلسوا في السيارة بانتظار انتهائها من الصلاة، وكانت تدعو إذا سجدت بدعاء أظنه: اللهم أكفينهم بما شئت، حتى إذا انتهت، جاءت سيارة فحين رأوها قادمة، أخذوا الفتاة ووضعوها في شنطة السيارة وجلسوا في سيارتهم، فدارت السيارة عليهم مرتين ثم نزل منها أبوها وأخوها، وكان معهما عصي ثقيلة، أوسعوا هؤلاء الشباب ضرباً، ثم بدون مقدمات أو كلام، أخرجوا الفتاة من شنطة السيارة وأدخلوها سيارتهما دون أن يتكلموا معها، وحين وصلوا لباب المنزل قالوا لها: انزلي بسرعة فأملك قلقاً جداً جداً عليك، فنزلت ودخلت على أمها، التي قد ثارت من القلق والخوف عليها، وسألتها حين دخلت: بنتي حبيبتي! أين كنت فقد كدت أموت من الخوف عليك؟ فقالت البنت: أبي وأخي أحضروني، فنظرت للدور العلوي فإذا بوالدها ينزل لتوه من الأعلى، فقالت الأم: يابنتي أبوكي هنا لم يخرج قالت: وأخي؟ قالت هو محموم ونائم في غرفته، فمن الرجلين إذن!

هما ثمرة الدعاء، ملكان كريمان، فحين دعت قالت الملائكة: صوت معروف لعبد معروف!

هذا بالنسبة ليقينها، أما بالنسبة لتقواها، فإنه " وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا، وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ " (الطلاق 2:3)

أما عن معرفة الله: فهي غاية الغايات، ويعرف الله بالتأمل والتفكر-الشرعي والكوني أو بآياته الشرعية والكونية- وبأسمائه والعمل بها، لا معرفة ذات وهينة، ولا يجوز ولا يمكن تصويره - عز وجل لأنه "لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ" (الشوري- 11)

وأسماء الله هي صفاته، يقال -ولله المثل الأعلى - فلان يمتلك الرحمة (صفة) إذن هو رحيم (اسم) فانطبقت الصفة على الموصوف..وفي نفس الوقت، يقال اسم على مسمى - مثلاً رؤوف ويعمل بمقتضى اسمه، ويتصف ويتميز بالرفاة.

- ويقال عن فلان إذا كان ملتزماً ويخشى الله ويخافه ويأمر بالمعروف وينهي عن المنكر، إنه يعرف الله.

- قال الأصفهاني في كتابه (الحجة في بيان المحجة): قال بعض العلماء أول فرض فرضه الله على خلقه معرفته، فإذا عرفه الناس عبدوه -مضيفاً- فينبغي على المسلمين أن يعرفوا أسماء الله وتفسيرها فيعظموا الله حق عظمتهم ولو أراد رجل أن يعامل رجلاً طلب أن يعرف اسم أبيه واسم جده، وسأل على صغير أمره وكبيره.

- وعن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: خرج الحسين بن علي عليهما السلام على أصحابه فقال: يا أيها الناس إن الله جل ذكره ما خلق العباد إلا ليعرفوه فإن عرفوه عبدوه.

ومعرفة الله تحدث بالتفكير في آياته الكونية والشرعية، قال تعالى: "وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ (20) وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (21)" (الذاريات 20:21)

وقال تعالى: "سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ" (فصلت- 53)

ولا يعرف ربه من لا يعرف نفسه "وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ" (الذاريات- 21)

وورد عن عمر بن العزيز أنه قال (رحم الله امرئ عرف قدر نفسه" فمن عرف نفسه، احترمها، فخشي الله من المعصية أو الجهر بها).

وأخرج ابن المبارك عن عطاء قال: قال موسى – عندما كلمه ربه: يا رب أي عبادك أحب إليك؟ قال أعلمهم بي.

فلا يمكن علم الله، بل العلم به، أي بوجوده، وتوحيده "فاعلم أنه لا إله إلا الله" محمد 19، وكل ما في الكون من آيات، هو دليل على "الوحدانية" وعلى وجود إله حكيم، قدير، عظيم..

فنحن يمكن أن "نعرف" الرحمة – مثلا – أو نتصف بها – أما الرحمة المطلقة فهي لله عز وجل، الذي "وَسِعَ كُلُّ شَيْءٍ عِلْمًا" (طه- 98) إنما مطلق العلم، مطلق الرحمة نحن نحاول فقط أن نكون رحماء أو مرحومين "وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلُّ شَيْءٍ" (الأعراف- 156)

وكذلك قال تعالى "ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما" (غافر- 7)

ولنتأمل أيضا قوله تعالى "إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ" (القصص- 56)

نحن فقط نحاول أن نكون سببًا في الهداية فلا يمكن أن يحيط الإنسان علما بشيء، ولو في مجال تخصصه – كما أشرنا إلى هذا في موضع سابق – ولو حتى كان علما هو مؤسسه، هذا ضرب من ضروب الخيال "وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ" (البقرة- 255).

فالعلم ممدود لا محدود بل لا حدود لعلوم الأرض نفسها، فما البال بعلم الله "نفسه"

الذي "لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ...!!" (الشوري- 11)

والله عز وجل "وَسِعَ كُلُّ شَيْءٍ عِلْمًا" (طه- 98) و.. "قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا" (الطلاق-

12)، "وأحصي كل شيء عددا" (الجن- 28) "وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا" (طه - 110)

- وعكس العلم "الجهل" وبأي شكل من الأشكال أي إنسان جاهل، والجهل ليس نعتا ووصما – كما يرفضه أصحاب النفوس المريضة والأنوف العريضة- بل هو صفة للجنس البشري، فمن نحن لنساوي الله في وصفه!!

- وعكس المعرفة: الإنكار- وليس الجهل، كما هو متعارف عليه عند بعض الناس أو المعاجم- فقد جاء في تفسير الجلالين، في قوله تعالى "وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَّفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ" يوسف 58 ، وقال تعالى "أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ" (المؤمنون- 69)

وقال تعالى "قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ " (النمل- 41) وفي تفسير الجلالين: أي: غيروه إلى حال تنكره إذا رآته، أي لا تعرفه.

كما قال عز وجل "إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا ^ط قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ" (الذاريات- 25)

في تفسير الجلالين: أي لا نعرفهم، وقال تعالى "يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعُ إِلَى شَيْءٍ نُّكْرٍ" (القمر- 6) أي غير معروف.

وهذا منطقي، لأنها أحداث لم تمر، أو قد أنفها المرء من قبل وهو أمر عجيب ومخيف في الوقت عينه.

• أضف إلى أنه في مبادئ النحو العربي، وتحديدًا في درس الاسم، قد مر علينا درس المعرفة والنكرة، ولم يكن المعروف والمجهول!

• كما أنه أيضًا - مرادف المعرفة: الإيمان، وكذلك عكس الإيمان: الكفر، وعليه مضاد المعرفة: الكفر، وجاء في معجم المعاني: كفر النعمة: أي أنكرها

والكفر هو: الغطاء والضلال المتعمد، وجاء أيضًا في قاموس المعاني

- كفر الشيء: ستره، غطاه، كفر عليه

- كفر الليل الحقول: غطاء بظلمته وسواده

وجاء في قاموس المعجم الوسيط:

- كفر الزارع البذر بالتراب: ستره وغطاه

- كفر النعمة: أنكرها، جحدها ولم يشكرها

ولبيان المعني، يقول تعالى:

"الَّذِينَ آمَنَّا هُمُ الْكَافُّونَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ"

(الأنعام-20)

"يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ" (النحل-83)

"إِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ"

(النحل-22)

"وَحَدُّوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلُمًا وَعُورًا" (النمل-14)

أي أنه يعرف أنه لا إله إلا الله، والجنة حق، والنار حق، ولكن لكبره، أو حاجة في نفس يعقوب فقط يرفض تلك الفكرة، فيستغنى عن الفكر بالكفر!

أما المعرفة فهي شيء نسبي في شيء كلي وهو العلم، وتحدث تلك المعرفة عن طريق مستقبلات الإدراك، سواء حس أو لمس أو سمع أو صوت أو نظر أو رؤية..

والله تعالى دائماً ما يربط المعرفة بالحواس، فيقول تعالى:

"تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ" (البقرة-273)

"لَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ" (هود-70)

"وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ" (غافر-81)

"وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ" (المائدة-83)

"رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ" (الأعراف-46)

"وَإِذَا تُلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ" (الحج-72)

"سِيرُكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا" (النمل-93)

"وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمُ فَلَاعَرَفْتُمُ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ" (محمد-30)

"يَعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ" (الرحمن-41)

"تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ" (المطففين-24)

فالإيمان هو المعرفة، والقرآن علم الله المنقح فهل هناك هدى بعد - بغير- هدى الله، وهل هناك ضلال بعد الاستعانة بهوى الناس على هدى رب الناس.

- وهنا نتساءل: هل فعلا الإيمان والعقيدة والاستسلام لهما يجعل الإنسان غير حر وبقيد فكره، وذلك -هو- سبب ابتعاد العلماء عن الدين.. وإلحادهم!؟

ابتعاد العلماء-وغير العلماء- عن الدين ذلك أمراً آخر سنناقشه في الباب التالي إن رضى الله وشاء.. أما عن العقيدة، فهي تسهل العالم المعقد، وتضبط المعاملات والنفس، وتشرع قواعد ومناهج ومبادئ وضوابط العالم والعلماء، على مبدأ الأخلاق، الذي لطالما تخلف عنه غير المسلمين وتميز به علماء المسلمين والحضارة الإسلامية: ذلك الطابع الإنساني والأخلاقي.

- ونهضة المسلمين، والتي نهل العالم أجمع منها، ما هي إلا دليل على براعة وإبداع القرآن، أو من يفكر بالعقيدة.

- والقرآن لا تبدو آية فيه إلا وتحث على أمرين، سواء من قريب وبشكل مباشر أو من بعيد هما الأخلاق والعلم.

- أما عن آيات التفكير والتدبر والتنوير

فهي كثيرة جداً، وملهمة جداً، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

يقول تعالى: "قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ" (العنكبوت-20)

" إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (190) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ " (آل عمران 190: 191)

" إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ " (البقرة-164)

" أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ^ط مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى^ط وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ (8) أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ^ج .. " (الروم 8 - 9)

"وَفِي أَنفُسِكُمْ^ج أَفَلَا تُبْصِرُونَ" (الذاريات-21)

" أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا " (الحج-46)

" أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا " (محمد-24)

" لَيَنْظُرَ الْإِنْسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ " (عبس-24)

" أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ، وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ، وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ، وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ " (الغاشية 17: 20)

" وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ
أُنثَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ " (الرعد-3)

"هواهم" أم "هدانا"؟

فالإيمان هو المعرفة، والقرآن علم الله المنقح فهل هناك هدي بغير هدى الله وهل
هناك حقيقة بعد "حق" الله، الذي أحق الحقائق!

قال تعالى "وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ " (الأعراف -

(52)

إن أفضل اللحظات التي تمر بها في حياتك هي تلك التي تعي فيها جيدًا ما هي أسوأ
اللحظات التي مررت بها... فعندما تدرك أن مريض السرطان ليس لديه سوى خيار
الإرادة للشفاء.. وبعض من المركبات الكيماوية المؤلمة.. ستدرك أيضًا أن ما تعانيه قد لا
يعدو كونه حكمة بين ثنايا جلدك.. وما زال لديك العديد من الخيارات للتخلص منها...
كذلك تبدو لك لحظات الخوف.. فلا يجب عليك أن تخشى الظلام بينما تجلس في وضوح
النهار على أحد المقاهي.. والأحرى بك أن تخشى خيانة النهار.. على أن تخشى صراحة
الظلام

الهوى يعني الكذب والنفاق والضلال .. الذي فسد به العلم – بهوى بعض العلماء
أو المتعالمين أو حتى طلبة العلم- واشتدت نزعة شهوة السيطرة على العالم وحب
التملك، فبات العالم يفقد أخلاقه رويدًا ويسير حيث تأخذه "الأنا" وأصبح "من يملك"
هو نفسه فاقد الشيء الذي يعطيه!

" إِنَّمَا يَقْتَرِي الكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ^ط وَأُولَئِكَ هُمُ الكَاذِبُونَ " (النحل-

(105)

" بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ " (المؤمنون-90)

" وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ
خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ " (العنكبوت-12)

ويقول ابن عثيمين في معرض الذكر إن (انحراف العقول - يكون - إما لشبهات تعرض للإنسان أو شبهة بمعنى إرادة سيئة يريد مخالفة الحق - مضيقاً وموضحاً - لو تأملت جميع "المنحرفين" عن الشرع لوجدت أن هذا هو أساس انحرافهم، إما شبهة تعرض لهم إما لنقص في العلم أو نقص في التصوير وإما شهوة بمعنى إرادة سيئة، هذه في الحقيقة هي الأسباب التي يضل بها من ضل الناس).

وقد قال تعالى "وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ^ج وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَمَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ" (الرعد-37)

والغرب يتبعوا الهوى لا الهدى، ونحن اتبعنا هواهم وتركنا هدايا "القرآن"

وقال تعالى "ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ"
(الجاثية-18)

الدين موجه جيد. فالدين يعمل بالعقل، والعلم يعمل بالدين، وعقل العلم الدين -
ودين العلماء الهدى.

"فَأِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِّنِّي هُدًى فَرَنِ اتَّبِعْ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى" (طه-123)

- ودين المتعلمين الهوى

"أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ^ج وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ" (القصص-50)

من يتبع الهوى يضل ويشقى، وهذا ما يترجم حالنا، فقد أصبحنا أسفل سافلين بعد أن كنا

في عليين.

- إذ أن الهدى هو المعرفة المنقحة، والهوى هو: المعرفة المستوردة - قسراً ونهجا!

- والآيات كثيرة التي تتعاطى تلك المسألة سواء في صورة هوائية أو عقائدية نذكر منها قوله تعالى:

"وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ^ق قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ^ل بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ" (البقرة-120)

^{لا} "إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ" (البقرة-159)

"وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ^ج وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتِهِمْ^ج وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ^ج وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ^ل مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ" (البقرة - 145)

"وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ ^ط فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ.." (المائدة- 48)

"وَأِنْ أَحْكَم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ" (المائدة- 49)

"قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَصْلُوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ" (المائدة- 77)

"قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ ^ج قَدْ ضَلَلْتُمْ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ" (الأنعام- 56)

".. فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ ^ج وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ يَرْبِّهِمْ يَعْدِلُونَ" (المائدة- 150)

"فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ^ج وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ.." (القصص- 50)

"بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ^ط فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ.." (الروم- 29)

"قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ ^ط بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ" (سبأ- 32)

"فَلِذَلِكَ فَادْعُ^ط وَاسْتَقِمْ^ط كَمَا أُمِرْتَ^ط وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ^ط وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ سَكَابِ^ط
وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ.." (الشورى -15)

"وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ" (المؤمنون - 71)

" وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا^ج
أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ" (محمد- 16)

"إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيَّتُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ^ج إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ
وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ^ط وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى" (النجم-23)

" وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ^ط إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ^ط وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا
(28) فَأَعْرِضْ عَنْ مَن تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (29) ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ
الْعِلْمِ^ج إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَن اهْتَدَى" (النجم: 27: 30)

" وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ^ج وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ" (القمر-3)

وقد لخص كل شيء -في معرض ذكرنا- في تلك الآيات، إذ يقول الله تعالى:

" وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (21) وَيَوْمَ
نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا آيِنَ شُرَكَائِكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (22) ثُمَّ لَمْ تَكُنْ
فِتْنَتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ (23) انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ
مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (24) وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ

وَقَرَأَ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَٰذَا إِلَّا
 أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (25) وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (26)
 وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ
 (27) بَلْ بَدَأَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (28)
 وَقَالُوا إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (29) وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ
 هَٰذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ"

هذه الآيات من سورة (الأنعام- الآيات 21: 30)

وهي - السورة - تصف بدقة شديدة الحاضر - من أول آية إلى آخر آية فيها -
 وخصوصاً الغرب، وكأن المقصود باسم السورة - ومضمونها -هم الغرب!، ولكن لا
 اعتقد ذلك لأن الله تعالى يقول ويؤكد: "بل هم أضل.." الأعراف 179، الفرقان 44.

الفكر الغربي تأسس على المادية التي تنفي وجود الله، بل وبالإنسان

- محور الكون- بالشعارات المضللة، والمفرغة من معانيها (حرية، إنسانية، تنوير..)
 لتقويض مبادئه وأخلاقه وثقافته العقائدية والاجتماعية، لدرجة أنه - وعلى سبيل
 المثال - صرح أحد رؤساء إحدى الدول العربية -تونس- مؤخراً -منافياً بما صرح شرع
 الله - بمساواة المرأة بالرجل في الميراث وبزواج المرأة من أجنبي وأثار هذا سخطا وغضب
 المسلمين سواء غضب وغيرة على العرض والأخلاق أو على الدين والعقيدة - وكان هذا
 المهرج - وغيره ممن يعيثون في عقول الناس وعقيدتهم وأخلاقهم، بنفس هاته الشعارات
 - العلمانية الغامضة -أحكم من الله وشرعه، وتشريعه يرتضي له، وأن الناس "تنتظر"
 من يفسد عليها دينها وأخلاقها وعرضها، وأن الناس سيتغاضون عن أمر الله وأحكامه،

ويتبعون هذا الدين الجديد ورسله المتنورين الحداثيين الذين يتلاعبون بعقول الناس وعواطفهم، وبقِيمهم وأخلاقهم ومبادئهم من ناحية.

يقول الله تعالى..في سورة الأنعام أيضا!

" فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ " (الأنعام- 5)

يقول الله تعالى " قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ " (المائدة-77)

وفي الأنعام مرة أخرى يقول تعالى "وَأَنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ " (الآية-119)، ويقول تعالى أيضا "قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ اقْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ " (الأنعام-14)

" وَأَنَّ أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ.. " (المائدة-49)

الخلاصة

من لا يعرف نفسه، لا يعرف الله، ولا يؤمن به علما ولا شرعا.

الفرق بين ولادة أمرنا من الحكام وحكام الغرب.. هو كالفرق بين الحاكم والمحكوم!

أو قل.. هو كالفرق بين نظامنا التعليمي ونظامهم التعليمي.

والفرق بين نظامهم التعليمي ونظامنا التعليمي.. هو كالفرق بين المعلومات والمعرفة..

والمعلومات هي ما تصنع عبدة المصالح والنفس.. والمعرفة هي ما تصنع الملوك والأباطرة والمنتحكمين والموجهين.

ولكن المعرفة الكونية بدون المعرفة الإلهية ومعرفة الله تصنع فسدة وفاسدين.. والمعلومات كذلك!!

الفكر في رأس من لا يفكر

أمرنا الله تعالى - بالتفكير والتأمل في كل شيء لنعرفه " سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ " (فصلت- 53)

وليس لتفكير وتهميش كل شيء (العلم) ليتوافق مع أهوائنا -أهوائهم- وفكرهم وأهدافهم الشخصية والنزعة اللاأخلاقية!

سواء ضد -للتشويه - العقيدة، أو ضد فكرة وجود الله الواحد القهار - سواء إله الإبراهيمية -وبالأخص إله الإسلام الواحد الأحد - أو إله حكيم للكون بشكل عام -، وكان التطور الدارويني "النظرية الأم" لتلك الفكرة، والقاعدة، لها بل والقاعدة "للشر المطلق" في العصر الحديث وأي فساد في الأرض يقترب منها، فمهما كان مفهوم "موت الله" وسحق الإنسان، بكل ما تقتضيه الكلمة من معنى، والتي تؤصل فكرة البقاء للأقوى -أو للأبيض إذا أردنا الدقة-، الفاشية والنازية، والدموية والرأسمالية "السوقية" و"دولة الغاب" والتطرف والتعصب والعنصرية والقبلية، والعدمية والإرهاب المدني والسياسي.. هذا كله ثمار التطور - والفكر التطوري المادي - وإطار - أو أقل مضمون - صورة

الغرب -الحقيقية و"المدنية الأحادية" في المجتمع الغربي.. وإن كان الغرب ينمو ويتطور في شيء واحد، فإن هذا الشيء هو "التطور الدارويني".

ومع ذلك يدعون التحضر والتمدن – برغم كل ما يعانيه المجتمع الغربي وما يعانيه المجتمع العربي من -كنتيجة ل- فساد وشهوات المجتمع الغربي.

فحتى الآن، يمكن القول، إنه لم تنشأ حضارة مدنية في التاريخ ذي طابع إنساني إلا حضارة العرب، التي انبثقت منها الحضارة الغربية.. وتجاوزا سنسميه "انبثاق".. وتجاوزا سنسميها "حضارة"

فالحضارة والمدنية الحقيقية:

- لا تتخذ العلم أداة للتحكم في عقول البشر
- العلم فيها يحيي ولا يميت قسراً روحاً ونفساً
- العلم فيها أداة توعية لا تغييب
- الإنسان فيها غاية، وليس وسيلة ذو صلاحية معينة
- لا تعادي الآخر، فكره وعقائده وثقافته ومبادئه وأخلاقه ودينه
- لا تعادي الأخلاق بل تقوم عليه
- المال فيها وسيلة لا غاية
- تقوم على الحيادية والموضوعية لأعلى التحيز والتعصب ضد الغير لمجرد أنه أسود أو مسلم مثلاً – سواء الإعلام أو العلماء فيه
- أي "حضارة" تتسم بالعطاء والوهوب.
- لا تعث وتوسع في الأرض فساداً.

- لا تقوم على حساب آخرين، بل لهم.

- تدعو للفضيلة لا الرذيلة، والزنا، والزور والكره والحقد والفرقة فإن (روح الحضارة الغربية هي الوثنية الإغريقية، الثقافية الفنية والقانونية الرومانية الاستعمارية والرواسب اليهودية النصرانية والفلسفة الداروينية والفردية الليبرالية المنفعة الاستهلاكية الدوابية) ⁽¹⁾ وقد وصف فأحسن وصدق "ومن أصدق من الله قيلاً"؟

فقد قال تعالى

"إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ" (الأنفال- 55)

"أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا" (الفرقان- 44)

"إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْرُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ" (الأنفال- 22)

وقد وصف الدكتور عبد الوهاب المسيري تلك الحضارة الدوابية، المادية وصفاً مفصلاً، فيقول إن:-

الحضارة الحديثة -في تصوري -حضارة عقلانية، مادية (لا عقلانية وحسب) فإنجازاتها الضخمة (التكنولوجيا، العلم، السيطرة على العالم) هي نتائج رؤيتها المادية، التي تطلبت استبعاد الكثير من العناصر الأخلاقية والإنسانية (العناصر غير المادية) وذلك لتبسيط الواقع بهدف التحكم فيه (إذ لا يمكن التحكم إلا فيما هو بسيط)، أما إخفاقات الحضارة المادية الحديثة فلا تقل ضخامة عن إنجازاتها!

(1) عبد السلام ياسين- العدل: الإسلاميون والحكم ص 396

ومن أهم تلك الإخفاقات: الأزمة البيئية، الحروب العالمية، فقدان الاتجاه (أي أن لا يعرف الإنسان أين هو ذاهب)، ظهور العبثية (أي أن يتصور الإنسان أن العالم لا معنى له وأن الصدفة العمياء تتحكم فيه)، تحول الوسائل إلى غايات .. وهذه الإخفاقات -مثل الإنجازات- من نتاج الرؤية المادية للحضارة الحديثة، وتمثل الحضارة الحديثة " بناء ماديًا " ذي مستويين:

مستوى فلسفي (الأفكار المادية، التي هي نتاج العقل المادي)

ومستوى تطبيقي عملي، هو المتمثل في مظاهر الحضارة الحديثة بإيجابياتها وسلبياتها.

ثم يضيف قائلا إن: العقل المادي الذي أنشأ هذه الحضارة، عقل محايد – أي بعيد – لا علاقة له بالأخلاق أو بالأسئلة الكلية (الخاصة بمنشأ الإنسان ومآله، والغرض من وجوده في الكون) أو بالمقدس أو بما يتجاوز عالم الحواس الخمس المباشر، ويتعامل العقل المادي مع ما يصله من معلومات ومعطيات ولا يمكنه تجاوزها، لذا فهو يفرض ما يمكن تسميته "منطق الأمر الواقع" أو "أخلاق الصيرورة" أي أنه لا يعترف بوجود قيم أخلاقية أو إنسانية ثابتة ومستقرة، ويرى أن كل شيء -بما في ذلك تلك القيم – في حالة تغير وتحول دائمين، ولذا يفرض هذا المنطق على الإنسان أن يستمد قيمه من واقعه المتغير، نلخص من هذا إلى أن مهمة العقل المادي هي اختزال كل شيء – بما في ذلك الإنسان – في جانبه المادي فقط، بهدف الاستفادة منه، لذلك فهو يقوم بهدم الإنسان وتفكيكه إلى عناصر مادية أولية، ويعتبر الفكر المادي أن العقل يفكر كما تهضم المعدة الطعام، وكما تفرز الكبد الصفراء، وهذه الرؤية العقلانية المادية للإنسان تردده إلى طينته وتزرعه عنه القداسة وتفقد مركزيته في الكون. كان من الطبيعي أن يفرض العقل المادي فكرًا ماديًا هكذا – يقول المسيري، ثم يعرض بعض مفكري الحضارة المادية ورواد الفكر المادي، فيقول:

لعل "هوبز" هو أول مفكر ساير المفاهيم العقلانية المادية، فحين أعلن أن الإنسان ذئب لأخيه الإنسان وأن التعامل الاجتماعي بين البشر لا يتم بسبب فطرة خيرة فيهم وإنما من فرط خوفهم ويتم بدافع غريزة حب البقاء، وقد اتفق معه "ميكافيلي" حين أعلن أن الوسائل كلها مبررة من أجل تحقيق السلطان السياسي.

أما "سبينوزا" ونيوتن فقد قدما عالما ألياً تماماً لا تستثنى الذات الإنسانية من قوانينه المادية، وأكد هذا المعنى الفلكي "لابلاس" حين قال لنابليون إن تصوره لبنية الكون لا يحتاج لافتراض وجود إله، وأما "جون لوك" فقد أكد أن العقل صفحة بيضاء تراكم عليها المعطيات المادية وأن ليس هناك دور لفطرة خيرة توجهه، وبين الماركيز "دي صاد" و"فرويد" أن الإنسان يحوي الذئب داخله (دوافع) وخارجه (سلوك) وأن ذاته المتحضرة ماهي إلا قشرة واهية تخبئ ظلمة تعوي داخل الإنسان ومن حوله، ويرى "داروين" ضرورة الصراع من أجل البقاء، وأن البقاء للأصلح، وقد أعلن "نيتشه" أن ما تفرضه الذات الإنسانية من مثل وهمية هي إحدى الحيل التي يحاول بها الضعفاء أن يخنقوا حقوق الأقوياء.. ويرى "ماركس" أن الذات الإنسانية المستقلة وهم ما بعده وهم.. فوراء المثل والقيم يوجد الصراع الطبقي ووسائل الإنتاج - وفكر الأربعة الأخر: فرويد، داروين، نيتشه، ماركس.. هو الأكثر سيطرة، وأسس بناء المجتمع الغربي بتحلله و"شهواته" ونزاعاته وعدائه للغير وللإنسان - ويصل هذا الاتجاه إلى قمته في فكر ما بعد الحداثة الذي يعتبر "دريدا" أشهر فلاسفته، فلا وجود فيه لذات إنسانية تميز الإنسان بما تحمله من قيم ومثل عما حوله من الماديات كما لا توجد غاية عليا للوجود الإنساني، وقد انعكست هذه النظرة الفلسفة على بنية المجتمعات المادية، أي على المستوى التطبيقي العملي، ويمكن اعتبار أن القرن التاسع عشر قد شهد انتقالاً تدريجياً من الرؤية الآلية للإنسان إلى الرؤية العضوية، وإذا كان "نيوتن" قد جعل من الكون ساعة والإله هو صانع الساعات الماهر (الرؤية والآلية) - وإن كان يقصد من تلك الفكرة تقريباً فلسفياً للكون "المعقد" وليس تقريباً مادياً فهو لا ولم ينظر قط إلى الله نظرة

الماديين- فإن عالم "داروين" العضوي يختفي منه "الإله" تمامًا فأصول الإنسان تعود لأسلاف القردة العليا ومن قبلها الزواحف، ثم يؤكد "فرويد" أن غابة القردة تقع داخل الإنسان على شكل "لا واعي" مظلم وغرائز متفجرة، وقد أجرى العالم الروسي "بافلوف" تجاربه على الكلاب ثم طبق نتائجها على الإنسان فقد كان يفترض أنه لا توجد فروق جوهرية بين كليهما وأخيرا يأتي "فوكوياما" (فيلسوف ما بعد الحداثة) ليزيد الطينة بلة إذ يقارن الإنسانية ببعض الأشكال التي خطت على الرمال، ثم تمحوها الأمواج أي أننا أصبحنا لا شيء! انتهى كلام المسيحي، ويضعف الدكتور عمرو شريف معلقا "هكذا اختفي الإله كما اختفي الإنسان المتسامي من عالم الفكر المادي"⁽¹⁾

وفي سنة 1859 صدر ل "تشارلز داروين" (1809- 1882)، عالم تاريخ طبيعي وبيولوجي بريطاني) كتابه (أصل الأنواع) -الذي صدر تحت عنوان " في أصل الأنواع عن طريق الانتقاء الطبيعي أو بقاء الأعراق المفضلة في أثناء الكفاح من أجل الحياة" وتم تغيير الاسم، إلى المتعارف عليه حاليا في الطبعة السادسة من الكتاب عام 1872 -الذي خرج فيه علينا بفرضياته التي تعتبر أن أصل الإنسان ليس سوى حيوان متطور" أو "ينحدر من أسلاف القردة".

ونحن نتفق معه، فهكذا جعلت المادية من المجتمع الغربي غابة اقتصادية، والإنسان الغربي دوايها - هكذا جعلت منه التكنولوجيا العدمية وسياسة الورقة الخضراء والحضارة المادية .. يجري وراء نزواته وشهواته، حتى استحال الغرب إلى "شقة دعر" كبيرة، يهفو المغفلون مسيرتها واللاحق بها لتحقيق تلك المدنية الطاهرة النقية التي حققها الغرب، وأبدعوا فيها بجدارة. يقول الحق تعالى:

" وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بُكْرٌ عَمِي فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ " (البقرة- 171)

(1) د. عمرو شريف-خرافة الإلحاد- انظر الصفحات 43:40

وبالفعل فقد جعل من - هذا - الإنسان آلة صماء تتحرك -وتتكلم وتردد كيف شاء الإعلام، وتتكلم وتفكر متى شاء له أن يفعل ذلك، ويسير حيث تأخذه التكنولوجيا، وسياسة السوق العالمي كأداة استهلاك وإنتاج هنا نتفق معهم ونخبرهم: حسناً، الإنسان مسير!

"وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ^ج وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ" (يونس- 100)

"وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ ^ط لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ"

(الأعراف-179)

"أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ^ج إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا"

(الفرقان-44)

الإنسان - في الحضارة الغربية لم يوجد في صورته الكائنة، إنما أريد له أن يكون كذلك -ونحن لسنا أفضل أو أسوأ شأنًا - وفي حقيقة الأمر، هو مثير للشفقة، والعذر كل العذر له ... أما فالعزاء والعبرة في " المجتمع الغربي " الذي بني من نفايات الأفكار وأسس على حيوانية الفكر وأنقاض جماجم الأبرياء -على أساس أنهم أعراق منحلة - " ومنذ ذلك الحين وصوت الداروينه يعلو أن الإنسان خلق ذاته وأنه نتج عن فعله أي أنه غير ممتن بوجوده لأحد فأصبح إله نفسه، خالق نفسه، وتلك هي الكرامة التي أرادها داروين للإنسان أن يكون قردًا في الأصل - مع فارق في طبيعة الخلق طبعاً- وهو وصف يشعر كل ذوق سليم بالتقزز لا محالة، فالمسلمة الدوابية إذن تجعل من الإنسان

مجرد فرد راق لا غاية له في الحياة سوى الرفاهية والمتاع وفي سلم القيم الدوابية الحضارية المادية حب الحياة"⁽¹⁾.

معرفة " تحت السلم "

وإن كانت الأخلاق طرفاً في معادلة الحضارة والتحضر فكأد أجزم أن الغرب لم يتمدّنوا بعد.. حتى اليوم يسوق المجتمع الغربي للنخاسة والإباحية ويحللون ما حرّمته الأديان السماوية، على أنه تمدن وحرية شخصية!.

" وتصبح الإباحية إذا كان الإنسان لا معنى له وكان الموت لا حياة بعده هي عين الحياة ويصبح التهلك فضيلة إنسانية رفيعة والمتعة زهرة العمر، غبي محروم من لا يقطعها يانعة أشكالا وألوانا والمرأة إذا كان الأمر كذلك هي مركز الرغائب، جسدها مركز الشهوة وزينتها قمة الحضارة ورقصها أمام الرجال روح الفن والمتعة المباحة المشتركة بها أساس العدل، وهما أيديولوجيتان متعانتان وبضاعتان متكاملتان: اللايكية⁽²⁾ والإباحية.. اللايكية للجميع مغلفة بغلاف الديمقراطية وحقوق الإنسان ملتفة في غلالة شفافه يجسدها ويمثلها على مسرح الواقع نساء في بعض شوارع الغرب ما يسترهن إلا كيس البلاستيك الشفاف كما يستر الزجاج خلفه البضاعة على واجهة المتجر"⁽³⁾.

ومن ناحية أخرى، وإن كنا نروج لنظافة شوارعهم ونأخذها كدليل على تحضرهم ونقارنها بقذارة شوارعنا، فإن قلوبهم أقذر وأكثر اتساخاً وربما الأسهل من المقارنة هو تنظيف شوارعنا وعقولنا وبيوتنا من قاذوراتهم..

(1) عبد السلام ياسين- الإحسان ج 1 ص 438

(2) أظنه يقصد (اللائكية)، وهو مفهوم أقرب إلى حد ما من العلمانية، ولكن تختلف عنها -اللائكية- في أنها لا تفصل الدين عن الدولة فحسب، بل وتلغي التعامل والاعتراف به من الأصل في كل نشاطات الحياة مثل الأعياد الدينية-على سبيل المثال- والحج أيضا ليس من شئون الدولة، والإرث متساو بين الرجل والمرأة، ورمضان مثل باقي الأيام في توقيت العمل وفتح المقاهي والمطاعم.

(3) عبد السلام ياسين-تنوير المؤمنين-ج 1، ص 100

" فنظافة شوارع جنيف وباريس تخفي قذارة الأخلاق وسرطان الإباحية، قمامات هذه الحضارة المبذرة التكاثرية تنشر في الأرض - خاصة في بلاد المستضعفين - وباء التلوث، قمامتها، الفنون العارية الراقصة المجنونة -والماجنة- تغطي الكرة الأرضية يبتها التليفزيون الذي يقتل في الإنسان إنسانيته، المخدرات، الجريمة، العنف، برودة العلاقات الإنسانية والأنانية الفاحشة والزنا المباح واللوواط المشروع وتفكيك الأسرة واللائحة طويلة. " (1)

يقول محمد علي الهرفي إن (الأميركان وحلفاءهم بيدهم مكابيل عدة وهم يكيلون بحسب أهوائهم فالذي لا يوافق أهواءهم فهو إرهاب يجب محاربته وحشد الآخرين ضده أما الذي ينسجم مع مخططاتهم وأهوائهم فهو عمل جليل يستحق الإشادة والتبجيل وذلك على غرار دفاعهم عن جرائم الصهاينة في غزة وصمتهم عن جرائم بشار الأسد وما شابه ذلك من الجرائم التي يغضون الطرف عنها أو يقفون مع فاعليها أما الحجج والتبريرات فهي جاهزة وما على الآخرين إلا القبول والسير في ركاب الأميركان..كما أن حصار غزة -مثلاً- حالياً تسبب وسيتسبب في موت الآلاف فوق أن الأمراض والفقر والبطالة ستصبح هي الأصل في غزة-وغيرها من بلدان العالم الثالث المحاصرة اقتصادياً- يحدث كل ذلك برضا ومساعدة الأميركان وبعض دول الغرب أليس هذا إرهابا بكل معنى الكلمة؟ أليس قتلاً للأبرياء؟ هو كذلك كما قال نعوم تشومسكي: "إن القتل الغاشم للمدنيين الأبرياء هو إرهاب وليس حرباً على الإرهاب" (2)(3).

وهذا هو ما تظهره الإحصائيات والأرقام.

-ففي إحصائيات أظهرتها وكالة (Europol) -وكالة إنقاذ القانون في الاتحاد الأوروبي- عن الهجمات الإرهابية أن 2% منها في أوروبا عام 2013 قد نفذها مسلمون بينما 98% منها قد نفذها غير مسلمين على خلفية دوافع عرقية أو قومية أو انفصالية.

(1) عبد السلام ياسين-محنة العقل المسلم ص 114

(2) محمد علي الهرفي-الوسط، العدد 4497 عدد الثلاثاء 2014/12/30

(3) انظر مرجع التفاصيل-من هو الارهاب الحقيقي؟ ص 396

-وفي الولايات المتحدة فقد أظهرت دراسة لجامعة ساوث كارولينا عام 2014 منذ هجمات 11 سبتمبر 2001 حتى عام 2014 لم تقع العمليات الإرهابية المرتبطة بالمسلمين إلا 37 قتيلاً أميركياً في حين أن 190 ألف أميركي قتلوا في الفترة الزمنية نفسها وقد نفذها غير مسلمين واستناداً إلى هذه الأرقام خصصت مجلة ديلي بيست الأميركية تحقيقاً خلصت فيه إلى ما يلي:

ليس خطأك إذا لم تكن على علم بحقيقة أن غالبية الجرائم الإرهابية في أوروبا والولايات المتحدة ينفذها غير مسلمين أنه خطأ الإعلام.

أصدقكم القول إنه لو كان الإسلام انتشر بالفعل بالسيف -كما يروجون زوراً وبهتاناً- لهُو أشد هوناً ألف مرة من ادعاء "التحضر" و"التمدن" وإسقاط هراء الفعل والقول والحماقات المريضة على الغير زوراً لستر أفعالهم الدنيئة والشنيعة وإيهات صورة المجتمع الغربي الحقيقية وتحسينها.. وفي المقابل تشويه صورة الخصم: العرب المسلمين!.

يقول نعوم تشومسكي-الرجل الذي لطالما يكشف لنا دائماً تلك الخبايا التي تحدث "تحت السلم"- يقول متسائلاً "إلى أي درجة طرحنا جانباً الكلام المبهم والأهداف غير الواقعية مثل حقوق الإنسان ورفع مستوى المعيشة والتحول للديمقراطية؟ -مضيفاً- ولنبدأ بحقوق الإنسان، بينت دراسة قال لارس شولتز الأكاديمي البارز والمختص في حقوق الإنسان فيها إن "المساعدات الأميركية تميل للزيادة مع الحكومات التي تمارس التعذيب مع مواطنيها".. ولا علاقة لها مع حاجة البلد ولكن فقط مع إرادة خدمة المستثمرين. كشفت دراسة أوسع للاقتصاديين أدوارد هرمان عن تلازم وثيق بين التعذيب والمساعدات الأميركية في العلم كله، وزودتنا الدراسة بتفسير ذلك.

يرتبط الاثنان (التعذيب والمساعدة الأميركية) بتحسين المناخ للأعمال الخاصة.

- ماذا عن مستوى رفع المعيشة؟ اتجهت التنمية لتخدم مصالح المستثمرين الأمريكيين وسعت التنمية وأحكمت من النظام الذي يعمل على زيادة إنتاج المحاصيل المطلوبة للتصدير مع خفض هائل للمحاصيل المطلوبة للاستهلاك المحلي -مضيفاً- عادة ما يحقق نموذج الزراعة للتصدير معجزة اقتصادية حيث يرتفع الناتج القومي في الوقت الذي يجوع فيه الشعب وعندما تمر الشعوب بمعجزة النجاح الاقتصادي المهلك تظهر المعارضة وما عليك إلا أن تقمّعها بالتعذيب والإرهاب، مضيفاً، استقر في أعماق شخصيتنا استخدام العنف والإرهاب، ففي عام 1818 أحيا الرئيس (جون ادامز) المفعول الناجح للإرهاب في التعامل مع جحافل الهنود والزنوج عديمي الولاء كتب ذلك ليبرر هياج الرئيس الأمريكي اندرو جاكسون في فلوريدا والذي أباد السكان ووضع الإقليم الإسباني تحت سيطرة الولايات المتحدة الأمر الذي كان له أطيّب الأثر لدي توماس جيفرسون وآخرين وعدوه مثلاً للحكمة"⁽¹⁾.

كريستوفر كولومبوس .. وأمة الإرهاب

لا يمكن أن نتحدث عن الإرهاب بدون أن تذكر أميركا وشعب الهنود الحمر

-المواطنون الأصليون لأميركا- يقال إن كولومبوس هو مكتشف أميركا ويرجع له مؤرخها الفضل في ذلك "الاكتشاف" فعوضاً عن أنه لم يكن أول رحالة -أو بحار- يطأ أرض العالم الجديد الذي كان يقطنه 112 مليون نسمة فإنه أباد كل تلك النسمات من البشر عن بكرة أبيهم- ووضع أسس الإجرام في العالم الجديد- وفعل بهم الأعاجيب وباليته كان "مستعمراً" بل غزا الأرض واستخربها.. واستعبد الغزاة من استعبده -للعمل في

(1) نعوم تشومسكي، ماذا يريد العم سام؟ ص 27، 28
تعريب: عادل المعلم، تقديم: محمد حسنين هيكل.

المزارع والمناجم- وقتلوا من وجدوه -من صغير وكبير- وانزلوا به من العذاب ألوان ما يقشعر له البدن، واليوم يحتفلون بهذا الاكتشاف ويعتزون ويحتفون بأصحابه -من القتلة والإرهابيين- فليس غريباً إذن أن يكون المجتمع الأميركي عبارة عن بؤرة إجرامية.. يقول تشومسكي "اعتقد من وجهة النظر القانونية أن هناك ما يكفي من الأدلة لاتهام كل الرؤساء الأميركيين منذ نهاية الحرب العالمية بأنهم مجرمو حرب أو على الأقل متورطون بدرجة خطيرة في جرائم حرب"⁽¹⁾.

وإن كان أيضاً لبعضهم محاولات جيدة في نبذ العنف والكرهية والعنصرية وتصحيح المسار الأميركي وبناء مجتمع صالح .. لكن كل تلك المحاولات باءت بالفشل وسرعان ما انتهت حياتهم ومحاولاتهم بالاغتيال حتى أنه لم يعد أحد يفكر بذلك أصلاً!

أما عن كولومبس

- وبعد أن كانت فنزويلا تقيم له يوماً للاحتفاء والاحتفال به، وتقيم له تمثال في كراكاس، قد حطموه الفنزويليون في عام 2014.

- كل 12 أكتوبر ينظمون مظاهرات في معظم دول أميركا اللاتينية ويحملون لافتات تحمل عبارات مثل: "الهجرة غير الشرعية بدأت في 1492"! أو "أميركا لم يتم اكتشافها بل غزوها وسرقوها وكان فيها حضارات" أو "كولومبس مطلوب للعدالة".. وغيرها من الشعارات.. ما يؤكد أنه كان جزائراً نهائياً أو أن آخرين سبقوه إلى العالم الجديد.

- طالب أصحاب حملة (النايتف أميركانز) أو (السكان الأصليين لأميركا) بعدم الاحتفال (بيوم كولومبس) ذلك أنه كان مجرد مغتصب وليس مكتشفا وتوالت الحملات حتى بدأت أميركا تستجيب لهم وأولهم (ساوث داكوتا) وبدأت تحتفل بيوم السكان

(1) المصدر السابق ص 29

الأصليين بدلاً من يوم كولومبس وبعدها كاليفورنيا وقبل 2015 انضمت 5 ولايات للاحتفال بالسكان الأصليين .. وبعد 2015 انضمت أيضا ثمان ولايات.

ف (كولومبس) لم "يوجد" الأرض كولومبس وجدها.. كولومبس لم يصنع حضارة كولومبس وجدها.. أميركا وجدت بالصدفة.. ويظنون أن الكون كذلك!!

يقول (كيندال هيفين) إنه "عندما نقول إن كولومبس اكتشف العالم الجديد لا تقصد أنه خلقه، طوره، صممه أو ابتكره لطالما أن العالم الجديد كان هناك، فقد عاش عليه سكانه الأصليون لآلاف السنين قبل وصول كولومبس إليه عام 1492 وسبقوه في معرفة جزر الكاريبي بوقت طويل دون أن يحتاجوا إلى أوروبي ليكتشفها لهم بالتأكد"⁽¹⁾.

فالاكتشاف لغة من لغات المعرفة والتحضر والتمكن والأصالة-أو هو كذلك-لأنه بالضرورة ينطوي على شيء جديد لم يسلب وينسب بل والتستر على المصادر والحقائق وما يثبت ملكية وحق الغير.. فالاكتشاف" هو العثور على أو مراقبة شيء ما جديد، شيء لم يعرف ولم يلاحظ من قبل، هو الانتباه لما كان هنالك دوماً ولكن غفل عنه الجميع سابقاً، هو الامتداد لمناطق تقبع في المجهول حيث لم يمسهها بشر فالاكتشافات تفتح آفاقاً جديدة ببصائر جديدة وتخلق حظوظاً واسعة وهي تدل على تطور وتقدم الحضارات البشرية وتتقدم بمعرفة الإنسان"⁽²⁾.

وهذا كله يتنافى بالكلية مع الرؤية الكولومبية فكلوميس أول وأكبر تاجر عبيد ومبيد بشري وسواق نخاسة .. في تاريخ أميركا، أميركا قامت -وما زالت- على هذا .. وعلى أنقاض حضارات الغير وجماعهم .. ومن يحتفل بطاغية فهو طاغية، ومن يحتفل بالشر فهو شيطان إذن هذا لا يجعلنا نستبعد إطلاقاً كون داعش ما هي إلا تكتيك مخبراتي أميركي للغطية على تلك الفجائع وتحميلها وإسقاطها على الخصوم .. -كجزء من الحرب

⁽¹⁾ كيندال هيفين- قصة أعظم 100 اكتشاف على مر الزمن ص 11 -ترجمة: د. جكر عبدالله الريكاني.

⁽²⁾ المصدر السابق ص 11.

الأيديولوجية القائمة- داعش ما هي إلا مطبقة للثقافة الأميركية الحيوانية وليس للنصوص الدينية الإسلامية الإنسانية الأخلاقية وإن افترضنا جدلاً أن داعش طائفة من الإسلاميين فهم خليفة لأوروبا إن لم تكن الأخيرة صانعة، فهي رائدة في صناعة إرهاب والقتل والاعتصاب.. وما شابه ذلك الذي يعج به المجتمع الأمريكي. وفي الوقت الذي يدعون فيه تمدن الغرب وأميركا وتحضرها، فهم يرهبون المدنيين بحجة محاربة الإرهاب.. وهم الإرهاب! .. فكيف يستقيم الأمر.. لا أعرف في حقيقة الأمر أهذا استعمار أم استحمار، وفي الغالب الاثنان معاً.

النمل الأبيض

في حروب الإبادة الجماعية على الأرض الجديدة فتك البيض ب 112 مليون إنسان ينتمون لأكثر من 400 أمة وشعب، تم القضاء عليهم بأبشع عمليات الإبادة الوحشية خلال 150 عاماً حتى تناقص عددهم لربع مليون فقط حسب ما أحصى عام 1900 ولم ينته هنا كل شيء بل أكملت هوليود المسيرة بتشويهها للحقيقة ودفن الجريمة .. ولهذا السبب ذاته قد رفض (مارلون براندو) جائزة الأوسكار لدوره في فيلم (الأب الروحي) عام 1972

في كتاب أهداه القس الإسباني (بارتولومي دي لاس كاساس)⁽¹⁾ إلى الملك فيليب الثاني (1527، 1598) ملك إسبانيا يصف فيه السكان المحليين قائلاً:

خلق الله هذه الشعوب الغفيرة راضية لا تعرف الشر والرياء، أنها شعوب طيبة بالغة الوفاء لأسياها الطبيعيين وللمسيحيين الذين تخدمهم، بل أنها أكثر الشعوب تواضعاً

(1) 1474-1566-شاهد عيان ومؤرخ لحضارة وشعب الهنود الحمر، وكان والده أحد رفاق كولومبس في رحلته البحرية إلى العالم الجديد.

وصبرًا ومسالمة وسكينة أنها لا تعرف الضغينة ولا الصخب والعنف والخصام شعوب تجهل الحقد وسوء الطوية وتعف عن الثأر والانتقام، شعوب مرهفة رقيقة الحاشية، ناحلة، هزيلة، لا تطيق أجسادها الرفه وسرعان ما يهلكها المرض مهما كان إن أبناء أمرائنا ونبلائنا الذين ترعرعوا في ظل الرفاه والرخاء وخضرة الحياة أقوى عودًا منها بل أشد بأسًا من فلاحها. شعوب فقيرة لا تملك الوفرة بل تعف عن متاع الدنيا لهذا لا تعرف الكبر والجشع والطمع وليس طعامها بأحسن أو أكثر أو أتعس من طعام الرهبان في الصحاري وتراهم عراة يمشون لا يسترون إلا عوراتهم ويغطون أجسادهم بغطاء من القطن، يفترشون الحصى وينامون على ما يشبه الشبكة المعلقة. إن لهم ذهنًا ثاقبًا شديد الوضوح وهم أذكاء منفتحون لكل عقيدة صالحة وتراهم يلحون على معرفة الشاردة والواردة. إن كثيرًا من الإسبان- غير الكهنة- يعترفون بأنهم لا يستطيعون أن ينكروا طيبة أنفسهم وحميد خصالهم ولربما كانت هذه الشعوب أسعد أهل الأرض لو أنها عرفت الله. لقد غشي الإسبان هذه الخراف الوديدة غشيان الذئاب والنمور والأسود الوحشية التي لم تجد طعامًا أيامًا وأيامًا ومنذ أربعين سنة وهم يقطعون أوصالها ويقتلونهم ويروعونهم ومنذ أربعين سنة وهم يفتكون بها ويعذبونها ويبيدونها.. كل يوم فظاعة جديدة غريبة مختلفة لم نسمع ولم نقرأ عن مثلها من قبل كانت هذه الفظائع شديدة لم تبق في الجزيرة الإسبانية اليوم سوى مائتي هندي من أصل ثلاثة ملايين، إن جزيرة كوبا التي تبلغ مساحتها ما يفصل روما عن (فاللادوليد)⁽¹⁾ خاوية على عروشها لم يبق من أهلها ديار..

أما جزيرتا سان خوان وجاميكا الأمتان المطمئنتان سعيدتان كبيرتان، ولكن اقفر من أهله ملحوب، وهناك 60 جزيرة مثلها على تلك الحال .. إن أبشع جزيرة فيها أكثر خصبًا وأبهى جمالًا من حدائق ملك إشبيلية، كانت أسلم بلاد الله وأكثرها أمنًا وطمانينة وكان

(1) أو تدعى بالعربية (بلد الوليد) نسبة للخليفة الأموي الوليد ابن عبد الملك (668-715) الذي حكم الأندلس بين عامي 705 و715.. تقع وسط إسبانيا وهي عاصمة منطقتي قشتالة وليون.

يسكنها نصف مليون من البشر لم يبق منهم اليوم أحد، فقد أفنى الإسبان أهلها وهم يطردونهم إلى الجزيرة الإسبانية التي أبيد سكانها.. لقد جاب مركب إسباني وطاف على هذه الجزر ثلاثة أيام بحثًا عن لعله نجا من أهلها بعد "الحصاد"، فلم يعثر على غير أحد عشر ناجيا.. وهناك أكثر من ثلاثين جزيرة مجاورة لسان خوان كلها أقفرت وأفنى أهلها، أما على اليابسة فإننا على يقين من أن رجالنا الإسبان قد اجتاحوا ونهبوا أراض كانت عامرة بأهلها الطبيين فصارت اليوم صحراء، لقد نهبوا أكثر من عشر ممالك أكبر من كل إسبانيا وأراغون والبرتغال مجتمعة، وتبلغ مساحتها ما بين إشبيلية والقدس أي أكثر من ألفي فرسخ. وطول هذه السنوات الأربعين أبيد أكثر من اثني عشر مليوناً من الرجال والنساء والأطفال ظلمًا وعدواناً جراء طغيان المسيحيين وأعمالهم الجهنمية، هذا رقم مؤكد على الرغم من أنني اعتقد مطمئنًا إلى اعتقادي أن عدد الضحايا يتجاوز خمسة عشر مليوناً، إن الذين ذهبوا إلى هناك من ادعياء المسيحية المبشرين- أبادوا الشعوب الهندية الوادعة ومحووا ذكرها من وجه الأرض إما بالاجتياحات الدموية المتوحشة وإما باستعباد من تبقى استعبادًا فضًا غليظًا شنيعًا لم يشهد مثله البشر ولم تعرفه الدواب أما عن من كان يحلم بالحرية أو يفكر فيها أو يحاول الخلاص من عذاباته كما يفعل ذلك كل إنسان فمصيره القتل عدا من ذلك إلى أنواع متنوعة من الجور والطغيان الجهنمي والتخريب، قتل المسيحيون-المستعمرون- كل هذه الأنفس الهمية وفتكوا كل ذلك الفتك باسم الدين ليحصلوا على الذهب ويكتزون الثروات ويصلوا إلى مراكز أكبر من أشخاصهم ..إن جشعهم وتطاؤل شهواتهم الجامحة أودي بهم إلى احتقار هذه الشعوب المتواضعة الحاملة الودودة ونهب ثروات هذه الأراضي الخصبة المهيبة اني أقول الحقيقة لأنني شاهدها بأمر عيني) كان المسيحيون ينظرون إلى الهنود الحمر كما ينظرون إلى الحيوانات ويأليتهم اعتبروهم حيوانات بل أقل قدرًا من الدواب وأحط شأنًا من الزبل..هكذا كانت حياة هؤلاء الناس وأرواحهم (في أعين الإسبان) ولهذا مات منهم العدد الغفير قبل أن يعرفوا حلاوة الإيمان ومن غير أن يتذوقوا القربان المقدس.

ثمة حقيقة مؤكدة بإجماع الإسبان بطغاتهم ومجرمهم أن الهنود في كل تلك البلاد لم يمسا مسيحياً بسوء وكان الهنود في البداية يظنون أن المسيحيين قد نزلوا عليهم من السماء كان ذلك إلى أن عذبهم المسيحيون ونهبوهم وفظعوا بهم ونكبوهم مراراً وتكراراً⁽¹⁾.

أما كولومبس فيقول في رسالة أرسلها إلى ملك وملكة إسبانيا-فرناندو الثاني (1469-1504) وزوجته إيزابيلا الأولى ملكة قشتالة (1451-1504) - يصف فيها السكان الأصليين الهنود الحمر قائلاً إن "هؤلاء الناس طيبون جداً ومسالون جداً بحيث أنني أقسم لجلالتكما أنه لا توجد في العالم أمة أفضل منهم". فشرعوا باستغلال سذاجتهم وطيب خواطرهم في استخرا ب الأرض-أرضهم- بعد عمارها دون حرمة لأي إنسانية فاستخدموا البنادق وقتلوا كل من صادفوا من نساء وأطفال أو شباب ودواب، حتى المحاصيل أحرقوها والآبار سموها ولما ضاق زعماء القبائل الهندية بهم ذرعاً طلبوا معاهدات سلام بالرغم من أنهم لم يقاتلوا البيض، ولكن يبدو منهم محاولات يائسة لمنع الاحتلال والاستيلاء على أرضهم أو خطف بناتهم وأبنائهم للعمل في الحقول والمناجم حتى اليوم (ولا عجب في دفاع أميركا الآن والوقوف خلف كل طاغية ومحتل!).

المهم أن البيض وافقوا دون تفكير بهذا الطلب ونفذوه لهم مباشرة بشرط أن يرحلوا من أماكن معينة حددوها ليتم زراعتها أو بناؤها بطريق السخرة ممن اختطفوهم ثم قاموا بعد هذه المعاهدة بالعطف عليهم وإهدائهم مئات البطاطين والأغذية بعد كل معاهدة يعقدونها معهم ولكن ما لم يكن يعلمه هؤلاء المساكين، أن تلك البطاطين قد تم جلبها من المصحات الأوروبية محملة بجراثيم وباء للطاعون والحصبة والسل والكوليرا لتحصدهم حصداً وتقضي عليهم تماماً دون بذل أيما جهد في أول حرب بيولوجية عرفها التاريخ.

(1) المطران بارتولومي دي لاس كاساس-المسيحية والسيوف: وثائق إبادة هنود القارة الأميركية على أيدي المسيحيين والإسبان-الذي صدر تحت عنوان: مذابح الهنود الحمر.. عن دار الفضيلة، وراجعته: محمد بن أحمد بن خلف الحسيني، انظر صفحاته 34:37- ترجمة: سميرة عزمي الدين، انظر الصفحات: 23:26.

وفي خطابه إلى (هنري بواكيه) يطلب منه القائد الإنجليزي العام اللورد (جفري امهرست) أن يجري مفاوضات مع الهنود ثم يقدم لهم بطانيات مسمومة بالجديري، وقد أجابه الآخر بقوله: "سأحاول جاهداً أن اسمهم ببعض الأغذية الملوثة التي سأهديهم إياها وسأخذ الاحتياطات اللازمة حتى لا أصاب بالمرض".

وفي خطابة للملك فيلب الثاني (1527-1598) -الذي يتضح من خطاب دي لاس كأساس أنه كان أميراً وقتها - يروي له ما يعاني منه الهنود من فظاعات وخراب ودمار وقتل وسفك للدماء، ويستعطفه فيه لنجدتهم وتخليصهم مما حل بهم .. -بالرغم من أن هذا الملك عندما أصبح ملكاً لإسبانيا -خلفاً لوالده كارولوس الخامس (1500-1558) – فعل بمسلمي الأندلس أضعاف ما فعله الإسبان والإنجليز والفرنسيين وغيرهم من مستعمري أميركا بسكان أميركا الأصليين!

ففي خطابه له، المعنون ب: من المطران باتولومي دي لاس كأساس إلى سمو أمير بلاد إسبانيا المعظم مولانا دون فيليب، يقول له:

أنني أريد أن أحدثكم يا سمو مولاي عن الشرور والآثام وعن الدمار والخراب في هذه الممالك الكبيرة، أقصد هذا العالم الجديد الشاسع المسمى ببلاد الهنود الحمر، التي وهبها الله للملك قشتالة وطيطللة ليسودوها ويصلحوا أمرها ويهدوا أهلها إلى المسيحية فينعموا عليها بأمل الدنيا والآخرة، وأن المرء لا يستطيع أن يتخيل أبداً أن في قدرة البشر أن يقوموا بمثل هذا التخريب، لقد عشت في بلاد هذه الشعوب الهندية أكثر من خمسين عاماً وشاهدت بأم عيني ما ارتكبه من فظاعات وجور، ولو أن سموكم علم بالنذر اليسير من هذه الفظائع لتوسل إلى جلالته أن تمنع الطغاة من طغيانهم باسم الفتوحات، أن كل سماح باستمرار الفتوحات يعني سماحاً بتكرار الفظاعات، فما تلقاه الشعوب الهندية المسالمة المتواضعة المرهفة ليس إلا طغياناً وجوراً يدينهما كل قانون وضعياً كان أم إلهياً، إنها أفعال مرزولة ملعونة، ولهذا عزمت على أن أبرئ ساحتي من

هذه الجريمة بأن لا أسكت عنها وأن أحدثكم عما جناه الطغاة وعما أزهقوه من أرواح وأذوه من أجساد، عذمت على أن أكتب عن النذر اليسير لأنني عاجز في الحقيقة عن أن أكتب عنها كلها، وأردت أن أوجز لأجعل أمر قراءتها يسيرًا على سموكم، وكان رئيس أساقفة طليطلة قد طلب مني رواية هذه الأحداث وأقدمها إلى سموكم، ولعلكم لم تطلعوا عليها أو لربما نسيتمونها في غمرة مشاغلكم الملكية المتتعة، أو أسفاركم الطويلة في البر والبحر، ثمة استهتار وطيش يتعاضمان في أنفس هؤلاء الذين يسفكون كل هذه الدماء ويستأصلون هذه الأراضي الشاسعة من أهلها وأصحابها بقتل مليار من البشر⁽¹⁾ وبتهب الكنوز التي لا تقدر بأثمان، إنهم يحتالون بأساليب مختلفة من أجل أن تسمحوا لهم بالمضي في الفتوح التي لا يمكن السماح بها من غير الاعتداء على حرمان الله، واختراق القوانين الطبيعية ومن غير اعتراف الخطايا المنكرة التي تستأهل العذاب الشديد⁽²⁾.

إن الجزيرة الإسبانية كانت أول بقعة اجتاحتها المسيحيون وابتدأوا منها بالتخريب وحملة الفتك الكبيرة بهذه الشعوب كانت أول جزيرة عاثوا بها وأبادوا سكانها. في البدء سبوا النساء والأطفال ليستخدموهم كما يشاؤون، ثم راحوا يسرقون طعامهم فلم يكتفوا بما كان الهنود يقدمونه لهم عن رضا ونفس طيبة سخية، كان كل هندي يعطي ما وسعه العطاء برغم شح مورده وضيق ما بين يديه وما ينتجه بجهد المتواضع فما كان يكفي ثلاث أسر هندية، كل أسرة من عشرة أنفس ولمدة شهر يلتمه المسيحي أو يفسده في يوم واحد، وحين رأى الهنود كل هذا العنف والتفطيع بدأوا يعرفون أن هؤلاء الرجال لم يزلوا من السماء (كما أوهموهم بذلك من قبل) وصار بعضهم يخشى طعامه أو يهرب من هؤلاء البشر القساة ويختفي في الغابات.. كان المسيحيون يطاردونهم ويختطفون أسياد القرى وقد بلغ بهم البطش والتراذل أن اغتصب قبطان مسيحي امرأة حاكم

(1) ولو أن في أمر المليار مبالغة، فالعدد أقل بكثير.. وتشير أغلب المصادر إلى أنه يبلغ تعداد السكان الأصليين نحو 112 مليوناً.

(2) انظر المصدر السابق ص 19، 20.

الجزيرة وامرأة أشهر نبلائها آنذاك راح الهنود الحمر يبحثون عن وسائل لطرد المسيحيين وحملوا السلاح، ولكنه كان سلاحاً ضعيفاً غير هجومي، بل كان أعجز عن المقاومة والدفاع، لذلك كانت حروبهم أشبه بألعاب الصبيان، أما المسيحيون فعاقبهم بمذابح لم تعرف-لها مثيل- في تاريخ الشعوب، كانوا يدخلون على القرى فلا يتركوا طفلاً أو حاملاً أو امرأة تلد إلا ويبقرون بطونهم ويقطعون أوصالهم كما يقطعون الخراف في الحظيرة وكانوا يراهنون على من يشق رجلاً بطعنة سكين أو يقطع رأسه أو يدلق أحشاؤه بضربة سيف، كانوا ينتزعون الرضع من أمهاتهم ويمسكونهم من أقدامهم ويرطمون رؤوسهم بالصخور، أو يلقيون بهم في الأنهار ضاحكين ساخرين، وحين يسقط في الماء يقولون: "عجباً إنه يختلج" -أي ينتفض ويرتعش- وكانوا يسفدون الطفل وأمه بالسيف (كما تسفد قطع اللحم) وينصبون مشانق طويلة ينظمونها مجموعة كل مجموعة ثلاثة عشر مشنوقاً ثم يشعلون النار ويحرقونهم أحياء، وهناك من كان يربط الأجساد بالقش اليابس ويشعل فيها النار: هكذا أحرقوا الهنود الحمر وهم أحياء. كانت فنون التعذيب لديهم أنواعاً متنوعة، بعضهم كان يلتقط الأحياء فيقطع أيديهم قطعاً ناقصة لتبدو وكأنها معلقة بأجسادهم ثم يقول لهم: "هيا احملوا الرسائل" أي: هيا أذيعوا الخبر بين أولئك الذين هربوا إلى الغابات.

أما أسياذ الهنود ونبلاؤهم فكانوا يقتلون بأن تصنع لهم مشواة من القضبان يضعون فوقها المذاره ثم يربط هؤلاء المساكين بها وتوقد تحتهم نار هادئة من أجل أن يحتضروا ببطء وسط العذاب والألم والآثين. ولقد شاهدت مرة أربعة من هؤلاء الأسياذ فوق المشواة وبما أنهم يصرخون صراخاً شديداً أزعج مفوض الشرطة الإسبانية الذي كان نائماً (أعرف اسمه، بل أعرف أسرته في قشتالة) فقد وضعوا في حلوقهم قطعاً من الخشب أخرجتهم، ثم أضرموا النار الهادئة تحتهم رأيت ذلك بنفسي، ورأيت فظائع ارتكبتها المسيحيون أبشع منها، أما الذين هربوا إلى الغابات وذري الجبال بعيداً عن هذه الوحوش البشرية الضاربة فقد روض لهم المسيحيون كلاباً سلوكية شرسة لحقت بهم،

وكانت كلما رأت واحداً منهم انقضت عليه ومزقته وافترسته كما تفترس الخنازير، وحين كان الهنود يقتلون مسيحياً دفاعاً عن أنفسهم كان المسيحيون يبيدون مائة منهم لأنهم يعتقدون أن حياة المسيحي بحياة مائة هندي أحمر⁽¹⁾.

ثم رصدت السلطات الاستعمارية المكافآت والجوائز لمن يقتل هندي أحمر ويأتي برأسه سواء طفل أو امرأة أو رجل، وكانت الجوائز عبارة عن 100 جنيه إسترليني لرأس الرجل و50 لرأس المرأة والطفل، وسرعان ما انتشر الصيادون في أنحاء القارة يحملون الرؤوس بأعداد هائلة، ثم اقتصروا على فروة الرأس التي يتم سلخها ليخفف عليهم العناء ولكي لا تزدحم عرباتهم الخشبية بالرؤوس وليستطيعوا قتل أكبر قدر ممكن من الهنود.

ويروي السفاح الإنجليزي "لويس وتزل" 1763-1808 "مهاجرًا ألماني قتل من قبل الأميركيين الأصليين فيما بعد- أن غنيمته من فرو رأس الهنود " لا تقل عن 40 فروة في الطلعة الواحدة" وهذا يعني من يقتلهم في الشهر 1200 وفي السنة 14400 إنسان! الأغرب من هذا أن هذا السفاح يعتبر اليوم من أبطال التاريخ الأمريكي!

الهنود في أعين الإسبان

ثم تطور الأمر لعمل حفلات للسلخ والتمثيل لا يحضرها إلا عليّة القوم .. خصوصاً إذا كانت الضحية أحد زعماء القبائل، حتى أن المجرم الآخر (جورج روجرز كلارك)⁽²⁾ أقام حفلة لسلخ فروة رأس 16 هندياً وطلب من الجزائريين أن يتمهلوا في السلخ ليستمتع

(1) المصدر السابق ص 27"29.

(2) 1818-1752- كان أعلى رتبة عسكرية أميركية في الجبهة الشمالية خلال حرب الاستقلال الأميركية.. وزعيماً لميليشيا كنتاكي في معظم الحرب.

الحضور بالمشاهدة، أما الرئيس الأميركي اندرو جاكسون (1767-1845) -الرئيس السابع للمستعمرات أو الولايات الأميركية بالفترة من 1829 إلى 1837 -الذي تزين صورته ورقة الـ 20 دولاراً فقد كان من عشاق السلخ والتمثيل بالجثث وكان يأمر بحساب عدد قتلاه عن طريق إحصاء عدد أنوفهم وأذانهم المقطوعة وقد أقام حفلة برعايته مثل فيها بـ 800 رجل بينهم الزعيم الهندي (مسكوجي).

ومن طرق الإبادة التي اقترفها الأوروبيون: التهجير القسري للقبائل التي كانت تعيش على مقربة من نهر المسيسيبي إلى مناطق موبوءة لا تصلح للعيش الآدمي، وقد سميت هذه الرحلة فيما بعد بـ (درب الدموع) .. وما هو أكثر وحشية من هذا استخدام أطفالهم كطعام للكلاب .. لقد صور الكاتب الأميركي (هنري ف دوبينز)⁽¹⁾ في كتابه (أرقامهم التي هزلت) بعض تلك المشاهد المؤلمة.. حيث كانوا يأخذون الطفل الصغير من أحضان أمه ويلوحون به في الهواء ثم يتركوه ليسقط ويتهشم على حجر أو جدار أو يقذفون به داخل النهر وإذا حاول أحد والديه إنقاذه عاجلهم برصاصة حتى لا يفسدوا عليهم المشهد، أحياناً تقذف العائلة كلها داخل النهر لتجرفهم التيارات الشديدة ويموتون غرقاً.. وكانوا يعتمدون إلى إشعال النيران في أكواخهم وخيامهم فإذا خرجوا أو حاولوا ذلك، يتم تصفية الرجال بالبنادق، وتسخير النساء والأطفال لحفر المناجم أو بيعهم في أسواق النخاسة، وبالطبع النساء يقدمن خدمة إضافية عن الذكور بالإضافة إلى العمل الشاق نهائياً، الاغتصاب المنظم في المساء.

وفي هذا الصدد يقول (تريفيتان تودوروف) مؤكداً ويضرب بعض الأمثلة في ذلك قائلاً:

"قابل مسيحيون هندية كانت تحمل بين ذراعيها طفلاً كانت تقوم بإرضاعه وبما أن الكلب الذي كان يرافقهم كان جائعاً فقد انتزعوا الطفل من بين ذراعي الأم ورموه حياً إلى

(1) 1925-2009-عالم انثروبولوجيا أميركي، ومؤلف وباحث متخصص في أنثروبيستوري وديموغرافيا الشعوب الأصلية.

الكلب الذي أخذ ينهشه بين بصر الأم ذاته. عندما كان بين السجناء بضع نساء وضعن حديثاً، وما إن كان الأطفال الذين ولدوا حديثاً يأخذون في العويل كانوا يمسكونهم من سيقانهم ويصرعونهم برميهم على الصخور أو كانوا يلقونهم في الأحراش حتى يكون موتهم أكيداً فيها. وحول العلاقات مع عمال المناجم: لقد اعتاد كل منهم (ملاحظو عمال المناجم) على مضاجعة الهنديات اللاتي يتبعنه إن رقن له، سواء كن متزوجات أم عزاري وبينما كان ملاحظ العمال يمكث في الكوخ أو الخص مع الهندية كان يرسل الزوج لاستخراج الذهب من المناجم وفي المساء عندما كان المسكين يعود لم يكن يوسعه ضرباً أو يجلده فحسب لأنه لم يحضر الكثير من الذهب.. بل أنه كان في أغلب الحالات يقبده أيضاً من رجله ويديه ويلقيه تحت السرير ككلب قبل أن يرقد فوقه تماماً مع زوجته.

وحول الأسلوب الذي كانت اليد العاملة تعامل به: في كل مرة كان يجري فيها نقل الهنود كان عدد من يموتون منهم من الجوع في الطريق كبيراً بحيث إن الأثر الذي كانوا يخلقونه وراء السفينة كان يكفي في اعتقادنا لإرشاد سفينة أخرى حتى الميناء. وبعد اقتياد أكثر من ثمانمائة هندي إلى ميناء لهذه الجزيرة يدعي (يويوتودي بلاتا) جري الانتظار يومين قبل السماح لهم بالنزول إلى السفينة وقد مات منهم ستمائة ألقى بهم في البحر.. وكانوا يدورون فوق الأمواج كألواح الخشب⁽¹⁾.

ويضيف (دي لاس كاس) -مؤكدًا- قائلاً:

" إنني أعلن حقيقة لا ريب فيها حين أقول إن كل سفينة إسبانية كانت تنقل هنوداً لبيعهم ترمي في البحر بثلاث حمولتهم على أقل تقدير، قبل أن تصل إلى مرساها، كان الإسبان يرمون إلى البحر كل هندي ضعيف أو مريض، وكان الهنود يحتضرون في السفن لأن الإسبان كانوا يرفضون إ طعامهم والإنفاق عليهم أما الطعام فكانوا لا يحملون منه إلا ما يكفيهم هم فقط ولذلك لم يكن يصل من الهنود إلى المرافئ إلا القلة القليلة التي

(1) تزفيتان تودوروف-فتح أميركا مسألة الآخر ص 149، 151- ترجمة: بشير السباعي.

استطاعت أن تصبر على الجوع والعطش -مضيفا- وقد أخبرني أحد هؤلاء الطغاة أنه أبحر مرة من (لوكايس) إلى هذه الجزيرة -مشيرًا إلى جزيرة ترينيداد- دون أن يستعين بخريطة وبوصلة، وكان يقتفي جثث الهنود التي ألقيت بكثرة على طول الطريق بين لوكايس وبين الجزيرة الإسبانية.. أي مسافة 70 فرسخا.

وقد رأيت مرة ما يفطر القلوب ويفتت الأكباد، رأيت السفينة حين وصلت إلى الجزيرة ونزل منها الهنود الذين سيباعون، كان الأطفال والنساء والشيوخ والرجال عراة يتساقطون أرضًا وينهضون ويسقطون من شدة الجوع، بعد ذلك يأتي الإسباني فيعاملهم كما تعامل النعاج: يفصل الآباء عن الأطفال والزوجات من أزواجهن ويصنع منهم قطعانًا كل قطيع من عشرة أنفس أو عشرين نفساً.. بعد ذلك تجري القرعة لتوزيع هؤلاء المساكين على الإسبان من أصحاب السفن والطغاة واللصوص وحين يري أحد الطغاة عجوزًا هنديًا بين قطيعه يصرخ غاضباً: هذا العجوز ليذهب إلى جهنم لماذا تعطوني هذا العجوز؟ لأدفنه؟ لأطيهه؟ هيا اقتلوه!. هكذا عامل الإسبان الهنود، وهكذا نفذوا وصايا الرب وحب القريب-وفي رواية -طبعة أخرى:- الغريب -الذي أوصت به المسيحية ودعا إليه الأنبياء. ولدي الإسبان نوع آخر من الطغيان لا يوجد له مثيل في هذا القرن ولا يمكن أن يجاريه أي عمل جهنمي بما في ذلك تسخير الهنود لاستخراج الذهب من المناجم على ما في هذا العمل من قسوة ووحشية، انني سأحدث عن تسخير الهنود في صيد اللؤلؤ.. كان الإسبان يمسكون بشعور الهنود ويلقون بهم في البحر من الفجر إلى النحر ويجبرونهم على أن يبقوا معظم هذا الوقت تحت المياه يصطادون المحار، ثم يملأون به شباكهم الصغيرة ويصعدون، يصعدوا ليتنفسوا فقط ويوجد إلى جانبهم عادة جلاد إسباني ينتظر الغواص الهندي على متن زورقه حتى إذا وجد أن الهندي قد أمضى فوق الماء فترة أطول مما يلزم لتنفسه يمسكه مجددا من شعره ويرميه إلى الأعماق وفي الليل كانوا يربطونهم إلى الأرض ويوثقونهم بها حتى لا يهربوا.. وكان الهندي المسكين في معظم الأحيان يغوص لصيد اللؤلؤ فتصطاده سمك القرش والحيتان الكبيرة وهي حيوانات

بحرية فتاكة كانت تلتهمهم .. أما من لم يمت تحت الماء فإنه يموت فوق البر بعد يوم أو يومين وهو يبصق الدم بغزارة أو يصاب بالإسهال الحاد لكثرة ما ابتلع من تلك المياه الباردة .. إن شعورهم الفاحمة السوداء تبدو كأنها محروقة أو أشبه بوبر ذئاب البحر بل ينبت في ظهورهم ما يشبه ملح البارود .. وتتحوّل هذه الكائنات البشرية المسكينة إلى وحوش ذات طبيعة بشرية ويخيل إليك وأنت تنظر إليها أنها كائنات من عالم آخر. لقد فتك الإسبان بهذا الاستعباد الجهنمي بكل هنود جزر (لوكايس) حين ابتدأوا بتجارة اللؤلؤ⁽¹⁾.

(يجب مساعدة الحضارة على إبادة الهنود الحمر كما أمر الله يشوع أن يبيد الكنعانيين الذين لم يختلفوا عن هنود اليوم، ثم أنه عوقب على تقاعسه عن الانصياع لأمر الله) من محاضرات جلسات الكونجرس 33 الجلسة 23.

فقد كان نظام السخرة من أفتك أسلحة الأوبئة ولا سيما في فلوريدا وتكساس وكاليفورنيا وأريزونا ونيومكسيكو كان الهدف المعلن هو تمدين هؤلاء المتوحشين في الدنيا وإنقاذ أرواحهم في الآخرة وبالطبع كان لابد من (أضرار هاشمية) ترافق انتشار الحضارة.

وطريقة حياتها.. فحملات التمدين والتطهير الروحي لم تكن إلا مصائد خرافية لتغليب هذا السردين الآدمي. كان هناك جنود مدربون على هذا الصيد يطاردون الهنود كما يطاردون رعاة البقر جواميس البراري عبر أسوار منصوبة على شكل زاوية حادة تظل تضيق عليها وتضيق إلى أن يصبح أمام هذه الهائم الغافلة خيارا وحيدا اسمه المصيدة، مصائد أشبه بحظائر الكلاب لا يخرجون منها إلا للتغوط الجماعي المقنن في حفر مفتوحة أو للعمل الإجباري في الحقول والطواحين والأعمال القذرة من الصباح إلى المساء خلال

(1) بارتولومي دي لاس كاساس-المرجع السابق انظر الصفحات 78:80.

أسابيع كان الهندي يموت من المرض والإجهاد وسوء التغذية فقد كانت كمية الطعام التي تقدم للعبد الأسود تعادل ثمانية أضعاف الطعام الذي يقدم للهندي ولم يكن ذلك حبا بأفريقيا أو غراما بالسود أو تمييزا عنصريا بل كان سببه الأول والأخير أن الهنود أرخص من السمك فهم في متناول اليد وكلفة استبدالهم أرخص من إطعامهم أما استيراد العبد الإفريقي فدونه خرط المحيط .في عام 1846 احتلت جيوش الولايات المتحدة كاليفورنيا وتقول الإحصائيات إن عدد هنود كاليفورنيا في تلك السنة كان أقل من ربع ما كانوا عليه في عام 1769 ومع ذلك فخلال العشرين سنة الأولى من احتلال هذه الولاية أبيد 80 % من هذا الربع بسبب نظام السخرة. إن (ثروة الأمم) التي أعطت السلطة السياسية لأصحاب مناجم الذهب والمزارع الأسطورية سرعان ما شرعت في استعباد الهنود كسلاح غير مباشر لإبادتهم كما تم قبل ذلك في كولورادو وغيرها من ولايات الذهب ولأنه لابد من يد عاملة رخيصة لاستثمار هذه الولاية الغنية فقد نشطت تجارة خطف أطفال الهنود ولطالما كتبت صحف تلك الفترة عن الشاحنات المحشوة بأطفال الهنود وهي تهوى في الطرقات الريفية الخلفية إلى أسواق العبيد في سكرامنتو وسان فرانسيسكو ومع نقص عدد النساء في سنوات الاحتلال الأولي فقد زاد الإقبال على خطف الفتيات اللواتي يقدمن خدمة مضاعفة: العمل والمتعة.. وهذا ما أحال آباء هؤلاء المخطوفين والمخطوفات إلى (عناصر شغب) تستأهل العقاب وأدى كذلك إلى هروب معظم الأسر الهندية من منعزلاتها وأماكن سكنها التقليدية. أما شركات الخطف فقد تحولت إلى ميليشيات خيرية إذ صار الخاطفون يقتلون الآباء ويشاركون الدولة في القضاء على عناصر الشغب بينما يعتبرون خطف اليتامى وبيعهم مهمة إنسانية نبيلة وعملا أخلاقيا يتباهون به ⁽¹⁾.

(1) منير العكش-أميركا والإبادات الجماعية ص 28، 29.

التهجير القسرى .. "رحلة الدموع".

وفي عام 1830 سن الكونجرس الأميركي قانون ترحيل الهنود قسرا وأصبح من حق المستعمر الأميركي أن يطرد الهندي من أرضه ويقتله إذا أراد ولم تمض 3 سنوات حتى أصدر جورج واشنطن أوامر للجنود بأن يحيلوا مساكن هنود (الاوراكو) إلى خراب ومحوها من على وجه الأرض ولذلك أطلق هنود السينيكا على هذا الجورج اسم (هدام المدن) فبموجب أوامره تم تدمير 28 مدينة من أصل 30 مدينة كاملة لهنود السينيكا وحدهم من البحيرات الكبرى شمالا وحتى نهر الموهوك ..واليوم بقى القليل منهم في القارة يعيشون في محميات محددة لهم تفتقر للخدمات التعليمية والطبية والإنسانية وينتشر بين شبابهم الفقر والإدمان والانتحار بسبب صعوبة الحصول على عمل كما أنهم يعانون من العنصرية والتفرقة، وربما أكثر من تلك التي يعاني منها المسلمون هناك. وهذه المحميات وصلوا لها عن طريق زعيم قبيلة سوك الهندية (بلاك هوك) في التوقيع على معاهدة قبل قرن من الزمان تنص على تنازله عن أرضه وانتقاله إلى أماكن محددة غير آدمية تنتشر فيها التجارب الخطرة ومناجم الزئبق السامة دون علمه بما تحويه الوثيقة فهو لا يعرف القراءة ولا الكتابة.

فيقول الرجل: " كل ما فعلته هو إنني وبذلك الفعل كنت أوافق على التنازل عن قريتي".

وبكلمات تعصر حزنا وتنبع بالأسى والألم تتكلم واهيني (امراة من شعب هيداستا 1885) وتقول:

في بعض الأماسي أجلس أمام نهرنا، نهر (الميزوري) العظيم، الشمس تغيب والغسق يذوب في المياه وتلوح لي في تلك الظلال قريتنا الهندية وفي هدير النهر أسمع جلبة المقاتلين

تموج مع قهقهات الصغار والكبار، لكنني أحلم ! نعم إنها ليست إلا أحلام امرأة عجوز فأنا لا أرى إلا أشباحا ولا أسمع إلا هدير المياه .. ثم تنفجر الدموع في عيني لأنني أعرف أن رجالنا ذبحوا وأن حياتنا الهندية انتهت .. إلى الأبد.

يقول العكش في معرض الذكر متحدثا عن "رحلة الدموع": إنه في أوائل 1850 وفي أول جلسة تشريعية لكاليفورنيا سنت الولاية قانون "حماية الهنود" الذي أضفى الشرعية على خطفهم واستعبادهم واقتضت "حماية" الهنود بموجب الملحقات التي أضيفت إلى القانون في عام 1860 إجبار أكثر من عشرة آلاف هندي على أعمال السخرة ولأن معظمهم هربوا بأرواحهم وفراخهم إلى الغابات والجبال الوعرة صاروا يعيشون ما أصبح يسمى بأمالك الولايات المتحدة، فقد تحولوا بموجب قوانين الذين يسرقون بلادهم إلى "لصوص معتدين على أملاك الغير" .. ولم تمض سنة على صدور قانون حماية الهنود حتى ضاق حاكم الولاية بيتر بيرنت ذرعا بحمايتهم وعبر عن الحاجة إلى إبادة هذا "الجنس اللعين" ووجه رسالة إلى المجلس التشريعي قال فيها: "إن الرجل الأبيض الذي يعتبر الوقت ذهباً والذي يعمل طول نهاره ليبنى حياة سعيدة لا يستطيع أن يسهر طول الليل لمراقبة أملاكه ولم يعد أمامه من خيار سوى أن يعتمد على حرب إبادة، إن حرب الإبادة قد بدأت فعلاً ويجب الاستمرار فيها حتى ينقرض الجنس الهندي تماماً". لم يكن الذين تم ترحيلهم جماعياً بأحسن حال من الذين خضعوا لأعمال السخرة والاستعباد فبعد أن سن الكونجرس في عام 1830 قانون ترحيل الهنود بالقوة من شرق المسييسي إلى غربه صار حق كل مستوطن أن يطرد الهندي من بيته وأرضه وأن يقتله إذا لم يستجب لصوت العقل. وكانت " رحلة الدموع " أولى ثمار هذا القانون .. يومها حاصرت قوات من الجيش النظامي من لم يمت بعد من هنود خمسة شعوب هم: الشيروكي والشوكتو والشيكاسو والكريك والسيمينول.. وحشرتهم في معسكرات جهزت سلفاً لتجمعهم في انتظار يومهم الموعود مع الحضارة وطريقة حياتها.

وما أن تأكد الجيش أنه لم يبق بيت ولا كوخ ولا خيمة ولا كهف ولا غابة ولا مقبرة تؤوى شعباً أحمر حتى سيقت بقايا هذه الشعوب بنسائها وأطفالها وشيوخها وعجزتها مئات الأميال عبر ولاية تنسى فكنتكى فالنويز فميزوري ليقطفها الصقيع والجوع والمرض والإجهاد روحاً روحاً.. وككل حفلات الموت التي ترعاها الدولة فإن منظماً (رحلة الدموع) ساقوا الهنود عن قصد عبر مناطق يعرف القاصي والداني أنها كانت موبوءة بالكوليرا وغيرها من الأمراض وأطعموا ضحاياهم من طحين فاسد ولحم منتن.. كان "العامل الطبيعي" في أوج نشاطه.. فقد مات 15 بالمائة من مهجري شعب الشوكتو الأربعين ألفاً.. وكذلك كانت نسبة من تساقط من شعب الشيكاسو.. أما شعبي الكريك والسيمينول فمات منهما أكثر من نصف مهاجرين سقط معظمهم في الأيام الأولى من (رحلة الدموع) بينما حصدت الحمى الصفراء منهم 3500 ضحية ومات من مهجري شعب الشيروكي 55 بالمائة بالأمراض والجوع والإجهاد المضى الذي عانوه أثناء الترحيل القسري⁽¹⁾.

وكان ذلك القرن، قرن الترحيل القسري المنظم لكل الشعوب الهندية التي كانت تعيش شرق الميسيسيبي فما جرى للشيروكي تكرر بصورة كلاسيكية مع كل الشعوب الهندية في الشمال الأمريكي، من حدود المكسيك جنوباً حتى القطب شمالاً، ومن ماريلاند وفرجينيا شرقاً.. حتى أوريغون وواشنطن على المحيط الهادي.. كلهم قضوا بنسب متفاوتة، بين شعوب اختفت تماماً من الذاكرة البشرية وشعوب تراوح نسبة الناجين منها بين 5 و15 بالمائة مما كانت عليه بعد موجات الإبادة الأولى التي اشترك فيها الإسبان بشكل أساسي ومعهم بعض الشعوب الأوروبية الأخرى مثل البرتغال والفرنسيين والألمان فبعد أقل من ثلاثين سنة مضت على "رحلة الدموع" سيق من تبقى من شعب النافاهو أيضاً في هجرة قسرية مختلفة تعرف باسم (المسيرة الطويلة) في البداية تكاثفت جهود الجيش والمستوطنين لصيد آخر النافاهو وتجمع طرائدهم في معسكر خاص باريوزونا استعداداً لترحيلهم مشياً على الأقدام أو على ظهور الدواب التي نفق معظمها قبل

(1) المصدر السابق، انظر الصفحات 29، 30، 31.

الإفلاق ..ثم تولت قوى الجيش ترحيلهم من أريزونا إلى نيومكسيكو، أكثر من أربعمئة كيلومتر في صقيع شتاء تلك الطبيعة الوحشية حيث مات منهم نصف أحيائهم بحسب أكثر التقديرات تواضعا كذلك خسر شعب الشاين نصف بقاياها النادرة أثناء ترحيله بالقوة إلى مثواه الأخير في معسكر للموت البطئ في أوكلاهوما.

وهناك تعرضوا لسياسة التجويع والحصار التي لم ترفع عنهم جزئيا، إلا بعد التوقيع على اتفاقية تنازلوا فيها عن معظم أراضيهم⁽¹⁾.

يقول دي لاس كاساس، شاهد العيان:" قيل لي إن هذا الطاغية قد أحرق 800 قرية في جاليسكو، فهرب من هرب واختفى في المغارات والكهوف.. وقد حاول بعضهم التحصن ببعض الصخور لكن الإسبان قتلوهم لأنهم كالعادة كانوا مدججين بالسلاح، هكذا اكتشف المسيحيون الإسبان بلاد الهنود وهكذا فتحوها ..كان الإسبان طوال هذه السنين يكتبون ويزعمون أن الله أرسلهم لفتح هذه البلاد التي كانت آمنة مطمئنة وأن الله هو الذى نصرهم على هذه الأمم وكانوا يحمدون الله في صلواتهم ويشكرونه لأنه أعطاهم كل هذه الخيرات ولأنهم قاموا بكل هذا الطغيان.. أنهم يفعلون ذلك كما كان الطغاة اللصوص الذين قال عنهم النبي زكريا: "مبارك هو الرب لقد صرنا أغنياء"⁽²⁾.

خطبة الوداع⁽³⁾

المأساة لا تنتهى لطالما نتكلم عن الهنود الحمر وهي تبدو في حديثهم أكثر مما تبدو – إلى حد ما- في الأحداث التي تلت عليهم.. وفي تاريخهم لعبرة لأولى الألباب! بعد أن لم يكن أمام الهنود خيارا ثالثا بين أحد خيارين إما الموت أو السخرة والعبودية كان البيض

(1) انظر المصدر السابق ص 32.

(2) بارتولومي دي لاس كاساس..المرجع السابق ص 61.

(3) من خطبة (سياتل) زعيم هنود دواميش..وتعرف ب(خطبة الهندي الأحمر) وقد ألقاها في شعبه سنة 1854 راجع: منير العكش: أميركا والإبادات الجماعية ص 163 وما تلاها.

رحماء معهم قليلا وبعد أكثر من 350 عاما أعطوهم خيارا ثالثا وهو طردهم خارج أرضهم ليموتون ببطء في البراري والصحارى.

وفي اليوم الذى أجبر فيه الهنود التخلي عن أرضهم أقيم حفل استسلام تاريخي لإبرام تلك المعاهدة المشنومة حيث ألقى فيها- فيهم- زعيمهم خطبته التي تفتقر ألما، جامعا ذكراه، وحاملاً وصياه المقدسة حيث بدأ يقول:

زعيم واشنطن الكبير يقول لنا في رسالته: إنه يريد أن يشتري بلادنا ويقول لي إنه صديقي وأنه يكن لي مودة عميقة.

ما ألطف زعيم واشنطن الكبير! لا سيما أنه في غنى عني وعن صداقتي!

لكننا سننتظر ما يعرضه زعيم واشنطن الكبير فنحن نعرف أننا إذا لم نبعه بلادنا، فسوف يجيئنا الرجل الأبيض مدججا بسلاحه وينتزعها..

كيف نستطيع أن نبيع أو نشترى السماء ودفء الأرض؟

ما أغرب هذه الأفكار!

كيف نبيع طلاقة الهواء؟ كيف نبيع حبات الماء ونحن لا نملكها؟

كل شبر من تراب هذه البلاد مقدس عند شعبي، كل خيط من ورق الصنبور كل شاطئ رملي، كل مدى من الضباب في غياهب الإحراج، كل حشرة تمتص ما تمتص أو تطن.. كله مقدس في ذاكرة شعبي وتجربته مع الحياة.. النسغ الذى يسيل في الأشجار يجرى بذكريات الإنسان الأحمر..

موتى الإنسان الأبيض ينسون مهدهم عندما يمشون بين النجوم أما موتانا فأبدا لا ينسون الأرض الطيبة لأنها أم الإنسان الأحمر نحن منها، وهى منا..

الأزهار العاطرة أخواتنا، الغزال والحصان والذسر العظيم كلهم أخوتنا، القمم الصخرية عندي المروج ودفع جسد الحصان كلها من هذه الأسرة الواحدة..

وإذن فحين يقول زعيم واشنطن الكبير أنه يريد أن يشتري بلادنا إنما يسألنا ما لا يطاق..

زعيم واشنطن الكبير يقول في رسالته إنه يريد أن يشتري بلادنا، وأنه سيمهنا مطرحة يلمنا، نعيش فيه سعادة وأنه سيكون لنا أبا وأننا سنكون أبناء له لذا سننظر في ما يعرضه زعيم واشنطن الكبير حول شراء بلدنا علما بأنه عرض لا يطاق لأن أرضنا مقدسة.

هذه المياه التي تشع وهي تجري في السواقي والأنهار ليست مياهها إنها دماء أجدادنا.. وإذا قررنا أن نبيعك بلادنا فأذكر أنها مقدسة وقل لأبنائك إنها مقدسة.. كل طيف يتراءى في صفاء مياه البحيرات ينبئك من ذكريات شعبنا وتاريخه.. وما تهمس به المياه هو صوت جدى، هذه الأنهار أخواتنا أنها تطفئ ظمأنا وتحمل مراكبنا وتطعم أطفالنا، وإذا قررنا أن نبيعك بلادنا فأذكر وعلم أبنائك أن هذه الأنهار أخوتنا وعليك أن تحبها كما تحب من ولدته أملك ..

ينهزم الإنسان الأحمر أمام زحف الإنسان الأبيض مثلما ينقشع ضباب الجبال أمام شمس الصباح لكننا نرى رماد أبنائنا مقدسا وقبورهم بقيعا مقدسا، وهكذا نرى الهضاب والأشجار ونعتبر هذه البلاد قسمتنا ونعرف أن الرجل الأبيض لا يفهمنا، تستوى هذه الأرض عنده والأرض المجاورة، لأنه الغريب الذى تسلل في ظلمات الليل فنال من هذه الأرض كل ما تمنى، أنه لا يرى الأرض أختا له بل عدوًا يقهره ثم يمضى ها هو يهجر قبر أبيه ولا يعبأ ويتركه وراء ظهره ولا يعبأ.. أنه يسرق الأرض من أبنائها ولا يعبأ .. هذه قبور آبائه ومهاد أبنائه منسية، وها هو ينظر إلى أمة السماء فلا يراها إلا سلعة تسرق أو

تباع كالأغنام والخرز، إن جشعه يلتهم الأرض فلا يغادرها إلا صحراء.. لا يترك هذا الرجل الأبيض حيث يحل ويرحل شبرًا من أرض دون ضجيج، لم يبق لديه مكان لسماع حفيف الأوراق وتفتحها في الربيع أو لسماع طنين أجنحة الحشرات ولكن لربما أنى متوحش لا أفهم أن الضوضاء تصم الأذنين، وماذا يتبقى للحياة حين يعجز الإنسان عن سماع صرخة طائر السبد أو يصغى في أعماق الليل لنقاش الضفادع حول البركة، لكن لربما أننى إنسان أحمر لا أفهم ..

الهنود يفضلون صوت الريح العذب وهى ترمح فوق بركة المياه ورائحة الريح المعشقة بمطر الظهيرة أو المعطرة برائحة الصنوبر ..

الهواء عند الإنسان الأحمر ثمين فكل ما على الأرض يتنفس منه، الحيوانات والأشجار والبشر .. كلهم يتنفسون من نفس واحد، إما الإنسان الأبيض فيبدو أنه لا يعرف أنه يتنفس، وكأنه رجل مات منذ أيام.. كل ما فيه بليد حتى النتانة..

ولكن إذا قررنا أن نبيعك بلادنا فأذكر أن الهواء ثمين عندنا، وأن روح الهواء تتغلغل في كل من يتنفس منه، إن الريح التي وهبت جدنا الأكبر أول شهيق هي التي استردت منه زفيره الأخير، إن على هذه الريح أن تمنح أبناءنا روح الحياة فإذا بعناك بلادنا فاجعلها حراما وقدها كأنها مقام يحج إليه الرجل الأبيض ويتذوق فيه الريح المحلاة بأزهار المروج..

وإذن فسننظر في عرض شرائك بلادنا وسيكون لنا شرط واحد إذا قبلنا بيعها: أن يعامل الرجل الأبيض حيوانات الأرض كما يعامل أخوته ..

لربما إننى متوحش ولا أفهم لكننى شاهدت ألف جاموس متنن في البراري قتلها الرجل الأبيض من قطار عابر.. لعل متوحش ولا أفهم كيف أن هذا الحصان الحديدي المدخن أعظم في عينيه من الجاموس الذى لا نقتله إلا لى نبقى على قيد الحياة ..

ما الإنسان بدون هذه الحيوانات؟ وإذا انقرضت فسوف يموت من توحش روحه، ما يصيب الحيوانات سرعان ما يصيب البشر فكل الأشياء متماركة..

لا بد أن تعلم أبناءك أن أديم الأرض تحت أقدامهم من رفات أجدادنا بذلك يحترمونها الأرض..علمهم ما علمنا أولادنا أن هذه الأرض أمانة، وأن المكروه الذي يصيبها سوف يصيب أبناء الأرض، إذ بصق إنسان على الأرض فإنما يبصق على نفسه..

هذا ما نعلم.. أن الأرض لا تعود إلى الإنسان، بل هو الإنسان يعود إلى الأرض هذا مانعلم..

كل الأشياء متماركة، كما الدم الذي يوحد العائلة كل الأشياء متماركة ما يصيب الأرض سوف يصيب أبناء الأرض، الإنسان لا ينسج عنكبوت الحياة بل هو خيط في هذا النسيج وما يفعله للنسيج يفعله بنفسه ..

لكننا سننظر في عرضك أن نذهب إلى المطرح المخصص لشعبي لنعيش وحدنا بسلام لا يهم أين نمضي بقية حياتنا.. أنها أيام معدودة بضع ساعات إضافية .. بعض شتاءات ثم لن يكون هناك أطفال من هذه الشعوب العظيمة التي عاشت يوما على هذه الأرض، وها هي ذي شرادم ضئيلة تتسكع في أعماق الأدغال، لن يكون هناك أطفال يبكون على قبور بشر كانوا ذات يوم مثلكم أقوياء طافحين بالأمال، ولكن لماذا أبكى زوال شعبي؟ إن القبائل لا يصنعها إلا الرجال، أما الرجال فيجئون ويرحلون مثل أمواج البحر..

حتى أنت أيها الرجل الأبيض الذي تمشى مع ربك وتحاكيه صديقا لصديق لن تنجو من هذا المصير ولعلنا - في النهاية-أخوة. وسوف نرى ..

أعلم شيئا واحدا قد يكتشفه الرجل الأبيض يوما.. أعلم أن إلهي وإلهه واحد، أنكم تعتقدون أنكم تملكون هذا الإله مثلما أنكم تريدون أن تملكوا أرضنا، إنه إله الإنسان

وقد وسعت رحمته الإنسان الأحمر والإنسان الأبيض، إن هذه الأرض غالية عنده وأن
إيذاء الأرض لا بد أن يثير غضب خالقها لسوف تمضى أنت أيضا أيها الإنسان الأبيض
وربما ستمضى قبل غيرك هيا امعن في تلويث فراشك ولسوف تختنق يوما في قمامتك..!

ولكنك ولحكمة لا يعرفها إلا الإله الذى جاء بك إلى هذه البلاد أعطاك سلطانا على
الأرض وعلى الإنسان الأحمر إن هذا المصير ما يزال لغزا عندنا .. أين الأيكة؟ ولت. أين
النسر؟ اختفى.

ما معنى أن تقول وداعا للصيد وللحصان الرشيق؟

إنها نهاية الحياة وبداية مغالبة الموت.

وإذن سننظر في عرضك أن تشتري بلادنا فلئن رضينا فلكي نأمن على أنفسنا في ما
وعدتنا به من مطرح نعيش فيه، هناك، ربما سوف نعيش آخر أيامنا وحينما يزول آخر
إنسان أحمر فوق الأرض ولا يبقى منه إلا ظلال سحابة تعبر البراري ستظل هذه الشيطان
والغابات مسكونه بروح شعى ..

وإذن إذا بعناك أرضنا فاحمها كما يحب الوليد خفقات قلب أمه ..

وإذن إذا بعناك أرضنا فاحمها كما أحبناها واستوص بها خيرا كما استوصينا
واحفظ من أرضنا بصورة لها مثلما كانت يوم أخذتها ..

وبكل ما أعطيت من سلطان، وكل ما فيك من عقل وقلب: استوص بأرضنا وصنها،
احمها كما يحبنا الله جميعا ..

إنني أعلم أن إلهنا وإلهكم واحد وأن هذه الأرض غالية عليه وأعلم أن الرجل الأبيض
أيضا لن يفلت من يد المصير، وفي النهاية.. لعلنا اخوان .. وسوف نرى. .

يقول العكش: صحيح أن الحكومة الأميركية وقعت 371 معاهدة مع الشعوب الهندية خرقتهما كلها ولم تحترم واحدة منها لكن البقية الباقية من هذه الشعوب في أعلى مزولة الموت الرملية ما تزال تمتلك قانونيا 3% من مساحة ما يسمى اليوم بالولايات المتحدة الأميركية لم تتنازل عنها قط، هي بلادها المغتصبة التي دفنت بشعوبها في "مقبرة الهند" ولم يعد هناك من يصدق أنها بلادها أنها شظايا من المساحات مخردقة، معزولة مطوقة، ملغومة، متباعدة لكنها بمجموعها 285886 كيلو متر مربع أكبر من مساحة كل الجزيرة البريطانية وأكبر بعشرات المرات من الزرائب التي حشر فيها هؤلاء الأشقياء بالقوة والإرهاب والمجازر وقوافل الدموع وحرموا فيها عمدا من أبسط شروط الحياة أنهم ينامون جياعا عراة محاصرين فوق أغنى كنوز بلادهم فلديهم ثلثا احتياطي اليورانيوم وربع الفحم الكبريتي وخمس الغاز والنفط ومخزون هائل (لم يعلن على مقداره) من الذهب والنحاس والماس وبوكسيت الألمنيوم وغير ذلك من التي أعطت "ثروة الأمم" مبررا إضافيا قويا لتحديث تكنولوجيا المحو والاستمرار في حرب الإبادة على هامش دراما نهاية التاريخ، وكان نبي الرأسمالية المتوحشة ادم سميث قد استطار لبه بالتجربة الإنجليزية الفذة في العالم الجديد فدعا في ترجمته الاقتصادية لاصطلاح التطهير العرقي للأمة الإنجليزية المتمدنة إلى استعمار كل بلد بور أو قليل السكان ونادى بضرورة أن يحل المستوطنون الجدد محل السكان الأصليين لأن ذلك يسرع في نماء ثروة الأمة المتمدنة وعظمتها"، كذلك كتب (جون لوك) فيلسوف التسامح الإنجليزي قبله أن الله أعطى المسيحيين (في غرب أوروبا فقط) حقا طبيعيا في امتلاك الأراضي البور الخاوية من السكان وأوجب عليهم الامتثال لإرادته بغزو المجاهل واستثمارها، ذلك أن مستثمر هذه المجاهل هو مالكاها الطبيعي⁽¹⁾.

(1) منير العكش-تلمود العم سام. ص 42، 43.

فنون القتل من الحرق إلى الأكل!

كيف يمكن تخيل العالم بدون الإسبان والإنجليز والفرنسيين والهولنديين؟ أعتقد أنه ستختفي كل الأثام والآلام والانقسامات، لما كانت أميركا التي نعرفها، ولحل السلام والطمأنينة العالم وقلوب البشر، لاختفى الفساد في الأرض وكان العالم أحسن حالا مما هو عليه. عندما دخل الإسبان -وغيرهم- غزاة أرض الهنود كانت آياتهم ورسالات مبشرهم لتلك الشعوب:

"لَا تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لِأُلْقِي سَلَامًا عَلَى الْأَرْضِ. مَا جِئْتُ لِأُلْقِي سَلَامًا بَلْ سَيْفٌ"
(متى الإصحاح العاشر- الآية 34)

"أَتَظُنُّونَ أَنِّي جِئْتُ لِأُعْطِيَ سَلَامًا عَلَى الْأَرْضِ؟ كَلَّا، أَقُولُ لَكُمْ: بَلْ انْقِسَامًا" (لوقا الإصحاح الثاني عشر الآية 51)

"طُوبَى لِمَنْ يُمْسِكُ أَطْفَالَكَ وَيَضْرِبُ بِهِمُ الصَّخْرَةَ" (المزمير 137- آية 9)

"وَتُحْطَمُ أَطْفَالُهُمْ أَمَامَ عُيُونِهِمْ، وَتُنْهَبُ بُيُوتُهُمْ وَتُفْضَحُ نِسَاؤُهُمْ" (اشعيا 13- آية 16)

"تَجَاوَزَى السَّامِرَةُ لِأَنَّهَا قَدْ تَمَرَّدَتْ عَلَى إِلَهِهَا. بِالسَّيْفِ يَسْقُطُونَ. تُحْطَمُ أَطْفَالُهُمْ"
(هوشع 13- آية 16)

"وَقَالَ لِأُولَئِكَ فِي سَمْعِي: «اعْبُرُوا فِي الْمَدِينَةِ وَرَاءَهُ وَاضْرِبُوا. لَا تُشْفِقُ أَعْيُنُكُمْ وَلَا تَعْفُوا الشَّيْخَ وَالشَّابَّ وَالْعَذْرَاءَ وَالطِّفْلَ وَالنِّسَاءَ، اقْتُلُوا لِلْهَلَاكِ. وَلَا تَقْرُبُوا مِنْ إِنْسَانٍ عَلَيْهِ السِّمَةُ، وَابْتَدِئُوا مِنْ مَقْدِسِي». فَابْتَدَأُوا بِالرِّجَالِ الشُّيُوخِ الَّذِينَ أَمَامَ

الْبَيْتِ وَقَالَ لَهُمْ: «نَجِسُوا الْبَيْتَ، وَأَمْلَأُوا الدُّورَ قَتْلَى. اخْرُجُوا». فَخَرَجُوا وَقَتَلُوا فِي الْمَدِينَةِ"

(سفر خرقيا 9:5)

" وَأَخَذُوا الْمَدِينَةَ وَحَرَّمُوا كُلَّ مَا فِي الْمَدِينَةِ مِنْ رَجُلٍ وَامْرَأَةٍ، مِنْ طِفْلٍ وَشَيْخٍ، حَتَّى الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ وَالْحَمِيرِ بِحَدِّ السَّيْفِ وَأَحْرَقُوا الْمَدِينَةَ بِالنَّارِ مَعَ كُلِّ مَا فِيهَا، إِنَّمَا الْفِضَّةُ وَالذَّهَبُ وَآنِيَةُ النُّحَاسِ وَالْحَدِيدُ جَعَلُوهَا فِي خِزَانَةِ بَيْتِ الرَّبِّ" (سفر يشوع 22:66)

"اقتُل رَجُلًا وَامْرَأَةً، طِفْلًا وَرَضِيعًا، بَقَرًا وَغَنَمًا، جَمَلًا وَحِمَارًا وَأَمْسَكَ أَجَاغَ مَلِكِ عَمَالِيقَ حَيًّا، وَحَرَّمَ جَمِيعَ الشَّعْبِ بِحَدِّ السَّيْفِ" (سفر صموئيل الأول 3:15)

"هل تريد كتابا يأمر بالنصب والنهب" (سفر الخروج الإصحاح 3: من 18 إلى آخر السفر)

"أَمَّا أَعْدَائِي، أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِيدُوا أَنْ أَمْلِكَ عَلَيْهِمْ، فَأَتُوا بِهِمْ إِلَى هُنَا وَادَّبَحُوهُمْ قُدَّامِي" (لوقا 27:19)

فالبيض هكذا، وجدوا سفكة دماء قتلة-باسم الدين، الذي طبقوه دون أن يفهموه! وهكذا قضوا على الهنود .. يرون شعوب الأرض كلها فريسة والأرض ساحة نزال وقتال!

يقول كأساس:

مرة جاءنا الهنود لاستقبالنا محملين بالهدايا والخيرات وقد أعطونا كثيرا من السمك والخبز والطعام وكل ما يستطيعون تقديمه وماذا فعل المسيحيون لشكرهم؟ استولى الشيطان على قلوبهم فجأة فراحوا يقتلونهم بالسكاكين بلا سبب ولا مبرر ولقد قتلوا

أمام عيني أكثر من ثلاثة آلاف إنسان رجالاً وأطفالاً ونساء لقد شاهدت وحشية لم يرها قبلي بشر ولا خطرت على بال إنسان.. ومرة توجهت مع حاكم المنطقة إلى هافانا وقبل وصولنا بأيام بعثت إلى أسياد المنطقة رسلا اطمئنهم وأضمن لهم أنه لن يؤذيهم أحد، وذلك لأن الأرض كلها زلزلت بما سمعت عن مجازرنا، وحين وصلنا إلى هافانا استقبلنا زعماء القبائل وعددهم واحد وعشرون وذهلت عندما شاهدت القبطان يأمر جنوده بالقبض عليهم وحرقهم أحياء وقد ذقت الأمرين لإنقاذهم وأفلح مسعائي لكن عزيمة القبطان لم تنثن، فقد أمر بإحراقهم بعدها فأحرقوا أحياء، وحين أدرك سكان كوبا أن مصيرهم مماثل لمصير الجزر الأخرى وأنهم سوف يقتلون ويستعبدون قرروا الانتحار الجماعي، كان الآباء يشنقون أنفسهم وأهلهم وأطفالهم قبل وصول الإسبان. وأذكر قصة الضابط الذي منحه الحاكم ثلاثمائة هندي فلم يبق منهم بعد ثلاثة أشهر غير ثلاثين وأعطاه الحاكم أيضا عددا مماثلا فقتلهم أيضا وكان كلما زيد في العطاء زيد في التقتيل إلى أن مات. وخلال إقامتي في الجزيرة

—جزيرة كوبا—أربعة أشهر توفي أكثر من سبعة آلاف طفل لأن أهلهم كانوا يصطحبونهم معهم إلى مناجم الذهب ولقد رأيت أمورا أفزع عندما كان الإسبان يصطادون الهنود اللاجئين على الغابات والكهوف..هكذا أبادوا أهالي كوبا عن بكرة أبيهم لقد شاهدتها عامرة بالناس وأي أسى مرينتاب المرء عندما يراها بعد ثلاثة أشهر صحراء موحشة⁽¹⁾.

وقد روى مترجم في فترة الاستعمار والهنود الحمر "جون سميث " أفزع مجزرة تعرض لها الهنود الحمر في إطار التصفية العرقية مؤكدا أنه شاهد بنفسه كيفية بقر بطون نساء حوامل وقتل الأطفال الرضع الذين لم تتجاوز أعمارهم 3 سنوات قال هذا المترجم الذي كان يتحدث أمام الكونجرس الأميركي بشأن الجرائم التي ارتكبتها الأوروبيون: "إن الجنود نهبوا كل ما كان يملكه الهنود الحمر وهشموا جماجمهم ونزعوا جلود

(1) دي لاس كاساس-المرجع السابق ص 36، 37.

أجسادهم وقلعوا أدمغتهم"، وأضاف قائلاً "لقد بقروا هؤلاء بطون النساء الحوامل ومارسوا التعذيب ضد الأطفال من خلال ضربهم بأخمص البنادق ولم يرحموا حتى الأطفال الرضع الذين لم تتجاوز أعمارهم أكثر من 3 أشهر وفصلوا الرؤوس عن الأجساد".

وكشف الجندي الأمريكي "جيمس كاني" عن تفاصيل الجريمة قائلاً: "لقد شاهدت جندياً اعترف بقطع الأعضاء الحساسة للهنود الحمر وعرضها على قطع من الخشب، وسمعت من جندي آخر أنه قطع إصبع امرأة من الهنود الحمر لكي ينتزع الخاتم منه، فيما قال جندي آخر إنه كان يفض بكارة النساء ويركهن على سرج الحصان ويقتلع قلوبهن وقلوب الرجال ويضعونها على قبعاتهم أثناء الاستعراض العسكري".

أما العكش (مؤرخ حضارة وتاريخ الهنود الحمر) فيقول إنه قد: "ارتكب الإنجليز جريمة سلخ فروة الرأس في معظم حروبهم وعلى نقيض ما تروج له هوليوود والرسميون والإعلاميون وأكاديميو التاريخ المنتصر" فإن الرجل الأبيض هو الذي خلق عادة السلخ (في العالم الجديد) وأن أكثر جرائمها من صنع يديه" .. وكانت عادة سلخ فروة الرأس متبعة أيام الحروب الإنجليزية الأيرلندية، ففي أواخر القرن السادس عشر لجأ القائد الإنجليزي (همفري جلبرت) إلى قطع الرؤوس وسلخ فرواتها لإثارة الذعر في نفوس الأيرلنديين وقمع انتفاضتهم (1567-1570) في فظاعات أقلها زرع جانبي الطريق إلى مقر زعيم الانتفاضة بالرؤوس المقطوعة .. حتى أن الجنرال الفرد سولي أعاد هذا المشهد بكل تفاصيله بعد حوالي ثلاثة قرون عندما أمر بنصب الرؤوس المقطوعة لهنود اللاكوتا على عيدان ضخمة كل رأس على عود وزرعها على جانبي الطريق المؤدية إلى مقره العام للاستئناس وفرض الهيبة .. ولقطف الرؤوس وظائف أخرى غير الزينة أو فرض الهيبة كما كان الحال في أيرلندا والمستعمرات الأميركية الأولى، لقد استخدم في البداية- بدلاً من

آلات الحساب الخرزية- للتأكد من عدد القتلى"⁽¹⁾، بعد مذبحة ساند كريك التي ذهب ضحيتها أكثر من 800 هندي أعزل، اضطر الكونجرس إلى إجراء تحقيق في الفضاعات التي ارتكبتها الجنود وقائدهم جون شفنغتون ويعتبر جون اليوم من أعظم أبطال التاريخ الأمريكي وهناك الآن أكثر من مدينة وموقع تاريخي تخليداً لذكره، ولشعاره الشهير: "اقتلوا الهنود واسلخوا جلودهم، لا تتركوا صغيراً ولا كبيراً، فالقمل لا يفسد إلا من يببوض القمل". ولعل هذه هي العبارة التي ألهمت هتلر⁽²⁾ - كما يقول العكش معلقاً- تشبيهه ما جري في معسكرات الإبادة النازية بأنه "تنظيف قمل" وكانت الحكومة قد أعلنت الكولونيل جون بأن القرية مسالمة، وأن معظم رجالها خرجوا لصيد الجواميس، لكن الكولونيل قال: "حسناً، إنني متشوق للخوض في الدم" وقد تحقق له ما يصبو إليه فمع أول خيوط فجر 29 نوفمبر 1864 زحف رجاله إلى القرية، وكان فيها رجلان من البيض حاولا إعلام الجنود بأن القرية مسالمة، لكنهم جاوبهما بإطلاق النار، ثم أن الزعيم بلاك كتل الذي لم يصدق أن البيض سيخرقون اتفاقيات السلام رفع العلم الأبيض فوق سارية أحد البيوت كما رفع علماً أميركياً كان قد تلقاه من مفوض الشؤون الهندية، وراح الزعيم المخدوع بالاتفاقيات يطمئن أهل القرية ويهدئ روعهم قائلاً: "لا تخافوا. لا تخافوا، نحن في سلام مع البيض"! وفيما كان الجنود يطلقون النار على أهل القرية المتراكضين في كل الاتجاهات أعطي شفنغتون أوامره بالقصف المدفعي ومطاردة الهاربين. ويقول روبرت بنت، أحد مساعدي شفنغتون في شهادته أمام الكونجرس: "بعد القصف حاول رجال القرية أن يجمعوا الأطفال والنساء ويحيطوا بهم لحمايتهم ولقد شاهدت خمس نساء مختبئات تحت مقعد طويل، وعندما وصل الجنود ألين بدان يتوسلن ويطلبن الرحمة لكن الجنود قتلوهن جمعاً، وكان هناك أيضاً ثلاثون أو أربعون امرأة متكومات فوق بعضهن في حفرة وقد أرسلن إلينا طفلة في السادسة تحمل راية بيضاء مربوطة على عصا، لكنها لم تتقدم بضع خطوات حتى أطلقنا عليها النار وقتلنا النساء

(1) منير العكش- أميركا والإبادة الجماعية.. ص 69.

(2) كتبت (هملر) أو كذلك قال، ونقلناها (هتلر) ليستقيم المعنى.

اللواتي لم يبدين أي مقاومة، ثم أنني رأيتهن بعد ذلك مسلخات الرأس ، بينما كانت إحداهن مبقورة البطن وجنيها في بطنها واضح للعين، وأخبرني الكابتن شاول أنه رأي ما رأيته، ورأي مثلي عددًا كبيرًا من الأطفال بين أيدي أمهاتهم المذبوحات"

ويقول شاهد آخر هو الجندي أشيري يبرد إن:

" عدد الضحايا يراوح بين 400 و500 وأنهم جميعًا تعرضوا لسلخ فروات رؤوسهم، لقد رأيت امرأة تعرض فرجها للتمثيل به، كما شاهدت جثثًا مقطعة تقطيعًا فظيعةً وعددًا من الجماجم المحطمة وأنني لعلني ثقة بأنها تحطمت بعد موت أصحابها بإطلاق النار عليهم كما هو واضح (وهذا ما يشهد عليه أيضًا السير جنت لوسيان بالمر) - مضيفاً- أنني لم أرقتيلاً واحداً لم يسلم رأسه أو رأسها، لقد رأيت كذلك أصابع مقطوعة للسطو على الخواتم، كما رأيت عددًا من الجثث وقد قطعت أعضائها التناسلية"

وتقول شهادة عاموس ميلكش:

"رأيت طفلاً حياً بين الجثث المرمية في الخندق ورأيت جندياً من الفرقة الثالثة يستل مسدسه ويطلق النار على رأس الطفل، رأيت ضحايا مقطعة الأصابع للسطو على خواتمها، ومقطعة الأذان للسطو على زينتها، ورأيت عددًا من الجنود ينبشون جثثًا تم دفنها ليلاً وذلك ليسلخوها وليأخذوا زينتها، ورأيت امرأة هندية مهشمة الرأس وفي الصباح التالي بعد أن تيبست الجثث بدأ الجنود بسحب جثث النساء وفتحهن بطريقة مشينة"

وشهد ديفيد لودرباك، الفرسان بأن "جثث النساء والأطفال تم التمثيل بها بطريقة مخيفة، لقد رأيت ثمانين منها فقط ولم أجد في نفسي الشجاعة لرؤية المزيد فقد كانت شديدة التقطيع وكانت مسلوخة الرؤوس أما الزعيم وايت انتلوب (الطبي الأبيض) فإنه كان مقطوع الأنف والأذنين والأعضاء التناسلية"

ويقول المترجم جون سميث:

لقد مارسوا كل أنواع السلب والنهب سلخوهم واقتلعوا أدمغتهم واستخدم الجنود سكاكينهم لتمزيق أجساد النساء وشقهن ولتعذيب الأطفال ودق رؤوسهم بأعقاب البنادق واقتلاع أدمغتهم والتمثيل بأجسادهم، إن أسوأ تمثيل رأيته في حياتي هو تقطيع النساء إلى قطع صغيرة وتمزيق جثث الرضع الصغار ذوي الشهرين أو ثلاثة أشهر وعندما ذهبت إلى مكان المذبحة في اليوم التالي لم أرى جسدا واحدا إلا وقد سلخ وقطعت أعضاؤه التناسلية"

ويقول الليوتننت جيمس كانون :

"سمعت جنديا يقول إنه اقتطع فرج امرأة وعلقه على عود لعرضه، وسمعت آخر يقول إنه قطع أصابع هندية ليأخذ خواتمها كما سمعت جنودا قالوا إنهم اقتطعوا فروج الهنديات وشدوها على مقدمات سروج خيولهم أو عرضوها كالنياشين على قبعاتهم أثناء الاستعراض العسكري وسمعت جنديا يقول إنه شق قلب امرأة هندية ورفعها على عوده".

بعد انتهاء المهمة عقد الكولونيل شفنغتون مؤتمرا صحافيا أعلن فيه أنه خاض مع رجاله "إحدى أكثر المعارك دموية مع الهنود حيث تم تدمير أغنى قرى هنود الشاين"! فيما عمت النشوة بين الزنابير في طول البلاد وعرضها وخرجت مسيرات الفرح والتأييد في الشوارع حتى أن افتتاحية إحدى الصحف شبهت فروات الرؤوس المقطوعة والمتناثرة هنا وهناك بالضفادع التي اجتاحت مصر قبل خروج بنى إسرائيل منها، وأضافت "ليس هناك أحد لم يتمتع بقطعة من فراء رؤوس هنود الشاين وهناك من بلغت به النشوة أن أرسلها إلى أصدقائه في الشرق".

وبالطبع أنهت لجنة تحقيق الكونجرس تحقیقاتها باستهجان المجزرة وعدم معاقبة أحد، أما الرئيس تیودور روزفلت (1858-1919) فإنه تسامى بهذه البطولات فوصفها بقوله "إن مذبحه ساند كريك كانت عملاً أخلاقياً ومفيداً ذلك لأن إبادة الأعراق المنحطة حتمية ضرورية ولا بد منها"⁽¹⁾.

في عام 1514 توجه حاكم جبار إلى الیابسة كان طاغية فظلاً لا يعرف قلبه الشفقة أو الرحمة كان أداة حقيقية في يد الغضب الإلهي وكان مصراً على أن يملأ هذه الأرض بكثير من الإسبان وكان غيره من الإسبان قد سبقوه إلى الیابسة ونهبوا لكنهم لم يتوغلوا بعيداً، أما هذا الحاكم فقد تجاوز في تعذيبه للهنود كل الذين سبقوه إلى الجزر فقد أغار على أكثر أراضي الهنود سعادة ورخاء وهي أراضي تمتد إلى أكثر من خمسمائة فرسخ وتصل إلى مقاطعة (نيكاراغوا) كان فيها أسیاد عظام ومدن مهمة وثروات ذهبية هائلة. عرفت قبطاناً قام بحملته في هذه الیابسة فقتل أكثر من أربعة آلاف إنسان. روى لي الراهب (فرانشيسكو سان رومان) الذي رافق القبطان كل ذلك وقال إنه شاهدها بعينه وحين كان الإسبان يريدون أن ينهبوا قرية أو يسرقوا ذهبها وخيراتها يصلون إليها بعد منتصف الليل وساعتها يقرأون على الهنود المساكين الغارقين في النوم "فرمان" فتحهم (بالإسبانية التي لا يفهمها كل السكان) ويقولون فيه: "يا زعماء قبائل الهنود ويا سكان القرية أننا نعلمكم بوجود إله واحد وبأباً وملك قشتالة سيد هذه الأراضي كلها، فخرجوا وعلنوا الطاعة له وإلا فإننا سنعلن الحرب عليكم ونقتلكم" ومع طلوع الفجر كان الإسبان يدخلون على هؤلاء المساكين الأبرياء النيام فيحرقون منازلهم القشية ويحرقون الأطفال والنساء وهم أحياء كما يحرقون الرجال قبل أن يستيقظوا كانوا يقتلون من يشاؤون ويعذبون من يقبضون عليه حتى الموت ليدلهم على القرى الأخرى الغنية بالذهب وأما من لا يقتلونه فيسمون على جلده شارة الرق بميسم من حديد، وحين تخدم النيران في البيوت يسارعون إلى نهب الذهب منها.. ذات مرة جاء زعيم قبيلة هندي إلى الحاكم وقدم

(1) انظر المرجع السابق ص 79:75.

له طوعا (وربما عن خوف) حوالى 36 ألف جرام من الذهب فلم يطب خاطر الحاكم الذى أسرفي نفسه قائلا: إذا كان هذا الهندي يعطيني كل هذه الكمية من الذهب طوعا فلا شك في أنه يملك أضعاف أضعافها وكان المسكين قد أعطى الحاكم كل ما يملك من الذهب لكن الحاكم لم يصدق وأمر جنوده بتعذيبه لعله يعطى المزيد وبما أن الزعيم الهندي لم يكن يملك فعلا أكثر مما أعطى فقد استمروا في تعذيبه ثم ربطوه إلى وتد في الأرض وأشعلوا النار تحت أقدامه وظل على هذه الحال من العذاب إلى أن سال نخاعه على أخمص قدميه! وذات مرة خرجت فرقة من الجنود للنهب ووصلت إلى غابة اختبأ فيها عدد من الهنود خوفا من وحشية المسيحيين وجرائمهم وانقض الجنود عليهم فقتلوا منهم ما استطاعوا وسبوا سبعين امرأة واحتشد الهنود في اليوم التالي وطاردوا المسيحيين طلبا لنسائهم وسباياهم وحين أحس المسيحيون أن الهنود قد اقتربوا منهم ذبحوا النساء والسبايا وبقروا بطونهن فلم يبقوا على واحدة منهن وأصيب الهنود بالامتعاض والخيبة والتأذي فراحوا يلطمون أنفسهم ويصيحون : يا للأشرار، يا للمسيحيين الهمج لقد قتلتم نساءنا قتلتم أطر كائنات الدنيا.. وقتل النساء عند الهندي أكبر دليل على الهيمنة⁽¹⁾.

يضيف كأساس في موضع آخر قائلا:

وحين علم الهنود بمجيء الإسبان خرج زعماء المنطقة جميعا لاستقبالهم وكان معهم الكهنة ورئيس الكهنة وقد سار الموكب للقاء المسيحيين تظله الهيبة ويحيط به الجلال.. ودعا الهنود ضيوفهم الإسبان لينزلوا في بيوتهم وقصورهم غير أن الإسبان كانوا مصممين على المجزرة التي كانوا يسمونها عقابا لبسط الهيبة وترويع السكان وتخويفهم وكانت هذه سياسة الفتح الإسباني أول ما يفعلونه عندما يدخلون قرية أو مدينة هو ارتكاب مجزرة مخيفة، مجزرة جماعية ترجف منها أوصال هذه النعاج المرفهة، ونادى الإسبان كل

(1) دي لاس كاساس (المسيحية والسيوف..) انظر الصفحات 39، 40، 41.

أسياد المدينة ونبلاتها ليسجنوهم فوراً ومن غير أن يعلم بذلك أحد من الطلقاء ثم طلب الإسبان ستة آلاف هندي ليحملوا بضائعهم وحين جاءوا سجنوهم كذلك في باحات المنازل، إن مشهد هؤلاء الهنود وهم يستعدون لحمل حقائب الإسبان وبضائعهم يثير الشفقة والأسى فهم يجيئون عراة ليس عليهم إلا ما يستر عوراتهم ويحملون معهم شبাকা صغيرة فيها طعامهم المتواضع ثم يقرفصون جميعاً كالخراف الوديدة وحين تجمع الهنود أغلق عليهم الإسبان الأبواب وشدوا عليها الحراسة، ثم استلوا خناجرهم وبدأوا بذبح هذه النعاج فلم ينج منهم إلا القليل وبعد يومين أو ثلاثة رأينا بعض الهنود يخرجون أحياء ملطخين بالدم وكان هؤلاء الناجون قد اختبأوا تحت القتلى ونجحوا في الاختفاء لكثرة القتلى وراح هؤلاء الناجون يسترحمون الإسبان ويستعطفونهم أن لا يقتلوهم..سدى، فالإسبان لا يعرفون الشفقة أو الرحمة ولهذا قطعوهم إرباً إرباً⁽¹⁾.

وحين رأى الهنود أنهم لن يستطيعوا أن يستعطفوا قلوباً بهذه الوحشية وأنهم إلى الذبح لا مفر وأنهم لن يستطيعوا دحر الإسبان قرروا الانتحار كانوا شبه عراة، عزلاً من السلاح، ضعاف البنية، ويستحيل عليهم الوقوف في وجه جيوش متوحشة جهنمية تقاتل فوق الأحصنة وهم مشاة حفاة..وما لبث الهنود أن اخترعوا طريقة لأذى الإسبان كانوا يهينون حفراً صغيرة على الطرقات التي يسلكها الإسبان بأحصنتهم وكانت هذه الحفر تملأ بالأوتاد المسنونة الحادة لقتل الأحصنة كما كانت تغطى بالعشب للتمويه وانطلقت الحيلة على الإسبان مرة أو مرتين ثم سرعان ما عرفوا كيف يتجنبوا هذه الحفر وكيف ينتقمون.. كانوا كلما التقطوا هندياً ألقوا به في هذه الحفر حياً مهما كان عمره أو جنسه، هكذا كانوا يرمون فيها الحبالى والمرضعات والشيوخ والأطفال، وكان مشهداً يبعث على البكاء حين كنا نمر بالقرب من هذه الحفر الممتلئة بالهنود وقد اخترقت الأوتاد

(1) المصدر السابق ص 48، 49.

أجسادهم وكنا نرى الكلاب السلوقية تعيش على لحوم هؤلاء المساكين، لقد ارتكب الإسبان هذه المجازر منذ 1524 حتى 1531⁽¹⁾.

فلك أن تتخيل عدد القتلى والأكلى في تلك الفترة الزمنية ..بل وكان للبشر نصيب في لحوم البشر ..فيحكي من قبطان كان "متوجها إلى الحرب بجيش من عشرة آلاف أو عشرين ألفا، وكان معه عدد كبير من الهنود الذين ساقهم عبيدا بعد تعذيبهم وكان القبطان لا يقدم لرجاله الطعام لكنه سمح لهم بأن يأكلوا الهنود الذين معهم أو الذين يلتقطونهم أثناء الغارات على المدن والقرى هكذا صار معسكره أشبه بمسلخ يتراكم فيه لحم البشر كان الرجال يقتلون الأطفال ويشوونهم وكانوا يقتلون الإنسان من أجل أن يأكلوا لحم كفيه وقدميه قائلين إنها أشهى لحم الإنسان، وحين عرف سكان المناطق القريبة بهذه الأعمال الهيمية أصيبوا بالهلع ولم يعرفوا أين يختبئون"⁽²⁾.

وذات يوم خرج إسباني لصيد الغزلان والأرانب ومعه كلابه السلوقية لكنه لم يصطد شيئا وبدا له أن كلابه جائعة فسرق طفلا من أمه فقطع أطرافه وأعطى كل كلب حصته وحين التهمت الكلاب تلك القطع رمى لها الجسد الصغير لكي تلتهمه. ذلك هو بطش المسيحيين في تلك المناطق وتلك فضائهم.⁽³⁾

وفي شهادة القس كأساس عن هنود البيرو يقول:

حين دخل الإسبان إلى أراضي هؤلاء الهنود (في البيرو) أعطاهم الزعيم (اتاهوالبا) من الذهب ما قيمته مليون قشتالية وكل ما يملكه من الأراضي وبدون مقاومة.. عندها وبدون سبب أحرق الإسبان الزعيم (اتاهوالبا) ثم أحرقوا قبطانه العام حيا واسمه (كوشيلماكا) وكان - ذلك الأخير - قد جاء ليرحب بالحاكم الإسباني بصحبة زعماء

(1) المصدر السابق ص 56.

(2) بارتالومي دي لاس كأساس -مذابح الهنود الحمر ص 65.

(3) انظر المصدر السابق ص 71.

آخرين..وبعد أيام أحرق الإسبان (شامبا) وهو زعيم مرموق آخر من مقاطعة (كويتو) علما بأنه لم يؤذهم ولم يذنب ذنبا، كذلك أحرقوا ظلما وتعسفا (شابرا) زعيم الكناريين وأحرقوا أقدام أحد زعماء (كويتو) الكبار، وعذبوه طويلا ليعترف لهم بمكان الذهب وكان المسكين يجهل كل شيء عن هذا الأمر وفي (كويتو) نفسها أحرق الإسبان (كوزوبانغا) حاكم مناطق كويتو لأنه رفض تسليم كل ما لديه من ذهب كما أحرقوا معه كثيرا من شيوخ القبائل ولقد قيل لي بعد ذلك: إن الإسبان قد خططوا أن لا يبقوا زعيما هنديا على قيد الحياة.

وأنى أصرح أيضا بأن الإسبان قد جمعوا عددا كبيرا من الهنود وسجنوهم داخل منازل ثلاثة كبيرة حشروهم فيها ثم أحرقوهم دون أي سبب ولقد استطاع أحد الرهبان أن يستخرج صبيا من النار لكن إسبانيا أخرجهما عليه وسحب الطفل من يديه ورماه في اللهب حيث صار رمادا مع الآخرين، وفي ذلك النهار توفي هذا الإسباني فجأة وهو على الطريق ورفضت أن أدفنه.

إنى أصرح أيضا بأنى شاهدت الإسبان يقطعون أيدي الهنود والهنديات من غير سبب ويجدعون أنوفهم ويقطعون آذانهم ورأيت الإسبان يقومون بصيد نادر، إذ كانت كلابهم السلوقية تطارد الهنود وتلتهمهم أو أن الإسبان أنفسهم يرمون بالهندي إلى كلابهم السلوقية لتأكله.⁽¹⁾

وفي شهادته عن هنود فلوريدا يتحدث عن أحد الطغاة الذين دخلوا هذه البلاد في سنة 1538 وما بعدها فيقول: لقد ارتكب هذا الطاغية المذابح في فلوريدا من أجل التخويف والإرهاب، وتفنن في التعذيب، فكان يربط الهنود وهم يعملون عشرات عشرات بحبل واحد فإذا سقط أحدهم من الإرهاق قطع رأسه وترك الجسد على الأرض لكي لا يضطر إلى فك الحبل وعلمت أن الإسبان دخلوا قرية فاستقبلهم أهلها بالترحاب ثم

(1) المصدر السابق، انظر الصفحات 93، 94

أطعموهم وخصصوا لهم 600 هندي لخدمتهم وحمل أثقالهم غير أن الإسبان ولم يكادوا يرتاحون من عناء وعناء السفر، بدأوا بتقطيع الرؤوس، ولما رأوا بعض الهنود حذرًا منهم ذبحوهم بالجملة، رجالًا ونساء وأطفالًا، واحضر الطاغية (كما قيل لي) مائتي هندي، وراح يتسلى بهم: منهم من جدع أنفه، ومنهم من قطع شفته السفلي أو شق فكه، كان يتسلى بتغيير ملامح الوجه، ثم أرسلهم جميعًا إلى أهلهم بلا أنوف أو بلا شفاه، أو أذان، فعادوا يسيلون دمًا هكذا عادوا ومعهم بشارة المسيح وبشرى مجيء المبشرين المسيحيين القادمين لنشر الإيمان الكاثوليكي وتعميد الهنود، وليخمن القارئ مدي ما يكنه الهنود من حب للمسيحين، وأي صورة يعرفونها عن ربهم ودينهم، وآه كم هي كبيرة وعجيبة تلك الجرائم التي ارتكبوها باسم التبشير⁽¹⁾.

هذه كانت شهادة (كأساس) - أو الجزء اليسير منها- وهذا هو تاريخ أميركا-وأوروبا لا سيما-القديم، الذي لا يختلف كثيرًا عن تاريخها الحديث، الذي كتب-ويكتب-بدماء الشعوب الضعيفة وباسم الله وتحت لواء ونداء الكتاب المقدس.. وحاشاه أن يكون الكتاب المقدس-الإنجيل أو غيره- كتاب عنف أو إرهاب.. ولكن هكذا جعلوا من الله (رجلاً أوروبياً)!!

كان ويليام برادفور⁽²⁾ (4) - حاكم مستعمرة بليموث- يري أن " نشر الأوبئة القاتلة بين الهنود عمل يدخل السرور والبهجة على قلب الله فيما يرضي الله ويفرحه أن تزور هؤلاء الهنود وأنت تحمل إليهم الأمراض والموت، هكذا يموت 950 من كل ألف منهم وينتن بعضهم فوق الأرض دون أن يجد من يدفنه. أن على المؤمنين أن يشكروا الله على فضله هذا ونعمته " يشكروا الله على أنهم قتلة لا مقتولين! .

" إن الله رجل إنجليزي "أوليفر كرومويل (1599-1658)

(1) دي لاس كأساس- المسيحية والسياف، ص 84، 85

(2) 1590-1657-انفص الي انجليزي، هرب إلى هولندا من اضطهاد الملك جيمس الأول، وحكم مستعمرة بليموث ما بين 1621 و1657.

تطور الهمجية!: كذبة الديمقراطية

توقفت كثيرًا عند قوله تعالى "وعلم آدم الأسماء كلها" البقرة 31، فهي قاعدة " للمعرفة" –أو قاعدة معرفية- ووصف لمشمولات العصر الآني.. العصر الذي يستحيل أن نجد له وصفًا دقيقًا حقيقيًا مثاليًا، فنجد أن كل المفاهيم التي تأسس عليها لا تصف المجتمع، بل ما يجب أن يكون عليه- هذا العالم- بالتالي زعم الإنسانية، والديمقراطية، والتفوق الإنساني وحقوق الإنسان.. حتى ليخيل للمرء-من كثرة تداولها-أن هذا العصر – بكل بشاعته – هو عصر المثالية.. " فنحن نعيش في عصر يتكرر فيه الزعم بعكس الحقيقة: عصر يسمى نفسه عصر التنمية الاقتصادية أو حتى عصر التنمية الإنسانية واحترام حقوق الإنسان، بينما هو أقرب إلى أن يكون عصر استبدال ثقافة بأخرى".⁽¹⁾

الثقافة المنفصلة عن البناء الاجتماعي، تتبخر كليًا.. في أوروبا لعبت الثقافات والأيديولوجيات دائمًا دورًا مهمًا في الحياة السياسية، كمثال على ذلك، في أوروبا المسيحية، في عصر النور والثورة الفرنسية، قرون القوميات- أو الماركسية وثورة أكتوبر.. في أميركا-فيما عدا المواطنين الأصليين الهنود حيث نظمت العلاقات الاجتماعية بينهم ثقافة عليا (مثل الحال عند الانكا) لكنهم أبيدوا بنسبة 80% من خلال المذبحة الكبرى، طردوا، همشوا، وأخيرًا تم إدخالهم إلى المفردات- فيما عدا هؤلاء فإن كل البشر- والكلام على لسان روجيه جارودي- الذين يعمرن الولايات المتحدة اليوم من المهاجرين.. أيًا كانت ثقافتهم وأصلهم الأول، فإن أكثرهم جاء أساسًا بحثًا عن المال، كان لكل منهم دينه وثقافته، أيرلنديون أو إيطاليون، عبيد زنوج جلبوا إلى أميركا، مكسيكيون أو بورتوريكيون، لكن ليس هناك دين أو ثقافة مشتركة، الرابطة الوحيدة التي تجمعهم مشابهة لتلك التي تجمع الموظفين في شركة. الولايات المتحدة الأميركية، هي شركة للإنتاج يجمعها بصفة أساسية هدف واحد: الربح والمال. تعتبر كل هوية شخصية، ثقافية،

⁽¹⁾ جلال أمين -خرافة التقدم- ص 85.

فكرية أو دينية، شيئاً خاصاً، فردياً للغاية لا يتداخل مع سير النظام، انطلاقاً من مثل هذا البناء الاجتماعي، الإيمان، كمعني للحياة لا يمكن أن يعيش إلا داخل بعض الجماعات التي احتفظت بهوية ثقافتها القديمة أو عند بعض الأفراد الأبطال.. عند الغالبية العظمى من هذا الشعب مات الرب، وهم لا يعلمون، لأن الإنسان استغنى عن أبعاده الربانية: السمو والبحث عن المعنى. الساحة إذن خالية من أجل تكاثر الطوائف والخرافات بكل أنواعها، وتظهر الدولة تسامحاً خاصاً إزاء كل ذلك.⁽¹⁾

يمكن لأي شخص في الولايات المتحدة أن ينتقد شخص رئيس الجمهورية أو أعضاء الكونجرس، علناً بل لقد سبت أم رئيس مجلس النواب، زوجة الرئيس الأميركي علناً أمام وسائل الإعلام واتهمتها بأنها داعرة، لم يكثر أحد لذلك ولا حتى الرئيس وزوجته، بل يمكن التهجم على الأنبياء والرسل بل وعلي خالق الوجود، ولكن لا يمكن تعميم ذلك وإطلاق حرية الكلمة في كل المجالات، فهناك مناطق الخطر والتي وراءها مناطق الخطر التي تكلف من يخوض فيها مستقبله كائنًا من كان.. وعلى حد كلمات "توكفيل" في كتابه (الديمقراطية في أميركا):

تقيم الأغلبية في أميركا حواجز منيعة حول حرية الرأي وفي نطاق هذه الحواجز يستطيع المؤلف أن يكتب ما يشاء، وويل له إن تجاوزها يتعرض للفضيحة وللاضطهاد المستمرين ويقضي على حياته السياسية بيده إلى الأبد. صفحة (232).⁽²⁾

ينضم جارودي لساحة تشومسكي، فيضيف قائلاً:

كشف توكفيل الثاقب الفكر والمراقب الأول للولايات المتحدة عام 1840 في كتابه المشهور "الديمقراطية في أميركا" عن الأساس لهذه الآلية: "لم أعرف شعباً يكن كل هذا الحب والولاء للمال"، "شعباً هو جماعة من المغامرين والمضاربين"، أكمل توكفيل،:

(1) روجيه جارودي، المرجع السابق ص 76، 77.

(2) نعوم تشومسكي- ماذا يريد العم سام ص 88.

"يمكن لأمة ديمقراطية مماثلة للأمة الأميركية أن تمهد الطريق للاستبداد والطغيان سيصبح هذا الاستبداد والطغيان أكثر انتشارًا وأكثر تركيزًا (من الذي كان لأمرأ أوروبا) يحط من قيمة البشر دون أن يؤلمهم" هذه الكلمات لمحلل خارق تعود إلى مائة وخمسين عامًا⁽¹⁾، وكمثال على أزمة الديمقراطية والحرية والحدود السياسية والفكرية -التي أشار إليها توكفيل- قبلًا التي لا يمكن تجاوزها: انتقاد سيطرة اليهود على السياسة الأميركية في الشرق الأوسط، أو على أكثر البنوك وأسواق المال أو وسائل الإعلام في أميركا وقد اضطر النجم العالمي مارلون براندو إلى أن يعتذر علنا ويبيكي أو يتباكى أمام شاشات التليفزيون لما ذكره من سيطرة اليهود على هوليوود وعدم اكتراثهم إلا بمشكلاتهم⁽²⁾، فإنه وكما كتب توكفيل في كتابه (الديمقراطية في أميركا) ص 233، فإن (حرية الرأي هذه لا توجد في أميركا⁽³⁾) وإذا قارنا بين جارودي -وهو روجيه جارودي الكاتب والفيلسوف الفرنسي مؤلف كتاب (حفارو القبور..) والذي اعتنق الإسلام عام 1982 – وسلمان رشدي -(1947-؟)، روائي بريطاني ملحد- نجد الأول هو فليسوف عالمي تم تقديمه للمحاكمة في باريس، عاصمة النور بسبب كتابه (الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية) وفيه طلب بعمل بحث علمي عن الهولوكوست يقوم به الخبراء المختصون ليكشفوا عن حجم العملية وعدد ضحاياها، قدمه اللوبي اليهودي للمحكمة بعد جلستي استماع حكمت عليه المحكمة في الجلسة الثالثة بغرامة عشرين ألف دولار، بتهمة انكار جرائم ضد الإنسانية!! وذلك بمقتضى قانون فاييوس -جيسو الذي أصدره البرلمان الفرنسي منذ عدة سنوات، استأنف جارودي الحكم، اعتدت جماعة (بيطار) الصهيونية المسلحة على المراسلين والصحافيين العرب والإيرانيين الذين حضروا المحاكمة وأصابتهم بإصابات استلزمت علاجًا في المستشفى، -كما أنه- تلقى جارودي عدة تهديدات بالقتل ثم الاعتداء على المكتبات التي توزع كتبه في فرنسا وسويسرا، وفي أثينا ألقى على إحداها قنابل

(1) روجيه جارودي، المرجع السابق، ص 77، 78.

(2) نغوم تشومسكي، ماذا يريد العام سام؟، ص 88، 89.

(3) المصدر السابق، ص 88.

المولوتوف.. أما سلمان رشدي الذي وضع كتابًا يتهم فيه على نبي الإسلام وأزواجه وأصحابه ويتهكم فيه على الإسلام فقد استحق أن يقابله (كلينتون) في البيت الأبيض وخرج يعلن للعالم أن تلك المقابلة جاءت لتأكيد مساندة الإدارة الأميركية لحرية الكلمة! كذلك دعاه رئيس الوزراء البريطاني للعشاء في منزله ..- ويضيف تشومسكي ضاربًا بعض الأمثلة الأخرى- أنه في حرب 1967 قصف الطيران الإسرائيلي الباقرة الحربية الأميركية (ليبرتي) فقتل 34 وأصاب مائة وواحدًا وسبعين من الجنود الأميركيين وألحق بالباقرة أضرارًا فادحة، أحاط الإعلام الأميركي ذلك الحادث بستاير الكتمان ..ثم النسيان، وفي السبعينيات تحدث السناتور الأميركي المخضرم ويليام فولبرايت عن سيطرة اليهود على الكونجرس الأميركي فخرج منه ولم يعد! وفي الثمانيات كتب السناتور الأميركي بول فيندلي كتابه المشهور (من يجرؤ على الكلام) فند فيه الزعم بحرية الكلمة في أميركا، وكلفه ذلك مقعده في مجلس النواب⁽¹⁾.

المدّش حقًا هو استعداد عدد كبير من الناس للتغاضي عن ظواهر مهمة وصارخة على تدهور الديمقراطية⁽²⁾، التي لن تقوم إلا عن طريق:

- أن تفتح أبواب أوروبا للعالم، للعالم الثالث بشكل خاص، مع الإصغاء للحضارات الأخرى لأن المشكلات التي تنتج عن النمط الغربي للتنمية أصبحت مشكلات العالم كله، ولن نحل إلا بالاهتمام بثقافات وحكمة شعوب العالم الثالث إنه أحد الشروط الجوهرية لقيام سلام حقيقي لا يشوبه ظلم أو سيطرة.

"إحدى صور الديمقراطية أن يختار الشعب من يحكمه، لماذا إذن لا يشارك العرب في الانتخابات الأميركية!" المؤلف.

(1) المصدر السابق، ص 89، 90.

(2) جلال أمين، خرافة التقدم، ص 85.

- أن نجري تبديلاً جوهرياً في علوم التربية والتعليم وتسخيرها لتكثيف الإنسان لا لحاجات النظام القائم، بل لبناء المستقبل ويجب من أجل ذلك تعليم الطفل أن العالم ليس حقيقة مكتملة وقبلية ومتصلبة، ولكن عملاً علينا نحن صياغته.

ونعتقد أن الواجب الأول للمثقفين هو إزاحة القناع عن اللغة الكاذبة للكراسات المدرسية-التلقين والتعليم القسري، والمنهاج والمنهج-ووسائل الإعلام، التي تخدم الغرب، كي يحقق سيادته بواسطة أيديولوجيات خداعة تحت اسم "الحداثة"-والكلام ل جارودي، مضيفاً-ليس هناك مسلمة واحدة من هذه المسلمات التي يزعم أنها عصرية إلا كاذبة وفي المقدمة منها مسلمات الديمقراطية والدفاع عن حقوق الإنسان والحرية.

كانت الديمقراطية دائماً خدعة الأقلية التي تملك العبيد والثروات.. نادي إعلان استقلال الولايات المتحدة بالمساواة في حقوق كل البشر، وبعد هذا الإعلان المهيّب، حافظت الولايات المتحدة ولمدة قرن كامل على الرق، أما التمييز العنصري ضد السود - والمسلمين-فما زال قائماً حتى يومنا هذا إنها ديمقراطية للبيض فقط ولا ديمقراطية للسود⁽¹⁾.

لا تكتفي القوانين الوضعية لإزالة اعتقاد الرجل الأبيض بأفضليته وتفوقه على بقية الأجناس، العقدة التي كثيراً ما تجعه يظلم ويستبيح حقوق الآخرين إلى درجة قتلهم واستئصالهم، وفي بلد مثل أستراليا ظلت قوانين الرجل الأبيض التي تسلب من الآخرين أي حقوق بما في ذلك حق الحياة سارية حتى منتصف قرننا الحالي، وتم إلغاؤها تحت ضغط من الداخل والخارج وليس نتيجة اقتناع -أو حتى من قبيل الحقوق الإنسانية التي ينادي أو ينادوا بها- بين الزنجي والهندي وبين الرجل الأبيض تقع بقية الأجناس والأعراق، تحاول كل منها الحصول على حقوقها داخل المجتمع الأمريكي وإذا تتبعنا تاريخ الولايات المتحدة -وهو تاريخ جد قصير حوالي قرنين أو جيلين من المعمرين المصريين- لوجدنا رغم

(1) روجيه جارودي، الولايات المتحدة طليعة الانحطاط، الفصل السادس.

قصر هذا التاريخ، أن لها سجلاً لا يسبقه سوى هتلر وستالين في انتهاك حقوق الإنسان داخل وخارج الولايات المتحدة.. فداخل الولايات المتحدة بالإضافة بجرائم إبادة الهنود السكان الأصليين وجلب العبيد من إفريقيا والتفرقة العنصرية التي تحط من كل ليس أبيض، انتهكت الحضارة الأميركية حق أفراد المجتمع في أن يعيشوا في سلام وأمان وحقهم في حياة أسرية إنسانية. فتفوقت الولايات المتحدة-والكلام لـ تشومكسي-تفوقاً كاسحاً على بقية العالم في معدلات جرائم السرقة والاعتصاب والقتل والاعتداء على الزوجات أو العشيقات وقتلن والاعتداء الجنسي على الصغيرات وزنا المحارم وإدمان المخدرات -والذي توافرت الروايات عن ترويجه بواسطة الـ C.I.A في أحياء الزنوج- والطلاق بصفة خاصة، والتفكك الأسري بصفة عامة .. كذلك تواترت الاتهامات باستخدام الحكومة والجيش وشركات الأدوية للبشر كفرن تجارب سواء في مجالات الإشعاع أو الكيماويات أو الأدوية أما إذا انتقلنا للعالم الخارجي فلن تجد دولة في العالم انتهكت حقوق الشعوب في تقرير مصيرها وتدخلت في شئون الدول الأخرى وأضررت بها كما فعلت الولايات المتحدة.

"ما (النظام العالمي الجديد) الذي حلم به القادة الأميركيون الاسم آخر لسيطرة الولايات المتحدة على العالم، وأصبح (حق التدخل) هو الاسم الجديد للاستعمار" روجيه جارودي- الولايات المتحدة طليعة الانحطاط.

"ما النظام العالمي الجديد" الذي حلم به القادة الأمر يكون إلا اسم آخر لسيطرة الولايات المتحدة على العالم، وأصبح (حق التدخل) هو الاسم الجديد الاستعمار "روجيه جارودي الولايات المتحدة طليعة الانحطاط"

- وذكر في الهامش أمثلة كبيرة على ذلك منها: مساعدة حكومات دكتاتورية فاسدة لعمل انقلابات عسكرية، لشراء أصوات في الانتخابات، لتأليب دول الجوار على إثارة المشكلات أو شن الحروب، وفرض حصار اقتصادي، وشن حملات إعلامية، استخدام القوات المسلحة الأميركية -مضيفاً- وهناك خطة متكررة مع من يخرج من الصف: ضرب حصار اقتصادي، شن حروب إعلامية، إرسال مساعدات تافهة وملء شاشات التلفزيون بأجولة المساعدة لتضخيمها، استمالة وتأليب المعارضة الداخلية لإسقاط الحكومة، وإذا لم يفلح كل ذلك فيمكن إثارة القلاقل والمشكلات من قبل الجيران حتى إشعال الحرب- وبالتالي إثارة الفتنة الداخلية والطائفية واشتداد النزاع والقتال، ثم يقول مضيفاً:

ولذلك لم ينشأ في منتصف القرن مصطلح "الأميري القبيح" من فراغ⁽¹⁾.

"ليس من المتعة أو السياسة أن تقتل عدوك بيد أخيه فإن المتعة أكبر، وهذه سياستنا الجديدة، إن شكل ميليشيات للعدو، فيكون القاتل والمقتول من الأعداء " موشيه يعالون وزير الدفاع الإسرائيلي "

"ليس من المتعة أو السياسة أن تقتل عدوك بيدك، فعندما يقتل عدوك نفسه بيده أو بيد أخيه فإن المتعة أكبر، وهذه سياستنا الجديدة، أن نشكل ميليشيات للعدو فيكون القاتل والمقتول من الأعداء "

موشيه يعالون-وزير دفاع الاحتلال الإسرائيلي.

(1) نعوم تشومسكي، ماذا يريد العم سام، ص 95، 96، 97.

نجح المجتمع الدولي في عام 1998 في إنشاء محكمة جنايات دولية وذلك على الرغم من المعارضة والضغوط الأميركية العنيفة ضد ذلك وبالطبع معارضة حفنة أخرى من الدول من بينها إسرائيل، يعلم الجميع سبب ذلك -والكلام لـ تشومسكي- وهو ما ناقش وحذر منه الكونجرس الأميركي، فسيكون على كثير من القادة العسكريين الأميركيين ومديري وعملاء الـ CIA والمثول أمام تلك المحكمة كمجرمي حرب، بل لو أن تلك المحكمة أنصفت، لحاكت بعض الرؤساء الأميركيين -إن لم يكن معظمهم⁽¹⁾.

وهذا ما عبر عنه الصحفي الألماني (يورغن تودنهوفر) - (1940-...) الذي لا يختلف كثيرًا في صدقه المهني وموضوعيته وكشفه لما يدور تحت السلم الغربي عن تشومسكي وجارودي وغيرهم، ففي حوار تلفزيوني له يقول لمحاورة:

اعتقد بأننا صنعنا كذبة مريحة في حياتنا وهي كذبة الحياة والتي تدعي بأننا نحن الصالحون، ونحن الذين نمد يد المساعدة ولكن الحقيقة عكس ذلك، واعتقد بأننا في الغرب لم نسيطر على العالم من أجل فكرنا الرائع أو لقيمنا النبيلة ولكن لأننا استخدمنا العنف بلا رحمة أكثر من الآخرين، وإذا سمحت لنفسني أن أكون جاداً، لم يكن المسلمون من ذبحوا أربعة ملايين من البشر أثناء الحملات الصليبية- إن لم يكن العدد أضعاف ذلك- لم يكن المسلمون من قتلوا 50 مليون إنسان أثناء الاستعمار، لم يكن أيضاً المسلمون من قتلوا 70 مليوناً في الحربين العالميتين الأولى والثانية، لم يكن المسلمون من قتلوا 6 ملايين من اليهود ولكن هذا كان حصيلة عدوان العالم الغربي- مشيراً إلى - أن الولايات المتحدة خدعت الرأي العام بخصوص الحرب في العراق وقد تسببت بقتل أكثر من مليون شخص وأن الحقيقة تتلخص في أن إدارة الرئيس الأميركي السابق جورج بوش وقد هدفت إلى سرقة نفط العراق. ويضيف: لا يصح أن يتم غزو الشعوب وقتلهم ثم الاندهاش من دفاعهم من أنفسهم.

(1) انظر المصدر السابق ص 97.

ويقول منتقدًا حروب الغرب على الشرق والإسلام: أرى بوضوح وبلا أدنى شك أنه على الغرب عدم التدخل العسكري بالأراضي العربية والإسلامية والحرب الحقيقية الغربية على الإرهاب يجب أن تتم من خلال التالي:

تقصفون بلادهم، وتشردون أبناءهم وترسمون نبهم في أبشع الرسومات وتساندون المسيحيون الأفارقة وتساحونهم ليقتلوا المسلمين في مالي وإفريقيا الوسطي-وبورما وغيرها- ثم تظهرون بمظهر الضحية! لا تضحكوا على أنفسكم، فلن يصدقكم إلا الأغبياء والمنافقين فقط" ميشيل اونفراي-الكاتب والمؤرخ والفيلسوف الفرنسي الشهير.

أولاً: توقف العدوان الغربي على المسلمين في الأراضي العربية والغربية-على السواء.-.

ثانياً: وقف التمييز ضد المسلمين في الغرب.

ثالثاً: عدم نشر رسوم تسيء لخاتم الأنبياء محمد-صلى الله عليه وسلم.

رابعاً: التوقف عن بث وإشاعة أفكار معادية للإسلام والمسلمين.

خامساً: وقف العدوان الإسرائيلي على الفلسطينيين.

أما فجارودي فذهب إلى ما ذهب إليه هذا الأخير، فيرى أن الحل-في ظل انعدام المعني والهدف-هو العالم الثالث ومبرره الوحيد والدائم في ذلك هو سياسة السوق والغزو الثقافي الذي تتبعه أميركا-بأسطولها الإعلامي والتقني-فيرى أنه:

في هذا العالم اللامعني أمام هذه الهزيمة الجديدة للإنسان، المتفاقمة بسبب القدرة التقنية للبربرية المبرمجة إلكترونيًا، لابد أمام كل ذلك من المواجهة بالبدل لمعاودة الارتفاع إلى الإنسانية-مضيفًا أن-هناك أربعة أهداف لها الأولوية من أجل تحقيق هذا التحول في الأهداف النهائية والوسائل لمجتمعنا:

(1) إيقاظ رد فعل شعبي ناقد حول أهداف الحياة وحول الأهداف النهائية لتاريخنا المشترك، لمواجهة تيار الفردية و"كل إنسان يعيش من أجل نفسه" لابد من الوعي بكل ما يقع على كل شخص من مسؤولية خاصة تجاه المصير الجماعي.

(2) مفتاح حل مشكلاتنا الكبرى هو تغيير جذري في علاقتنا مع العالم الثالث: يهدف قلب أساليب الضغط المدمرة لصندوق النقد الدولي، وأيضًا بالتوقف عن التدمير عن طريق الهيمنة الاستعمارية للتنمية الداخلية.. وحل مشكلات البطالة عن طريق إعادة تشكيل جهازنا الاقتصادي من أجل مطالبنا الحقيقية ومطالب العالم الثالث، وحل مشكلات الهجرة التي ستتحول إلى غزو للبؤس، إذا ما استمر عدم التناسب الحالي في التفاقم، وحل مشكلات الثقافة إذا ما أزيلت المزايم الغربية بالتفوق وعالمية نماذجها للنمو والثقافة وذلك من أجل الانفتاح على الثقافات الأخرى، برغبة في التأثير المتبادل-وليس إجبار الغير باتباع ثقافة ونموذج معين قسراً، والتخلي عن ثقافتهم ونماذجهم الخاصة.. وعدم إبداء أي قبول وتقبل لها، ونأخذ العلمانية والليبرالية مثالاً-

(3) نكرر بلا ملل: العقبة الرئيسية هي وحدانية السوق، بنظريتها الأساسيتين: أسطورة الحداثة وأسطورة الديمقراطية، من أجل محاربة ذلك لابد من تفاعل جهود كل من تمثل الحياة عندهم معنى: إيمان بالله وإيمان بالإنسان.

4) تغيير نمط حياتنا لن يتم فقط من خلال التبشير الأخلاقي وعكس الوضع الحالي لكن عن طريق تصحيح إنتاجنا واقتصادنا، أيضًا عن طريق مشاركة كل هؤلاء الذين لا يعيشون من التفكير الطفيلي في الفساد لكن يعيشون من الإبداع والإنتاج الحقيقي لخدمة المجتمع انتهي⁽¹⁾.

المدنية في عيون الهمجم.. بداية القصيدة كفر!

الغاية والهدف في أي حضارة هو الإنسان، فمتي كان الإنسان فيها طرفًا كانت " الحضارة" .. وإذا كان الإنسان أصل الحضارة وأساسها، فإن ما نجده في تاريخ الغرب مناف لها.

تقصفون بلادهم، وتشردون أبناءهم وترسمون نبيهم في أبشع الرسومات وتساندون المسيحيون الأفارقة وتسليحونهم ليقتلوا المسلمين في مالي وإفريقيا الوسطي-وبورما وغيرها- ثم تظهرون بمظهر الضحية! لا تضحكوا على أنفسكم، فلن يصدقكم إلا الأغبياء والمتافقين فقط" ميشيل اونفراي-الكاتب والمؤرخ والفيلسوف الفرنسي الشهير.

(1) روجيه جارودي-حفارو القبور..انظر الصفحات 122، 123، 124.

استعرضنا في البداية التاريخ الغربي القديم، ثم التاريخ الحضاري الآني-في عجالة- فوجدناه في الأول، قام على مفاهيم الاستعمار والمال وإبادة الإنسان والآن، الهدف واحد، فقط المصطلحات هي التي تغيرت.. حلت الرأسمالية التي تخدم السوق لا الإنسان - الرفاهية (الشهوة المطلقة و"إباحية" كل شيء)! - الإنسان- فيها- أداة للإنتاج وليس غاية فيها.

لهذا كانت بداية تمدن الإنسان الغربي-ما بين السقوط والنهوض المزعوم:- بداية القصيدة كفر.."

لهذا كله، يقول نزار قباني(1923:1998) -دبلوماسي، سياسي وشاعر سوري: - " قبل كل شيء نريد أن نتفق مع الرئيس الأميركي على مفهوم كلمة حضارة.. نحن نفهم من الحضارة كل جهد يهدف إلى الارتفاع بمستوي البشر وتحقيق أفضل الشروط الإنسانية لهم، فالحضارات اليونانية والهندية والصينية والفرعونية والبابلية والفينيقية والعربية، حضارات استحققت اسمها لأنها قدمت للإنسان عصارة عقلها وفلسفتها وفنونها، وأضأت له طريق الخير والمعرفة والسعادة وعلى هذا الأساس لا يمكن اعتبار التفوق الصناعي والتكنولوجي وهما وجهها الحضارة! - في الولايات المتحدة وأوروبا، تفوقًا حضاريًا أو حضارة، بالمعني الأخلاقي والفلسفي لهذه الكلمة.⁽¹⁾

وبالرغم أن معظم تلك الحضارات التي ذكرها قباني لم تكن "إنسانية الطابع" إلا أنها لم تكن معادية للإنسان ومهددة لإنسانيته نوعًا ما، كما الحال في الحضارة-إن

الحضارة والتمدن ليست شيئًا يمكن تحقيقه على الإطلاق، هناك طريقتان فقط حيث يمكن للرجل بلوغها: الأولى هي بأن يكون مثقفًا والثانية بأن يكون فاسدًا!". اوسكار وايلد.

(1) روجيه جارودي-الولايات المتحدة طليعة الانحطاط- الفصل الثالث.

سميها تجاوزًا كذلك -الحديثة (الغربية) ولهذا يقول (الكسي كاريل) -(1873-1944)، طبيب فرنسي حاصل على نوبل في الطب عام 1962 :- "إن الحضارة الحديثة هي مأزق لأنها لا تتلائم مع حقيقة كيان الإنسان، لقد بنيت هذه الحضارة بدون معرفة طبيعتها الحقيقية فهي ناجمة عن مصادفات الاكتشافات العلمية، واشتراءات البشر وأوهامهم "ونظرياتهم" و"رغباتهم"، وبالرغم من أننا نحن شيدناها فإن الحضارة ليست على قياسنا".

لا يوجد قط حضارة في التاريخ غريبة وكثيية كهاته الراهنة والسبب:-

- الذي عبأ به كاريل وغيره مؤرخي الحضارات ورجال الكلمة الموضوعيين- في كون ما هو كائن، هو أن هذه الحضارة ليست أصيلة الطابع، فإنه، وكما يقول جوناثان ليونز في (بيت الحكمة)- على سبيل المثال:- "من المستحيل تصور الحضارة الغربية دون ثمار العالم العربي ..فن الجبر للخوارزمي أو التعاليم الطبية الشاملة لابن سينا أو علم الجغرافيا وفن رسم الخرائط للإدريسي، المستمرين إلى اليوم، أو العقلانية الصارمة لابن رشد، بل الأهم من عمل أي شخص كانت المساهمة الإجمالية للعرب تلك التي تقع في صميم الغرب المعاصر أي إدراك أن العلم يمكن أن يمنح الإنسان القدرة على تسخير الطبيعة".

ومن ناحية أخرى فإن.. "التقدم الغربي هو ثمرة نهب العالم الثالث وأن الحداثة الغربية -كما يقول د. عبد الوهاب الميسري -لا يمكن فصلها عن عملية النهب هذه" التي تتم عن طريق.. "التقدم التقني-الذي هو-مثل فأس في يد مجرم مريض". كما يقول ألبرت أينشتاين.

وهنا فإن وسائل التمدن وطرق وأسس -تلك الحضارة- وإن دلت على شيء فهي تدل على الهمجية والتخلف.. ذلك لأن أول القصيدة كفر..!

وهنا يقول روجيه جارودي:

لكي نفهم لماذا نعتبر انتشار طراز الحياة الأميركية وأوهامها أحد الأساليب الحقيقية لتفكك الأخلاق وانحدار الفنون في يومنا هذا، نجد من الضروري أن نضع هذه المشكلة ضمن منظور التاريخ الأميركي، لأن انحطاط الثقافة الذي يلعب دورًا منظمًا في حياة المجتمع الأميركي إنما ينحدر من طبيعة تاريخ الولايات المتحدة.⁽¹⁾ ومدارس الهنود التي أقيمت لتمدن البقية الباقية منهم وأمركتهم هي جزء، أو مطلع هذه القصيدة، التي يسرد تفاصيلها (منير العكش).. قائلًا:

"من مفاصد هذه الحضارة، أنها
تسمى الاحتيال ذكاء، والانحلال
حرية، والرزيلة فنا، والاستغلال
معونه". مصطفى السباعي.

لم يتورع طواويس " مكتب
الشئون الهندية" عن إقطاع
هذه المدارس الداخلية، مدارس
أبنائهم لثروة الأمم التي أقطعتها
بدورها لإرساليات التبشير
واستأجرت لذلك-بتعبير المؤرخ
الشيروكي جورج تينكر- حثالات

المجتمع الأميركي من متخرجي السجون وأصحاب السوابق والساديين ومغتصبي الأطفال والمتقاعدين العسكريين والأمنيين.. لتمدين أطفال الهنود والإشراف على هذه المدارس وإدارتها. لهذا لم تخل مدرسة واحدة ونسب مختلفة من الاغتصاب الجنسي، حتى أن بعض الآباء امتنعوا عن الإنجاب خوفًا من جلادي المدارس الداخلية ونظام "النقل" الذي فرضه المكتب وشركات "التمدين" المتعاقدة معه، ويروي تينكر بكثير من الحزن قصة أخ له بالتبني واسمه دوني انتحرو وهو في الثانية والخمسين، لقد اختطفه زبانية (مكتب الشئون الهندية) من ذراعي أمه في معزل عندما كان في الخامسة، لم ينفع بكاء

(1) منير العكش- أميركا والإبادات الثقافية.. انظر الصفحات 25، 26، 27.

الأم ولا ضراعة الأب، فقد وضعوا في يديه القيد أمام أعينها وساقوه إلى سيارة تخص الأطفال، وهناك ربطوه بالسلسلة المعدنية الطويلة التي تصفد الأطفال جميعاً، ثم شحنوهم إلى مدرسة القديس فرانسيس التي أستولى المكتب إدارتها إلى إرسالية تبشيرية، منذ تلك اللحظة كتبت قصة انتحار دوني فقد بدأ منهاج تمدينه في الأيام الأولى لدخوله المدرسة بافتراسه جنسياً من ناظر يصفه بأنه أبيض عملاق كان يتسلل ليلاً إلى مهجعه المزين بصورة الرب الأبيض! ويغتصبه هو ورفيق غرفته (كونراد) الذي كان بعمره. كان الناظر يعريهما معا ويتناوب عليهما حتى تبلغ حضارة شعب الله ذروتها، وكانت هناك غزوات افتراس مفاجئة يشنها عليهما بعض العاملين أو وجوه لم يرها من قبل، أما كونراد فكان أسعد حظاً، لقد انتحرق قبل أن يبلغ الخامسة عشرة. قصة الاغتصاب الجنسي في هذه المدارس تكاد تكون بعمر فكرة تمدين أطفال الهنود، فهذه المدارس كما وصفها دوغلاس هوغارث أحد قضاة المحكمة العليا في كندا "ليست أكثر من مؤسسات للإرهاب الجنسي وأوكر لاغتصاب الغلمان". هنا يجبر أطفال الهنود في كل لحظة على مواجهة الحقيقة المرة وهي أنهم هم وأهلهم وكل من تبقي من شعوبهم على قيد الحياة عاجزين عن منع الإذلال أو الإهانة أو أي شكل من أشكال العدوان عليهم لأنهم ضعفاء ظنوا أن السلام سيوقف المذبحة ولأن سلطتهم الوطنية في "مكتب الشؤون الهندية" ليست إلا أحد أسلحة الغزاة، صار من مسلمات حياتهم الجديدة أن يتعرضوا لهذا العدوان في أي لحظة لأنه حق من حقوق مفترسهم الذين يعملون ناظرين ومشرفين ومعلمين ومبشرين وكلاء من الله! أما هذا الإرهاب الجنسي الذي اعتمدته سلطات المدارس كلها بدون استثناء لم تقتصر معاناة الطفل على صدمة عاطفية أو أمراض نفسية وجنسية بل كان عليه حتماً أن يفقد الأمل في المقاومة وأن ينهار كلياً وتنهار معه كل هنديته فلا يبقى أمامه إلا أن ينتحر أو أن يستسلم لشهوات رسل الحضارة، أنها في النهاية إحدى حتميات "فكرة أميركا" المستعارة من فكرة إسرائيل التاريخية في الاستعمار الجنسي للشعوب الأميركية الأصلية وجرائم الاغتصاب والعنف الجسدي الذي مدن بها شعب الله الإنجليزي ضحاياه من السكان الأصليين ظواهر طبيعية، ذلك لأن بنية

الاستعمار الإنجليزي لشمال أميركا، أي فكرة أميركا نفسها، فكرة احتلال أرض الغير واستبدال شعب بشعب وثقافة بثقافة، صيغت من مادة وأخلاق الاغتصاب والعنف الجنسي وهي لاتزال إلى الآن ترسم سياسة الزنايير وأخلاقهم تجاه سكان مستعمراتهم من سيدني إلى وشنطن ومن نيوزلندا إلى بغداد.

الدراسات الإحصائية لظاهرة الاغتصاب في مدارس الأطفال الهنود حديثة نسبيا.. فتقرير المجلس القبلي لهنود كاريبو 1991 يذكر استناداً على شهادات 187 تلميذاً أن 89 منهم تعرضوا للاغتصاب ورفض 60 تلميذاً الإجابة بينما قال 38 تلميذاً إنهم لم يتعرضوا، أما التقرير الذي أعدته وزارة الصحة عام 1993 فيقول إن نسبة اغتصاب الأطفال في بعض هذه المدارس ما بين أعوام 1950، 1980 كانت عامة طامة (100%) لم يستثن أحدا منهم أو منهم، وهناك تقرير يعود إلى عام 1980 يتحدث عن راهبات إنجيليات في مدرسة moose factory Indian Residential school كن يدخلن أطفال الهمجية معهم إلى الحمام (.....الخ). ويروي نقلاً عن شهادات التلاميذ كيف كن يتلوين أمام هؤلاء الأطفال ويتأوهن وهن يعلمنهم دروساً في المدنية!.

أما ارثر بلينت، الناظر الأبيض في مدرسة ALBERNI فقد اعترف أثناء محاكمته بأنه (مدن) كل الأطفال الذين كانوا تحت نظارته، وهم من بين السادسة والثالثة عشرة وأقر بأنه فعل ذلك من اللحظة الأولى التي تعين فيها حتى لحظة تقاعده (1948-1968) وبشكل يومي تقريباً⁽¹⁾.

على الضفة الأخرى من هذه الإنسانية نجد ثقافة أخلاقية مختلفة عند هؤلاء الضحايا لا يكف الزنايير عن اتهامهم بالوحشية وأكل لحوم البشر-فكانوا أكثر تمدنا من أولئك البيض -وهناك شهادات كثيرة كتبها الغزاة أنفسهم عن بعض تفاصيل هذه

(1) المصدر السابق، ص 33.

الثقافة الأخلاقية المختلفة أدت في كثير من الأحيان إلى هرب نساء البيض للعيش -بين الأعداء- بين الهنود!

فالجنرال جيمس كلينتون مثلاً يقول لجنوده قبل إرسالهم لتدمير شعب الإركوا عام 1779: "برغم بشاعة هؤلاء المتوحشين فإنهم لا يعتدون أبداً على عفاف امرأة أسيرة لديهم". بينما ترسم الأسيرة ماري رولاندسون مشهداً حياً لذلك الحس الأخلاقي النبيل الذي اعتبرته من نعم الله عليها في الأسر، وستشهد به أمامه أيضاً فتقول: "لقد أنعم الله على بما كنت أتمنى، كنت في وسط أسود تزار، أسود لا تخاف الله ولا الإنسان ولا الشيطان ومع ذلك لم تصدر من أحد منهم إساءة لعفافي لا قولاً ولا فعلاً لانهازاً ولا ليلاً سواء كنت وحدي أو مع آخرين، نعم هناك من سيظن بأنني أقول هذا صيانة لعرضي ولكن ليعلموا أن هذا ما سأشهد به أمام الله".

"لا بقاء لحضارة بدون أخلاق فهما اشتدت صرامة القانون لتأييد مبادئ الأخلاق، لا تعد شهوتها غلوا". غوستاف لوبون الطبيب والمؤرخ الفرنسي الشهير.

وتروي المؤرخة جون نيماس عدداً من حوادث الأسر التي ترفض فيها المرأة البيضاء العودة إلى مستوطنها وتصر على البقاء مع الهنود وتعزو ذلك إلى أن المجتمعات الهندية ليست كالأوروبية ذكورية ولهذا تشغل

فيها المرأة دور القيادة الروحية أو السياسية أو العسكرية. هذه الثقافة الأخلاقية المختلفة عرضت المجتمع " الحضاري" إلى بعض التحديات الحرجة أحيانا، ففي عام 1899 كتبت صحيفة سيراكيوس هيرالد افتتاحية جزئية قارنت فيها بين منزلة المرأة في المجتمعين، واتهمت المجتمع الأبيض بالتخلف⁽¹⁾.

(1) روجيه جارودي، الولايات المتحدة طليعة الانحطاط- الفصل السادس.

واليوم فإن هذا التحرر والإباحية المطلقة وحيونة الإنسان وعبادة الشهوة وتعذر وتعثر الأخلاق من أهم أشكال التحضر ومكونات الحضارة المادية.

واليوم يدعون أنهم حقوقيون، ويجوبون الأرض ويطرقون الديار "للسلام" فكان الأولي أن تعرفه تلك الأمم. ففاقد الشيء لا يعطيه. فأقصي ما يمكن أن يفعلونه هو التظاهر والاحتجاج وإثارة الجلبة لكلب تعرض للاضطهاد، وأخري تتزوج بكلب، لأنها وجدت فيه ما لم تجده في غيره من أشباهها-أو هكذا يقولون-هذا ليس من قبيل الإنسانية، فالإنسان أولي بها.

كلما حاول المجتمع الغربي أن يتمدن زاد تخلفاً وزاد العالم سواداً ودموية وانفلاتاً في القيم والأخلاق ففي ظل الحضارة المادية الحديثة فإن "التقدم" يتجه إلى الخلف.. فأحترس أن تصيبك -تلك- المدنية!.

الإسلام هو المدنية -بقيمه ومبادئه التي بنيت عليه الحضارة- وليس المدنية في المادية أو العقلانية المادية والعلمانية أو في المباني والعمارة -التي تشيد في الأصل من جيوب الشعوب الضعيفة ودماءها وفوق ركام جماجمهم-.. "هؤلاء الأساتذة الغرباء عن الأخلاق يعطون العالم مثلاً للأصولية الأكثر تطرفاً، تعني "الأصولية" الزعم بامتلاك الحقيقة المطلقة، وبالتالي ادعاء الأصوليين بحقهم "بل بواجبهم" في فرض هذه الحقيقة على الآخرين، وأكمل مثال على الأصولية هو الاستعمار. إذ تحرك المستعمرون تحت راية زعم مزدوج:

أولاً التبشير بالنصرانية لفرض مفهومها الخاص عن الدين على العالم، وقد حصل العسكريون والتجار مسؤولية ما تبقي وهو المجازر والاستغلال، وبعد ذلك، وبعدما تراجعت مقولة التبشير، زعموا بأنهم يحملون "الحدائث" إلى العالم!"⁽¹⁾ الحدائث التي قتلت كل شيء جسداً وروحاً، وقضت على آدمية الإنسان وإنسانيته، الحدائث التي كان لها الفضل-ومستمرة في "فضلها" و"تمديتها" -في تأسيس قواعد أزهى

(1) منير العكش- تلمود العم سام.. انظر الصفحات 299:301.

العصور، التي بنيت على أكتاف هذه الحضارة المادية: عصر الموت: موت الحياة، والإنسانية، والإنسان والمدنية والنمو والأخلاق والتقدم.. موت الله! مع ولادة الثورة الصناعية-التي رافقها ثورة اجتماعية وسياسية و...، في القرن الثامن عشر وبداية التاسع عشر- في الوقت الذي أعلن فيه فيلسوف الحداثة فردريك نيتشه (1844-1900) أنه: "لقد مات الإله ونحن الذين قتلناه.." وقتها يكون الفساد في الأرض بطيب خاطر وضمير،

"أرسى الإسلام مدنية متقدمة، تعد في الوقت الحاضر، من أروع المدينيات في كل العصور، كذلك فإنه جمع حضارة متينة متقدمة، وذلك إذا ما طرحنا جانباً الاضمحلال الواضح للقوي السياسية، فإن الشخصية الجماعية للإسلام، قد صمدت أمام كافة أنواع المتغيرات، وذلك لأن معيار الشخصية الجماعية هو المدنية عامة والتقاليد التي لم تنطفئ أو تتخذ، هذه هي روح الإسلام كما يجب أن يفهمها أولئك الذين يحاولون عن عمد وسوء نية تشويه صورته". خوسيه لويس بارسلو، الباحث الإسباني.

لأنه: قتلنا-نحن-من يحاسبنا ويراقبنا! هذه هي قصة الحضارة-الكئيبة، المادية-وهذه هي القصيدة التي أولها كفر!.

لم يكن ذلك القرن- الذي شيع فيه جثمان الرب الإنجليزي-هو بداية " القصيدة" وبداية المأساة وبداية " الحداثة" العارية، إنما كان أسوأها، الذي سيظل أثره-أثرها-باقياً ويزداد سوءاً وتمددًا، مع كل محاولة " للمتمدين" الغربي. ومرة أخرى يتكلم العكش عن ذلك الجزء السيء من القصيدة-بداية الحداثة الحديثة أو الصناعية-فيقول:

سيظل هذا القرن الدموي المشؤوم محفورًا في ذاكرة البشر، وعلامة على هذه العالمية التي انمحت خطوطنا وألواننا من ملامحها، وسيبقى التاريخ يشير إليه بأنه قرن الموت وأنه قرن التقدم الخصب والوفرة والتجويع حتى الموت، إنه ثمن النماء الغربي. في ظل هذه العالمية هناك 700 مليون إنسان لا يملكون قوت يومهم، يموت منهم في كل يوم أربعون ألفا موت الذباب، بينهم 34 ألف طفل دون الخامسة، وإن النماء الرأسمالي الغربي يلقي على العالم الثالث كل يومين قنبلة غذائية معادلة لقنبلة هيروشيما (9 يونيو 1994) وأن ضحاياه في هذا القرن أكثر من كل ضحايا الحربين العالميتين.. في هذا القرن الذي سقطت فيه ضحايا الحروب في كل القارات (بمعدل 4500 قتيل يوميًا) استطاع التقدم الطبي أن يبعد شبح الموت بالأوبئة التقليدية عن معظم من يسكن في فردوس الشمال من هذه القارات، وفي هذا القرن، الذي أكلت فيه المجاعات مئات الملايين من البشر، كان الفائض الزراعي الذي تحرقه أو تدمره الولايات المتحدة وحدها كافيًا لإنقاذ كل الذين ماتوا جوعاً، إن ما يحتاج له العالم لإنقاذ كل وفيات أطفاله ولتوصيل مياه الشرب النقية إلى كل بيت في العالم الثالث هو 25 مليار دولار وهذا المبلغ أقل مما تنفقه الولايات المتحدة سنويًا على شرب البيرة، أو ما تنفقه أوروبا على شرب النبيذ في ظل هذه العالمية المسكونة بأخلاق السوق وأصولية نهاية التاريخ. ضيع التقدم العلمي إنسانيته كما فقد الخصب معناه وقلبه الخصب، في نهاية القرن الماضي كان الاقتصادي المتطير مالتوس يظن أن أرضنا الطيبة السخية ستشج بالقوت على ساكنها وقد بدا أن تطيره قد طار مع تطور الأدوات الزراعية والتقدم العلمي الذي سمح بري أفضل وحصاد أكمل ووقاية أسلم من الآفات والحشرات إن اثنين بالمائة من زراعة الولايات المتحدة ومحاصيلها الغذائية تكفي حاجتها أما المتبقي من هذا الفائض فما زالت هي ودول الغرب الرأسمالي تشهره سلاحًا في وجه الجائعين والغرقى، شهد هذا القرن ذروة التقدم العلمي والطبي، لكنه كان بحق قرن الموت والضحايا، وقرن الخيبات السياسية والتمييز والحروب العالمية، وقرن اقتلاع جذور شجرة المشروع السياسي العربي الذي بناه الرسول بيديه، وهو المشروع الذي صنع أمتنا بكل ألوان طيفها ورسم الملامح الأساسية لهويتها

التاريخية والحضارية هذا القرن الذي افتتحته بريطانيا وحلفاؤها العرب بمخطط قتل الرجل المريض -الدولة العثمانية- وإجهاض مشروع الدولة العربية وتمزيق أشلائها ونهب ثرواتها أنهته بريطانيا ووريثتها الأميركية وحلفائهما العرب باقتلاع شجرة المشروع السياسي المحمدي من روضتها التي نبتت فيها. في هذا القرن شيعت بريطانيا دولة الإسلام التاريخية واختفت الدولة العربية فلم يبق إلا صورها المشوهة، صورة الدولة التابعة المحمية لقد قصصت هذه الكيانات ومزقت وأحيطت بصدفة عازلة من الشروط الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي يستحيل معها إحياء مفهوم الأمة دون مواجهة الاستعمار الداخلي الذي يمثله النظام العربي، كيف سيقنع الكويتي أو القطري بأنه ينتمي إلى الأمة التي ينتمي إليها السوداني أو الفلسطيني والفروقات الاقتصادية التي خلقتها بريطانيا ثم عمقها خنازير بريطانيا بينهما عمداً ما تزال ترفع جدرانها التي لن تزول بالحوار ولا بالجوار ولا بالصدقات المهيئة.⁽¹⁾

انطلاقاً من كشف حساب الثقافة الغربية-والكلام لجارودي- الذي ينتج منه الخسارة والفشل، ومن هذا الحج إلى الإيمان وثقافة الآخرين ونعني بذلك إيمان وثقافة أربعة أخماس سكان الكرة الأرضية، يتوجب علينا أن نبرز الرؤي التالية:

- كيف الخروج من التناقضات والطرق المسدودة لنظام لا يستطيع قيادتنا إلا إلى الموت؟

- أي استراتيجية يمكن أن تسمح لنا ببناء عالم بوجه إنساني، نوجه به القرن الحادي والعشرين؟

يجب علينا من منظور "فلسفة الفعل" التي تحررنا من أشكال الهيمنة وليدة فلسفات الكائن الغربي على امتداد خمسة وعشرين قرناً، الخروج من قياس أقرن -

(1) منير العكش (تلمود العم سام..) انظر الصفحات 299،300،301

حسب تعبير المنطقة- كل حد من حديه خاطئ، فحد يقول يجب تغيير الإنسان بغية تغيير العالم، وحد يقول إذا غيرنا البني، فسيبزع بالضرورة إنسان جديد.

لم ينجح الأخلاقيون، وبشكل خاص المسيحيون أتباع بولس، والمؤمنون بالطريق الأولي أي تحرير الإنسان من الهيمنات والعزل والحروب عن طريق الموعظة. لقد استمر هذا الفشل ألفي عام، أما الآخرون فقد سلكوا الطريق الثاني معتقدين أنهم أكثر واقعية وقد حملت المسيحية السوفيتية خلال ثلث قرن وهما شبيهاً بأوهام الأولين: إذ بدلنا في بني الاقتصاد ووضعنا نهاية للملكية الخاصة لوسائل الإنتاج وألحقناها بالدولة فسيؤدي ذلك ولادة الإنسان الجديد! لكنه لم يولد! أما عودة الرأسمالية فقد سمحت بولادة المافيا ونشوء ثروات مصارية وطفيلية بسرعة نمو الفطر السام وقادتنا إلى ما نحن فيه رافقها البؤس والفساد والبغاء والمخدرات وكل الرذائل التي يتسم بها الانحطاط الليبرالي-والعلماني⁽¹⁾.

"من المآثر التي تعزي إلى المتصرفين الحاليين في واشنطن واحدة أصبحت معروفة للقاصي والداني: نجاح وكالة الاستخبارات المركزية (الس اي ايه) خلال الثمانينات في تجنيد متشددين إسلاميين وتنظيم صفوفهم في إطار قوة عسكرية وإرهابية" نعوم تشومسكي، الهيمنة أم البقاء ص 132،133

بهذا الوعي الزائف -لهذا- الخطر قدمنا لأحفاد الصليبيين ما عجزت عنه كل الحملات الصليبية-هكذا يقول العكش- وها نحن من جديد نشترى موتنا بحياتنا، وها نحن نكر

(1) روجيه جارودي-الولايات المتحدة طليعة الانحطاط- الفصل الثامن.

حربنا الحمقاء على الاتحاد السوفياتي، نكررها مع الصين ومع أوروبا الجديدة ونسلم بذلك مصيرنا ومصير الإنسانية لأشرس الأيديولوجيات عداوة وظلمًا للإنسان أيديولوجية السوق التي لا يدين رجل الدولة في واشنطن بدين غيرها ولا يعبد ربًا سواها، ولا يعرف حقوق إنسان إلا من خلالها ولا يمارس ديمقراطية إلا بما يناسبها ولا يتخلق بأخلاق تتعارض معها أيديولوجية السوق -لا الشعارات الاستهلاكية- هي التي تحدد سياسية واشنطن من الإسلام والمسلمين إن رجل الدولة في واشنطن لا يمانع أن ترفع مئذنتك على سطح البيت الأبيض ولا أن تعمر مسجدًا فوق قبة الكابيتول أو في حدائق لانغلي حيث الاستخبارات المركزية. إن رجل الدولة في واشنطن مستعد لأن يصلي ويصوم ويطلق لحيته ويسمعك أعزب الكلام عن الإسلام وعظمته وإنسانيته، لكنه أبدًا لن يسمح لك حتى بالاعتقاد بأي معنى يهدد هيمنته ونهبه، أو يتعارض مع حلفه الاستراتيجي مع الصهيونية.. هؤلاء الذين ظلّموا على مدي أربعمئة سنة يرددون "لا يصلح الهندي الأحمر إلا بعد أن يموت" يرفعون اليوم للهندي الأحمر تمثالًا فوق قبة الكونجرس، فإذا كنت لا تبحث إلا عن حرية الصوم والصلاة وممارسة الشعائر وتعمير المساجد بالرخام والذهب والدفاع عن قضايا الإسلام في بورما والماواو فأهلاً وسهلاً بك وبإسلامك ورخامك وذهبك وإذاعتك وصحفك وماواوك .. إن رجل الدولة الأميركي سيقف في صفك ويسمعك -وهو يعلك لحكمك ويتلمظ بدمك- خطبًا عصماء في عظمة إسلامك المستسلم، وربما بعد أن يقضي منك وطره سيرفع لك تمثالًا فوق تمثال أخيك الهندي الأحمر، أما إذا كنت تفكر في أي معنى برفض الهيمنة والنهب واحتلال القبلتين فهيا إلى حوار حضاري مع جنرلات البنتاغون! ⁽¹⁾ (2).

وليس هذا أكثر من حقائق بديهية وكما وصفها آدم سميث- (1723، 1790) مؤسس علم الاقتصاد الحديث، وأول من أرسى مفاهيم الرأسمالية

⁽¹⁾ منير العكش- تلمود العم سام..ص 310، 311.

قبل قرنين من الزمان وهو البطل المساء تمثيله في التقدير الذاتي للغرب المعاصر، فإن الرجال الأغنياء يتبعون " الحكمة التافهة لقادة العالم " التي تقول كل شيء لنا، ولا شيء للآخرين وعادة ما يستخدم هؤلاء سلطة الدول لتحقيق غاياتهم وفي زمن سميث كان " التجار والصناع " هم "المهندسين الرئيسيين " لسياسة الدولة، وهي سياسة صمموها بطريقة تضمن تحقيق مصالحهم بأقصى درجة وعلى حساب الآخرين من عامة الشعب في مجتمعاتهم. ⁽¹⁾ لقد كشف السلوك الغربي -كما يقول تشومسكي- عن أسوأ الجوانب في الحضارة الغربية، ألا هي شهوتها الجامحة للسيطرة وافتتانها المرضي بامتلاك الأسلحة عالية التقنية وعدم احترامها لثقافة الغير وأنانيتها المفرطة. وعلي حد استنكار دورية شهرية واسعة الانتشار في العالم الثالث فإن "حرب الخليج هي أكثر الحروب التي شهدها كوكبنا خسة" وبحسب محرر الشؤون الخارجية في أكثر الصحف البرازيلية انتشارا فإن "ما تم ممارسته في الخليج ليس إلا بربرية محضة، ومن السخرية أن يتم تنفيذها باسم الحضارة. ⁽²⁾

عن طريق السطو على مقدرات الغير -أو القضاء على مدنيته وثقافته إذا لزم الأمر- كمساهمة رأسمالية وكجزء من سياسية السوق "للإنتاج" -أيًا ما كان ما يتم إنتاجه- المهم أن هذا المصطلح الرأسمالي هو عين الحضارة الحديثة ولا سيما الإرهاب جزء من سياسة السوق التي تعتمد على الولايات المتحدة كسلاح ذو حدين رأسمالي مدني وحضاري ثقافي فمنه الغنائم الرأسمالية والغنائم الثقافية التي تحققه الولايات المتحدة إزاء اتباع سياسية الإرهاب في الدول المراد نهجها وتشويهها.. أما الهجرة- سواء هجرة العقول في حالة السلم أو اللجوء في حالة الحرب والرهب -فتعزز من الإنتاج والعرض والطلب والاستهلاك.

(1) نعوم تشومسكي- النظام العالمي القديم والجديد، ص 11 ترجمة: د. عاطف معتمد عبد الحميد.

(2) المصدر السابق ص 17.

فالرأسماليون لا ينظرون للإنسان إلا على أنه مستهلك ومنتج ..على أنه عملة أو أي شيء آخر يمكن التخلي عنه في أي وقت. في كتابه (الصورة العدائية عن الإسلام) يقول الكاتب الألماني الدكتور (يورغن تودينهورفر): " إن الغرب مثله في ذلك مثل غيره من تحالفات القوي الأخرى لم تكن تعنيه أبدًا حقوق الإنسان والديمقراطية في الشرق الأوسط كل ما يعنيه هو مصالحه الخاصة لذلك فالربط بين الإسلام والإرهاب يمثل بالنسبة إليه أهمية سياسية واستراتيجية بعيدة المدى تكمن في أنها تقدم مسوغًا مريحًا -ومريحًا- للحروب الهجومية التي يشنها الغرب من حين لآخر".

وذلك ما عبر عنه شارل ديغول- (1890، 1970). رجل السياسة الفرنسي- بلغته السياسية قائلًا إن: "أميركا تصنع الأسلحة والهامبورجر والخوف!"

وقد قال نعوم تشومسكي في كتابه (الدول الفاشلة: إساءة استعمال القوة والتعدي على الديمقراطية).. كان بعض ما جاء فيه:

- إن النزعة العدوانية لدي واشنطن ليست على العامل الوحيد الذي يدفع بالجنس البشري نحو القيامة قريبًا لكنها بلا أدنى شك عامل خطير الشأن.
- إننا لا نجافي الحقيقة إذا ما قلنا إن الولايات المتحدة الأميركية تبقى حليف بن لادن الوحيد الذي لا غنى عنه.
- هتك سمة تتسم بها الدول الفاشلة وهي أنها "دولة خارجة على القانون" تنبذ قيادتها القانون الدولي والاتفاقيات الدولية بإزدراء.
- وفي ص 299 من الكتاب المذكور يؤكد ما ذهبنا إليه في الصفحات السابقة.
- مرة أخرى قائلًا إنه: تشمل مآثر دلبليو بوش في ولايته الأولى على تمكين الشركات من جني أرباح طائلة في الوقت الذي تجمدت فيه الأجور أو انخفضت هذا إلى جانب اقتطاعات ضريبية ضخمة لصالح الأغنياء أصحاب الشركات ورؤوس الأموال الضخمة وبما يعيد توزيع الثروة صعودًا أكثر من ذي قبل، تلك كانت من بين العديد من

السياسيات التي تعود بالنفع على أقلية ضئيلة ويرجح أن تؤدي إلى "تحتطيم القطار المالي" الأمر الذي سيعرض للإنفاق الاجتماعي مستقبلاً ويلقي على كاهل الأجيال القادمة كلفة النهب الذي يمارسه الأغنياء فاحشي الثراء هذه الأيام.

■ وقد صدر للمفكر الفرنسي كتاب تحت عنوان (الإرهاب الغربي) عام 2003 الذي أصدرته دار الأمة الجزائرية باللغة الفرنسية بعد أن رفضت كل دور النشر الفرنسية طباعة الكتاب خوفاً من اللوبي اليهودي في فرنسا وفيه يتناول جذور الإرهاب الغربي الثقافي والاجتماعي والسياسي بالعودة إلى ثلاثة آلاف سنة مضت، وصولاً إلى الحضارة الأميركية الحديثة.

أكلو لحوم البشر⁽¹⁾

رهاب الشعوب كان وسيلة إعدادهم فريسة سهلة الالتهام، وسيلة لقتل روحهم ونهب أرضهم وأكل قوت يومهم وباليات الأمر توقف عند هذا الحد، بل جعل من لحومهم الأكلة المفضلة!. نسمع بين الحين والآخر في الصحف المحلية- سواء في الداخل أو الخارج- عن تلك الفئة من الناس وأحداث حقيقية في المجتمع بأكل لحوم البشر ولكن هذا الفصل ليس عرضاً خبرياً لحالات فردية كتلك التي نصادفها في المجتمع المصري أو المغربي أو العراقي أو أياً من مجتمعات العالم الثالث أو حتى تلك التي تعرف بأنها متقدمة.. بل عن ثقافة تعبر عن العقل الجمعي. لا تمثل مجرد خبر في صحيفة محلية أو حالة فردية بل موضوعاً دراسياً عزز في المدارس الغربية حول فكرة "الموت للحياة".. لأهمية الفكرة لا لنبذها وتهاون -يعني مساهمة- القانون الغربي في معاقبة الخارجين عن القانون الذين يمثلون فئة ليست قليلة في المجتمع الغربي.. ومن بينهم أكلي لحوم البشر.

(1) المرجع الأساسي لهذا الفصل: أميركا والإبادة الثقافية.. منير العكش، الفصل الثالث.

أكل لحوم البشر فكرة تاريخية قديمة تعاضمت مع ولادة التاريخ الأميركي في فترة الاستعمار الكولومبي للقارة الهندية -وقد وثق بارتولومي دي لاس كاساس بعض حالات أكل لحوم البشر- التي ذكرنا بعضها- في ذلك الوقت، سواء على سفن شحن العبيد أو حتى بعد حصارهم وحرقهم أو شيمهم! - من ثم فقد اهتم المستعمرون بأكل لحوم البشر، وأسقطوا فعلاهم على هؤلاء المساكين!

-تنطق كلمة "لحوم البشر" بالإنجليزية (cannibalism) وتعني (أكل لحم الجنس ذاته) وهي مشتقة من كلمة كاريب الإسبانية، التي تصف قبائل كاريب الهندية التي تكلم عنها كريستوفر كولومبس في مذكراته.

"القضاة الإنجليز في القريب العاجل سيقرون أكل لحم البشر ويجعلونه بديلا طبيعيا لدفن الموتى"! سير ويليام هاركورت. (1827-1904)، سياسي وصحفي بريطاني، ووزيرا للداخلية في الفترة من 1880:1885

يقول منير العكش إنه: "قد شهد العصر الذهبي لشحن العبيد تنويعاً دموياً لهذه الأسطورة حيث أحل شعب الله الإنجليزى لنفسه أكل لحوم عبيده فحين حطمت سفينة تدعى tiger ونفذ الزاد منها لمعت عينا القبطان على لحم العبد الشاب، إشارة إلى ضرورة أن تقع القرعة عليه وكانت العادة عندما يجوع البحارة أن يجروا قرعة بينهم لاختيار من يقتلونه ويأكلونه لإنقاذهم من الموت جوعاً.. هكذا فاز العبد الكنعاني بهذه

القرعة فذبحوه وشربوا دمه وأكلوه مبتدئين بقلبه وكبدته(...) بل أن هناك اعتقادًا شعبيًا بأن "أكل لحم الإنسان الأسود يقوي الباه ويطيل العمر".⁽¹⁾

وفي نفس الوقت، ألصقوا ذلك بالشعوب الأخرى التي يغزونها -كمبرر وقائي للغزو - أو بمن لهم عدااء معهم فإن: "إدمان الزنايير على اتهام ضحاياهم من بيض إيرلندا وشقر ويلز إلى ملوني العالم الكنعاني، الذي لا تغيب عنه الشمس، بأنهم يأكلون لحم البشر، فمسكون بتلك البارانونيا-مرضي عقلي ونفسي-الإنجليزية التي يقول عنها ديفيد ستارنارد، أحد أبرز أعلام الدراسات الأميركية إنها لا تمل من التبجح بأن:

"الإنجليز أكثر أهل الأرض تحضرًا وأن لديهم إيمانًا لا يتزعزع، بقول أوليفر كرومويل: إن الله رجل إنجليزي، لهذا فليس مفاجئًا أن يتهموا الإيرلنديين بأنهم يعيشون على نوع من الأعشاب ويأكلون في المناسبات الخاصة من لحم البشر أو من لحم أمهاتهم اللواتي كانت لهن أذنان طويلة، وكن متوحشات يأكلن أطفالهن". كذلك اتهموا عشيرة كندي نفسها بأنها كانت تأكل لحم البشر، وقالوا إن الإيرلنديين عمومًا يشربون دماء من يحبون ثم ألصقوا التهمة بعدوهم نابليون بونابرت أيضًا فصوروه لأطفالهم على شكل زنجي أسود يأكل لحم الأطفال الأشقياء".⁽²⁾

كان ذلك فاتحة التاريخ الحافل لظاهرة افتراس الهنود جسدًا وأرضًا وثقافة وتاريخًا، تلك الظاهرة التي شهدت على مر العصور ملاحم خالدة يعتبرها الزنايير من أمجاد تاريخهم، من ذلك مثلًا ملحمة جون جوستون المعروف بلقبه البطولي "أكال الكبد"، وهناك كتاب للمؤرخين ريموند ثروب وروبرت ينكر، نشرته جامعة إنديانا بعنوان: "قاتل هنود الكرو: ملحمة جونغستون أكال الكبد" يروي كيف أن هذا الرجل أمضي أكثر من عشرين سنة يقتل هنودًا من شعب الكرو ويسلخهم ويأكل أكبادهم، ويوثق الكتاب لأكثر

⁽¹⁾ منير العكش، أميركا والإبادات الثقافية. ص 30:31

⁽²⁾ المصدر السابق ص 41، 42.

من 300 حادثة، قتل فيها جونستون الهنود وسلخهم وأكل كبدهم. غير أن لعين هوليوود ومخرجها اليهودي الروسي سيدني بولاك نظرة لا تختلف عن نظرة الملكة البريطانية لمستعمرة جيمس تاون. لقد صنعت هوليوود من سيرة أكال الكبد ملحمة بطولات وفخار وأمجاد بعنوان: "أرميا جونستون" عام 1972، أسندت

بطولتها إلى روبرت ردفورد فأظهرته وهو يدحر الهمجية وينشر في أرض كنعان الجديدة أعظم التقاليد وأنبليها. وعلى الرغم من أنه "ليست هناك وثيقة واحدة لا في زمن كولومبس ولا بعد زمان كولومبس تثبت أن سكان أميركا-الأصليين-يأكلون لحم البشر" فقد دأب الإنجليز على اتهامهم بهذه الفظاعة، فعروهم، وزرعوا في أجسادهم.

الريش وأسقطوا عليهم كل جرائمهم ودمامتهم بدءًا بسلخ فروة الرأس وانتهاءً بأكل لحم البشر. وبالطبع كان هذا التشويه المتعمد لثقافة الهنود المسالمة سلاحًا من أسلحة الإبادة -أو بالأحرى إحدى صورها- التي استخدمها الزنايير حيثما نشروا في الأرض "أعظم التقاليد وأنبليها". لقد اتهموا سكان العالم الجديد -السكان الأصليين للقارة الأميركية- بأكل لحم البشر قبل أن يروهم، في أول كتاب إنجليزي عن سكان العالم الجديد نشر في عام 1511، ثم أبلت هوليوود في هذه الحرب الثقافة بلاءً حسنًا فصورت الهنود (ولا سيما في أفلام الأطفال) يشوون ضحاياهم ويتلذذون بأكلهم ولاستثارة العواطف وتأجيح المشاعر تعمدت أن تنتقي هذه الضحايا من النساء والصبايا الحسنات فتصورهن مذعورات يشقهن بالبكاء حين يلقي بهن نصف عاريات في نار متأججة، يتحلق حولها هؤلاء الوحوش الهنود وهم يتلظمون ويرقصون ويعوون. حتى قال لي أحد الأصدقاء الهنود إن ابنته الصغيرة لا تصدق أن أجدادها لم يكونوا يأكلون لحم البشر!⁽¹⁾

العالم الأنثروبولوجي غانانت أوبيسيكير يعتبر هذه الدعاوي البريطانية مجرد "إسقاطات" والإسقاط حيلة نفسية يلجأ إليها الإنسان ليدفع بها عن نفسه بعض

(1) المصدر السابق ص 43، 44.

مشاعره المخرجة، فيعمد من غير وعي إلى أن ينسب إلى الآخرين أفكاره ومشاعره وأفعاله التي يخجل منها -ويقوم بها-.. هذه الهلوانية اللغوية التي لم تتوقف منذ حوالي ألف عام عن دمج الشعوب المستعمرة بميسم الوحشية هي الرحم التي ولدت منها الانثروبولوجيا الإنجليزية، وهي تتم في سياق هذه الإسقاطات التي ليس لها في العربية تعبيراً أفضل من "رمتني بدائها وانسلت". وهذا ما تذهب إليه أيضاً كاثرين بيير أستاذة القانون في جامعة Macquarie والجامعة التكنولوجية بسيدي التي ترى "أن اختلاق شعوب مستعمرة تأكل لحم البشر ينبع من حاجة البريطانيين إلى إنكار ممارستهم نفسها".

لقد استعانت بشهادات الرحالة الأوائل لتخلص إلى أنه ليس هناك دليل تاريخي واحد على أن سكان أستراليا الأصليين كانوا يأكلون لحم البشر كما زعمت آلة الرده الحضارية. وتري بيير، وهي من ألمع الأكاديميين المختصين بعلم الجريمة، أن لهذه الادعاءات والتصنيفات الاستعمارية التي حذر مؤرخون وأنثروبولوجيون كثيرون من زيفها هدفين أساسيين: تبرير الغزو وما ترتب عليه من إبادات وشناعات ثم التخلص من الشعور بالذنب تجاه هذا الغزو وما ترتب عليه من إبادات وشناعات وتقول: لطالما كان أكل لحم البشر هوساً بريطانياً. إنهم حيثما رست سفنهم، اتهموا السكان الأصليين بالهمجية وأكل لحم البشر، وقد نسجوا حول ذلك أساطير ترضي غرورهم. إن فحص روايات المستعمرين الإنجليز حول أكل لحم البشر لدى الشعوب الأصلية سيؤدي إلى فضح ادعاءاتهم وكشف أكاذيبهم التي برروا بها مذابحهم وعنفهم وجشعهم، وهذا مالا يريدونه -وتضيف:- "أن البريطانيين اعتادوا على أكل لحم البشر في البحر حيث إن القاعدة هو إما أن تأكل أو تؤكل"⁽¹⁾

ما حدث على متن السفينة فرانسيس ماري يثبت هذا. حين مات جون ويلسون كرعب وعلق في الهواء ليبقي طازجاً ولكي يأكل كل بحار ما يشتهي منه، وكان في مقدمتهم خطيبة

(1) المصدر السابق ص 44، 45، 46.

الطباخ أن ساوندرز ولما "مات" خطيبها وحبيبها، قالت إن لها الأولوية في شرب دمه، وقيل يومها إنها كانت أكثر شجاعة من كل الرجال، فهي التي تولت تقطيع الجثة وتنظيفها وتحضير الوليمة، وكانت تحتفظ بسكاكينها في جيوب سترتها الرجالية فما أن تسمع بموت أحد حتى تشحذها وتشق عنق الميت لينفر الدم وتدشن بنفسها حفلة الشراب، وكان معها على السفينة امرأة شجاعة أخرى هي زوجة القبطان باترسون ومن أقوالها حين أكلت دماغ غلام السفينة: "أنه كان أشهي ما أكلت في حياتها".⁽¹⁾

هذا برغم تقزز الأكل والقتل نفسه على حد سواء، ربما هذا لشدة الجوع ولزعة البقاء الفطرية التي تقضي وتطغي على إنسانية البعض.. هنا نفهم مدي أهمية القوانين الوضعية والإلهية. التي لا العاطفة ولا المنطق ولا العلم ولا التصرفات الشخصية العشوائية القائمة على الفهم والعاطفة.. ولا أي شيء إطلاقاً، يحل محلها، أو يكون بديلاً لتهذيب وتوجيه النفس البشرية. ولم تكن حالات أكل لحم البشر-سواء بعد القتل أو الموت-، في البحر على وجه التحديد-حالات فردية-إن كانت استثنائية-بل وأن هناك طقوساً إنجليزية لأكل لحم البشر. وثقها برايان سيمبسون-واستشهد بها منير العكش- أستاذ القانون بجامعة ميتشجن والمستشار الفخري للملكة إليزابيث منذ 2001، ويضم كتابه "أكل لحم البشر والقانون العرفي (أو غير المكتوب)" الذي نشرته جامعة شيكاغو، عددًا لا يحصي من الولايم التي أحيها الإنجليز والأميريكيون في البحار، أو أثناء الزحف الاستعماري

" لنشر أعظم التقاليد وأنبلها" أو أثناء البحث عن الذهب في الغرب الأميركي، مما استدعي المشرعين إلى وضع اصطلاحات قضائية مناسبة لها، ويخلص في نهاية الكتاب إلى أن: أكل لحم البشر كان شائعاً لدي الإنجليز في القرن السابع عشر (عندما غزوا جيمس تاون وأكلوا جثث الهنود وجثث بعضهم) لكنه تطور وتعزز مع اتساع رقعة التجارة

(1) المصدر السابق ص 49، 50.

البريطانية ومع الزحف الاستعماري إلى قارات الأرض. (وقد جمع سيمبسون وثائق كثيرة عن انتشار هذه الظاهرة في العهد الفيكتوري). أما في حال تحطيم السفن فإن أكل لحم البشر يصبح أمراً مسلماً به في إنجلترا (خاصة أن) المزاج الإنجليزي في معظم المدن البحرية كان متعاطفاً مع أكلي لحوم البشر. ويرى سيمبسون أن هذه العادة رافقت توسيع الإمبراطورية الإنجليزية وكانت جزءاً منه، كما يرى أن ممارساتهم التي تتحجج بأن أكل لحم البشر ضروري من أجل البقاء وخاصة بعد الكوارث البحرية، تطورت إلى نزعة إجرامية يأكل فيها البشر بعضهم بالعادة ومحض الاختبار. ولأكل لحم البشر لدي الزنابير تصنيفات وفوائد صحية حسب الخصائص العرقية أو القومية للضحية الذي يجب أن يكون كنعانياً حلالاً لشعب الله، فمنهم من ينفع للشفاء من هذا المرض ومنهم من ينفع للشفاء من ذاك الداء، فالكنعاني الأسود مثلاً كان يتناول لحمه لمثل ما يتناول بعض الناس اليوم حبوب الفياجرا، إذن الاعتقاد السائد لدي الإنجليز "بأن أكل لحم الرجل الأسود يقوي الباه ويطيل العمر".. ثم أن لهذا الفن الإنجليزي آداباً وتصنيفات طعاميه ومذاقية مختلفة، بعضهم يحبه نيئاً وبعضهم يحبه مطبوخاً أو مقدداً وهناك من يفضل الصدر على الكتف أو الكتف على الصدر أو الكبد على القلب أو القلب على الكبد، فإذا كانت الوقعة كاملة مثلاً سميت بوجبة منتصف الليل، أما إذا كانت مجرد مقبلات سريعة كالمأزة فتسمى "زوقه" أو-حرفياً-مضغة شهية. ويصف البحار روبرت غرينهيل "مذاق اللحم البشري بأنه "شهى كمذاق لحم الخنزير"!.. وهناك نوعين من التقاليد الإنجليزية (لأكل البشر) منها ما هو صريح محدد، ومنها ما هو مضمّر، أما التقاليد الصريحة، فأولها: إجراء قرعة لاختيار الضحية، وهي ثانياً: شرب دم الضحية، لإطفاء الظمأ، ولهذا فإن من المفضل أكل الضحية حياً لأن (الجسد الحي) أغني بهذا السائل النفيس، وأما التقاليد المضمرة فأهمها ذلك التواطؤ الصامت على عنصرية هذه القرعة، وعلي أن يكون الغريب "الآخر" (عند الإنجليزي) "هو الضحية، لهذا يتم التلاعب بالقرعة لتقع على الإسباني أو البرتغالي (كان هذا في فترة التنافس الاستعماري) أو العبد (الكنعاني الأسود وإذا لم يتوفر ذلك تقع القرعة على الضعفاء من)، الغلمان والنساء-

ثم يضيف العكش قائلاً - بهذه القرعة الإنجليزية النزهة، يروي بالمر في كتابه الطريف "أغاني البحر" كيف أضحى المسافر الإسباني انطوني غالاتيو وليمة عامرة على ظهر السفينة دولفين حين نفذ الزاد فيها، لقد ضربوه على رأسه ليصرعوه أولاً (كما يفعلون الآن بالبقر في المسالخ) ثم شقوه وأكلوا أحشاءه ثم أكلوا بقية الجسد. أما على السفينة بيجي فوقع القرعة على كنعاني أسود (ذي أصل أفريقي) مشحون للعبودية لدى شعب الله الإنجليزي في العالم الجديد، ولقد حاول هذا الشقي الفرار من السفينة إلى ثبح المحيط مفضلاً أن يأكله سمك القرش على أن يأكله هؤلاء الملائكة، لكن بحاراً عاجله بخبطة على رأسه فصرعه، ثم تلقاه بحار آخر فشقه وأكل كبده قبل أن يفارق الحياة تماماً.. وعلي السفينة francis spaight كان هناك أربعة غلمان أيرلنديين وعندما تحطمت السفينة وجاع البحارة ذبحوا الأول باتريك أو براين وأكلوه، ثم ذبحوا الثاني جون بيرنس وفيما كانوا يقطعونه لاحظوا سفينة تقترب فأمسك القبطان بيد الذبيح الثاني ورجله المقطوعتين وبدأ يلوح بهما للسفينة طالباً الإنقاذ، ولهذا الحادثة تفاصيل كثيرة مثيرة للغثيان أعف عن ذكرها.. ومع ذلك فقد تحولت قصة هؤلاء الأطفال الأربعة إلى جزء من التراث الشعبي الإنجليزي بل نظمت بها قصائد وأغنيات شعبية للتسلية والاستمتاع.. والمعروف لدى البحارة الإنجليزي أن ما يسمى بغلمان السفينة، هم في النهاية " زاد احتياطي من اللحم الطازج". وفي -أثناء- تناول لحمهم الطري قالوا شعراً غزلياً. من ذلك قصيدة ببلي الصغير التي تتحدث عن ثلاثة بحارة نفذ زادهم فقال واحد منهم للآخر: هذا بيل الصغير، أنه يانع، طري.. ونحن كبار أشداء، فيها نأكله.. يا ببلي إننا سنقتلك ونأكلك.. فحل عري قميصك.

وروي سيمسون ما يشبه ذلك عن بحارة السفينة جورج الذين أكلوا المرأة جويس راي، ثم ظلوا يأكلون بعضهم إلى أن لم يبق منهم سوى القبطان جون مالين وبحار واحد آخر، وقد كان زوج الضحية جويس على متن السفينة فشارك في افتراس زوجته، ومما احتفظت به الأغاني الشعبية من هذه الفاجعة:

شربنا ملياً من دم السيدة..

لنطفئ عطشنا الملهب..

وكان لا بد لزوجها من أن يشرب..

عندها قطعوا جسدها وتقاسموه فيما بينهم..

فعضنا على ذلك أحد عشر يوماً.

ومع أن القانون يتطلب الإعلام على هذه الحوادث فقد ظل أكل لحم البشر بدون إدانة واحدة حتى حادث اليخت مينيونت الذي تحطم في عام 1884 وغرق كل من فيه إلا ثلاثة رجال وفي السابعة عشرة، تمكنوا جميعاً من النجاة بقارب صغير، ولما جاعوا قتلوا الفتى ريتشارد باركر وأكلوه بعد أربعة أيام التقطتهم سفينة ألمانية، ثم حوكموا في اكستر بتهمة القتل (فقط، إذ أن أكل لحم البشر لا يعتبر جريمة في كل العالم الانجلوسكسوني) واعترفوا جميعاً بفعلتهم، ووصفوا ما جري وكيف أنهم لم يبقوا من الفتى إلا الجلد والعظام فحكم عليهم بالموت، ثم خفف الحكم إلى ستة أشهر بموجب ما صار يعرف قضائياً بجريمة الضرورة! التي يعتبرها القانون مبرراً للتخفيف. ويروي سيمبسون كيف أن المتهمين " تحدثا عن قتل الفتى ريتشارد وأكله بكثير من الطمأنينة والهدوء وكيف أن القاتل الكابتن (ددلي) قال إنه لا يزال يحتفظ بالسكين التي ذبح بها القتي للذكري! حتى أن أخ الضحية وأمه لم يغضبا بل أبديا تفهما لما حدث وتعاطفاً مع القتلة، وعندما أعلن القاضي الحكم على الجانين بالسجن ستة أشهر-أعفي عنهما قبل نهايتها-أبديا دهشة واتهما القاضي بالتعسف". والواقع أن للمحاكم الأميركية الفضل الأول في وصف أكل لحم البشر بـ " جريمة الضرورة" كاستثناء-وإطلاق اصطلاح " دفاع الضرورة" في عام 1842 أي قبل حادثة اليخت مينيونت، ومن ملاحظات القاضي الأميري وهو يطلق هذه الاصطلاحات يومها أنه " كان يجب اتباع أساليب أكثر ديمقراطية في

اختبار الضحية!". كل بريطانيا هبت للدفاع عن سمعتها عندما عاد المكتشف جون راي من القطب الكندي وأعلن أنه زار الموقع الذي أكل فيه أعضاء بعثة فرانكلين بعضهم، لقد أحضر معه ما استخدمه أعضاء البعثة في هذه الوليمة من ملاعق وسكاكين وشوكات وغلايات، وفي تقريره للإمبرالية البريطانية قال الدكتور راي:

يبدو واضحًا من الهبش والنبش الذي أصاب عددًا من الجثث ومن الآثار التي ما زالت على الغلايات أن مواطنينا التعساء وجدوا أنفسهم مضطرين إلى أكل لحوم بعضهم من أجل البقاء على قيد الحياة.

بعض الاعتذارين لاموا "الجوع الكافر" وعزوا إليه رسوخ هذه العادة ودوامها في بريطانيا منذ العصور الوسطى لكن اوبيسيكير يضيف إلى ذلك أسباب ثقافية ونفسية وقانونية يرى أنها ترعى هذه العادة وتستديمها، من ذلك: "أن المجتمع الذي لا يرى غضاضة في ارتكاب هذه الجريمة ويتعاطف معها ويضع لها أحكاما قضائية مخففة إنما يشجع الناجين من السفينة المحطمة على أن يقتلوا زميلهم ويأكلوه دون حرج كبير وما دام أن أكل لحم البشر شرعي وعادى وإجراء متعارف عليه ويتقبله المجتمع بقبول حسن فلماذا لا يأكل البحارة الناجون زميلهم بنفس راضية ؟ "كأن صيد هذا الزميل أسهل من صيد سمكة من البحر الذي يحيط بهم من كل جانب!

"إن مجرد انكسار الحاجز النفسي -كما يفصل سيمبسون، ويقول العكش -يجعل من أكل لحم البشر نوعا من الإدمان وقد انكسر هذا الحاجز قضائيا عندما لم يعتبر أكل لحم البشر جريمة يعاقب عليها القانون وانكسر أخلاقيا ودينيا عندما لم يعتبر "خطيئة" فحين أحييت "حفلة التبرع باللحم " في أعالي سيرانيفادا أثناء حملات بحث المستوطنين عن الذهب في الغرب الأمريكي قتل 36 شخصا في خضم هذه الحفلة واتهموا ورفض القضاء الأمريكي اعتبار ذلك جريمة ..بل أن في ساحات وحدائق الولايات المتحدة كثيرا من

النصب التذكارية التي تخلد أمجاد هؤلاء المستوطنين الذين نشروا في هذه الأرض أعظم التقاليد وأنبلها".!

ويروى سيمبسون فتاوى كثيرة من هذا المزاج المرضى الذي يعتبر جثث البشر لحما حلالا من ذلك أن رجلا بدينا في الرابعة والأربعين مات أثناء تحطم السفينة فتداعى البحارة على أكله بعد أن قال القبطان: ليس في أكل الميت خطيئة مادام الله هو الذي توفاه وأخذه من هذا العالم وما دام أننا لم نقتله بأيدينا. ثم شرح القبطان بسلخ الجثة وأمر بإلقاء الجلد والرأس واليدين والأحشاء في البحر كما أمر بتقطيع ما تبقى لتسهيل عملية التقديد والحمل.

وعندما دخل الإنجليز غزاة إلى فيدرالية بوهاتن عام 1607 -والتي كانت تضم 30 شعبا هنديا- أبيد أهلها عن بكرة أبيهم وحل محلها فوق جماجم أهلها مستعمرة جيمس تاون - نسبة إلى الملك جيمس الأول - في هذا الوقت لم يوجد من يزرع ويحصد... وهذا ما عرضهم لمجاعة قاسية صاروا بعدها يأكلون جثث الهنود الذين يقتلونهم أو الذين يغيرون على قبورهم في الليل لينبشوها ويسرقوها ويأكلوا جثثها الطازجة ثم أنهم راحوا يأكلون جثث موتاهم البيض حتى أن واحدا منهم ذبح زوجته وأكل لحمها باستثناء الرأس. وتروى بيبير وقائع موجعة منها قصة أسترالية معبرة عن الراعي الإنجليزي هنري برستون الذي مضى إلى رب عمله ليقبض أجره فاختم في الغابة وانقطعت أخباره وعلى الفور توالى أقوال الزنايير عن قتله وأكله من قبل وحوش الغابة من كنعاني أستراليا ! بعض الشهود روى كيف رأوا بأعينهم هؤلاء الوحوش يأكلون يد الراعي وبعض آخر رأوهم وهم يشوون ساقه ويأكلونها وهناك من شهد بأنه رآهم يأكلون كلب الراعي، وهذا ما أجج المشاعر وألهب الحماسات التي أدت إلى قتل بعض السكان الأصليين انتقاما وبعد بضعة أيام ظهر الراعي وكلبه ليقول إنه ضل طريقه في الغابة وبالطبع حوكم الذين قتلوا السكان الأصليين وحكم عليهم بالبراءة، باعتبار أن للقتل ما يبرره!

بدأ هذا التشويه الثقافي النمطي لسكان العالم الجديد مع كولومبس نفسه. ففي رسالة كتبها إلى ملك إسبانيا من مشاهداته في رحلته الأولى زعم أن بعض السكان أخبروه بأن "في بعض الجزر رجالا بعين واحدة وآخرين برؤوس كلاب! ويأكلون البشر وأنهم عندما يقتلون الإنسان يقطعون رأسه ويشربون دمه ويقطعون أعضائه التناسلية". والمعروف أن الهنود لم يشاهدوا الكلب حتى زيارة كولومبس الثانية.

ولم يسلم العرب والمسلمون -كما يقول العكش- من هذا القذف فعندما أسر الجزائريون الإنجليزي جوزيف بيتس، قال إن خوفه الأكبر كان من أن يقتله الجزائريون ويأكلوه، ولم يترك شناعة أو دمامة سمعها عن وحشية الهنود الحمر إلا ألصقها بهؤلاء المحمديين. وكذلك فعل "المختار" الآخر توماس فيلبس الذي أنسته وحشية حاكم مراكش كل وحشية الهنود الحمر!.

في بحثه (البريطانيون أكلة لحوم البشر) يعزو أحد ألمع علماء الأنثروبولوجيا في الولايات المتحدة غانانت أوبيسيكير من جامعة برنستون هذه الإسقاطات إلى ما يسميه بأخلاق جنون العظمة التي يتربى على هلوستها الأطفال البريطانيون وتجسدها في كثير من أغانيهم الشعبية. أن أكل لحم البشر في بريطانيا-في رأى جيرالد بورتير، أستاذ الأدب الإنجليزي في جامعة فاسا بفلندا-تقليد بريطاني يرجع إلى العصور الوسطى وله تشريعات قضائية دفعت سير ويليام هاركورت وزير الداخلية - البريطاني - (1880-1885) إلى القول ساخرا:

إن القضاء في القريب العاجل سيقرون أكل لحم البشر ويجعلونه بديلا طبيعيا لدفن الموتى! وهنا لابد من الإشارة إلى كتيب أثار ضجة في العالم الانجلوسكسوني عندما أصدر ه.ج. ت لويد باسم جمعية العلمانيين البريطانيين وعنوانه: god eating: Astudy in chirstianity and cannibalism.

يحاول فيه المؤلف لويد اكتشاف جذور لظاهرة أكل لحوم البشر لدى البريطانيين في "طقس العشاء الرباني"! معتبرا أن الخلاص في البحر بأكل لحم الإنسان ودمه تجسيد واقعي للخلاص بأكل لحم المسيح وشرب دمه، وفي هذا بالطبع تعسف كبير يفضحه واقع "المسيحية" خارج العالم الانجلوسكسوني أنه إسقاط بريطاني آخر يراد به لصق الظاهرة البريطانية بالدين المسيحي.. بل لعله انعكاس لظاهرة محلية بريطانية صرف، بعضها يرجع إلى تراكمات وثنية قديمة جعلت كثيرا من الإنجليز غير قادرين على التعامل مع "طقس العشاء الرباني" رمزيا وبعضها يرجع إلى عنصرية الكنيسة الإنجليزية وعبرانياتها التي سلبت العبرانيين كل ما نسبوه لأنفسهم في العهد القديم وهذا ما جعل كنعنة الضحايا -أفرادا كانوا أو شعوبا- علكة يلوكها في بريطانيا السياسيون والعسكريون وأكلة لحوم البشر على السواء -كما يقول منير العكش - وعن تاريخية أكل لحوم البشر يقول:

إن القول بأن أكل لحم البشر ظاهرة تاريخية بمضى عليها الزمن أو أنه "ظاهرة مقتصرة على إنجليز الجزيرة البريطانية فتكذبه فضائح أكل لحم البشر في أميركا" قديما وحديثا، كما تكذبه السجلات القضائية في بريطانيا وأميركا وأستراليا اليوم. ففي أوائل 2008 قتل كريستوفر لي مكوين في تكساس صديقه وطبخ أجزاء من جسدها وأكلها زاعما أنه تلقى بذلك أمرا من الله! وقد تم توقيفه بعد أن وجد البوليس أذن الضحية باقية في القدر ووجدوا أثارا من لحمها على الشوكة التي يأكل بها وقبل حوالي نوفمبر 2007 روت الجارديان البريطانية أن البوليس البريطاني أوقف بول ديورانت الذي قتل صديقه كارن دورل وأكلها، وقالت إنه حوكم بتهمة القتل (وليس الأكل) وحكم عليه بالسجن 12 عاما. وفي أستراليا لا تزال كاثرين ماري نايت التي قتلت زوجها بسبع وثلاثين طعنة ثم أعدت من لحمه عشاء لها ولأطفالها مادة غنية للدراسات المختلفة لعل آخرها كتاب ساندرا لي بعنوان "كاثي أكلة لحم البشر". ويروي سيمبسون عددا لا يحصى من مكرمات هذه الظاهرة التي رافقت تمدن الشعوب الهمجية ونشر "أعظم التقاليد وأنبلها" مع زحف المستوطنين الجائعين إلى الأرض والذهب وأرواح الهنود في أميركا.. من

أبطال هذه الظاهرة الفرد بكر أو ما يعرف تفاخرا بالكولورادى أكل لحوم البشر، الذي خلده هوليوود بعدد من الأفلام وصيغت سيرته في كثير من القصص والأغاني الشعبية بعد أن أكل خمسة من رفاقه، ومن أقواله المأثورة: "أنني مغرم بلحم الإنسان واعتبر الصدر أطيب لحم ذقته في حياتي". أما الأغنية الشعبية التي يطرب لها الزناير فتنتهي إلى الحكمة الخالدة "إن الإنسان الجسور الشجاع لا يجوع": في جبال كولورادو حيث الثلوج عميقة باردة وحيث يموت الرجل من الجوع ما لم يكن شجاعا جسورا. انتهى كلام العكش.

لم يبدأ تاريخ أكل لحوم البشر في أواخر القرن الرابع عشر أو بداية القرن الخامس عشر إنما إذا رجعنا لبداية الحروب الصليبية-1092-وتحديدا في سنة 1098 عندما قام الصليبيون باجتياح قارة آسيا وخلفوا وراءهم آلاف القتلى، وفي نفس السنة قاموا بمحاصرة مدينة معرة النعمان في سوريا خلال الحملة الصليبية الأولى وعند اجتياح أسوارها قتلوا أكثر من 20.000 من سكانها كما كانوا يفعلون مع المدن الأخرى التي يغزونها وعندما بدأت تضمحل المؤن والإمدادات الغذائية لجأوا إلى أكل لحوم موتى المسلمين وهذه لم تكن المرة الأولى أو الوحيدة لهم خلال الحروب الصليبية الأولى ففي نفس السنة عندما حاصروا أنطاكية من 21 أكتوبر إلى 2 يونيو، قام الصليبيون بقطع لحوم مؤخرات أسراهم وشيها قبل أكلها. وتحدثت بعض الروايات عن قيامهم بشي الأسرى البالغين والأطفال وهم على قيد الحياة ثم يأكلون لحومهم. وفي مجاعة أوكرانيا سنة 1932 -التي يعتقد المؤرخون أنها من صنع البشر-ففي نفس السنة قام الاتحاد السوفيتي بسلب جميع المحاصيل الزراعية من أوكرانيا بقوة السلاح تاركين خلفهم ملايين الأوكرانيين يصارعون الموت من شدة الجوع، ورويت العديد من القصص حول قيام رجل بقتل زوجته وطبخ لحمها مثلا، أو تقوم بعض العائلات بأكل أطفالهم من شدة الجوع، وتم كل ذلك في الوقت الذي كان جوزيف ستالين يرحب به في كل العواصم الأوروبية.

والتاريخ يعج بتلك الأمثلة البشعة على استخدام الإنسان لأخيه الإنسان كوجبة غذاء، بل كوجبة مفضلة!، واعتبار ذلك سلوكا حضاريا أو ثقافيا " عاديا " والذي يمارس حتى الآن في بعض الدول التي يقال إنها متقدمة وتمدنة أو في بعض مناطق آسيا كثقافة شعبية لدي بعض القبائل هناك، أما الدوافع وراء ذلك فيمكن إجمالها حصرا في النقاط التالية:

1- الوقوع تحت تأثير ديانة أو تنظيم أو معتقد فكري وديني أو أيديولوجي (مثل عبدة الشيطان) يشيع فيه أكل لحوم البشر أما لاعتقادهم بانتقال قوة المتوفي أو روحه إلى الشخص الذي يقوم بالتهام أجزاء جثته، أو كتعبير عن حب واحترام ذلك المتوفي أو كطقس عرفي أو ثقافي وذلك ينحدر من اعتقاد اجتماعي أو معتقد ديني ويشيع هذا بين كثير من قبائل العالم، مثل قبيلة الديري الأسترالية وهناك بعض القبائل التي تعتقد حتى الآن في أميركا الجنوبية أن العظم هو مقر روح الإنسان، فكانوا عندما يموت أحدهم، يحرقوا جثته ثم يخلطوا رمادها بمشروبات معينة. واحدى القبائل الهندية التي تدعي (واري) – حسب بيت كونكلين، عالمة بجامعة ناشفيله- استمرت تأكل أبناءها المتوفين حتى الستينات من القرن الماضي. وتصف شعائر وطقوس الدفن عندهم بأنها "أكل لحوم الأقرباء بفضل الحب" وتصر الباحثة على أن: الهنود لم يفعلوا ذلك من أجل المنفعة الشخصية مثل الأوروبيين، وإنما من قبيل الاحترام للميت والتعبير عن مشاعرهم. وأيضا يقوم بهذا بعض القبائل التي تعيش بنيوزلندا وبعض غابات جنوب شرق آسيا.

2- السبب أو الدافع الثاني -لأكل لحوم البشر – هو الخوف من الموت جوعا وهناك الكثير من الأحداث المؤثرة التي ذكرنا البعض منها سواء كانت أثناء الحروب الأهلية أو العالمية أو عند حدوث مجاعات سواء مقصودة أو غير مقصودة أو حال محاصرة مدينة ما أو مجموعة من البشر لفترة طويلة أو نفاد طعام البحارة أو الجواله أو الكشافة. وكذلك سجل في التاريخ أكل بعض السجناء لزملاء لهم نتيجة قطع الطعام عنهم لعدة

أشهر. وفي ذلك لم يكن العرب استثناء للقاعدة فهناك كثير من الوثائق التاريخية التي أشارت إلى أن العرب أكلوا لحوم البشر في حال المجاعات وفي ذلك ما ذكره ابن إياس في كتابه (بدائع الزهور في وقائع الدهور) عن مظاهر المجاعة وكيف أن الناس كانوا يأكلون بعضهم فقال إن: "الناس أخذوا في أكل الأحياء وصنعت الناس الخطاطيف والكالليب لاصطياد المارة بالشوارع من فوق الأسطح" وأيضا أشار لذلك الجاحظ في (البخلاء) الذي أفرد فيه لذلك فصلا أسماء (باب الطعام المذموم عند العرب)، كذلك تكلم عن ذلك المقريزي في كتابه (إغاثة الأمة بكشف الغمة). وعندما عانت مصر من المجاعة التي سميت ب(الشدة المستنصرية)- نسبة إلى الخليفة الفاطمي المستنصر بالله- بسبب جفاف في نهر النيل في مصر لسبع سنين فقد أكل فيها الناس الميتة والكلاب.. بل وأكلوا بعضهم من شدة الجوع.

3- الجنون والشذوذ والهوس وكل الأفكار الغريبة التي تحول الإنسان إلى مجرم يقتل ثم يأكل ضحاياه أو يلجأ للقبور لسرقة الجثث بعد دفنها ثم أكلها. وكثيرا ما نسمع عن أشياء من هذا القبيل في الصحف ووسائل الإعلام المختلفة ومن أشهر هؤلاء: الدكتور السفاح البرت فيش، والسفاح الأميركي الشهير ايد جين، وجزار روستوف اندريه شيكاتيلو والسفاح الأميركي الشاذ جيفري دامر والسفاح الألماني فريتس هارمان .. والقائمة طويلة. وكان آخر ما قرأته حتى كتابة تلك السطور ما جاء في تقرير للـ c.n.n يوم الاثنين بتاريخ 25 سبتمبر لهذا العام المنصرم تحت عنوان: اعترف زوجان من أكلة لحوم البشر أنهما قتلا والتهما ما لا يقل عن 30 شخصا روسيا خلال 18 عاما.

وكان ما جاء في التقرير:

"عُثرت الشرطة على أشلاء 8 جثث وما زالت تتحقق من وجود بقايا بشرية ..وأوضحت الشرطة أن الأمر يتعلق برجل يبلغ من العمر 35 عاما يدعى ديمتري باكشيف من كراسنودار بجنوب روسيا وزوجته ناتاليا ممرضة تبلغ من العمر 42 عاما وهما جزء

من عائلة أكلة لحوم البشر". -حسب صحيفة metro - الخ من التفاصيل المفززة التي نترفع عن ذكرها.

4- الانتقام من العدو والحصول على قوت يومه وهذا ما كان يحدث في العصور القديمة كذلك طبقته بعض الجيوش في العصور الوسطى في أوروبا وكان أكل القائد لكبد عدوه أو قلبه أو أي جزء من جسده من باب الحصول على أكبر لذة ممكنة لانتصاره.

5- امتثال ديني واعتباره شكلا من أشكال الخلاص (في المسيحية) أو القرابين (في الوثنية والمعتقدات الشعبية) وفي ذلك ما جاء ذكره في الإصحاح السادس من سفر الملوك الثاني – في العهد القديم- "وكان جوع شديد في السامرة .. فقالت: إن هذه المرأة قد قالت: هاتي ابنك فنأكله اليوم ثم نأكل ابني غدا، فسلقنا ابني واكلناه ثم قلت لها في اليوم الآخر: هاتي ابنك فنأكله فخبأت ابنها". وما جاء في الإصحاح السادس من إنجيل يوحنا: "فقال لهم يسوع الحق أقول لكم، إن لم تأكلوا جسد الإنسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم. من يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية وأنا أقيمه في اليوم الآخر". وما ذكر في سفر ارميا (9:19): "واطعمهم لحم بينهم ولحم بناتهم فيأكلون كل واحد لحم صاحبه في الحصار والضيق الذي يضايقهم به اعداؤهم وطالبوا نفوسهم" وكرر ذلك في اسفار لاويين (29:26) تثنية (53:28 و57) حزقيال (70:5) اشعياء (26:49). وهنا يقول ريمون دي جيل – راهب نوتردام لي بوى، الذي شارك في الحملة الصليبية الأولى على سوريا في واقعة معركة النعمان: -

"أعطانا الرب الموجود دوما، المدينة وعد رسله ..غير أن بعض حملة الصليب لم يعبأ بحياته لأن الجوع جعلهم يحتقرون الحياة استمروا في مقاتلة أهل المعرة تحت جنح الظلام، وهكذا حصل الفقراء على حصاة الأسد من الغنائم والبيوت في معرة النعمان ولم يجد الفرسان الذين انتظروا حتى الصباح ليدخلوا، سوى بقايا ليس لها قيمة، وفي

هذه الأثناء كان المسلمون يختبئون في مغائر تحت الأرض وبالفعل لم يظهر منهم أحد في الشوارع واستولى المسيحيون على جميع السلع التي كانت فوق الأرض ودفعتهم الآمال الحصول على ثروات المسلمين المخبأة تحت الأرض فأطلقوا الدخان والنيران والأبخرة الكبريتية على الأعداء لإخراجهم من مغائرهم وخبب نهبهم للمغائر آمالهم. وعندما عذبوا كل واحد من المسلمين، وصلت أيديهم، إليه حتى الموت .. وقد رميت جثث المعرّين في السباخ والأماكن الواقعة خلف الأسوار، وعلى العموم ولما تقدم أسباب لم تمنحنا المعرة الكثير من المنهوبات -ثم يضيف قائلا- : وما لبث أن أصبح شح الطعام حادا إلى درجة أن المسيحيين كانوا يأكلون بكل متعة وتلذذ جثث المسلمين الجائفة التي كانوا قد رموها في السباخ قبل أسبوعين أو ثلاثة وأثار هذا المشهد الاشمئزاز في نفوس العديد من الحجاج – الغزاة – والغرباء ومع تزايد الشح بالموء ولتردى الأوضاع فقد الكثيرون الأمل في وصول تعزيزات فرنجية فقفلوا عائدين وكانت ردود فعل المسلمين والأتراك وتعليقاتهم على ما شاهدوه قولهم: إن هذا العرق العنيد الذى لا يعرف الرحمة ولم يزحزحه الجوع أو السيف أو شتى المخاطر لمدة عام عن أسوار أنطاكية ويتلذذ بأكل اللحم البشرى لا يمكن أن يقاوم أو يقهر- مضيفا- من الذى يستطيع فعل ذلك ؟. ولم ندرك وقتها وقع ذلك وأثره وأن الرب قد جعل منا سببا من أسباب الرعب.⁽¹⁾

وفي نفس الصدد فقد ذهب علماء أنثروبولوجيا إلى أن العديد من شعوب العالم القديم قد مارسوا أكل لحوم البشر من منطق مرتبط بالمعتقدات الدينية مثل شعب الازتيك (السكان الأصليون للمكسيك) الذين اعتقدوا أن أكل لحوم الأسرى في الحرب وضحايا الأعداء نوع من القرابين المقدمة للآلهة.

6- استخدام كدواء.

⁽¹⁾ سهيل زكار - الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية، المجلد السادس، انظر الصفحات 236-247.

فقد كتبت مجلة (دير شبيغل) الألمانية الأسبوعية عن صفحة سوداء من التاريخ الأوروبي منذ 200 سنة (حتى نهاية القرن الثامن عشر) حيث كان الأطباء الأوروبيون يستخدمون اللحم البشري ويستخرجون الدواء من الجثث البشرية. وخلال مقابلة صحفية مع الكاتب والمحاضر بجامعة دور هام البريطانية، الدكتور ريتشارد سغ قال إنه: "لم يكن السؤال آنذاك: هل يجب عليك أن تأكل لحما بشريا؟ ولكن كان السؤال: أي نوع من اللحم البشري يجب عليك أكله" مشيرا بذلك إلى الذهنية الدارجة في أوروبا آنذاك والتي تتقبل بشكل طبيعي أن تستهلك اللحوم البشرية لأغراض طبية. وهناك وصفة لصيدلاني ألماني يدعى (يوحنا شريديرا) كتبها في القرن السابع عشر والتي جاء فيها: " يقطع لحم الإنسان إلى قطع صغيرة جدا مع إضافة القليل من نبات العلقم والصبار وتترك في النبيذ لعدة أيام ثم تحفظ في مكان جاف". وحسب (ريتشارد سغ) فإن هذه العقاقير كانت تستخدم من القرن السادس عشر حتى الثامن عشر، مؤكدا أن أعضاء الجسم البشري والدم البشري كانت موجودة في كل صيدلية وكانت الأولويات الطبية وأكلة لحوم البشرهم بالأساس كانوا أوروبيين.

ويذكر أيضا أنه عندما كان البابا ايننوكينتي يحتضر في عام 1492 قدم له الأطباء شرابا من دماء ثلاثة شبان ولكن توفي الشبان الثلاثة والبابا أيضا. وفي وصفة تركها الطبيب البريطاني جون كيوف بعد موته عام 1754 يقول فيها: "عند حصول ألم بالرأس ينصح بقلب بشري مطحون يؤكل القليل منه صباحا على معدة فارغة". وبشكل قانوني اليوم في القرن ال 21 يأكل الأوروبيون -في بعض المشافي - المشيمة، وفي العديد من مشافي التوليد هناك يوجد نظام معين، حيث تخير الأم أما تأخذ المشيمة أو تأخذ إلى المخبر. وهناك على أساس يصنعون الكثير من المستحضرات الطبية منها. وإذا وقفنا موقف الحياد فإنه يمكن أن نسمى ذلك استخداما أمثل ما لم يتعد حدود الأخلاق والإنسانية، إلا إذا كان للطب وجهة نظر أخرى لا نعرفها.

يجب الإشارة إلى أن هذه الظاهرة -أكل لحوم البشر - لم تختف بعد تماما. اختلفت الظروف ويبقى اللحم البشري من الأكلات المفضلة! ووفقا لتقارير موقع (هوزلر) الأميركي، قال محققو الطب الشرعي إنهم وجدوا لحما بشريا ولحوم خيول في ثلاثة ل(ماكدونالدز) بمدينة

اوكلاهوما، وأكد الطب الشرعي أنهم وجدوا بالفعل لحوما بشرية مستخدمة في عدد من الفطائر التي كانت في طريقها إلى المطعم لتقديمها للزبائن. ووفقا لتقارير أخرى -وردت عن صحيفة وورد اوبسرفر وموقع ديلي بازلأيف -فحص الطب الشرعي مصانع ومطاعم (ماكدونالدز) في جميع أنحاء الولايات المتحدة واكتشفوا وجود اللحم البشري في 65 % من المطاعم. وقال (لويد هاريسون) وكيل مكتب التحقيقات الفيدرالي: "إن أسوأ ما في الأمر أن اللحوم البشرية المستخدمة في مصانع ماكدونالدز تضم لحوم أطفال".

هذا امتداد ثقافي متوارث على مدى مئات السنين، حتى أن الحكام والقادة والقضاة بأحكامهم التعسفية كانوا يشجعون ويحرضون ويساهمون في نشر وعلى تلك الأفعال الشنيعة (دون مبرر طبيعى خارجي كحدوث مجاعة مثلا .. إنما مرض وإرهاب ولذة) حتى أصبح أمرا عاديا غير مستغرب حدوثه - في الماضي-يطبق في أي ظرف، ولولا تجريم القضاء "النسي" له لكانت أوروبا افنت عن بكرة أبيها ..كما حدث لبعض الشعوب لنفس السبب !، ولولا الأحكام التعسفية على أكل لحوم البشر - التي لم تصل أبدا للإعدام بل الاكتفاء بالسجن فقط- واعتقد أنه لولا سمعة البلاد لما جرم القضاء هذا أيضا ..في بلد الحريات!.

الصراعات العربية: النسخة الهندية!

إن فكرة أميركا التي قامت عليها "احتلال أرض الغير واستبدال شعب بشعب وثقافة بثقافة وتاريخ بتاريخ - واعتبار هذا - عملا مقدسا أمر الله به وبالتالي فإنه يسمو على أخلاق البشر وأعراف البشر وقوانين البشر وحياة البشر وحيات البشر⁽¹⁾ ثابتة، وتتكرر بكل تفاصيلها مرة أخرى - وأن اختلف الأسلوب والزمن فقط - أما الهدف فواحد..

هذا الذي بدأ بالهنود الذين قتلوا وسلخوا ووهبت الجوائز لهذا الهدف -القتل والسلخ-وكمثال على هذا، الجائزة التي أعلنها حاكم بنسلفانيا روبرت موريس في بلاغه بهذا الخصوص ونصه:⁽²⁾

من سيادة روبرت هنتر موريس، حاكم ورئيس أركان منطقة بنسلفانيا ومقاطعات نيوكاستل وكنت وسيقس.

بلاغ .. لهذا وبعد موافقة المجلس رأيت من المناسب أن أصدر هذا البلاغ وأعلن أن هنود دولاوير وكل من يساندهم قد ارتكبوا أعمالا عدوانية ضد رعايا جلالته في هذه المقاطعة. إنهم أعداء وتمرردون وخونة لجلالته القدوس، وإنني بهذا أطلب من كل رعايا جلالته في هذه المقاطعة وأدعو جديا كل من في المقاطعات المجاورة أن يغتنموا كل فرصة ممكنة لمطاردة وقتل وتدمير هنود الدولاوير وكل من يساندهم.. وحيث إن المفوضين معي وافقوا على صرف 60 ألف جنيه كانت قد أعطيت لنا بقرار من الجمعية العامة لخدمة جلالته فإننا سندفع (مثلا دفعنا من قبل) مكافآت لقاء كل أسرا أو سلخ فروة رأس .. وذلك تشجيعا لكل شعب جلالته ولكل قبائل الهنود الصديقة والمتحالفة

(1) منير العكش- أميركا والإبادات الثقافية ..ص 10.

(2) المصدر السابق ص 174، 175.

معنا كي يبذلوا قصارى جهدهم لمطاردة ومهاجمة وأسر وتدمير الهنود المذكورين وإنني أعلن هنا وأعد بأن أدفع من هذه الستين ألف جنيه لكل شخص هندي كان أو مسيحيا كما يلي:

150 دولارا إسبانيا عن كل هندي فوق الثانية عشرة يؤخذ أسيرا ويسلم لأي حصن أو حامية.

130 دولارا إسبانيا لكل هندي ذكر مسلوخ فوق الثانية عشرة بعد التحقق والتأكد.

130 دولارا إسبانيا لكل أسرة هندية ولكل أسير دون الثانية عشرة. 50 دولارا إسبانيا لكل امرأة هندية مسلوخة أو طفل مسلوخ دون الثانية عشرة بعد التأكد والتحقق.

150 دولارا إسبانيا لتحرير كل أسير إنجليزي يؤتى به ويسلم إلى حاكم فيلادلفيا، ولكن لا شيء مقابل السلخ.

حرر بيدي وختم بختم مقاطعة فيلادلفيا يوم 14 ابريل في السنة التاسعة والعشرين من ملك جلالته وفي سنة الرب 1756. عاش الملك. روبرت موريس .

يضيف العكش قائلا:

ولأن فروة رأس الهندي (الحليف) لا تختلف عن فروة الهندي (العدو) ولأن صيدها أسهل ولأن أخلاق السوق لا تعنيها هذه التفاصيل التافهة فقد ركزت هذه التجارة جهودها على صيد رؤوس الحلفاء، ولاسيما منهم أولئك الذين تطهرت أرواحهم واستعاروا لأنفسهم أسماء القديسين. ويروى اكستل في بحثه عن "السلخ" أن فرقة من أربعة رجال من مستوطني نيوجيرسي زعموا أنهم يصطادون هنود فيلادلفيا لكنه في ليلة 12/ أبريل 1756 تبين أن كل ضحاياهم كانوا من هنود المنطقة الذين أنقذ القديسون أرواحهم واستخدموهم في أعمال السخرة .. في منتصف تلك الليلة اقتحم المستوطنون

بيت عائلة هندية آمنت فأمنت ونامت قرية العين. أما الرجل جورج فتمكن من الهرب لكن الزوجة كاثرين تلقت بضع طلقات في صدرها ثم قطع رأسها بالفأس، الطفلة ذات الأحد عشر ربيعاً تهشم رأسها بالبلطة وتلقت عدة طعنات في كتفها، وأما رأس الطفل الذي لم يبلغ السنة فما كان على الله الإنجليزي بعسير. ويروى بيتر شمالزي في كتابه عن هنود اوجيبوا كيف أن الإخوة في الإيمان لم تكن أفضل من التحالف، وكيف أن الذين طلبوا خلاص أرواحهم في الآخرة وطمعوا في خلاص أجسادهم في الدنيا صاروا فريسة سهلة للقديسين. ففي إحدى قرى دولاوير حاصرت كتيبة مسلحة بقيادة ديفيد وليامز أفراداً من الهنود المورافيين، وتمضى الشهادة فتقول إن الجنود طمأنوهم إلى أنهم جاءوا لمرافقتهم إلى حيث يصلون ويجدون طعامهم بأمان وقالوا لهم إن هذه المهمة النبيلة لا تحتاج إلى حمل السلاح ووافق الهنود مطمئنين إلى إخوة الإيمان ثم أنهم أسرعوا إلى إحضار من تبقى من أهلهم وذوهم في البيوت حتى لا تفوتهم بركات الصلاة، ولم يكن لدى الهنود وقتاً ليكتشفوا الخدعة إذ عاجلهم الجنود بالقتل وحصدوا في تلك المذبحة رؤوس 29 رجلاً و27 امرأة و34 طفلاً. ثم ازدهرت هذه التجارة مع الحرب الإنجليزية الفرنسية في العالم الجديد. ومع تزاخم الطرفين على شراء الحلفاء وتنافسهما على دفع مكافأة مرتفعة لقاء ثروات رؤوس أعدائهم.. وفيما كانت الشركات التجارية الإنجليزية والفرنسية توجه نشاطها الأكبر لصيد رؤوس الهنود الحلفاء قبل الأعداء، كانت الوعود السياسية والاقتصادية التي أمطرها البيض على الهنود قد أوقعت بعضهم في الفخ، لم يتصور الهنود الذين أغرتهم الأطماع والوعود وقصر النظر فتعاونوا مع المستعمرين على قتل إخوانهم أنهم سيموتون بالطريقة نفسها، عندما يدرك المستعمرون غايتهم منهم. لقد أغروهم بارتكاب هذه الفضاعات التي كانوا فيها أكبر الخاسرين. فخلال حرب السنوات الست (1754-1760) كان الإنجليز والفرنسيون هم الذين يديرون هذا المسلخ الذي لم يذبح فيه إلا الخراف! واضطر الإنجليز إلى رفع قيمة مكافآت السلخ في السنة الثالثة للحرب بعد أن ألحق الفرنسيون هزيمة ساحقة بالجنرال الإنجليزي إدوارد برادوك وبحلفائه من الهنود.. هكذا استغنى كثير من المستوطنين عن البحث عن الذهب

ليلتحقوا بمناجم السلخ وصاروا يتنافسون فيما بينهم ويتباهون بسرعة الصيد وكثرة الغنائم. ويروى المغامر لويس وتزل أن غنيمته من فروات رؤوس الهنود كانت لا تقل عن أربعين فروة في الطلعة الواحدة.⁽¹⁾

ونفس السيناريو يتكرر اليوم بين أخوة الأوطان (الدول العربية) وأخوة المذاهب والأديان (السنة والشيعة).. اللذين تفرقا على ما اختلفا فيه، ووقعا في فخ الفتنة كجزء من خطة التقسيم التدمير والتشويه من الحرب الحضارية الذي قال بخصوصها (جيمس وولزى) - المدير الأسبق للمخابرات المركزية الأميركية-، أثناء كلمته في مؤتمر هرزليا عام 2013 : "اعتقد أننا نخوض الآن حربا عالمية ثالثة بالأساس مبنية حول الدين".. إذ أنه " هم الذين يديرون هذا المسلخ الذي لم يذبح فيه إلا (الخراف)" على حد تعبير منير العكش .. والجزء الآخر يكمن ويبدو في ما يسمى بداعش التي تسعى لإقامة الدولة الإسلامية بهدم المساجد والمباني والمدارس والمشافي وقتل المدنيين والتمثيل بجثثهم....!

وعندما حررت الموصل العراقية من داعش الأسبوع الماضي كتب الدكتور إبراهيم الشيخ مقالا بجريدة "أخبار الخليج " العدد 14356 بعنوان "مهزلة اختفاء داعش" وكان نص المقال:

بعد أن أقاموا الدنيا عليها وعلى ما تقوم به من جرائم في العراق أعلنوها بأن الموصل اليوم محررة من داعش ..

- الجميع يبحث عن قتلاهم فلم نجد إلا صور الضحايا من المدنيين الأبرياء.

- لم نجد سوى فيديو هات تعذيب الأطفال والشيوخ وحرقتهم أو قتلهم بالمطارق والسكاكين وبالدهس بالأقدام.

⁽¹⁾ منير العكش، أميركا والإبادة الجماعية.. انظر الصفحات 71، 72، 73.

- نبحث في الأجواء.. لا توجد جثث لمن قالوا إنه تطهير المدينة منهم ولا جثة ولا مخبأ ولا أسلحة..

- طيب جيش الحشد الشعبي كان يقاتل من؟ وانتصر على من؟

- كل ما قرأناه أن مدينة الموصل دمرت حرقاً وتخريباً بنسبة 80%

- قرأنا عن مستشفى واحد بقي من أصل عشرة.

- قرأنا عن تدمير 76 مركزاً صحياً من أصل 98 وتدمير 6 جسور و12 جامعة ومعهدا و4 محطات كهرباء و6 محطات للمياه ومعمل أدوية.

- قرأنا عن هدم المساجد والجوامع والمواقع التاريخية.. لكن اعذرونا ..لم نقرأ ولم نشاهد اغتيال داعشي واحد أو تدمير مقراتهم. كانوا يقولون إن أعدادهم تتراوح بين 30 ألفاً و40 ألفاً وبعضهم قال 70 ألفاً لنقل إنهم 10 آلاف أين ذهبوا؟ بل أين اختفوا؟ بل هل كانوا موجودين أصلاً؟ أم كانوا حفنة مرتزقة جاءوا ليمثلوا الدور، نجحوا في المهمة، تسلموا الفلوس ثم عادوا إلى مقر الارتزاق والحروب التي أتت بهم؟!

يا ترى هل تم إخفاؤهم لإعلان مشروع لعبة جديدة في المنطقة؟ أم كانوا أشباحاً وهميين استخدموا كحجة لاحتلال مدن العراق وتهجير سنتها لاستعادة المجد الفارسي؟! دور داعش كما دور القاعدة بعد أن نجحوا في تشويه صورة الإسلام والمسلمين وربطهما بالإرهاب.

السؤال التالي: ماذا بعد أيها الأوغاد؟! .

والشهادات والاعترافات كثيرة من الدواعش المنشقين، أغني عن ذكرها وإنما لخصها جميعا (بنيامين نتنياهو) - رئيس وزراء الاحتلال الإسرائيلي - في كلمة أمام شعبه بمناسبة ما، قال فيها:

" الشعب العربي المسلم الصديق أود اليوم التحدث معكم بصراحة شديدة ربما ينزعج منها البعض ولكن حان الوقت لتعرف الشعوب العربية بعض الحقائق التي حاول الكثيرون إخفائها على مر التاريخ لكن الكثيرين يجهلون السر وراء ذلك، قد تستغربون إذا قلت لكم إن مصدر قوتنا هو الحكام العرب، فأغلبهم متعاونون معنا في العلن والبعض الآخر يفضل ذلك في السر، وهناك مصالح متبادلة تربط دولتنا بالدول العربية. إسرائيل اليوم قوة عظمى، ولا يجب نكران ذلك وهذا بسبب قوتنا وسياستنا الصحيحة! ولذلك نرى قطر والإمارات والسعودية والأردن ومصر ودول أخرى رهن الإشارة. وأنا باسم الشعب الإسرائيلي أتوجه لهم بالشكر الجزيل ولا يفوتني موقفهم المشرف وسعيهم الجاد في توسيع دولة إسرائيل، لذلك أنصح بعض شعوب المنطقة في أن تدرك أهمية إسرائيل. وما يحدث اليوم في العراق وسوريا من قتل ودمار بتخطيط مشترك مع بعض الحكام العرب لإضعاف إيران وحزب الله .. العدو الحقيقي لإسرائيل، وأنا أحذر العراق وسوريا من أن لعبة داعش ستستمر حتى يرضخ الجميع لإسرائيل ..". "

وفي إحدى المحاضرات للدكتور جونسان براون - أستاذ الحضارة الإسلامية بجامعة جورج تاون - يقول لطلبته: "ليس بالأمر العادي أن تستيقظ كل يوم وكل ما تسمعه هو مدى فظاعة دينك وكيف أنك مشتبه به وأنتك سرطان، وكل تلك الأشياء عندما تكون شاباً، وسهل الانفعال، هذه الأشياء ستبدأ في الضغط عليك، عليك أن تكون واعياً ومدرّكاً لحقيقة الأمور، هذا إجهاد حقيقي، وعليك أن تكون قويا في إيمانك، ولا تستمع لأصحاب الحجج الباطلة .عليك أن تعرف كيف تميز الحجج الباطلة عندما يقول لك أحدهم كل ما يحدث في العالم اليوم من داعش وسان بيرناردينو وفي بلجيكا هذا سببه القرآن أو سببه الأحاديث أو بسبب الإسلام -مضيقاً أن- الناس في العراق وسوريا يقرأون

الحديث لـ 14 قرناً وداعش لم تبدأ إلا في 2013 ولم يكن القرآن من بدأها بل احتلال العراق بقيادة أميركا وتدمير مؤسسات واقتصاد البلاد وحكومته.

لا يتعلق الأمر بدين الإسلام ولا يكتب الإسلام لأن هناك 1.6 مليار مسلم بالعالم وحتى لو أخذنا الرقم الأكبر لعدد طالبان، بافتراض أنهم مسلمون، وبكوك حرام وداعش وغيرهم وجمعت أعدادهم ثم قسمت على الرقم 1.6 مليار مسلم، هل تعلم على ماذا تحصل؟ حسبها، 0.006 % النتيجة إحصائياً تافهة، ولا يلتفت لها إطلاقاً هذه أفضل حجة تجاه ما تلقاه باستمرار. فكرة أن دينك في أصول مصادره دين عنف، عنف سينتشر كالفيروس إلى المجتمع المسلم هذا ليس صحيحاً على الإطلاق".

وفي حقيقة الأمر العالم كله مغيب، الأمر لا يقتصر علينا، ولا يتعلق بنا نحن العرب فقط، بل والشعوب الأوروبية والغربية، إلا من رحم ربك هذا يعنى أنه لا يوجد ما يسمى ب(دولاً متحضرة) بل إذا أردنا الدقة (أشخاصاً متحضرين).

فمن يأخذ معرفته من الإعلام ووسائل الإعلام ويكتفى بمفاهيم السياسة، ويتشبث ويؤمن بالبرامج السياسية، لا يبحث عن "الحقيقة" .. لا يعرف. فهو محاصر بين الجهل والغباء. والغرب مثال .. فإن كنا نحن العرب حمقى ومتخلفون ومغيبون لأننا لا نقرأ، لا نعرف، نصدق كل شيء فقط لأننا نريد تصديقه فالمجتمع الغربي متخلف أيضاً لنفس السبب.

هكذا تريد أن تقول زيجريد هونكة:

"وفجأة بين عشية وضحاها تكشف للغرب مدى الجهل الفاضح والغرور البدائي الفادح الذين تعودت أغلبية الأوروبيين الغربيين، الذين يحسبون أنفسهم مثقفين أن

تنظر بهما إلى العرب من علياء باستهانة وازدراء لا ترى فيهم سوى حفنة من رعاة الماعز وحداة الأبل.."⁽¹⁾

وكان المتحكم الرئيسي -والقسري- بتلك العقول وجعلها مقيدة لحد الخناق هو وسائل الإعلام والتي كان لها دورًا رائدا في تشويه المفاهيم -وبلا شك - والثقافات.

وهنا يقول نعوم تشومسكي:

"يدفعنا الدور الذي تقوم به وسائل الإعلام في شئون السياسة المعاصرة إلى طرح تساؤلات حول ماهية العالم والمجتمع الذي نرغب العيش به، وعلى وجه الخصوص، في أي صورة من الديمقراطية نريد لهذا المجتمع أن يكون ديمقراطيا. لنبدأ أولا بطرح مفهومين أو تعريفيين مختلفين للديمقراطية، المفهوم الأول يعتبر أن المجتمع الديمقراطي هو المجتمع الذي يسلك فيه العامة الوسائل اللازمة للمشاركة الفعالة في إدارة شئونهم، وأن تكون وسائل الإعلام منفتحة وحرّة. إذا بحثت عن المعنى اللغوي لكلمة الديمقراطية في القاموس فستجد ذات التعريف. أما المفهوم الآخر للديمقراطية فهو: أن يتمتع العامة من إدارة شئونهم وكذا من إدارة وسائل الإعلام التي يجب أن تظل تحت السيطرة المشددة. وقد يبدو أن هذا مفهوما مستهجنا أو شاذا للديمقراطية. ولكن من المهم بمكان فهم أن ذلك هو المفهوم

الحاكم (...) لنبدأ أولا بالإشارة إلى أول عملية دعائية حكومية في العصر الحديث، حيث كانت أثناء إدارة الرئيس وودرو ويلسون الذي انتخب رئيسًا للولايات المتحدة الأميركية عام 1916 وفق برنامج انتخابي بعنوان (سلام بدون نصر) وكان ذلك في منتصف الحرب العالمية الأولى. في تلك الأثناء كان المواطنون مسلمين لأقصى الدرجات ولم يروا سببا للانخراط والتورط في حرب أوروبية بالأساس بينما كان على إدارة ويلسون التزامات تجاه الحرب ومن ثم كان عليها فعل شيء ما حيال هذا الأمر فقامت الإدارة

⁽¹⁾ زيجريد هونكة-الله ليس كذلك، ص 94 -ترجمة: د.غريب محمود غريب.

بإنشاء لجنة للدعايا الحكومية أطلق عليها (لجنة كريل) وقد نجحت هذه اللجنة خلال ستة أشهر في تحويل المواطنين المسلمين إلى مواطنين تملكهم الهستيريا والتعطش للحرب والرغبة في تدمير كل ما هو ألماني وخوض حرب وإنقاذ العالم! (...) وكان المفكرون التقدميون بين هؤلاء الذين شاركوا بحماس في حرب ويلسون ولاسيما أولئك المنتمين لمجموعة جون ديوي الذين كانوا يتباهون، كما يفهم من كتاباتهم آنذاك، بكونهم هم الذين سلطوا الضوء على أولئك الأفراد في المجتمع الذين يتمتعون بدرجة عالية من الذكاء، وتحديدًا هم أنفسهم ، لكونهم قادرين على دفع المواطنين المترددين دفعا إلى الحرب وذلك بإخافتهم وإثارة مشاعر قومية متطرفة. والوسائل التي استخدمت -عبر الإعلام- كانت غير محدودة. فعلى سبيل المثال كان هناك قدر كبير جيد من الفبركة والتزييف للمذابح التي ارتكبتها الألمان مثل موضوع الأطفال البلجيكيين ذوى الأذرع الممزقة وكل تلك الفضاعات التي مازلنا نقرأها في كتب التاريخ .. معظم هذه القصص من اختراع وزارة الدعاية البريطانية ! والتي كانت مهمتها آنذاك كما وصفوها في تقاريرهم السرية "توجيه فكر معظم العالم " ! ولكن الأكثر أهمية هو رغبتهم في السيطرة على فكر الأفراد الأكثر ذكاء في الولايات المتحدة والذين سيقومون بدورهم بنشر الدعاية التي خططوا لها وتحويل البلد المسالم الى بلد تحكمه هستيريا الحرب، وقد حدث، ونجحوا بالفعل وكان هناك درس ما في ذلك المثال -كما يقول تشومسكى- إلا وهو أن الدعاية التي تتم بإشراف الدولة حينما تدعمها الطبقات المتعلمة وحين لا يسمح بأي انحراف عن الهدف بإمكانها أن تحدث أثرا كبيرا. ذلك كان درسا تعلمه هتلر وكثيرون غيره ويتم اتباعه حتى اليوم (...)

كما وأن ليبمان -عميد الصحفيين الأميركيين آنذاك- كان منخرطا في لجان الدعاية واعترف بإنجازاتها وذكر بأن ما اسماء ب"الثورة في فن الديمقراطية ": يمكن تطويعه لخدمة ما وصفه بتصنيع الإجماع، بمعنى جعل الرأي العام يوافق على أمور لا يرغبها بالأساس عن طريق استخدام وسائل دعائية (...) إذ أن هناك "وظيفتين " في النظم الديمقراطية: الوظيفة الأولى منوط بها الطبقة المتخصصة، الرجال المسئولون الذين يقومون بالتفكير وفهم التخطيط للمصالح العامة ثم هناك أيضا القطيع الضال بيد أنه

وفق ذلك التحليل فإن هذا القطيع أيضا يتمتع بوظيفة ما في النظام الديمقراطي - حسب التعريف الثاني - تلك الوظيفة حسب تصور ليبمان تتمثل في كونهم مشاهدين وليسوا مشاركين في الفعل. هناك وظيفة أخرى بالإضافة لتلك المشاهدة من قبل القطيع نظرا لأنه نظام ديمقراطي في التحليل النهائي! فمن وقت لآخر يسمح لهذا القطيع بتأييد أحد أفراد الطبقة المتخصصة.. بمعنى آخر يسمح لهم بالقول "نحن نريدك قائدا لنا" ذلك لأنها ديمقراطية وليست نظاما شموليا وهذا ما يطلق عليه "الانتخابات" ولكن بعد أن يلقوا بثقلهم خلف عضو أو آخر من الطبقة المتخصصة.. ومن المفترض أن يعودوا أدراجهم على الفور ويصبحوا مشاهدين لا مشاركين للأفعال. هذا ما يجب أن يحدث في نظام ديمقراطي سليم!⁽¹⁾

ومن الضروري كذلك أن يتم تزيف التاريخ.. وهي وسيلة أخرى للتغلب على المخاوف المرضية، ليببدو الأمر وكأننا حين نهاجم وندمر الآخرين فنحن نفعل ذلك لحماية والدفاع عن أنفسنا ضد المعتدين والوحوش! فصورة العالم التي تقدم لعامة الجمهور أبعد ما تكون عن الحقيقة وحقيقة الأمر عادة ما يتم دفنها تحت طبقة وراء طبقة من الأكاذيب وكان هذا نجاحا مبهرا حيث إنه منع التهديد الذي تمثله الديمقراطية!⁽²⁾

"لما كنا نطالب الغرب بتطبيق ديمقراطيته المزعومة
كان يرد قائلا: هي غير صالحة لغير الغرب".
د. مهدي المنجر

فلنتحدث عن الحرب
القادمة؛ لأنه أحيانا من المفيد أن
تكون مستعدا بدلا من أن تكون
في حالة ردة الفعل، وهناك تطور
متميز يحدث حاليًا في الولايات
المتحدة. وهي ليست أول دولة في

العالم تمرُّ بذلك؛ فهناك مشكلات محلية اقتصادية واجتماعية متزايدة، وربما في حقيقة

(1) نعيم تشومسكي-السيطرة على الإعلام، انظر الصفحات 11:7 ترجمة: أميمة عبد اللطيف.

(2) المصدر السابق ص 19، 20.

الأمر ليست مشكلات؛ وإنما كوراث ولا يوجد أحد في السلطة لديه حتى النية لعمل شيء ما حيال هذه المشكلات، وإذا قرأت البرامج المحلية للإدارات التي توالى على الحكم خلال العقد الماضي -ومتضمن في ذلك المعارضة الديمقراطية- لا يوجد أي اقتراحات حقيقية بشأن ما يجب عمله إزاء المشكلات الحادة مثل الصحة والتعليم والبطالة والجريمة وارتفاع عدد المجرمين والسجون والتدهور الحاصل في الضواحي السكنية، كلكم على علم وتعلمون أنها تزداد سوءاً، وفي السنتين اللتين وصل فيهما جورج بوش الحكم هناك ثلاثة ملايين طفل هبطوا تحت خط الفقر.. والدين يزداد، والمستويات التعليمية في حالة متدهورة والأجور عادت إلى المستوى الذي كانت عليه في أواخر الخمسينيات لمعظم السكان -ذلك كان في بداية القرن الحادي والعشرين- وفي مثل هذه الظروف عليك أن تشتت القطيع الضال، لأنهم لو لاحظوا هذا الأمر ربما لا يعجبهم بما أنهم هم الذين يعانون وربما أن مشاهدتهم لمباريات الدوري والمسلسلات القصيرة ليست بالأمر الكافي لإلهائهم عندئذ لا بد من إخافتهم من الأعداء⁽¹⁾ وتأليبهم على الحرب فهو الفرصة الوحيدة إلى حد ما للارتزاق والنهب، وبالتالي إعادة الأوضاع لمسارها فماذا نفعل يا ترى ماذا نفعل؟ وكان غزو العراق عام 2003.

⁽²⁾ أو الحرب الخليجية الثالثة ولما كان غزو الخليج فرصة جيدة للاسترزاق فما زالت عمليات النهب قائمة حتى اليوم- سواء بالقوة والإرهاب.. أو بالتراضي! (سواء بالغزو والاستعمار-تحت غطاء "الحرب على الإرهاب"-.. أو بالتواطؤ والاستثمار!).

(1) المصدر السابق ص 23، 24.

(2) وغزو أفغانستان قبلها ، عام 2001 تحت ذريعة- والبرنامج السياسي و"الاقتصادي"- "الحرب على الإرهاب..كالعادة، وذلك بعد أحداث 11 سبتمبر، التي تولاها أسامة بن لادن، الذي جندته المخابرات المركزية الأميركية.

صحفي من المريخ!

لو جاء صحفي من المريخ كيف كان سيغطي تلك الحرب على الإرهاب صحفياً؟

هذا السؤال طرحه نعيم نشومسكي بمناسبة العيد الخامس عشر لمؤسسة (فير) التي تعني بمبادئ الدقة والوضوح في التغطية الصحفية في تاون هول بنيويورك في 22 يناير 2002 وكان من نص إجابته:

لنفترض أن هناك كائنًا فضائيًا أو شخصًا قادمًا من المريخ على درجة من الذكاء.. وقد قيل لنا أن الكائنات الفضائية هي في العادة من الذكور! ولذا سأشير له بكلمة هو.. ولنفترض أن هذا الكائن التحق بهارفارد وكلية الصحافة بجامعة كولومبيا.. وتعلم كل الأمور وصدقها فكيف يمكن لكائن مريخي أن يتعامل مع مثل هذه القصة الخيرية؟!

«الحرب على الإرهاب» أعتقد أنه سيبدأ بملاحظات واقعية سيرسلها إلى جريدته التي تصدر من المريخ.. وإحدى هذه الملاحظات: أن الحرب على الإرهاب لم تعلن يوم 9-11- يوم حادثة تفجير برج التجارة العالميين- بل تم إعادة الإعلان عنها في ذلك اليوم واستخدم ذات الحديث الذي استخدم منذ عشرين عاما.. فالرئيس ريجان كما تعلمون جاء إلى السلطة معلناً أن الحرب على الإرهاب ستكون جوهر السياسة الخارجية الأميركية -إن لم يكن مشروع معظم حكام أميركا؛ فالحرب على الضعفاء أعظم مشروع اقتصادي رأسمالي تعرفه أميركا.. والإرهاب الحقيقي هو الحرب على الإرهاب -وندد بما سماه "وباء الإرهاب الشرير"! (...). إذن فالكائن الفضائي القادم من المريخ سيهتم بالتأكيد بالحديث المتواصل بشكل مذهل، حتى أن الصفحات الأولى للجرائد الصادرة في المريخ سوف تشير إلى أن ما يُسمى "الحرب على الإرهاب" قد أعيد الإعلان عنها بواسطة ذات الأشخاص ضد أهداف متشابهة رغم أنها قد تشير إلى أنها ليست تمامًا الأهداف ذاتها، فخصوص

الحضارة في عام 2001 كانوا في الثمانينيات محاربي الحرية الذين دربتهم وسلحتهم المخابرات المركزية الأميركية ومعاونوها، وقد دربوا بواسطة القوات الخاصة ذاتها الذين يبحثون عنهم الآن في كهوف أفغانستان، وكانوا أولئك اللبنة الأولى في الحرب الأولى على الإرهاب

"أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ" (قرآن كريم - البقرة، آية 44)
(كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ (الصف-3)

ويتصرفون بالطريقة ذاتها التي تصرفتم بها الوحدات الأخرى في الحرب على الإرهاب (...). والصحفي القادم من المريخ سيرغب في توضيح فكرتين رئيسيتين: الأولى هي معرفة ما نعنيه على وجه التحديد بمفهوم الإرهاب.. والثانية: ما الاستجابة المناسبة ضده أيما كانت الإجابة على التساؤل الثاني.. فإن الاستجابة الصحيحة لا بد أن تتفق مع بعض القضايا المسلم بها أخلاقياً أو على الأقل كما يفهمها هؤلاء القادة الذين أعلنوا الحرب على الإرهاب لأنهم يخبروننا دائماً أنهم مسيحيون أتقياء.. والذين بالضرورة يقدسون الإنجيل ويحفظون عن ظهر قلب معنى كلمة "منافق".. والتي ورد ذكرها في الأناجيل.. وبالتحديد التعريف الذي يقول: أن المنافقين هم أولئك الذي يطبقون على الآخرين المعايير التي يرفضون أن تُطبق عليهم⁽¹⁾.. وبالتالي ما يفهمه الكائن المريخي إذن هو أنه لتحقيق الحد الأدنى أخلاقياً علينا أن نتفق بل ونصر على أنه إذا كان هناك ثمة فعل ما مناسب لنا هو إذن مناسب للآخرين.. وإذا اعتبرناه خطأً إذا قام به الآخرون فهو كذلك خطأً إذا قمنا به نحن، وهذا إذن أحد الأمور البديهية أخلاقياً وفي حالة ما إذا أدرك الكائن المريخي هذا الأمر؛ فسوف يحزم حقائبه ويؤوب إلى المريخ، لأن عمله البحثي انتهى،

(1) هذا يتوافق أو أقرب أو أشبه بالمفهوم القرآني للمنافقين.. فيقول تعالى في سورة البقرة الآية 44(أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ)..ويقول عز وجل أيضاً في سورة الصف، الآيتين الثالثة والرابعة: "يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون".

حينئذ فليس من المرجح أن يحصل على عبارة واحدة في التغطية الصحفية الضخمة حول الحرب على الإرهاب يمكنها حتى أن تقترب من الحد الأدنى من تلك المعايير الأخلاقية(...).

هذه البديهية الأخلاقية رغم أنها معترف بها على مستوى عامة الجمهور إلا أنها (عند النخبة) تفهم على أنها هرطقة خطيرة ومن الضرورة إقامة حواجز غير قابلة للاختراق ضدها حتى قبل أن تظهر أعراضها على أي شخص رغم أن ذلك أمر نادر الحدوث.. في الواقع يوجد فهرس لغوي متاح في حال ما إذا تجرأ أحد على الانخراط في ترديد هذه الهرطقة.. وهو أنه يجب علينا أن نحترم هذه القضايا المسلم بها أخلاقياً والتي نتظاهر بأننا نقدرها -والكلام لتشومسكي- هؤلاء المسيئون مذنبون ضد ما يمكن أن يطق عليه النسبية الأخلاقية.. وهو يعني اقتراح أننا نطبق على أنفسنا المعايير التي تطبق على الآخرين أو ربما المساواة الأخلاقية وهو مصطلح صكته جين كيركباتريك لدرء خطر أن شخصاً ما قد يجرؤ على النظر في جرائمنا أو لربما يرتكبون جريمة تعنيف أميركا أو أنهم يكونون العداء لما هو أميركي (...) لنفترض أن الكائن المريخي لن ترهبه حملات السب والافتراء الحتمي ولنفترض أنه أصر على الالتزام بأبسط القواعد الأخلاقية.

البديهية.. إذا فعل ذلك فليس بإمكانه شيء سوى العودة لوطنه! ولكن لنفترض الفضول.. إنه قرر البقاء وأن يبحث بشكل أكثر عمقاً ماذا سيفعل آنذاك؟ سنعود إذن للسؤال الأول: ما الإرهاب؟ وهو يبقى مهمًا، وهناك طريق مناسب يمكن للمخلوق الفضائي أن يسلكه لإيجاد إجابة للسؤال: أن يبحث عن أولئك الذين أعلنوا الحرب على الإرهاب ومعرفة ما هو الإرهاب بالنسبة لهم وهذا أمر عادل؛ حيث هناك بالفعل تعريف رسمي ورد في قانون الجيش الأميركي وأماكن أخرى فهو معروف بشكل مختصر. الإرهاب حيث تم تعريفه بأنه: "الاستخدام المحسوب للعنف أو التهديد باستخدام العنف لتحقيق أهداف سياسية أو دينية أو أيديولوجية في الأساس من خلال التخويف والتهديد وإدخال الذعر والإجبار". -وهذا التعريف ينطبق بالفعل على أميركا- حسنا هذا أمر يبدو بسيطاً،

وفي اعتقادي هو تعريف مناسب -لوصف السياسة الأميركية- ولكننا دائماً ما نقرأ أن مشكلة تعريف الإرهاب هي مشكلة معقدة ولربما يتساءل الكائن المريخي لماذا هذا الأمر معقد؟ وهناك إجابة لهذا التساؤل ذلك أن التعريف الرسمي هو كم مهمل غير مستخدم، وهو كذلك لسببين رئيسيين: أولهما أنه تفسير لصيق لسياسة الحكومة الرسمية! (...) أما السبب الآخر فهو بسيط للغاية؛ ذلك لأنه يقدم كل الإجابات الخاطئة وبشكل جذري -كما يقول تشومسكي- حول من الإرهابيون؟!.. ولذا كان لا بد أن يهمل التعريف الأول.. وكان عليك البحث عن تعريفات أكثر تعقيداً.. والتي بإمكانها أن تقدم الإجابات الصحيحة، وهذا أمر ليس من السهولة أن تحققه.. ولهذا كثيراً ما نسمع أنه موضوع مستعصي وأن العقول الكبيرة هي التي بإمكانها التعاطي معه، وهكذا لحسن الحظ أن هناك حللاً ما؛ وهو أن تعرف الإرهاب على أنه الإرهاب الذي يمارسونه ضدنا أيما كنا نحن! (...) ومع التوصيف المجدي للإرهاب؛ بإمكاننا أن نستخلص النتائج التي نقرؤها طوال الوقت وهي على وجه التحديد، أننا وحلفاءنا الضحايا الأساسيون للإرهاب! والإرهاب هو سلاح الضعيف والقوي كأمركا مثلاً حلیم كريم رءوف رحيم.. يعطف ويوهب ولا يرهب! ولكن بطبيعة الحال فإن الإرهاب هو سلاح القوي مثله مثل أي سلاح آخر؛ ولكنه سلاح الضعفاء فقط بالتعريف وبمجرد ما تفهم أن الإرهاب يعني فقط الإرهاب الذي يمارس ضدنا؛ عندئذ يصبح الإرهاب هو سلاح الضعيف من حيث التعريف الإجرائي؛ لذا فالناس الذين يكتبون باستمرار والذين نقرأ لهم في الصحف أو الدوريات هم على حق.. هو في النهاية تحصيل حاصل! (...) وهذا أمر يبدو مفهوماً. وفي الواقع، هناك مصطلح يصف هذه الحالة في أدبيات العلاقات الدولية الدبلوماسية ويطلق عليه "تأسيس المصادقية" والمصطلح الآخر لها هو أن نعلن أننا دولة إرهابية! وعليك أن تنتبه للنتائج إذا ما حاولت الوقوف في طريقنا! (...) ويتصادف أن هذا مثال غير مثير للجدل لذا لسنا بحاجة للجدال بشأنه، وهو غير مثير للجدل بسبب الحكم الذي أصدرته محكمة العدل الدولية والتي أدانت فيها الولايات المتحدة بممارسة الإرهاب الدولي، وهو حكم أيده مجلس الأمن باستصدار قرار يدعو فيه كل الدول مراعاة القانون

الدولي، ولم يشر إلى أي دولة بالاسم ولكن الجميع كان يعرف من يقصد بالقرار.. وقد عارضت القرار الولايات المتحدة، وامتنعت بريطانيا عن التصويت أو حتى الحكم الصادر عن الجمعية العمومية في قرارات متتابعة؛ لتؤكد على الشيء ذاته. وعارضت كذلك الولايات المتحدة وواحدة أو اثنتان من الدول التابعة، وقد طالبت محكمة العدل الولايات المتحدة بأن تمتنع فوراً عن جرائم الإرهاب الدولي، وأن تدفع تعويضات كبيرة واستجابت الولايات المتحدة بقرار بإجماع الحزبين الديمقراطي والجمهوري لتصعيد الهجوم فوراً، وقد وصفت ردة الفعل وسائل الاعلام! (...) كان لنيكاراجوا بطبيعة الحال دفاع ضد حملة الإرهاب التي تقودها الولايات المتحدة بحجة الحرب على الإرهاب.

فنيكاراجوا لديها جيش، وفي بلاد أخرى من أميركا الوسطي فإن قوات الإرهاب كان يتم تدريبها وتسليحها بواسطة الولايات المتحدة وتابعيها، وبالتالي لم يكن أمراً مفاجئاً أن الجرائم الإرهابية كانت أكثر سوءاً، وهذه هي حالة أميركا الوسطى والتي قال الحمامم إنهم يريدون نيكاراجوا أن تعود إليها؛ ولكن في هذه الحالة لم يكن الضحايا هي الدولة! وبالتالي لم يكن بإمكانها اللجوء إلى محكمة العدل أو لمجلس الأمن لاستصدار أحكام ترفض بعد ذلك وترمي في منفضة التاريخ، الأمر الذي ربما لا يحدث قط على المريخ. لقد استمرت آثار الإرهاب طويلاً وفي الولايات المتحدة هناك قلق عميق حول التأثيرات الكبيرة لهجمات الحادي عشر من سبتمبر الإرهابية؛ فعلى سبيل المثال نشر مقال بجريدة النيويورك تايمز على الصفحة الأولى في عدد 22 يناير 2002 حول الناس المستفيدين من المآسي التي يعاني منها الأميركيون.. وبطبيعة الحال فالأمر صحيح بالنسبة لأولئك الضحايا لجرائم إرهابية أكثر شدة؛ ولكن كما ذكرنا فإن هذه الجرائم تنتشر على المريخ؛ فربما -إذن- تحاول أن تعثر على التقرير عن مؤتمر عقده يسوعيو السلفادور منذ عامين - وتجربة اليسوعيين تحت الإرهاب الدولي الأميركي هي تجربة مريضة- ولقد أشار التقرير الذي صدر عن المؤتمر إلى تأثير ما سمّاه بثقافة الإرهاب؛ والتي تؤدي إلى تدجين طموحات الأغلبية والذين بدورهم أدركوا أنهم لا بد أن يخضعوا لتعاليم الدولة الإرهابية الحاكمة

وعملائها المحليين؛ وإلا سيتم إعادتهم إلى حالة أميركا الوسطي.. كما أوصى الحمائم حينما كانت الحملة الدولية للإرهاب والتي تؤيدها الدولة؛ فقد وصلت لقمتها في الثمانيات، هذا طبعا لم ينشر؛ ربما ينشر في المريح!

في الواقع قد يلحظ الكائن المريخي أمورًا متشابهة كثيرة بين المرحلة الأولى والثانية للحرب المزعومة على الإرهاب؛ ففي العام 2001 كل الدول التي يمكن اعتبارها إرهابية انضمت إلى التحالف الدولي ضد الإرهاب بحماسة! والأسباب ليست بخافية على أحد؛ فنحن نعلم سبب حماسة الروس؛ فهم يريدون موافقة الولايات المتحدة لمباركة أنشطتهم الإرهابية الشرسة في الشيشان على سبيل المثال وتركيا كانت متحمسة، لقد كانت أول دولة تعرض تقديم قوات، وأوضح رئيس الوزراء التركي سبب ذلك، لقد كان ذلك عرفانًا بالجميل للولايات المتحدة التي كانت الوحيدة التي وافقت على تسليح تركيا.. حيث زودتها بحوالي ثمانين بالمائة من إمدادات السلاح خلال سنوات حكم كلينتون؛ لمساعدتهم على ارتكاب واحدة من أسوأ الجرائم الإرهابية، وهي عمليات التطهير العراقي خلال التسعينيات وهم شاكرون لذلك؛ لذا عرضوا تقديم قواتهم من أجل الحرب الجديدة ضد الإرهاب وللمصادفة؛ فإن أيًا من هذه الجرائم لا تعد إرهابًا؛ ولكن عليك أن تتذكر أنه وفقًا للرؤية التقليدية: طالما نحن الذين نقول به فهو لا يُعد إرهابًا! وهكذا بقية القائمة! (...) في ذلك الوقت وبمساندة أميركية حازمة، كانت إسرائيل تشن هجماتها في لبنان بالهجوم بالقنابل وغيرها من الجرائم الوحشية لمحاولة تلفيق أي حجة لغزو مخطط له مسبقًا، ولكنهم قاموا بالغزو على أي حال وقتلوا 18 ألف شخص، واحتلوا لبنان لقراءة عشرين عامًا مرتكبين أثناءها العديد من الجرائم الوحشية؛ ولكنها كلها خارج التسجيل (وكذلك لا تُعد إرهابًا!): لأن الولايات المتحدة كانت تدعم إسرائيل بشكل قطعي.. هذا الأمر وصل ذروته في عام 1985، وهو العام الذي شهد قمة الجرائم الوحشية التي ارتكبتها إسرائيل وأميركا متواطئة معها -كالعادة- في جنوب لبنان، وهي ما أطلق عليها عمليات القبضة الجديدة.. وكانت عبارة عن مذابح واسعة وعمليات إبعاد

عن القرى -التي بمصطلح اليوم تسمى "لجوء" وبمصطلح الأمم تسمى " تهجير قسري":
التي أطلق عليها القائد الأعلى " قرى الإرهابيين"; وهذه العمليات كانت تتم أثناء إدارة
شمعون بيريز.. وهو أحد المرشحين لجائزة أسوأ جريمة إرهابية لعام 1985 حينما كان
الإرهاب هو القصة الخيرية رقم واحد لهذا العام ولكن هناك منافسين آخرين! أحدهم
كان عملية تفجير سيارة مفخخة في بيروت في بداية نفس العام، وكانت السيارة أمام أحد
المساجد.. وتم ضبط توقيت الانفجار بحيث يحدث أثناء خروج المصلين من المسجد
لتحقيق أعلى رقم من الضحايا، وقد أدت الحادثة لمقتل ثمانين شخصاً وإصابة ما يزيد
على مائتين وخمسين حسب الـواشنطن بوست، حيث قدمت تقريراً مريعاً عن الحادث
ومعظم الضحايا من النساء والبنات، وقد كانت على ما يبدو قنبلة ضخمة وقوية؛ ما
أدى لمقتل الأطفال وهم نائمون. وغيرها من الجرائم -الإرهابية- الوحشية الأخرى.. ولكن
هذا الأمر لا يعتد به لأنه من تدابير المخابرات الأميركية والبريطانية؛ وبالتالي هو ليس
إرهاباً وهو إذن يستحق أن يكافأ! (...) وكل أولئك الذين لا يعتبرون أنفسهم جيئاء
ومناقبين سيتبنون ذات الموقف المبدئي تجاه كل أنشطة العنف الانتقامية؛ مثلما هو
الحال في الجرائم الانتقامية التي تحدث في الأرض التي تحتلها إسرائيل حالياً، وبمساندة
كاملة من الولايات المتحدة كالعادة دائماً.. وهذا لا ينظر إليه على أنه إرهاب. مما لا شك
فيه أن الكائن الفضائي كان سيسجل ذلك في الصفحة الأولى، ليقول إن الولايات
المتحدة مرة أخرى تستخدم حجة الحرب على الإرهاب لحماية -ولربما أيضاً- تصعيد
العمليات الإرهابية التي تقوم بها إحدى الدول التابعة لها، وآخر مراحل هذا الأمر بدأت
في 1 أكتوبر 2000؛ فمنذ ذلك التاريخ وفي الأيام الأولى بعد بدء الانتفاضة الحالية، بدأت
الطائرات المروحية الإسرائيلية في مهاجمة الفلسطينيين العزل بالصواريخ؛ ما أدى لمقتل
العشرات منهم ولم تكن هناك أي حجج أو أعذار بالدفاع عن النفس (تعليق جانبي:
حينما تقرأ تعبير المروحية الإسرائيلية فهي تعني الطائرات الأميركية يقودها طيارون
إسرائيليون، ويتم تزويد تلك الطائرات مع معرفة مسبقة بالكيفية التي ستستخدم فيها
الطائرات)، وقد ردّ كلينتون على الفور على الجرائم الوحشية وفي أكتوبر 2000؛ أي بعد

يومين فقط قرر إرسال أكبر شحنة طائرات مروحية عسكرية لإسرائيل -لمحاربة الإرهاب!- في خلال العشر سنوات الماضية، بالإضافة لذلك قطع غيار لطائرات الأباتشي أرسلت في منتصف سبتمبر وتعاونت الصحافة؛ من خلال رفضها الكتابة عن أي من هذه الأمور (...) وفي 14 ديسمبر استعملت الولايات المتحدة حق النقض (الفيتو) ضد قرار لمجلس الأمن يدعو لتنفيذ ما يعرف بخطة ميتشل وإرسال مراقبين دوليين لمراقبة خفض التوتر وذهب القرار للجمعية العمومية؛ حيث عارضته الولايات المتحدة وإسرائيل، وبالتالي تم طمسه.. وبإمكانك أن تتحرى عن التغطية الصحفية! (...) -وقبلها- في 5 ديسمبر 2001 عقد اجتماع ضم كل أعضاء الاتحاد الأوروبي، وأكدوا ضرورة تطبيق الميثاق على الأراضي المحتلة وعلى شرعية المستوطنات، وطالبوا إسرائيل؛ أي الولايات المتحدة وإسرائيل باحترام القانون الدولي، وما حدث هو أن الولايات المتحدة قطعت الاجتماع؛ وبالتالي أفشلتها وبإمكانك التحري عن التغطية الإعلامية مرة أخرى! هذه الأفعال أسهمت مرة أخرى في تصعيد الإرهاب في المنطقة لا سيما عناصره الأكثر حدة.. كما أسهمت وسائل الإعلام كذلك بالطرق المعروفة (...)؛ إذن فالصراحة تركنا في أزمة.. والإجابة السهلة هي النفاق التقليدي، أما الخيار الآخر فهو الذي يتبناه صديقنا الكائن المريخي، والذي التزم بالمبادئ التي أقرنا بها، وهو خيار من الصعب بمكان أن نضعه في الاعتبار، ولكنه أساسي إذا كنا نرغب في تجنب العالم المزيد من الكوارث الأشد سوءاً

(1)

أما فهذا العصر، عصر العلم والتكنولوجيا والتقدم وكل تلك المفاهيم البراقة ليس للإرهاب الذي "نعرفه" مكان.. الذي هو تدخل دولة في شؤون أخرى "بقواتها" لتحقيق أهداف مادية وسياسية واقتصادية وأيديولوجية.. فقد يمكن تحقيق نفس الأهداف ولكن بقوى أخرى.. بصمت، وبذلك فالإرهاب اليوم هو "سمة" للأقوياء فقط وأصحاب النفوذ العالمي والمال... حرب اليوم "حضارية"، هادئة.. كما وصفها نعوم تشومسكي بدقة

(1) المصدر السابق ص 37 وما يليها.

في دراسته التي تحمل عنوان "الأسلحة الصامتة للحرب الهادئة"⁽¹⁾، التي أعد فيها (عشر إستراتيجيات للتحكم بالشعوب والسيطرة على البشر)، وهي:

1- إستراتيجية الإلهاء:

هذه الإستراتيجية عنصر أساسي في التحكم بالمجتمعات، وهي تتمثل في تحويل انتباه الرأي العام عن المشكلات الهامة والتغييرات التي تقررها النخب السياسية والاقتصادية، ويتم ذلك عبر وابل متواصل من الإلهاءات والمعلومات التافهة، إستراتيجية الإلهاء ضرورية -أيضًا- لمنع العامة من الاهتمام بالمعارف الضرورية في ميادين مثل العلوم، الاقتصاد، علم النفس، بيولوجيا الأعصاب، وعلم الحواسب.. حافظ على تشتت اهتمامات العامة بعيدًا عن المشكلات الاجتماعية الحقيقية، واجعل هذه الاهتمامات موجهة نحو مواضيع ليست ذات أهمية حقيقية.. اجعل الشعب منشغلًا، منشغلًا، منشغلًا دون أن يكون له وقت للتفكير وحتى يعود للضيعة مع بقية الحيوانات".

2- افتعل المشكلات.. ثم قدّم الحلول:

هذه الإستراتيجية تسمى -أيضًا- (المشكلة، ردة الفعل، الحل) في الأول نبتكر مشكلة أو "موقفًا" متوقعًا لنثير ردة فعل معينة من قبل الشعب.. وحتى يطالب هذا الأخير بالإجراءات التي نريده أن يقبل بها، مثلًا: ترك العنف الحضري يتنامى أو تنظيم تفجيرات دامية، حتى يطالب الشعب بقوانين أمنية على حساب حريته أو ابتكار أزمة مالية؛ حتى يتم تقبل التراجع على مستوى الحقوق الاجتماعية وتفكيك

⁽¹⁾ وهي عبارة عن وثيقة سرية يعود تاريخها إلى 1979 وتم العثور عليها سنة 1986 عن طريق الصدفة، وكانت تحمل نفس العنوان، وهي عبارة عن كتيب أو دليل للتحكم في البشر وتدجين المجتمعات والسيطرة على المقدرات.. ويرجع المختصون أنها تعود إلى بعض دوائر النفوذ العالمي التي عادة ما تجمع كبار الساسة والرؤساء والخبراء في مختلف المجالات.

الخدمات العامة، ويتم تقديم تلك الحلول المبرمجة مسبقًا ومن ثم قبولها على أنها شر لا بد منه.

3- إستراتيجية التدرج:

لضمان قبول ما لا يمكن قبوله.. يكفي أن يتم تطبيقه تدريجيًا على مدى 10 سنوات. بهذه الطريقة فرضت ظروف اقتصادية واجتماعية مثّلت تحولًا جذريًا كالنيوليبرالية وما صاحبها من معدلات البطالة الهائلة والهشاشة والمرونة.. العديد من التغيرات التي كانت ستتسبب في ثورة إذا ما طبقت بشكل وحشي يتم تمريرها تدريجيًا وعلى مراحل.

4- إستراتيجية التأجيل:

هناك طريقة أخرى لتمرير قرار لا يحظى بشعبية هو تقديمه باعتباره قرارًا مؤلماً ولكنه ضروري.. والسعي إلى الحصول على موافقة الجمهور لتطبيق هذا القرار في المستقبل.. ذلك أنه من الأسهل دائمًا قبول القيام بالتضحية في المستقبل عوض التضحية في الحاضر. ولأن الجهد المطلوب لتخطي الأمر لن يكون على الفور ثم لأن الجمهور لا زال يميل إلى الاعتقاد بسداجة أن كل شيء سيكون أفضل غدًا؛ وهو ما قد يمكن من تجنب التضحية المطلوبة، وأخيرًا فإن الوقت سيسمح لاعتقاد الجمهور فكرة التغيير ويقبل الأمر طائعًا عندما يحين الوقت.

5- مخاطبة الجمهور على أنهم قصر أو أطفال:

في سن ما قبل البلوغ معظم الإعلانات الموجهة للجمهور العريض تتوسل خطابًا وحججًا وشخصيات أسلوبًا خاصًا يوحى في كثير من الأحيان أن المشاهد طفل في سن الرضاعة أو أنه يعاني إعاقة عقلية. كلما كان الهدف تضليل المشاهد إلا وتم

اعتماد لغة صهيانية، لماذا؟ "إذا خاطبت شخصًا كما لو كان في سن 12 عند ذلك سنوحي إليه أنه كذلك وهناك احتمال أن تكون إجابته أو رد فعله العفوي كشخص في سن 12".

6- مخاطبة العاطفة بدل العقل:

التوجه إلى العواطف هو الأسلوب الكلاسيكي لتجاوز التحليل العقلاني، وبالتالي قتل ملكة النقد وبالإضافة إلى أن استخدام السجل العاطفي يفتح الباب أمام اللاوعي ويعطل ملكة التفكير ويثير الرغبات أو المخاوف أو الانفعالات.

7- إغراق الجمهور في الجهل والغباء:

لا بد من إبقاء الجمهور غير قادر على فهم التقنيات والأساليب المستعملة من أجل السيطرة عليه واستعباده.. "يجب أن تكون نوعية التعليم الذي يتوفر للمستويات التعليمية الدنيا سطحيًا؛ بحيث تحافظ على الفجوة التي تفصل بين النخبة والعامة وأن تبقى أسباب الفجوة مجهولة لدى المستويات الدنيا".

8- تشجيع الجمهور على استحسان الرداءة:

تشجيع العامة على أن تنظر بعين الرضا إلى كونها غبية ومبتذلة وغير متعلمة.

9- تحويل مشاعر التمرد إلى إحساس بالذنب:

دفع كل فرد في المجتمع إلى الاعتقاد بأنه هو المسئول الوحيد بتعاسته؛ وذلك بسبب عدم محدودية ذكائه أو ضعف قدرته أو جهوده، وهكذا، بدلًا من أن يثور على النظام الاقتصادي، يحط الفرد من ذاته ويغرق نفسه في الشعور بالذنب؛ ما

يخلق لديه حالة اكتئاب تؤثر سلبًا على النشاط، ودون نشاط أو فاعلية لا تحقق الثروة.

10- معرفة الأفراد أكثر من معرفتهم أنفسهم:

على مدى السنوات الـ 50 الماضية نتج عن التقدم السريع في العلوم اتساع الفجوة بين معارف العامة وتلك التي تملكها وتستخدمها النخب الحاكمة، فمع علم الأعصاب وعلم الأحياء وعلم النفس التطبيقي وصل "النظام العالمي" إلى معرفة متقدمة للإنسان؛ سواء عضوياً أم نفسياً.. لقد تمكن "النظام" من معرفة الأفراد أكثر من معرفتهم لأنفسهم، وهذا يعني أنه في معظم الحالات يسيطر "النظام" على الأفراد ويتحكم فيهم أكثر من سيطرتهم على أنفسهم.

السلام.. في الحضارة المادية

السلام في قواميس السياسة الأميركية، ليس أن تكون مسلماً، أو مسالماً.. بل هو أن تكون فوضوياً وإرهابياً.. أما الإرهاب في نفس تلك القواميس، هو أن تكون مسلماً ومسالماً ومفكراً ومنادياً بالحدود الدنيا من الحقوق الإنسانية، وهو أن تشكك في نزاهة وحكمة نظام ما، سياسياً كان أو اقتصادياً أو تعليمياً أو...، وهو أن تنادي بتطبيق شرع الله وأمره ونهيه؛ فأنت رجعي وتستحق الاستئصال.. والتكفير، أما في نفس القواميس ذاتها، فإنه لا يوجد غربيٌّ إرهابيٌّ، ولا يطبق عليه مفهوم الإرهاب.. والبديل لمفهوم الإرهاب هناك هو (المرض العقلي والنفسي)! وفي نفس الوقت؛ فالسلام هو "اسم" و"صفة" للغرب.. الغرب فقط.. لا يجب أن يتصف بها غير الغرب وسياساته.. هي -أميركا- من تقرر وتوهب "السلام" لمن تحب وترضي. هذا يمكن تسميته "النسبية السياسية"، وهو ما لم يخبرنا به إينشتاين.

فإنه: "في ظل هذا التعطيل المقدس للعقل وملكة الحكم والشرائع الدولية وقرارات الأمم المتحدة ومبادئ حقوق الإنسان، وكل هذا الانقلاب الأصولي على الدستور والثورة الأميركية والآباء المؤسسين يقام سيرك التزوير الطقسي لمعجم السياسة الدولية، بدءًا بتزوير معنى الإرهاب وانتهاءً بتزوير معنى السلام.⁽¹⁾

ليس في سياسية الغرب أو قواميسها معنى "للسلام".. السلام في المفهوم الغربي يعني الإرهاب ويعني صناعة الإرهاب لا القضاء عليه يعني القضاء على الضعفاء حتى يعيش الأقوياء في سلام.. فلو طبقت كل تلك القواعد والقوانين والمعايير "الحقيقية" والخبرة التي تنادي بها، وبالالتزام بمضمونها السياسة الأميركية بقليل من العدل لكان الأولى أن تطبق على من يضعها لا على المستضعفين في الأرض، ممن يمارس عليهم الإرهاب من ناحيتين.

الأولى: اختراع واستخدام أقوى وأكثر الأسلحة فتكًا، واستخدامها للترهيب والشر وأحكام السيطرة.. كالقنابل والمتفجرات التي تستخدم فيما لم تخلق له.. في نشر "السلام"!.. ناهيك عن القنابل النووية والهيدروجينية والنيوترونية والكهرومغناطيسية- التي بمجرد سماعها تبتل لها الملابس! بل وعمل التجارب عليها فوق رؤوس الأبرياء والضعفاء.. فضلًا عن مدى التلوث البيئي والإنساني التي تحدثها كل تلك الأسلحة.

الثانية: اختراعات عديمة الفائدة لا يمكن وصفها إلا بالتافهة، وهي -أيضًا- أدوات للإلهاء وإحكام السيطرة على الجنس البشري، أي أدوات -واختراعات- للشر لا للخير.. وكلها تحت رحمة التكنولوجيا مثل مواقع التواصل الاجتماعي والعالم الافتراضي.. وغيره مما سنأتي على ذكره بشيء من التفصيل في باب العلم..

⁽¹⁾ منير العكش، أميركا والإبادات الجماعية ص 155.

فهذا ما تقدمه الحضارة الحديثة -المادية الغربية- للعالم! أما لو أنها لم تقدم شيء
لكان العالم أفضل مما كان عليه.. وأجزم بذلك!

فما الذي يجعل من أميركا دولة عظمى إذن؟ إنه المال.

"إن وسائل الإعلام هي اليد اليمنى للفوضى"
دان براون

الإعلام الكاذب -والمضلّل- والعلم
الزائف هما مصدر قوة أميركا -المضللة
للعامة- اللذان يصدران لنا الغرب
على أنه رب... نقي لا يخطئ ولا يسيء،
كامل لا يشوبه نقص.. أميركا قوى

عظمى بترهيبها -وتهديدتها- الدول بأسلحتها المدمرة و"مبادئها" التي لا تلتزم بها فإن أميركا
وحدها: "تمتلك من أسلحة الدمار الشامل ما يقتل سكان 17 كوكبًا مثل أرضنا"⁽¹⁾؛
فالحكام العرب يريدون العيش (بأمان) ولو على حساب شعوبهم، ولو على حساب ألا
يعيش شعوبهم أو تمن أرضهم بـ"سلام".. نحن ضعفاء لأننا جبناء، متواطؤون، نخون..
وجبناء لأننا نعلم أننا خائنون ونسير في الدرب الخاطئ خشية رب الأرض: الغرب!

وبالطبع تجنيد الإعلام لأداء تلك المهمة (والتعليم ومقرراته في المقام الأول)، ويمكن
القول إن الشرق ربما لم يتلوث أكثر من الغرب من -سيطرة وتحكم وتوجيه- الإعلام
العالمي -والتزييف والتضليل- لأن الإعلام -أو من يسيطر عليه- أن لم يحكم السيطرة
على عقولهم سيكونون (مسالمين)! هم لا يريدونهم أن يكونوا كذلك.. يشحنونهم
ويشحنونهم في مختلف المراحل التعليمية بالكراهية والعنصرية -والتي تنهال عليهم من
كل صوب وحذب- والعلم الزائف والكذب المبرر.. تبريرًا لقيام تلك الحضارة السوداء،
بداية من الهنود الحمر وفتح أميركا استعماريًا عام 1492 -ناهيك عن الحروب الصليبية
التي بدأت قبل هذا التاريخ بأربعة قرون واستمرت طويلاً بعد هذا التاريخ- حتي الاستعمار

(1) المصدر السابق ص 156

العربي اليوم (للعقل والوطن).. في ظل الحرب الحضارية والثقافية والاقتصادية والأيدولوجية القائمة.

هم لا يريدونهم أن يتعاطفوا مع العرب والإسلام.. ولا يريدوا لنا نحن ذلك أيضًا! تحدث مع فرد ما من "القطيع" -المغيّب- ليخبرك أننا نحن العرب الفيروس الجاهل المتخلف- الذي يجب أن يستأصل -والغرب- ذلك المتحضر، الغني، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار..!

ولا أرى أي اختلاف إطلاقًا بين ما حدث للهنود وما يحدث الآن للعرب -لأسيما الإسلام- نفس السيناريو يتكرر اليوم بنفس تفاصيله.. لذلك أسهينا في الحديث عن هذه الشعوب وتلك الحضارات.. لعله نأخذ العبرة ونتعلم من الدرس.. ومغزاه.. قبل أن يأتي يوم ونكون "خبر" ماضي!

"التنوير تحت التهديد، وكذلك العقل، وكذلك الحقيقة-
قاصداً بالتنوير حرية العلم والعلماء-" ريتشارد دوكنيز-
المبشر الالحادي.

في كلمة (مارغو ثندر بيرد) من الحركة الهندية عام 1988م حيث يقول: "ها هم الآن بعد أن أفنوا شعوبنا يريدوا أن يشوهوا الروح الهندية وأن يزيلوا

أعلى ما نعتز به.. يريدون أن يمحووا تاريخنا ويعبثوا بتقاليدنا الروحية.. يريدون أن يعيدوا كتابة ذلك من جديد وأن يخلقوه خلقًا آخر. إن أكاذيبهم لم تتوقف بعد ولصوصيتهم ليس لها حدود".

والهدف المزعوم دائمًا في الماضي والحاضر لغزو الشعوب وفرض السيطرة والقوانين والنظم والأيدولوجيات.. وكل ما هو أميركي! هو المدنية والحداثة -ولنشر الحضارة

المزعومة- فأما "تمدينك" أو سلب حقك في الحياة لأنك غير متمدن!... وهذا هو التخلف بعينه! فالرجل الهندي مثلاً كان على درجة من المدنية -أي أنه لم يكن متخلفاً- بل إنه كان أكثر مدانة من الرجل الفرنسي -والأوروبي- خلافاً عن كل ما يثار عن الهنود، وتصويرهم بأبشع الأوصاف وأشنعها ونزع منهم القداسة ووضعوا بدلاً عن ذلك الريش فوق شعورهم- الذي قالوا إنه كان ينمو عندهم بدل الشعر!

وشهد شاهد من أهلها

"في عام 1727 نشر العالم الطبيعي الأيرلندي (كادولدر كولدن) كتاباً يعد من أندر الشهادات عن النظام السياسي والاجتماعي والتقدم التقني والرفي الديني والفني والخطابي لدى الهنود هنود الأوروکوا (...) منذ الصفحات الأولى لكتابه (تاريخ الأمم الهندية الخمس..) لم يتحرج كولدن من إبداء افتتانه بهنود الأوروکوا ولم يكبح جماح إعجابه بهم؛ فقد قارنهم بعضمء سياسي الرومان واليونان وخطبائهم وأبطالهم بل قال عنهم إنهم يتفوقون على الرومان واليونان تفوقاً عظيماً إذا ما اضطروا إلى الخيار بين الحياة والحرية، واعترف لهم بفراة اتحادهم الفيدرالي ونموذجيته وتطوره السياسي والدستوري الذي لم يعرف له المسيحيون (ويقصد الأمم الأوروبية) مثيلاً. لنقرأ ما كتبه كولدن عن هؤلاء الذين سلمهم التاريخ المنتصر إنسانيتهم ولم يبق منهم إلا هذه الصورة المشوهة التي نراها في أفلام رعاة البقر:

"إنهم يعيشون في ظل اتحاد قائم بين هذه الأمم الهندية الخمس منذ مئات السنين ولا يمكن الحدس ببداياته (من المرجح أن الاتحاد أقيم في عام 1570 في عهد الزعيم ديكاناويدا) كل أمة في هذا الاتحاد جمهورية لامركزية مستقلة يقودها زعماء محنكون في السياسة، طاعنون في السن يستمدون سلطانهم وقوتهم من حكمتهم ونزاهتهم، ومن مبايعة أفراد الأمة لهم.. زعماء لا يعرفون العنف ولا الإكراه في التعامل مع أبناء أمتهم.. فالمحسن يثاب بالتكريم والاحترام والتبجيل والمسيء يعاقب بالازدراء والاستنكار ووصمة

العار. إنك ترى هؤلاء الزعماء خدماً لشعوبهم على نقيض الحال مع ملوك عالمنا القديم وحواشيهم (لا سيما العالم الجديد)، وتراهم أفقر الناس لأن عليهم ساعة اختيارهم أن يهبوا ما لديهم لعامة الناس وأن لا يحتفظوا لأنفسهم بشيء من الهدايا الرسمية أو غنائم الحروب، أما إذا زلت أنفسهم وخانوا هذه الفضائل فإن شعبيهم لهم بالمرصاد سرعان ما ينحيم عن مناصبهم ويحتقرهم ويزدرهم" (...) وللتعبير عن افتتانه بالنظام السياسي والاجتماعي للاتحاد الهندي استعان كولدن بكلمات المؤرخ الفرنسي مسيو دولا بوتري؛ فقال مستشهداً: "إننا حين نتحدث في فرنسا عن الأمم الهندية الخمس؛ فإن الصورة التي تتبادر إلى أذهان السامعين هي صورة البرابرة المتوحشين، ولكن الواقع مختلف تماماً فهم على مستوى رفيع جداً من السياسة والتشريع لم تعرفه فرنسا قط. إنك لا تلمس ذلك من براعتهم في إدارة شئونهم مع الفرنسيين والإنجليز وحسب؛ بل تلمسه كذلك في أساليب تعاملهم مع غيرهم من الأمم الهندية" (...) أما جيمس أديار في كتابه (تاريخ الهنود الأميركيين)؛ فقد قال: "إنهم أكثر تحضراً من الإنجليز وإنهم يعيشون في ظل أنبل القوانين وأبسطها. هذا دستورهم أو (قانون السلام الأعظم) ينبض بالحرية وهامهم جميعاً ينعمون بفرص متكافئة وامتيازات متساوية". -أما عن الحرية والمساواة فيقول كولدن إن: "هذه الحرية الغربية عن حياة الإنجليز الاجتماعية والسياسية هي الحرية المثالية التي يحلم بها كل مجتمع"، ويعلق العكس قائلاً:

لعل إصرار الهنود على المساواة والحرية المطلقة في دستورهم وعقائدهم المقدسة هو الذي جعلهم من المجتمعات النادرة التي لم تعرف نظام الرق أو السخرة، حرية تشمل الكبير والصغير والمرأة والرجل؛ حتى إن الغزاة الأوروبيين لم يصدقوا ما رآته المرأة من كرامة المرأة الهندية؛ حيث يقول كولدن إن: "كل ما يملكه الرجل باستثناء سلاحه وفرسه يؤول إلى امرأته عند الزواج. إنهم يعاملون نساءهم باحترام لا نعرفه في إنجلترا".

- أما عن الخطابة والبلاغة؛ فإن: وين رينولدز قد أعد رسالة لنيل شهادة الدكتوراه درس فيها 258 خطابًا ألقاه الهنود في مفاوضات الهدنة والمعاهدات مع الإنجليز ما بين 1678 و1776 وأشار فيها إلى الأساليب البلاغية البديعة التي تميزت بها هذه الخطابات وجعلتها تضاهي خطابات اليونان والرومان.. في كتابه "الواهبون الهنود" يتحدث عالم الإنسانيات جاك وذرفورد بتفصيل ساحر عن فضل الهنود الحمر على الحضارة الإنسانية وما يدين لهم به عالمنا اليوم في ميادين الزراعة والصناعة والتشريع والطب والعمران والاكتشافات وغير ذلك مما جحدته التاريخ المنتصر وشوّهه؛ ليخفي جريمة إبادة 112 مليون إنسان ومحو أكثر من 400 ثقافة من سجل الحضارة الإنسانية في أكبر هولوكست عرفه التاريخ البشري (...). تمامًا كما عرفوا في أول هذا القرن أن تمزيقهم واستعمارهم للعالم العربي وغزوهم لفلسطين وتدميرهم لإمبراطورية الشر العثمانية رهن بموقف العرب.. بذلك لجأوا إلى أبرع مواهبهم: الكذب.. فكذبوا عليهم وخدعوه، كما كذبوا علينا بعد ذلك وخدعونا وأرسلوا إليهم من بذل لهم الود والهدايا وتعلم لغتهم ولبس ملابسهم ورقص حول نيرانهم، كما أرسلوا إلينا من صام وصلى وتعمم وأكل مع "البهائم" بأصابعه العشرة. سعوا إلى التحالف مع -هنود- الأوروکوا والذي كسبهم إلى جانبهم.⁽¹⁾

"رسالة إلى إبليس: الأمور هنا تسير على النحو الذي تريد، حيث الناس أصبحوا أكثر سوءًا منك!" آل باتشينو

وهذا ما عبر عنه -باختصار شديد- الرئيس الأميركي تيودور روزفلت في رسالة أرسلها إلى عالم نفس عام 1899، يخاطبه فيها قائلاً إنه: "لن تنتصر قيمنا الحضارية ما لم نتخلق بالأخلاق

(1) المرجع السابق- انظر الصفحات 174:180

البربرية!" وعندما طُفح الكيل بـ(سام جونسون) -عضو الكونجرس الأمريكي- أعلن بكل كراهية وعنصرية في إحدى جلسات الكونجرس عام 2005، وتحديدًا في التاسع عشر من فبراير، وقال: "كم أتمنى أن أحمل طائرة حربية مقاتلة من نوع إف 15 برأسين نوويين وأقودهما طلعة واحدة نتخلص بعدها من كل ما اسمه سوريا". وقتها بدا تحمس الحضور للفكرة فصفقوا وهتفوا هتافًا حادًا.

أما مايكل سافاج -السياسي والإذاعي والمؤلف الأمريكي- فقد ذهب إلى أبعد من ذلك إذ أخبرنا أن: "معظم الأمريكيين يتمنوا أن يروا قنبلة نووية تهوي فوق عاصمة عربية كبيرة؛ ويتمنون أن يكون القصف النووي عشوائيًا دون تمييز.

- مضيفا أن البطانيات الملوثة بجراثيم الجدري التي أعطاهها الجيش الأمريكي لهنود الشيروكي لقتلهم أثناء ترحيلهم -تهجيرهم- إلى الغرب شيء تافه مقارنة مع ما نريد أن يصاب به هؤلاء العرب!"

في حوار صحفي لأحد الجنود الأميركيين -الذي شارك في الغزو الأمريكي على العراق عام 2003- ويُدعى مايك برايزيز، أخذ يقص ويروي ما فعله الجنود الأميركيين بالمدنيين العراقيين ثم قال: "حاولت جاهدًا أن أكون فخورًا بخدمتي، لكن كل ما أشعر به هو العار. العنصرية لم تعد قادرة على إخفاء الوجه الحقيقي للاحتلال. هؤلاء كانوا أناسًا! هؤلاء كانوا بشرًا!"

منذ ذلك الحين وأنا أشعر بالذنب لقد أخبرونا بأننا نحارب الإرهابيين، لكن الإرهابي الحقيقي هو أنا.. الإرهاب الحقيقي هو هذا الاحتلال. العنصرية في الجيش كانت أداة مهمة لتبرير تدمير واحتلال بلد آخر لطالما كانت تستخدم لتبرير قتل وإخضاع وتعذيب الشعوب الأخرى. العنصرية سلاح قاتل يتم استخدامه من قبل هذه الحكومة.. وهو سلاح أهم من الرشاشات والدبابات والقنابل أو حتى السفن الحربية، وهو أشد تدميرًا

من القذائف المدفعية ومخترقات الدروع وصواريخ التومهورك.. وبينما هذه الأسلحة كلها مصنوعة ومملوكة من قبل الحكومة لكن لا ضرر لها على الذين يستخدمونها!

فهؤلاء الذين أرسلونا للحرب ليسوا مضطرين للضغط على الزناد.

ولا لإلقاء قنبلة مدفعية.. -المواطن هو الزناد الذي يجب الضغط عليه ليندفع مثل الصاروخ وينفجر مثل القنبلة في الحرب.. لا سيما السلم!- ليسوا مضطرين لأن يقاتلوا في الحروب بل مجرد بيعها. يريدون من عامة الشعوب إرسال جنودهم إلى طريق الخطر وبحاجة إلى جنود مستعدين أن يقتلوا ويقتلوا دون سؤال. هم على استعداد لإنفاق الملايين على قنبلة واحدة! لكن هذه القنبلة تصبح سلاحًا عندما يكون أفراد الجيش عي استعداد لإطاعة الأوامر واستخدامها.. هم على استعداد لإرسال آخر جندي لأي مكان على الأرض.. وستكون هناك حرب طالما هناك جنود متأهبين للقتال! والطبقة الحاكمة -المتحكمة- المليارديرات -الرأسماليين- الذين يربحون من معاناة البشر يهتمون فقط بتوسع ثرواتهم وسيطرتهم على اقتصاد العالم. يعلمون أن قوتهم تعتمد فقط على قدرتهم باقناع الطبقة العاملة بأن يموتوا لكي يسيطروا على سوق بلد آخر.. وإقناعنا بالقتل والموت يعتمد على قدرتهم بجعلنا نعتقد أننا بطريقة ما سوف نصبح "متفوقين"!

الجنود والبحارة ومشاة البحرية والطيارون ليس لديهم ما يكسبونه من هذا الاحتلال.. والغالبية العظمى من المواطنين الأميركيين -أيضًا- ليس لديهم ما يكسبونه من هذا الاحتلال.. في الحقيقة ليس فقط لا يوجد شيء نربحه بل نعاني أكثر بسببه.. تتقطع أطرافنا ونعاني من الصدمات -أضف إلى هذا حالات الانتحار والجنون التي أصابت الجنود الأميركيين بعد عودتهم من الحرب- ونقدم أرواحنا.. وعلى عائلاتنا مشاهدة الأعلام تلف التواييت وتنزل إلى الأرض. الملايين من هذه الدولة لا رعاية صحية ولا وظائف أو الوصول للتعليم.. بينما يشاهدون الحكومة وهي تهدر 450 مليون دولار يوميًا على هذا الاحتلال!

الفقراء والعاملون في هذا البلد يتم إرسالهم ليقتلوا الفقراء والعاملين في بلد آخر ليجعلوا الغني أغنى.. ودون العنصرية سيعرف الجنود أن لديهم أشياء مشتركة مع المواطنين العراقيين -والعرب بشكل عام- أكثر مما لديهم من المليارديرات الذين أرسلونا للحرب!

نحن بحاجة أن نستيقظ ونعرف من أعدائنا الحقيقيين، ليسوا في بلاد بعيدة، هم ليسوا أناسًا لا نعرف أسماءهم ولا نفهم ثقافتهم، الأعداء هم أناس نعرفهم جيدًا ونستطيع تحديدهم. العدو هو النظام الذي يخوض الحروب عندما تكون الحروب مربحة، العدو هم مدراء الشركات الذين فصلونا من أعمالنا عندما يكون ذلك مربحًا لهم، هم شركات التأمين التي تحرمنا من الرعاية الصحية، هم البنوك التي تسلب منا بيتونا عندما يكون ذلك مربحًا لهم، أعداؤنا ليسوا على بعد خمسة آلاف ميل بل هم هنا في الوطن. إذا نظمنا أنفسنا وقاتلنا مع إخواننا وإخواننا سنتمكن من إيقاف هذه الحرب وسنستطيع إيقاف هذه الحكومة وخلق عالم أفضل.

أميركا من الداخل .. نظرة إلى المرأة.

حق المرأة وإكرامها ليس في جعلها تفعل ما تشاء وقتما تشاء.. هذا لا يختلف كثيرًا عن حرية الحيوانات في الغاب!.. على أي حال، ليس هناك فرق بين "الغاب" و"الغرب".. ف(الغائية) و(البربرية) واحدة!

أما فالعلم -كمؤسسة أكاديمية، وكشواذ للقاعدة: متعاملون- فإنه لم يكن أفضل حالًا -للأسف- من الإعلام أو باقي "مؤسسات" و"أنظمة" الدولة الأخرى فكلهما تحت حكم -وتحكم- مركزي واحد هدفها واحد. وقد لعب العلم دوره في غرز الكراهية والعنصرية والتعصب العلمي-الأعمى- في عقول العامة وطلاب العلم.. أضف لذلك عدم

الموضوعية والانحياز لطرف دون آخر.. وتزوير الحقائق لتتناسب مع أهوائهم وتضليل العامة، وسنتحدث عن ذلك بشيء من التفصيل في باب العلم، أما ما نود الإشارة إليه ها هنا هو مدى المبالغة والتزوير المتعمد للدراسات والأبحاث التي تخرج من جامعاتهم وأفواه بعض المتعلمين وخصوصًا تلك التي تُعنى بالثقافة العامة، والصاق السيء منها - جميعها دون استثناء- بدول العالم الثالث أما الجيد أو الثقافات التي تحمل مفهومًا جيدًا تنسب إلى أميركا بلد التقدم والحداثة والحرية والمثالية. معظم الدراسات تكون على هذه الشكلية بداية من التحرش وتصفح المواقع الإباحية مرورًا باستخدام مواقع التواصل الاجتماعي ومعدلات الفقر والجهل انتهاء بالكسل والعطالة.. نسب كل ذلك ظلمًا وزورًا في غير أصحابه.. ليصدروا بذلك أن العرب شعوبًا متخلفة وهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين.. بل العرب كذلك الذين شنوا عن علمانية أوروبا ومادية أميركا؛ فهم بناء الحضارة الذين لا يشوبهم شائبة! ليكون ذلك -الافتراء- غطاء على المجتمع الأميركي الحقيقي الذي جعلت منه سياسة السوق غاية بشرية.. "يقطعون ما أمر الله به أن يوصل" البقرة 27، الرعد 25 و"يفسدون في الأرض ولا يصلحون" الشعراء 152 النمل 48.

■ فإن أميركا الأولى عالميًا في التحرش (وليس مصرثم السعودية؛ حيث أشار تقرير عام 2015 م).

- الأولى عالميًا في التشرد.
- معدلات الفقر عالية جدًا.
- أكثر الدول تعصبًا وعنصرية ودموية.
- الأشد إرهابًا على مَرِّ التاريخ.
- أكثر الدول ممارسة للجنس والدعر.
- الأكبر من حيث الاتجار بالبشر.
- أكثر المجتمعات ظلمًا للمرأة.

يقول جارودي متحدًا عن مظاهر التخلف والفساد في المجتمع الأمريكي -قبل إعلان الحرب على الإرهاب!- إن:

"هذا الاستقطاب المتنامي للثروة في أيدي الأقلية الحاكمة وللبؤس في القاعدة، هو اليوم أحد الخصائص المهمة للمجتمع الأمريكي وللمجتمع الأوروبي الذي في طريقه إلى التحول للخط الأمريكي. نقلًا عن الأرقام الرسمية لمكتب الكونجرس للميزانية عن عقد الثمانينيات: "اتسعت الهوة بين الأمريكيين الأثرياء والفقراء خلال حقبة الثمانينات؛ إذ يحصل 2.5 مليون من الأثرياء على دخل مساوٍ لما يحصل عليه مائة المليون في أسفل القائمة" ويتباعد طرفا سلم التعليم في أميركا كما يتباعد طرفا السلم الاقتصادي؛ فهناك الجامعات ذات المصاريف الباهظة والتعليم العالي يتكلف الطالب فيها من 60 ألفًا إلى مائة ألف جنيه سنويًا؛ بينما يقبع في القاع ما يقارب 25 مليون أمريكي و40% من طلبة الجامعة لا يجيدون القراءة الصحيحة؛ ما حدا بالمتخصصين في حكومة ريجان إلى أن يعدوا تقريرهم الشهير "أمة في خطر" بسبب سوء التعليم عند مقارنته باليابان وبعض دول أوروبا.. في مجال الصحة تضم الولايات المتحدة مستشفيات، عيادات، مراكز أبحاث ضمن أفضل المراكز في العالم.. لكن نظامها الصحي سيء للغاية.. تصنف أميركا في المركز الثاني والعشرين على المستوى العالمي بالنسبة لوفيات الأطفال. يأتي حجم النفقات العامة على الصحة في أقل المستويات بين دول الـ OCDE -دول منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية وعدد الأعضاء المؤسسون فيها تسع عشرة دولة، وذلك عام 1961 وانضم بعد ذلك عام 1964 إلى 2010 إحدى عشرة دولة- يتولد عن ذلك التفاوت الكبير في مستويات الدخل؛ ومن ثم الصحة والتعليم والإسكان، عنف هائل في نيويورك. نقلًا عن إحصاءات الشرطة هناك في المتوسط جريمة قتل كل أربع ساعات، اغتصاب كل ثلاث ساعات، ويحدث هجوم كل ثلاثين ثانية، ولا تحتل نيويورك سوى المركز العاشر في الجريمة بين المدن الأمريكية. في الولايات المتحدة أكثر من مليون سجين وأكثر من 3 ملايين عليهم أحكام بالرقابة -مضيفًا- تلك هي نتيجة اقتصاد السوق المتوحش حيث تسود، كما

كتب هوبز من قبل "حرب الكل ضد الكل" منطق سوق دون قيود مع التنافس بين الأفراد والجماعات الذين لا يهدفون إلا إلى مصالحهم الخاصة هو منطق الغابة.⁽¹⁾

منذ يومين صدر عن موقع ميرسر البريطاني قائمة بأسوأ المدن على مستوى العالم والتي (لا تصلح للعيش)، وكانت كالتالي:

(1) بغداد.

(2) صنعاء.

(3) الخرطوم.

(4) نواكشوط.

(5) طرابلس.

وبطبيعة الحال لقي هذا التصنيف انزعاجاً ملحوظاً من قبل ساكني تلك المدن باعتبارها آمنة جداً، ومن بين ردود الأشخاص أو المواطنين على تلك الترهات؛ قال أحدهم:

"اختيار الخرطوم ضمن الخمسة فيها غرض واضح خبيث، وهو عرقلة رفع الحظر الاقتصادي؛ لأنها من أكثر العواصم استقراراً في العالم وذلك بشهادة البعثات الدبلوماسية".

وقال آخر:

"تصنيفات سخيطة وخسيصة وغير واقعية تستهدف بلدانا بعينها مثلاً الجزائر العاصمة بها كل وسائل النقل الحديثة من مترو وترامواي وتيلفريك، لأکید من قام بهذا التصنيف لا يعرف أين تقع الجزائر أصلاً!"

(1) روجيه جارودي-حفارو القبور..ص 72:74

بينما قال ثالث:

"يخربون ويزرعون فيها الثورات ويسرقون ثرواتها ثم يضعون لك تقريراً أنها أسوأ مدن للعيش!"

وقال رابع:

"الخرطوم بلدي ويمكن أن تعيش فيها عموماً وما ذكر المقال عن بلدي خاطئ جداً".

بينما قال خامس... وقد قضى أمره!

"أينما ذهب الإسلام وجد الخراب والدمار والطائفية والاستبداد والتخلف والإرهاب والهوس الجنسي والانحطاط."⁽¹⁾

- وفي تقرير نشرته وكالة إعلام Rt العالمية لأكثر الشعوب كسلاً، عن دراسة أجرتها جامعة ستانفورد الأميركية شملت نحو 717 ألف رجل وامرأة في 111 دولة حول العالم، وقد حلت السعودية في المرتبة الثانية عالمياً وقطر سادساً ومصر تاسعاً والإمارات في المرتبة الـ11 والكويت في المرتبة السابعة وجاءت العراق في المرتبة الـ14. كالعادة لم تلق قبول ورضا الكثيرين الذين اعتبروها غير دقيقة أو هي غير صحيحة بالمرّة، أما أغلب الردود فصدمت بكون مصر في القائمة أصلاً وليس كونها تحتل الصدارة.

- شركة (إيبوس موري) البريطانية لدراسات السوق تصدر سنوياً -بناءً على مجموعة مقاييس معينة- تقريراً تحدد فيه مدى جهل الدول وقد أصدرت تقريرها لعام 2016 الذي نشرته صحيفة الإنديبننت وبناءً على المسح الذي أجري على سكان 40 دولة

⁽¹⁾ التقرير، بالإضافة إلى التعليقات، مقتبسة من موقع راديو سوا

بواقع يتراوح بين 500 و1000 شخص/ دولة؛ وقد جاءت الولايات المتحدة من بين أكثر من 5 دول جهلاً بالعالم وحلت ماليزيا من ضمن الدول الأقل جهلاً وكان ترتيبهم كالآتي:

- الهند.
- الصين.
- تايوان.
- جنوب أفريقيا.
- الولايات المتحدة.
- البرازيل.
- تايلاند.
- سنغافورة.
- تركيا.
- إندونيسيا.
- المكسيك.
- كندا.

- أما عن حرية المرأة المزعومة؛ فهي تكمن في استخدام أو جعل المرأة كأداة للدعاية والاستعراض والشهوة.. أما الإسلام فقد ظلم المرأة؛ لأنه ألبسها لبس العفة وغطى شعرها وجسدها وأحصن فرجها.. وألبسها زي الإرهاب: ذلك النقاب وذلك الجلباب وهو بذلك -الإسلام- ضد حرية وحقوق المرأة!!!

"كيف نسخر من المسلمين لأنهم يتزوجون أربعة نساء ونحن
نسمح بزواج الشواذ ونسمح بممارسة الفاحشة مع الحيوانات".
الكاتب الاميركي (هنري ماكوكو)

وشهد شاهد من
أهلها.. وهي الكاتبة
الصحافية (جوانا
فرانسيس) في خطاب لها
للمرأة المسلمة بعنوان

(لا تحتقري). وقد نقلته عدة صحف من بينها النهار؛ حيث قالت:

إن هناك من يحاول إغراءكن بالأشرطة والموسيقى التي تدغدغ أجسادكن مع بعث صورة غير لائقة للأميركيات كذبًا، ويقولون عنا إننا سعداء وراضون ونفتخر بلباسنا مثل لباس العاهرات وإننا قانعون دون أن يكون لنا عائلات، مضيعة "إننا الملايين ممن يتناولون أدوية ضد الاكتئاب ونكره أعمالنا ونبكي ليلاً من الرجال الذين قالوا إنهم يحبوننا ثم استغلونا بأنانية وتركونا. إنهم يريدون تدمير عائلاتكم ويحاولون إقناعكن بإنجاب عدد قليل من الأطفال.. إنهم يفعلون ذلك بتصوير الزواج على أنه شكل من أشكال العبودية، وإن الأمومة لعنة وإن الاحتشام والطهارة عفا عليهما الزمن وهي أفكار بالية.. وبالنسبة للنساء الأوروبيات؛ فقد تعرضن لعملية غسيل دماغ كي يعتقدن أن المسلمات مضطهدات؛ في الواقع نحن اللواتي يخضعن للاضطهاد، نحن عبيد الأزياء التي تحط من قدرنا ويسيطر علينا وزن أجسامنا، ونتوسل للرجال طلبًا للحب، والرجال لا يريدون أن يكبروا ونحن ندرك في أعماقنا أننا خدعنا؛ لذلك نحن معجبون بكن وأنتن مثار حسدنا رغم أن البعض منا لا يقررون ذلك.

هنري مأكوكو

رجاءً لا تنظرن باحتقار لنا أو تفكرن بأننا نحب الأشياء كما هي عليه؛ فالخطأ هو عندما كنا صغارًا لم يكن لنا آباء للقيام بحمايتنا لأن العائلات جرى تدميرها.. وأنتن تدركن من وراء هذه المؤامرة. أخواتي لا تنخدعن فلا تسمحن لهنم بخداعكن، ولتظل النساء عفيفات طاهرات، نحن المسيحيات يتعين علينا رؤية الحياة كما ينبغي أن تكون بالنسبة للنساء.. نحن بحاجة إليكن لتضربين مثلاً لنا؛ نظرًا لأننا ضللنا الطريق.. إذن تمسكوا بطهارتكن ولتتذكروا أنه ليس بالوسع إعادة معجون الأسنان إلى الأنبوب؛ لذلك لتحرص النساء على هذا المعجون بكل عناية".

يضيف أنور الجندي في (عطاء الإسلام الحضاري) مؤكداً تلك الفكرة قائلاً إنه:

منذ أن بدأت سلاسل الاستعمار الأجنبي وانهلال النفوذ الأجنبي تسيطر على المجتمع وتطوقه، كان في تقدير دهاقنة الاستعمار أن تكون مسألة المرأة من الأسلحة النافذة في هدم الأسرة وتدمير المجتمع الإسلامي، وكانت من بين أربع دعوات عمل لها:

1. هدم القيم الأخلاقية.

2. إفساد الأسرة.

3. إفساد التعليم.

4. ضرب اللغة.

وكانت قصة تحرير المرأة -أو بالأحرى (مؤامرة) تحرير المرأة- من أبرز ما عمل له النفوذ الأجنبي في البلاد العربية والإسلامية بإزاحة الحجاب وإشاعة روح السفور وزرع طابع الاستهانة بالقيم الأخلاقية؛ ذلك أن الإسلام في الحقيقة هو الذي فتح للمرأة باب حريتها بعد عصور الظلام والظلمات (...). وقد تبين الآن أن مؤامرة تحرير المرأة حين يُنظر لها بعد أكثر من ثمانين عامًا ما يكشف عن سقوطها وفسادها وأنها كانت على حساب الأجيال الجديدة وأنها تتعارض مع:

أولاً: مع مسئولية المرأة الأولى؛ وهي بناء الأسرة والمنزل ورعاية الطفل.

ثانياً: أنها تتعارض مع تركيب المرأة الفيسيولوجي والعقلي والروحي والاجتماعي.. وأن الإسلام قد أحاط بهذا المفهوم الأصيل منذ أربعة عشر قرناً، وحرص على أن يجعله منطلق العلاقة الاجتماعية بين الرجل والمرأة وفي الأسرة والبيت وخارج البيت؛ ومن هنا فقد حرص النفوذ الأجنبي رغبة منه في تدمير الأسرة، وإخراج أجيال مدمرة حرص على إخراج المرأة إلى باحات اللهو والمتاع المحرم بدعوى التحرر؛ بالرغم أن الإسلام لم يمنع

المرأة من العمل إذا دعت إليه الحاجة بشرط أن يكون العمل مناسباً، وفي حماية أخلاقية كاملة فإنه جعل مهمتها الأولى هي حماية الأسرة وتربية الأجيال الجديدة (...).

وقد أعطى الإسلام المرأة من حقوق رفعها بها إلى مصاف المساواة للرجل ثم جعل المرأة عليها درجة القوامة فإذا عرفت ذلك وأمنت به تأكد لها أن الصورة التي قدمت لها عن تحرير المرأة كانت بمثابة خدعة كبيرة في محاولة لإخراج الفتاة المسلمة والمرأة

"إننا نخشى أن تخرج المرأة الشرقية إلى الحياة العصرية فينتابها الرعب لما تشهده لدى أخواتها الغربيات اللائي يسعين للعيش وينافسن في ذلك الرجل، من أمثلة الشقاء والبؤس الكثيرة أن تعلم المرأة يسائر كل المسيرة جميع تعاليم الدين وقد كان في عصر ازدهار الإسلام يفاض فيضاً على المسلمات وكانت ثقافتهم حينذاك أرفع من ثقافة الأوروبيات دون جدال -ومازالت- أيتين دينيه- أشعة خاصة بنور الإسلام

المسلمة من مسئوليتها الربانية التي أعدها الله تبارك وتعالى لها.⁽¹⁾

وعن حقيقة المساواة وعن حقيقة حرية المرأة الأميركية تقول جيسكا فالنتي (1978) الكاتبة والمدونة النسوية الأميركية: "جميعنا يسمع عن الأموال التي تتعرض لها النساء في الدول الأخرى: نحو الاتجار بالنساء في أوروبا الشرقية، وعادة ما تكون ردة فعلنا هي هز الرؤوس وإرسال الإيميلات أو الأموال.. بالطبع أنا لا أعارض هنا إدانة الأعمال الوحشية التي تتعرض لها النساء في الخارج؛ ولكن الكثير منا في الولايات المتحدة تجاهل الظلم الذي تتعرض له نساؤنا. أن النساء الأمريكيات يعانين تحت ظل الوهم الجماعي أن المرأة في أميركا قد حققت المساواة، ولماذا؟ طالما أن هذا الوهم شعور جيد. نحن نبكي مع أوبرا

(1) أنور الجندى-عطاء الإسلام الحضاري-انظر الصفحات 107، 108، 109

ونضحك مع تينا فاي، نعمل ونرعى أطفالنا، نشاهد وزيرة الخارجية هيلاري كلينتون وسفيرة الأمم المتحدة سوزان رايس بفخر.. ونتنفس الصعداء معتقدين أننا قد وصلنا لما نطمح إليه ولكننا في الواقع نحتفل بلحظة قوة وانتصار المرأة التي لا وجود لها. إنه سراب المساواة الذي خدعنا أنه الحقيقة (...) لقد حان الوقت لنتوقف عن خداع أنفسنا ونصرخ بقوة: "النساء في هذا البلد لا يتمتعن بالحقوق التي نعتقد أنها أصبحت من المسلمات"; فبعد كل هذه السنين لا يزال يتم العثور على جثث نساء أطلق عليهن النار في الشارع؛ ففي العام الماضي أطلق جورج سوديني النار في نادٍ رياضي خارج بيتسبرغ؛ ما أسفر عن مقتل ثلاث نساء وإصابة تسع أخريات بجروح، وقد علم المحققون من مدونات سوديني أنه يستهدف النساء على وجه التحديد.. وفي عام 2006 ذهب مسلح إلى مدرسة أميش في بنسلفانيا وأطلق سراح الأولاد وأطلق النار على حوالي اثنتي عشرة فتاة؛ ما أسفر عن مقتل خمسة منهن.. وفي نفس العام في ولاية كولورادو اعتدى رجل جنسيًا على ست طالبات احتجزن كرهائن في مدرسة ثانوية قبل أن يقتل إحداهن.

وليس فقط الغرباء الذين يقومون بقتل النساء؛ فقد قُتلت أكثر من ألف امرأة على يد أصدقائهن أو أزواجهن في عام 2005، وتُرتكب حوالي ثلث جرائم قتل النساء في الولايات المتحدة على يد الزوج أو الصديق.. وأحد الأسباب الرئيسية للوفاة بالنسبة للنساء الحوامل هي القتل على يد الزوج أو الصديق (...) وللأسف فحتى الحكومة تقلل من الأزمة التي تعيشها النساء الأمريكيات؛ فقد جاء في تقرير لوزارة العدل العام الماضي أن هناك 182000 حالة اعتداء جنسي ارتكبت ضد النساء في عام 2008؛ وهو ما يعني أن المعدل قد انخفض بنسبة 70% منذ عام 1993؛ ولكن أظهرت دراسة أجراها المركز الوطني للبحوث وعلاج ضحايا الجرائم أن منهجية وزارة العدل في التعامل مع الأسر كانت تشوبها الأخطاء (...).

"إن حالة النساء المسلمات الحاضرة أفضل من حالة أخواتهن في أوروبا حتى عند الترك، وإن نقصان شأنهن حدث خلافاً للقرآن، لا بسبب القرآن على كل حال. إن الإسلام رفع المرأة كثيراً -وهو- بعيد عن خفضها. ولم تكن أول من دافع عن هذا الرأي، فقد سبقنا إليه كثيرون". غوستاف لوبون-المستشرق والمؤرخ الفرنسي- حضارة العرب ص 404، 405

وقد ذكر المركز أن العدد الفعلي لاغتصاب النساء في الولايات المتحدة في عام 2008 كان أكثر من مليون حالة. تشغل النساء 17% من المقاعد في الكونجرس، الإجهاض قانوني، أكثر من 85% من المقاطعات في الولايات المتحدة ليس لها معيل! ما يضطر المرأة للعمل خارج المنزل وتقاضي حوالي 76 سنتاً مقابل دولار واحد للرجل.. وتشكل النساء الغالبية العظمى للفقراء في أميركا.. هذا الأمر بعيد كل البعد عن التقدم بل وباء من التمييز على أساس الجنس".

وهكذا يرونها أشهر مفكري وفلاسفة الحضارة المادية:

يقول القديس الكلمندس السكندري -أبو الفلسفة المسيحية الإسكندرانية:- "على كل امرأة أن تشعر بالعار عندما تتذكر أنها امرأة".

بينما قال عنها فريدريك نيشته -الأب الروحي للإلحاد:-

"المرأة فخ نصبه الطبيعة فإذا كنت ذاهباً للقائها خذ معك السوط".

وقال غوستاف لوبون -المستشرق والطبيب الفرنسي:-

"المرأة أقرب بيولوجيا للهمج أكثر منه الإنسان الحديث المتحضر؛ لكننا نستطيع أن نستوعب المرأة كاستثناء رائع لحيوان مشوه أدى نتيجة سلم التطور".

قال تشارلز داروين –صاحب نظرية التطور:-

"المرأة لا تصلح إلا لمهام المنزل وإضفاء البهجة على البيت؛ فالمرأة في البيت أفضل من الكلب للأسباب السابقة!" سيغسموند فرويد –عالم النفس النمساوي:- "المرأة لا تصلح إلا لإشباع رغبات الرجل".

القس توما الأكويني:

"المرأة هي خطأ من الطبيعة، تولد من حيوان منوي في حالة سيئة". وقال أيضًا:
"المرأة إنسان ناقص التكوين وكائن عرضي".

أما القديس يوحنا الدمشقي: فقال:

"المرأة حمارة عنيدة".

وقال عنها شوبنهاور:

"المرأة حيوان طويل الشعر وقصير الفكر".

قال جورج ميرديت:

"المرأة آخر شيء يمكن أن تصل إليه الحضارة".

"المرأة كالعقرب، تشق طريقها في الحياة، بأن تلدغ كل من يقف في طريقها" "أنا تول
فرانس وهي " آخر حيوان يستطيع الإنسان أن يأنس به "جورج ماردوت"

بينما قال سقراط في تعريفه للمرأة.. إنها:

"حيوان بليد أحمق ولكنه من بواعث الفرح والسرور".

وقال ميراو:

"نحن نجعل النساء ما يساوين ولذا فهن لا يساوين شيئاً".

بل وضرب في ذلك المثل فقيل في فرنسا مثلاً:

"النساء والخيول لا يخلوان من العيب والنقص أبداً".

أيضاً: "المرأة مثل الفرس دائماً تحتاج إلى...!"

وفي الروسية:

"الكلب أكثر فهمًا من الزوجة؛ فهو لا ينبج على صاحبه".

بل إنه من الطريف -والغريب في نفس الوقت- إنه في عام 589م عُقد في فرنسا

مؤتمر للبحث في: "هل المرأة إنسانة أو لا؟!".

وبعد مباحثات طويلة قرر المؤتمرون في النهاية أن المرأة إنسانة؛ لكنها خلقت لخدمة

الرجال.

وأصدر البرلمان الإنجليزي قرارًا في عصر هنري الثامن ملك إنجلترا يحظر على المرأة أن

تقرأ كتاب (العهد الجديد) لأنها تُعد نجسة.

هذه هي المرأة في بلد الحريات.. وهكذا يرونها -هي حرة بأن تخلع عنها ما تظهر

ما تظهر من جسدها.. ولكن الغطاء والحشمة جريمة إنسانية وإرهاب غير مسموح به!- لا

دور لها ولا حق أو حتي أي اعتبار وجودي. والغريب أنهم يقولون إن الإسلام لم يكرم المرأة

والأغرب أنه ضيق بهم ذرعًا واعتبروا أن الحجاب والسترة أداة لتقييد الحرية.. وأسمى

حقوقها -نعم فالحيوان لا يجب أن يغطي جسده!- والأكثر غرابة من كل ذلك أن نجد هناك من اغتروا بذلك، وغيبوا واقتنعوا بتلك "الحرية" الوهمية المزعومة؛ ليسايروا الحضارة والحداثة ويلحقوا بالركب المتقدم ويرضوا الرب: الغرب.. فتدنوا وتعروا وتغنوا بالحرية..! ذلك اقتناعاً منهم بأن الحضارة المادية -ومفكرها وفلاسفتها- كرموا تلك البائسة اليائسة اليابسة بأن دنوها لمنزلة أخط من أخط حيوان! وأن الإسلام لم ينصرها أو يكرمها؛ لأنه قال فيها الله تعالى:

"وعاشروهن بالمعروف".

"ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف".

"ومتعهن على الموسع قدره وعلى المفتر قدره متاعا بالمعروف..".

"أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم".

"ولا تضاروهن لتضييقا عليهن".

"فآتوهن أجورهن فريضة".

"وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون...".

"وللنساء نصيب مما اكتسبن".

"وآتوهم من مال الله الذي آتاكم".

"وأنتم لباس لهن".

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "استوصوا بالنساء خيراً" وقال: "إنما النساء شقائق الرجال".

"الجنة تحت أقدام الأمهات".

والكثير والكثير من ذلك، وتلك الآيات والأحاديث التي قد "فهم" منها أولئك المغيبون المضلون مدى اضطهاد الإسلام للمرأة وسلب حريتها وحقوقها!

التي "أحقها" لها المجتمع الأميركي كاملة -بعولته وعلمانيته-.. نذكر منها على سبيل المثال -خلافًا لما ذكرنا:-

-في دراسة أميركية أجريت عام 1987 أشارت إلى أن 79% من الرجال يقومون بضرب النساء خاصة إذا كانوا متزوجين منهن. واعتمدت الدراسة على استفتاء أجراه الدكتور (جون بيرير) أستاذ مساعد لمادة علم النفس بجامعة كارولولينا الجنوبية. وفي دراسة أعدها المكتب الوطني الأميركي النفسي جاء فيه أن 17% من النساء اللواتي يدخلن غرف الإسعاف هن ضحايا ضرب الأزواج أو الأصدقاء. وأن 83% دخلن المستشفيات سابقًا مرة على الأقل للعلاج من جروح وكدمات كانوا قد أصبن بها نتيجة للضرب. وقال (أفان ستارك) معد هذه الرسالة التي فحصت 1360 سجلًا للنساء في المستشفيات: "أن ضرب النساء في أميركا ربما أكثر الأسباب شيوعًا للجرح التي تصاب بها حوادث النساء، وأنها تفوق حتى ما يلحق بهن من أذى نتيجة حوادث السيارات والسرقة والاعتصاب مجتمعة". وأكدت الدكتورة (أنا فليتكرافت) التي أسهمت في وضع هذه الدراسة: "أن ضرب النساء هو أحد حقائق المجتمع الأميركي ومشكلة اجتماعية واسعة الانتشار". وحسب تقدير الوكالة المركزية للفحص والتحقيق (F.P.T) فإن هناك ضرب للنساء في أميركا بنسبة زوجة واحدة تضرب كل 18 ثانية. وحسب استطلاع للآراء أجراه معهد (إنفاس) للإحصاءات بطلب من مجلة (شتيرن) الألمانية الأسبوعية: تخاف النساء بصفة خاصة من التجول في أماكن مقفرة، أما القاطنات في المدن الكبرى فيخشى نصفهن من المرور عبر الحدائق العامة، كما تشعر 33% من هذه الفئة بالخطر في محطات المترو، ولا يشعر 20% بالاطمئنان حتى أثناء السفر في وسائل النقل هذه ليلاً. بينما تذكر الدكتورة

ليندا لوناد وسكي -الأستاذ المساعد بجامعة جون هوبكنز- بدراسة لها أن حوالي 4.4 ملايين امرأة يتعرضن للإيذاء البدني أو الإيذاء الجنسي سنوياً.

وتقول إن خلال كل 15 ثانية هناك امرأة في الولايات المتحدة تتعرض لنوع ما من الاعتداء البدني أو الجنسي أو العاطفي، وفي تقرير صادر عن (هيومن رايتس ووتش) بتاريخ 2012/5/16 كانت قد قررت أن مئات الآلاف من العمال الزراعيين من النساء والأطفال في الولايات المتحدة يواجهون خطراً كبيراً بالتعرض للعنف الجنسي والتحرش في أماكن العمل؛ لأن السلطات وأصحاب العمل الأميركيين يفشلون في توفير الحماية لهم. التقرير جاء في 95 صفحة بعنوان: "زراعة الخوف: تعرض العاملات الزراعيات المهاجرات في الولايات المتحدة للعنف الجنسي والتحرش". حيث يصف أعمال الاغتصاب والملاحقة والملامسة غير المرغوبة واللغة السوقية والبذينة التي يستخدمها المشرفون وأصحاب العمل وغيرهم في مواضع السلطة مع العاملات. معظم العاملات الزراعيات اللاتي تم إجراء مقابلات معهن يقلن إنهن تعرضن لمثل تلك المعاملة أو يعرفن أشخاصاً آخرين تعرضوا لها ويقول معظم هؤلاء إنهن لم يتحدثن عن تلك الانتهاكات وغيرها في أماكن العمل؛ خوفاً من تعرضهن لأعمال انتقامية.

-بالإضافة التي تقديمها كواجهة دعائية رخيصة في وسائل الإعلان -سواء الغربية أم العربية على السواء- فحسب بحث ماجستير الباحثة جيهان البيطار (حول أخلاقيات الإعلان) قد جاء فيه: 93% تستخدم السيدات، 73% منها يتم تقديمها من خلال حركة المرأة أكثر من النصف يحتوي على إثارة في المضمون.

-في تقرير لمركز الضحايا الوطني الذي يناصر حقوق ضحايا جرائم العنف ذكر أن معدل الاغتصاب في الولايات المتحدة يبلغ 3:1 امرأة بالغة في الدقيقة الواحدة أي 68000 امرأة سنوياً. وأضاف المركز أن واحدة من بين كل ثماني بالغات في الولايات المتحدة تعرضن للاغتصاب ليكون إجمالي من اغتصبن اثنتي عشرة مليوناً ومائة ألف

امرأة على الأقل. ويشير المسح إلى أن 61% من حالات الاغتصاب تمت لفتيات تقل أعمارهن من 18 عامًا وأن 29% من كل حالات الاغتصاب تمت ضد أطفال تقل أعمارهن عن 11 عامًا.

وأظهرت الأرقام زيادة معدل الاغتصاب عن العام الذي سبقه بنسبة 59%. والغريب والطريف في نفس الوقت ونظرًا لزيادة نسب الاغتصاب؛ فإن هناك سيارة طبية تجوب شوارع مدينة نيويورك، وهي عبارة عن مختبر معلمي متنقل لفحص الحمض النووي؛ وذلك لإثبات نسب الآباء لأبنائهم المطعون في نسبهم.. والمثير للسخرية أن تلك السيارة تحمل اسم (من أبوك؟)؛ فإن نسبة الأولاد الذين وُلدوا خارج دائرة الزواج في أميركا بلغت في عام 1990 نسبة 28%؛ إلا أنها ارتفعت إلى 35.5% في عام 2001 –وهي في زيادة مطردة مع الحرية والمساواة والحدثة!- أي أن أكثر من ثلثي الأولاد في أميركا لم يولدوا من علاقة زوجية شريفة!

وهذا يقودنا إلى حقيقة وجريمة -بل جرائم- أكبر سواء إنسانية أم اجتماعية أم أخلاقية.. كالسرقة والتشرد والتفكك والقتل والسجن وممارسة الدعر والجنس والفقر وقلة فرصة تعليمهم.. بالتالي عدم مشاركتهم في الحياة الاجتماعية بسبب "غباؤهم".. بالتالي ينجبون من لديهم مجرمين وتكرر.. وتكرر هكذا دواليك العملية: لذا فالحل هو القضاء على أولئك "الضعفاء"...! "إنها حرب قتل هستيري مباشر لكنها في أغلب الأحيان

"عندما تكون المرجعية هي المصلحة وحفظ الذات، ومذهب اللذة، وعندما يسيطر علي المجتمع الصراع من أجل البقاء.. فستهلك الحضارة. إن ما كان فسقًا بالأمس، أصبح مقبولاً اليوم، لقد كانت الإباحية الجنسية والإجهاض والتمييز العنصري وإفساد البيئة خطايا الأمس، ثم السكوت عنها، ثم أصبحت اليوم مقبولة". د. عمر شريف الإلحاد
مشكلة نفسية ص 224

قتل للأرواح والفرص ومفاقمة لبؤس المعوزين وذوي الحاجات وتسعير لنار الكراهية والحدق على الفقراء والمستضعفين وهي -أيضاً- حرب أمانات وزرايات وقذف وشائعات تتهم الفقراء بفساد الدم وسوء الطوية وتنغيص عيش الآلهة، وتلومهم على ما يشكون منه ويعانون بل وما يشكو منه المجتمع الأميركي ويعاني، وتدعو إلى القسوة في معاملتهم وترممهم بأنهم لا يستحقون المساعدة ولا يستأهلون الشفقة والإحسان لأنهم "بلا أخلاق". كذلك يعرض غانس فلسفة الحرب التي تشنها ضواري (ثروة الأمم) على الفقراء والمستضعفين في أربع نقاط:

أولاً: إنهم شذوا بسلوكهم عن طريقة الحياة الأميركية السائدة واعتنقوا قيماً بذيئة: فصاروا يعرفون بالذين "لا يستحقون" المساعدة والإحسان.

ثانياً: إنهم "لا يستحقون" لأنهم كسالى صرفوا وجوهم عن العمل وما قدروا حق أهميته ومتطلباته حق قدرها وهذا ما جعلهم مجرمين خطرين على أنفسهم وأهلهم والعالم من حولهم.

ثالثاً: نساء هؤلاء موبوءات بنزعة رذيلة إلى النكاح المبكر وإنجاب الأطفال وهن مراهقات ولو أنهن انتظرن حتى يكبرن ويعملن لدفعن عن أنفسهن وأطفالهن عائلة الفقر.

رابعاً: إذا لم يغيروا قيمهم وسلوكهم فلا بد من إرغامهم على ذلك بكل الوسائل الممكنة.⁽¹⁾

من بين تلك الوسائل، قتل المريض لا المرض واستئصالهم من الوجود عن طريق: (تعقيم 14 مليون أميركي). بهذا العنوان صدرت صحف ومجلات إمبراطور الإعلام ويليام

⁽¹⁾ منير العكش-أميركا والإبادة الجنسية. ص 17، 18

هيرست في أواخر سبتمبر 1915 منذرة بخطر الحرب الأميركية على المستضعفين في الأرض وتدمير نسلهم في الأرحام ومحذرة من أن الطبقات الحاكمة ترسم مستقل أميركا والعالم بالدم.

ثم في 14 أكتوبر كتبت صحيفته (سان فرانسيسكو ديلي نيوز) افتتاحية بعنوان: "من أين نبدأ" جاء فيها:

ملايين السيدة هاريمان أرملة متعهد السكك الحديد مضافة إلى ملايين روكيفلر وكارنيجي -رجلي الأعمال الشهيرين- ستخصص لتعقيم مئات الاف الأميركيين من "ضعاف العقول" سنويًا بهدف تحسن النسل! صحيح إننا لا نعرف ماذا ستفعل ملايين هؤلاء الموسورين المتنفذين للناس العاديين لكننا نعرف أن أموالهم تشتري حكومات الولايات المتحدة وتخرق الدستور وتحتفظ بسلح خاص لقتل الرجال والنساء والأطفال وإذا استسلمنا لمثل هذا الجنون فأننا لن نتفاجأ أبدًا إذا ما شرعوا يومًا في تعقيم كل من يكرهون من البشر".⁽¹⁾

يقول رئيس المحكمة العليا وندل هولمز: "أولى بنا أن نقتل هؤلاء المنحطين في الأرحام لتجنب إعدامهم عندما يخلقون ويصبحون مجرمين أو فقراء معوزين يجوعون بسبب غبائهم". بينما تقول مارغريت سانغر.

- أحد أقطاب الداروينية الاجتماعية في أميركا، والمؤسسة لمؤسسة (تنظيم الأسرة) ومن الزعيمات المحدثات لحركة التمرکز حول الأنثى- إنه: "أرحم ما تفعله الأسرة الكبيرة لواحد من أطفالها هو أن تقتله".⁽²⁾ وتقول -أيضًا-: "إن هدفنا هو الإشباع الجنسي

(1) المصدر السابق ص 9، 10

(2) المصدر السابق ص 23

اللامحدود دون عبء إنجاب أطفال غير مرغوب فيهم. أن فراش الزوجية هو أخطر ما يهد تماسك ونظام المجتمع".⁽¹⁾

وهنا يقول د. عبد الوهاب المسيري:

حينما وصلت إلى الولايات المتحدة وجدت أن التصور البسيط الذي آمنت به لا

"من أجل الحفاظ على استقرار سكان العالم
يجب علينا القضاء على 350000 شخص في
اليوم"! جاك كوستو

يفسر الأمور.. لاحظت إقبال
الأميركيين النهم وانشغالهم
المتطرف وأحياناً المرضى
بالجنس، إلى درجة انتشار
حوادث الاغتصاب بالرغم من أن
مجال الإشباع الجنسي متاح
أمامهم بشكل ديمقراطي قانوني مذهل!

(وهو ما سميته فيما بعد "ديموقراطية اللذة") الأمر الذي كان يحيرني كثيراً في بادئ الأمر. أن بعض الناس يمارس رغباته الجنسية كإنسان مدمن للخمر.. وإنما للجنس؛ فيمارسه بشراهة لكن دون متعة حقيقية.

- وهو ما أشبه بالحيوان- (...) لم يدرك كثير من الأميركيين أن الجنس مسألة إنسانية مركبة خاصة، وأنها مرتبطة برؤية الإنسان للكون وهويته الفردية وعدم إدراكهم لهذه الحقيقة البسيطة هو أحد أسباب عدم الارتواء الجنسي (...). لا شك أن هناك علاقة بين إنسانية الإنسان وبين تصاعد رغبته الجنسية؛ فكلما ضمّر شعوره بإنسانيته ازداد السعار الجنسي كمحاولة لتعويض الإنسان عن اختفاء عالم الأحلام؛ إذ أن الجنس هو البديل المادي والمباشر للمدينة الفاضلة، وكلما ازداد العالم

⁽¹⁾ عمرو شريف- الإلحاد مشكلة نفسية - ص 242، 243

نسبية وتوارى المطلق ازداد السعار الجنسي أيضاً؛ إذ إن الجنس يزود الإنسان بمركز ومطلق مؤقتين في عالمه النسبي الذي لا مركز له ولا مطلقات فيه.. إنه ميتافيزيقيا من لاميتافيزيقيا له أو ميتافيزيقيا من لا يود أن يحمل أي أعباء إنسانية أو أخلاقية (...)

حاولت مجموعة الهبي أن تجعل الثورة على المجتمع ثورة جنسية؛ وذلك بأن تجعل التحرر الحقيقي تحرراً جنسياً كاملاً، ولكن المفارقة الكبرى هي أن تحقق هذه الرؤية.. يعني أن يصبح الإنسان مسلوب الإرادة لا حول له ولا قوة يسير حسبما توجهه غرائزه - ثم يضيف د/ عمرو شريف متسائلاً:- هل من الغريب بعد ذلك أن أصبح الزنا والخيانة الزوجية وانتشار الاغتصاب والشذوذ والتحرش واستخدام الأطفال جنسياً مشكلات متوطنة في المجتمعات الغربية؟ هل من الغريب أن يصبح البغاء حرفة معترف بها، وأن يطلق على العاملات وللعاملين فيه عامل/ عامل جنس، وأن يحصلن على الجوائز من مؤسسات مجتمعية لإتقانهن القيام بعملهن؟ وهل من الغريب أن تبدأ ممارسات الجنس قبل سن العاشرة وأن تحمل فتيات في سن الثانية عشرة؟ باختصار إذا نظر الإنسان لنفسه باعتباره حيواناً؛ فلا شك أنه سيسلك كحيوان وعندها يصدق عليه قول نيتشه: لقد عاد الإنسان البربري إلى الحياة، ولا يمكن أن يتبنى هذا الإنسان ديناً إلا الإلحاد -مضيفا- بعد أن انحدر الجنس إلى أدنى مستوياته وأصبح مجرد غريزة حيوانية بعد أن فقد ما يرتبط به من قيم -الحياء والأخلاق والشرف...- وفقد دوره كرباط للأسرة أخذت المجتمعات المادية تروج عن طرق كل المنابر (المدرسين، السياسيين، الإعلاميين، مسؤولي الدعاية الصحية...) أن الجنس قبل الزواج غير ضار! فكانت النتيجة أن مارس 50% من الشباب الأمريكي الجنس قبل الالتحاق بالجامعة كما مارس 17% من الصغار الجنس قبل سن الثالثة عشرة وأصبح 10% من هؤلاء الفتيات الصغار حوامل!

ثم يضيف متسائلاً:

- هل حقيقة أن ممارسة الجنس قبل الزواج غير ضارة كما يروج الملاحدة - والعلمانيون، والذين ينادون بالحرية والتحرر؟

فلنراجع هذه الإحصاءات الأميركية التي ترجع إلى عام 2007:

- يعاني 65 مليون أمريكي أعراضاً جنسية، ويعاني واحد من كل أربعة بالغين أمريكيين مرضاً جنسياً.

- تحدث ثلث الأمراض الجنسية تحت سن الخامسة والعشرين.

- يعاني ثلث الفتيان والفتيات الأمريكيات الثلاثين الجنسية.

- يصاب 12 مليون أمريكي كل عام بمرض جنسي.. منهم 1.3 مليون حالة سيلان.

- تصاب كل عام 60.000: 100.000 فتاة بالعقم نتيجة لأمراض جنسية. كما تحدث حالات من الحمل غير المرغوب فيه ويتم اللجوء إلى الإجهاض -وهو مقنن شرعاً!- وفي الولايات المتحدة يتم إجهاض 400.000 فتاة تحت سن العشرين سنوياً وتحمل خمسين مرة أخرى.

- أما عن تدريس الجنس؛ فإنه ينطلق تدريس الجنس في المدارس في المجتمعات المادية من قاعدتين أساسيتين: الأولى: أن الجنس "ممارسة بيولوجية" يتم قبولها أو رفضها تبعاً لرؤية نسبية تختلف من مجتمع لآخر والقاعدة الثانية: أن الممارسة الجنسية بين البالغين مقبولة طالما رضيا ذلك. أن نظرة سريعة لعناوين بعض الفصول في الكتب المدرسية ترينا كيف يتم تدريس الجنس في ظل هذه الفلسفة: الجنس قبل الزواج، الجنس دون الزواج، الجنس الجماعي، الجنس غير التقليدي (الشذوذ الجنسي)، الاستمناء باليد، ممارسة الجنس بالأجهزة والأجسام الصلبة!! يأتي بعد ذلك تدريس: منع الحمل، الإجهاض، التعقيم.. كل ذلك دون أي نظرة قيمية ترتبط بما يدرس!

- أما عن الإجهاض- لدينا الإحصاءات الأميركية أن حالة من كل أربع حالات حمل يتم إجهاضها ويكون ذلك بمعدل حالة كل 22 ثانية أي 3600 : 4200 حالة يوميًا.. وهو ما يعادل 1.4-1.6 مليون حالة كل عام. وهذا يعني وجود أكثر من 40 مليون حالة إجهاض منذ عام 1973 وحتى مدخل القرن الحادي والعشرين.. وإذا كانت أحداث مركز التجارة العالمي قد قتلت 3000 شخص، وقامت من أجلها الدنيا وقامت الحروب فإن من يقتل بالإجهاض المتعمد دون سبب طبي في اليوم الواحد في الولايات المتحدة يفوق هذا الرقم!

(1)

(أميركا تصلح أن تكون "ورشة العالم" فتؤدي وظيفتها علي خير ما يكون أما أن يكون العالم كله أميركا، فتلك كارثة الإنسانية بكل تأكيد) سيد قطب.

وبالطبع إذا كان رب البيت بالدف ضارب فشيمة أهل البيت كلهم الرقص. فالكل يرقص لأن رب البيت كان طبألاً! فإنه: "لم يكن ما يُسمى بآباء أميركا المؤسسين بأحسن حالاً فبنيامين فرانكلين "مخترع فكرة

الأمّة الأميركية" مثلاً، اغتصب امرأة سوداء حملت منه طفلاً وقد أجبر زوجته على رعايته في البيت بينما اضطرت أم الولد للعمل في بيت فرانكلين لتبقى قريبة من طفلها".⁽²⁾

- أما توماس جيفرسون، الرئيس الثالث للولايات المتحدة؛ ففي عام 1802 اغتصب جاريته وتُدعى (سالي همينجز) وأنجب منها 6 أطفال.

-وجروفر كليفلاند، الرئيس الـ22 والـ24 للولايات المتحدة كان على علاقة غرامية مع أرملة تُدعى (ماريا سي هالين) التي أنجب منها طفلاً غير شرعي.

(1) المصدر السابق-انظر الصفحات 238:246

(2) منير العكش-أميركا والإبادة الثقافية: ص 32

هناك مصطلح في علم النفس يُسمى (الإسقاط) وهو كما يعرفه (سيجموند فرويد) نفسه أنه: حيلة دفاعية ينسب فيها الفرد عيوبه ورغباته المحرمة والعدوانية أو الجنسية للناس حتى يبرئ نفسه ويبعد الشبهات عنها. يعني أن يسقط الإنسان مكبوتاته (الحرمان العاطفي، النقص العلمي والمعرفي، عدم الثقة في قيمته الإنسانية...) على الآخرين. ويرى فرويد أن الإسقاط حيلة لا شعورية للأنا: حيث ينسب الشخص إلى غيره ميولاً وأفكاراً مستمدة من خبرته الذاتية من دون أن يعترف بها في نفسه. فهي عملية (هجوم) لا شعوري يحمي بها الفرد نفسه بالصاق عيوبه ونقائصه ورغباته المحرمة بالآخرين.. وبناءً على ذلك وبالرغم عما سبق ذكره في النبذة القصيرة عن حال المرأة و"حقوقها" في المجتمع الأميركي فإن (المصري اليوم) نشرت في عدد الثلاثاء بتاريخ 2013/11/12 نقلاً عن رويترز أن مصر يلحقها العراق ثم السعودية وسوريا واليمن أسوأ البلدان التي يمكن للمرأة أن تعيش بها.. من حيث العنف والحقوق.

- وفي تقرير نشره موقع pornMD عن أكثر الدول تصفحاً للمواقع الإباحية وجاءت باكستان بالمرتبة الأولى، ومصر بالمرتبة الثانية، وإيران بالمرتبة الرابعة، والمغرب في المرتبة الخامسة، والسعودية في المرتبة السابعة، وتركيا بالمرتبة الثامنة على مستوى العالم. لم تثرني الدهشة أن الولايات المتحدة لم تتصدر القائمة -إن لم تكن لم تذكر- أكثر من كونه أن معظم تلك البلدان المذكورة تحظر وتحجب المواقع الإباحية أصلاً!

-أما في دراسة نشرها مركز دراسات كاتيخون عام 2015 عن أعلى معدلات الاغتصاب في ذلك العام وكانت بالترتيب:

- الولايات المتحدة.
- الهند.
- جنوب أفريقيا.
- المكسيك.

- كندا.
- ألمانيا.
- السويد.
- تايلاند.
- بلجيكا.

أما في التقرير الذي نشره موقع Nation master عن أعلى 100 دولة ينتشر فيه الاغتصاب؛ فقد جاءت الولايات المتحدة في المرتبة الثانية بينما كانت الدول العربية في ذيل القائمة.

- منذ أيام -أو كان ذلك البارحة، لا أتذكر، على وجه التحديد- كنت قد قرأت خبراً في أحد الصحف عن فتاة أميركية تدعى (إيميلي لانس)، وقد أقدمت تلك الفتاة على التبول على علم بلادها في فيديو كانت قد نشرته على صفحتها الشخصية على الفيسبوك في يوم ذكرى الـ 241 لاستقلال الولايات المتحدة، فتلقت تهديدات بالقتل والاغتصاب! ما دفعها للتنديد بمن يسلبوها حريتها في التعبير عن وجهة نظرها وعلقت الفتاة التي تنحدر من ولاية بنسلفانيا على الفيديو الذي نشرته قائلة: "اللعنة على وطنيتكم، اللعنة على بلدكم، اللعنة على علمكم الملعون". وبعد تعرضها لجملة انتقادات واسعة طالبت (لانس) من يخالفونها الرأي بعدم صب جم غضبهم على أطراف لا علاقة لها بما فعلته -في إشارة إلى أفراد عائلتها الذين تعرضوا لمضايقات في أماكن عملها- وقالت في منشور لها على موقع التواصل الاجتماعي (فيسبوك): "البعض مستعد لارتكاب جريمة قتل من أجل علم. من المؤسف ألا يعرف الناس أن أدمغتهم تعرضت للغسل.. هل أنا مقرفة لأنني تبولت على رمز؟! انظروا إلى أنفسكم أنتم ترمزون إلى كل ما هو خطأ!".

فإن كانت أميركا -أو الحضارة المادية الحديثة- تحقق تقدماً في شيء واحد أو شيئين فهما التغلف والإرهاب. فما المقصود بذلك التحضر المزعوم في -إذا ما سميناهما تجاوزاً- الحضارة الحديثة إذن؟

الرأسمالية، أي المال -وإن كان يأتي بطرق غير شرعية بحتة- وهنا يجب أن نفرق بين مصطلحي "الغنى" و"التحضر"؛ فالمال لا يعني أنني متحضر بل لا يعني شيئاً سوى أنني "غني"!

"لقد تحول الإنسان الغربي تدريجيًا بعد عصر التنوير عن سؤال "لماذا نعيش؟ إلى سؤال "كيف نعيش؟" واحتلت "وسائل الحياة" مكان "أغراض الحياة" لتصبح أرض هذه الدنيا سجن هذا الإنسان ومنتهى بصره، ولتغدو مواجهة المشقة في حياته إلى معاناته؛ إذ إن هذه المعاناة مبرأة في حسه من كل غاية ومقطوعة الوشيحة بكل نهاية" د. سامي غامري مشكلة الشرووجود الله.



الجزء الثالث

العلم

مقدمة

يعتقد ويدعي الكثير من الناس أن الإسلام لم يحث إلا على طلب العلم الشرعي، أو بمعنى أدق فضله على العلوم الإنسانية، أو بمعنى أكثر دقة لم يحث على طلب العلم أصلاً! بل راح بعض المستشرقين ومنتوري.

- علماني- الغرب والشرق على السواء إلى أن بعض علماء الإسلام كفروا بعض العلوم وحرموها والبعض الآخر ادعى أن بعض أبرز علماء الإسلام كفروا وألحدوا واتهموا ورموا بالزندقة! ولكن في حقيقة الأمر لم يكن هناك عالم مسلم واحد ملحد، ذلك إذا كان الإلحاد يعني عدم الإيمان بالله: أما عن التكفير والزندقة فذلك لا يعني بالضرورة أن المحكوم عليه "مذنب" أو "متهم" ولكن -هذا يعني - ويقع مكنون ذلك في أنه:

- أنكر بعض هؤلاء العلماء بعض المفاهيم الثابتة والمسلم بها بين الناس.

- كما أن هؤلاء العلماء المسلمين كانوا وسيطاً لفترة انتقالية عصرية؛ فتحولوا من الدين للدنيا ومن علم الدين إلى علم العالم -بعد أن كان لا يوجد اهتمام إلا بعلوم الدين فقط- وتلك وسيلة لمعرفة الله والإيمان به. وبالتالي لمعرفة حال هؤلاء وفهمه يمكن الاطلاع إلى حال الدكتور مصطفى محمود، العالم، المسلم، العصري.. عندما جاء بمفاهيم علمية وربطها بالدين، وفتح باب الاجتهاد فيه -في القرآن- فرمي وقتها بالإلحاد والزندقة فقط لأنه فكر وتدبر وفتح باب الاجتهاد الذي ظل مغلقاً لعقود طويلة. وكذلك

فعل علماء الإسلام، كانوا حدثيين بمعنى أنهم ربطوا الدنيا بالدين؛ وهذا ما أدى إلى ولادة الحضارة الإسلامية وهذا سر تميزها وتفردتها. ولطالما أن كل جديد غريب؛ فوصموا (بالبعد عن الدين) بالتالي فهم ملحدون!

- الخوض في الفلسفة الوثنية والاجتهاد في تفسير الأمور الغيبية (الميتافيزيقية) كمن أنكر عودة الأجسام بعد الموت، وقال إن الأرواح فقط هي التي تعود (كابن سينا)، ومنهم من قال بفكرة الفيض عن الله (كالفارابي).. وما إلى ذلك.

- أما ابن الراوندي.. وكما عرف به يوسف زيدان، في مقال له بعنوان (أحفاد ابن الراوندي)، الذي نشر بمجلة أكتوبر في 1994/3/27؛ فقد:

كان ابن الراوندي في أول الأمر يهوديًا، وسرعان ما أعلن إسلامه ليدخل في نطاق عزة الإسلام، ويستظل بظل الدولة العباسية، التي كانت -آنذاك- في أوج مجدها.. ووجد ابن الراوندي أن فرقة المعتزلة هي أكثر الفرق الإسلامية اقترابًا من الخلفاء العباسيين؛ فصار معتزليًا! وألّف مجموعة من الكتب على هذا المذهب.. لكن المعتزلة لم يفسحوا له مكانًا لائقًا بينهم، ولم يعطوه ما كان يطمح إليه، فانقلب عليهم وهاجمهم في كتاب مشهور له عنوانه: "فضيحة المعتزلة" (نقض فيه كتاب الجاحظ: فضيلة المعتزلة!). وقام المعتزلة بالهجوم على ابن الراوندي وأوغروا صدر الخليفة ضده، فهرب والتجأ لأعداء الدولة من الشيعة الباطنية، وألّف لهم كتابًا ضد مذهب أهل السنة، نظير مبلغ 33 دينارًا! وكان عنوان الكتاب: في الإمامة.. وبعد فترة، شعر الراوندي أن الشيعة لن يحموه من السنة، وأنه من الممكن أن يتقرب للسنة مرة أخرى، فكتب كتابه: "في التوحيد".

ثم اكتشف ابن الراوندي أنه لم يحقق مآربه عند أهل السنة؛ فخاصمهم وانقلب على الشيعة أيضًا.. فخرج عن نطاق الإسلام بما فيه سنة وشيعة، ولجأ إلى اليهود. ومرة أخرى يستخدم ابن الراوندي فكره وقلمه؛ لتحقيق أغراضه الدنيوية التافهة؛ فيؤلف لليهود كتاب (البصيرة) ينتصر فيه لليهودية ويرد على الإسلام، نظير مبلغ 400 درهم

تقاضها من اليهود. ثم أراد بعد فترة أن ينقض الكتاب ويرد على ما ذكره فيه من آراء ضد المسلمين والإسلام؛ فأعطاه اليهود 100 درهم أخرى، فعدل عن الرد على الكتاب! وفي نهاية الأمر يقف ابن الراوندي ضد كل الديانات، وجميع الأنبياء، فيضع كتاب "الفرند" - أي لا مثيل له- ليطنع فيه على الأنبياء والنبوة، ثم يضع كتابه المشهور "الزمردة"، ويطعن فيه الرسائل السماوية كلها، ويشكك في الألوهية ذاتها.

هكذا عاش ابن الراوندي حياته متنقلاً بين المذاهب والديانات، وقضى أيامه (الدرامية) البائسة، ساعياً وراء المجد الدنيوي، وهو المجد الذي ما ناله ابن الراوندي قط، وإنما نال لقب (الملحد الأكبر في تاريخ الإسلام) ⁽¹⁾ وإن كان يهودياً، ولم يتخلَّ عن يهوديته وتلونه وتخونه، الذي لطالما عرف بذلك اليهود.. و"أحفاد اليهود!"

- ومما قاله الفارابي ويوضح مدى إيمانه بالله إن: "معرفة الحقائق القصوى كلها مصدرها الله والفيلسوف يتلقى الحقائق بواسطة العقل الفعال؛ فتكون طبيعتها عقلية وليست حسية؛ أما الرسول فتأتيه المعارف منزلة من عند الله بتوسط الملك جبريل".

- أما ابن سينا: "فلما اعتل ومرض في أواخر حياته اغتسل وتاب وتصدق بما لديه من مال للفقراء وأعتق غلمانه طلباً للمغفرة وبدأ يختم القرآن كل ثلاثة أيام." ⁽²⁾

- أما ابن رشد فيعتبر أن الفلسفة هي: "النظر في الموجودات واعتبارها من جهة دلالتها على الصانع، أعني من جهة ما هي مصنوعات فإن الموجودات إنما تدل على الصانع بمعرفة صنعتها وأنه كلما كانت المعرفة بصنعتها أتم كانت المعرفة بالصانع أتم".

- أما أبو بكر الرازي فلم ينكر وجود الله هو الآخر.. وكان يعتبر أن العقل هبة الله ليتفكر به الإنسان وكتب كتاباً سماه "أن للعبد خالقاً". أما ما نُسب إليه في النبوات:

⁽¹⁾ د. عمرو شريف، خرافة الإلحاد، ص 382، 383

⁽²⁾ ابن خلكان-وفيات الاعيان-المجلد الثاني، ص 157

فيقول د. عبد الرحمن بدوي: "ابن زكريا الرازي كل ما لدينا عنه يرجع إلى ما يورده الخصوم، فضلاً عن ندرة هذه الآثار أصلاً".⁽¹⁾

- أما جابر بن حيان فكان صوفيًا ودارسًا للقرآن، ولا شأن له بالإلحاد الذي وصم به.

- والجاحظ كذلك، الذي كتب "الحجة في ثبت النبوة".

- أما عن حث الإسلام والقرآن، فضلاً عن السنة النبوية على العلم من عدمه؛ فإن الإسلام حث على كل دروب المعرفة والبحث العلمي والكوني؛ لأننا -نحن البشر- خُلِقنا لعمارة الأرض، ولا عمارة دون علم.. ففي آيات الاستخلاف فقط ذُكرت لفظة "علم" قرابة ثماني مرات.. قال تعالى: "وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (30) وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (31) قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (32) قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ

(لا شك أن الإسلام، وهو دين العلم والمعرفة، أن يدعو معتنقيه إلى التزود بالعلم والعمل به، ولا غرو في ذلك، فإن أول آية من القرآن الكريم هي قوله تعالى: "اقرأ باسم ربك الذي خلق"). "روبرت بير جوزيف أستاذ الفلسفة الفرنسي.

(1) عبد الرحمن بدوي - من تاريخ الإلحاد في الإسلام- ص 165

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (33) "البقرة 33:30

بالإضافة إلى أنه: "لفظ (العلم) في القرآن الكريم ورد بتصريفاته المختلفة فيما يزيد عن سبعمائة وخمسين مرة مشفوعاً معظمها بالدعوى إلى التدبر في آيات الله المسطورة - الشرعية-.. والتفكر في آياته المبتوثة -الكونية- (1) هذا عن كلمة (العلم) بمادتها الثلاثية (ع ل م)؛ إلا أنه هناك كلمات أخرى كثيرة في القرآن تشير إلى العلم، ولكن لم تذكر بلفظه، وذلك مثل: اليقين والهدي والعقل والفكر والنظر والحكمة والفقه والبرهان والدليل والحجة والآية والبيئة وغير ذلك من معانٍ تندرج تحت معنى العلم وتبحث عليه. (2)

أما موريس بوكاي -الطبيب والكاتب الفرنسي الشهير- فيقول: "احتوى القرآن الكريم على آيات بينات في العلوم الطبيعية أخرجها الأستاذ يوسف مروة في كتاب (العلوم الطبيعية في القرآن الكريم) وبلغت 774 آية بالتحديد ومفصلة كما يلي:

- الرياضيات (61)
- الفيزياء (264)
- الذرة (5)
- الكيمياء (29)
- النسبية (62)
- الفلك (100)
- المناخيات (20)
- المائيات (14)
- علم الفضاء (11)

(1) إسلام ويب-لفظ علم في القرآن-2009/6/10

(2) دراغب السرجاني-فصل في الإسلام.

- علم الحيوان (12)
- علم الزراعة (21)
- علم الأحياء (36)
- الجغرافيا العامة (73)
- علم السلالات البشرية (10)
- علم طبقات الأرض (20)
- علم الكون وتاريخ الأحداث الكونية (36)
- القرآن دستور إلهي للبشر متكامل للعمارة - عمارة الأرض - فصل فيه كل شيء وأي علم بأي شيء.. فهو الكامل المنزه من كل نقض.. "وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ". (الأنعام-59).
- "وَوَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ". (النحل-89).
- "وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمُّ أَمْثَالِكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ

"لقد تتبعنا كل الآيات القرآنية التي لها ارتباط بالعلوم والطبيعة فوجدت أن هذه الآيات منطبقة كل الانطباق على معارفنا الحديثة. لأنني أيقنت أن محمداً أتى بالحق الصريح من قبل أكثر من ألف سنة من قبل أن يكون هناك معلم أو مدرس من البشر، ولو أن كل صاحب علم من العلوم أو فن من الفنون قارن كل الآيات القرآنية المرتبطة بما تعلم جيداً كما قارنت، لأدعن للقرآن بلا شك إن كان عاقلاً خالياً من الأعراض". رينيه جينو-وبعد اسلامه :عبد الواحد يحيى-(1886-1951) - كاتب ومفكر فرنسي.

شَيْءٌ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ". (الأنعام-38).

يقول السيوطي في إكليله: "قد اشتمل كتاب الله العزيز على كل شيء أما أنواع العلوم فليس منها باب ولا مسألة هي أصل إلا في القرآن ما يدل عليها".⁽¹⁾ ثم ذكر بعد ذلك العلوم التي اشتمل عليها القرآن.. فذكر من ذلك: علم عجائب المخلوقات وملكوت السماوات والأرض وعيون أخبار الأمم السالفة والسيرة النبوية وبدء خلق الإنسان إلى موته وكيفية الموت وما يحدث بعد ذلك..⁽²⁾

"كانت المساجد وما زال بعضها، جامعات الإسلام، فقد عجت بالطلبة الذين ملأتهم الرغبة في العلم وقد جاءوا للاستماع إلى محاضرات العلماء في علوم الدين والفلسفة والطب والرياضة، وقد جاء العلماء أنفسهم من جميع أرجاء العالم الذي كان يتكلم باللغة العربية- لغة القرآن- وكان يرحب بكل طالب مهما كانت جنسيته". ستانلي لين بول (1854-1931) -مستشرق وعالم آثار بريطاني.

بل وشواهد على بعض العلوم بمسمياتها الآنية والعلوم الطبيعية والإنسانيات. فكان الشمعة التي أضاءت فهدت وأهدت وألهمت -الهم - الكثيرين، سواء رواء أو مؤسسين أو حتى طلبة علم عاديين؛ فالقرآن ليس دستوراً شرعياً فحسب.. فعندما ما يقول تعالى: "إذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون" (الأعراف 204) فهو يعني: "كُتِبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ" (ص 29) وهذا يعني: "سُنِرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ" (فصلت 53)؛ فالإنصات: بالقلب: أي التدبر، أي استشعار آيات الله في قلبك -وفهمها بعد تدبرها:- "أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ

(1) جلال الدين السيوطي-الإكليل في استنباط التنزيل ص 253

(2) المصدر السابق، انظر الصفحات 253:281

قُلُوبٌ أَقْفَالُهَا" (محمد 24).. بالتالي رؤية الله في نفسك (معرفة الله) وتجلي آياته الشرعية في فسيح الكون (المعرفة الكونية). أن تدبر القرآن أو الإنصات والاستماع لا يعني ذلك تفضيل العلم الشرعي على الكوني أو الإنساني؛ بل يعني: "سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الْحَقُّ". يعني انتقال الحقيقة المجردة لحقيقة واقعة.. لعلم حقيقي، أو حقيقي الوجود. وأيضاً لا يعني أنه دون العلم الشرعي لما كان العلم الإنساني أو العلوم الطبيعية الأخرى أو أن العلم الشرعي لازم لوجود العلم الإنساني؛ ولكن يمكن النظر للأمر من خلال عاملين ومعياريين:

الأول: أن القرآن وحدة بناء

وحدة بناء بمعنى أن كثير من العلماء المسلمين اتخذوه أداة، واستنبطوا منه أفكاراً لمبادئ وأسس علمية أو حتى علوم وأساليب البحث العلمي.. فكان القاعدة التي بدأوا منها. قد "روي عن عالمين مسلمين -على سبيل المثال- كانا يقرءان في باحة الجامع في كتاب (المجسطي) الذي دون فيه يطليموس اليوناني ما عرف عن علم الفلك حتى زمانه؛ فمر بهما جماعة من علماء الدين فسألتهما عما يقرءان؛ فكان جوابهما: إننا ننفيد منه في شرح الآية "أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ {17} وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ {18} وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ {19} وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ" (الغاشية 17- 20) وفي ذلك شاهد على أن القرآن فتح أبواب المعرفة للوصول إلى معرفة الله".⁽¹⁾

ويقول علي عبد الفتاح في موضع آخر: "إن الحضارة العربية الإسلامية أمدت بفكرها الروحي ودستورها القائم على القرآن والحديث والتفسير والسيرة وأصول الفقه والدين والأخلاق والتاريخ والأسس العلمية والقيم الإنسانية، وامتدت هذه الحضارة واتجهت إلى

(1) علي عبد الفتاح-أعلام المبدعين من علماء العرب والمسلمين ص 87

أوروبا التي كانت تحيا في عصور متأخرة من غزوات البرابرة بعد سقوط الإمبراطورية الرومانية (...) يقول د. أحمد شلي -أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية بجامعة القاهرة:- إن الحضارة الإسلامية نوعان: نوع من صنع المسلمين ونوع من صنع الإسلام؛ فنشاط المسلمين في مجال العمران والطب والرياضة والموسيقى حضارة تنسب للمسلمين، وهي تختلف باختلاف الزمان واختلاف المكان.. أما الحضارة التي تُنسب للإسلام؛ فهي رأي الإسلام في السياسة والاقتصاد والنظم الاجتماعية والتربوية والعسكرية وغيرها.. وهذه لا تختلف باختلاف الزمان والمكان؛ لأنها مرتبطة بالمشروع الأعظم وهو الله سبحانه وتعالى.⁽¹⁾

ثانيًا: أداة للقياس (والبحث العلمي)

القرآن نسي من حيث المضمون التدبري ومطلق من حيث المضمون الشرعي؛ فمبادئه وقواعده الشرعية ثابتة ومأخذه التدبرية تتغير بتغير الزمان والمكان؛ فأيات القتل في القرآن الكريم -مثلًا- جاءت لتحكي أو تقاوم ما كان من عادات وثقافة هذا الإنسان (الجاهلي) وما يتميز به من همجية وبربرية وقتها.. فكان أداة دفاع وأداة نزاع؛ إنما اليوم "المتخلفون" الذين يدعون أنهم -إذا افترضنا جدلاً أنهم مسلمون- إنهم يحاربون دفاعًا من أجل إعلاء كلمة الله "بالسيف"؛ فهذا تخلف واضح وضد مبادئ الإسلام سواء التدبرية أم الشرعية.

ومن ناحية أخرى؛ فلو كان أولئك الهمج من الأصوليين والمتمسكين بسنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم- إذا افترضنا ذلك جدلاً أيضًا.. فكان الأولى أن يستخدموا السيف والسهم والأحصنة.. لا بالأسلحة الثقيلة الروسية، وسيارات الدفع والدبابات المقاتلة الأميركية!

(1) المصدر السابق-انظر الصفحات: 82، 83، 84

أما اليوم فالحرب -لا سيما المنافسة- فكرية وعلمية.. سواء استخدام هذا العلم والفكر في الدمار والخراب أم البناء والعمارة والسلام، وما يجب -أو كان من المفترض أن يحدث- هو أن يساهم العلم -أو يستخدم في- السلام لا الحرب، والعلم لا الجهل، لرفعة الإنسان ونصره لا قتله والتمثيل بروحه، للتقدم لا التأخر؛ فعندما يكون يحدث عكس هذا؛ فإن شيئاً مريب ما يحدث. فليس هذا "العلم" الذي نعرفه.. وليس هذا هو العالم الذي ينبغي أن نراه به!

وعليه فكان لزاماً أن تكون هناك أداة للقياس والتمييز بين ما هو هوى وما هو حق (هدى) أو لتفسير تلك (الحقائق) والشواهد بعين بصيرة وباصرة. والبحث العلمي الجاد لا الهوائي والغياي. فعوضاً عن أن القرآن -أو الإسلام بشكل عام- جاء ليهذب النفس على الأخلاق، سواء أخلاق العامة أم العلماء؛ فإن علماء المسلمين -بحق- امتلكوا تلك الأخلاق التي يجب أن يتسم بها العالم -فهذا سر عالمية الحضارة الإسلامية وطابعها "الإنساني" الفريد- فنحن نعتبر أن المعيار الأوحد للعالم ولكونه عالم هو الأخلاق، لا شيء آخر.

وعن أخلاقيات العالم منهاج البحث العلمي يقول الحسن ابن الهيثم (965- 1040) واصفا إياه: "... رأينا أن نصرف الاهتمام إلى هذا المعنى بغاية الإمكان، ونخلص العناية به ونوقع الجد في البحث عن حقيقته، ونستأنف النظر في مبادئه ومقدماته، ونبتدئ في البحث باستقراء الموجودات وتصفح أحوال المبصرات، ونميز خواص الجزئيات، ونلتقط بالاستقراء ما يخص البصر في حال الإبصار وما هو مطرد لا يتغير وظاهر لا يشتبه من كيفية الإحساس ثم نرتقي في البحث والمقاييس على التدرج والترتيب مع انتقاد والتحفظ في النتائج ونجعل غرضنا في جميع ما نستقرئه ونتصفحه استعمال العدل لا اتباع الهوى، ونتحرى في سائر ما نميزه وننتقده طلب الحق لا الميل مع الآراء؛ فلعلنا ننتهي بهذا الطريق إلى الحق الذي به يثلج الصدر ونصل بالتدرج والتلطف إلى الغاية التي عندها يقع اليقين ونظفر مع النقد والتحفظ بالحقيقة التي يزول معها الخلاف، وتنحسم بها

مواد الشبهات ومانحن من جميع ذلك براء مما هو في طبيعة الإنسان من كدر البشرية ولكننا نجتهد بقدر ما هو لنا من القوة الإنسانية ومن الله نستمد المعونة في جميع الأمور"⁽¹⁾.

يقول الدكتور/ أحمد فؤاد باشا -أستاذ الفيزياء بكلية العلوم جامعة القاهرة وعضو المجمع العلمي المصري:-

تدلنا قراءة التراث الإسلامي على أن المسلك الذي اتبعه علماء الأصول وعلماء الحديث في الوصول إلى الصحيح من الوقائع والأخبار والأقوال قد انسحب على أسلوب التفكير والتجريب في البحث العلمي؛ فنرى على سبيل المثال أن الحسن ابن الهيثم يستعمل لفظ "الاعتبار" وهو لفظ قرآني يدل على الاستقراء التجريبي أو الاستنباط العقلي.. ويستخدم قياس الشبه في شرحه لتفسير عملية الإبصار وإدراك المرئيات.. كذلك نجد (أبا بكر الرازي 864-923 هـ) يستخدم الأصول الثلاثة: الإجماع والاستقراء والقياس في تعامله مع المجهول؛ فيقول: "إنَّا لما رأينا لهذه الجواهر أفاعيل عجيبة لا تبلغ عقولنا معرفة سببها الكامل لم نر أن نطرح كل شيء لا تدركه ولا تبلغه عقولنا؛ لأن في ذلك سقوط جل المنافع عنَّا، بل نضيف إلى ذلك ما أدركناه بالتجارب وشهد لنا الناس به، ولا نحل شيئاً من ذلك محل الثقة إلا بعد الامتحان والتجربة له.. ما اجتمع عليه الأطباء وشهد عليه القياس وعصده التجربة فليكن أمامك". ولقد استند علماء الحضارة الإسلامية على اختلاف تخصصاتهم في ممارستهم للمنهج العلمي إلى مبادئ أساسية استمدوها من تعاليم دينهم الحنيف، ويمكن إيجازها فيما يلي:

(1) الحسن ابن الهيثم- المناظر، تحقيق: عبد الحميد صبرة- ج1، الفصل الاول، ص 59.

1. عقيدة التوحيد الإسلامي هي نقطة الانطلاق في رؤية الإنسان الصائبة لحقائق الوجود. قال تعالى: "اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم" (العلق- 1:5)

فالله سبحانه وتعالى هو الحق المطلق وهو مصدر كل الحقائق المعرفية الجزئية التي أمرنا بالبحث عنها واستقراءها في عالم الشهادة باعتبارها مصدرًا للثقة واليقين وليست ظلالًا أو أشباحًا كما نظرت إليها الثقافة اليونانية-(النظرة الميتافيزيقية)- قال تعالى: "سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ". فصلت- 53)

2. الإيمان بوحداية الله سبحانه وتعالى يستلزم بالضرورة العقلية أن يرد الإنسان كل شيء في هذا الوجود إلى الخالق الحكيم الذي أوجد هذا العالم بإرادته المباشرة المطلقة على أعلى درجة من الترتيب والنظام والجمال وأخضعه لقوانين ثابتة لا يحد عنها.. وحفظ تناسقه وترابطه في توازن محكم بين عوالم الكائنات. وقد شاءت إرادته تعالى أن تبين لنا -من خلال نظام الكون ووحدته- أطوار الحوادث والظواهر كعلاقات سببية لنراقبها وندركها وننتفع بها في الحياة الواقعية، بعد أن نقف على حقيقة سلوكها ونستدل بها على قدرة الخالق ووحدانيته. والانطلاق في التفكير العلمي في إطار المفهوم الإيماني يجعل الطريق مفتوحًا دائمًا أمام تجدد المنهج العلمي وتطوره بما يتناسب مع مراحل تطور العلوم المختلفة، كما أنه يضيف على النفس الاطمئنان والثقة اللازمين لمواصلة البحث والتأمل، وينقذ العلماء من التخبط في التيه بلا دليل كالإحالة على الطبيعة أو العقل أو المصادفة أو ما إلى ذلك من التصورات التي طرحها الفلاسفة الوضعية المتصارعة قديمًا وحديثًا وأصابتهم بالعجز والعطب، قال تعالى: "مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَافُوتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ" (الملك- 3:4)

3. منهج البحث والتفكير يقوم في المفهوم الإسلامي على التأليف بين العقل والواقع -أو بالأحرى وبالدقة بين العقل والنقل- ويعول في اكتساب المعرفة على العقل والحواس وباقي الملكات الإدراكية التي وهبها الله للإنسان، وقد حملنا الله سبحانه وتعالى مسئولية استخدام وسائل العلم وأدواته في مواضيع كثيرة من القرآن الكريم، مثل قوله تعالى: "وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ" (النحل- 78) وقوله سبحانه: "إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا" (الاسراء- 36) وقوله عز من قائل: "أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ" (البلد 8:10).

4. وهكذا نجد أن علماء الحضارة الإسلامية قد تشرّبوا تعاليم دينهم الحنيف واصطنعوا لنفسهم منهجاً علمياً إسلامياً تجاوزوا به حدود الآراء الفلسفية التي تميزت بها علوم الإغريق، وانتقلوا إلى أجزاء التجارب واستخلاص النتائج بكل مقومات الباحث المدقق مدرّكين أن لمنهجهم الجديد شروطاً وعناصر نظرية وعملية وإيمانية يجب الإمام بها. وتكشف قراءتنا المتأنية لعلوم التراث الإسلامي عن سبق علماء المسلمين إلى تحديد عناصر المنهج العلمي بما يتفق مع كثير من المسميات والاصطلاحات الجديدة التي يتداولها اليوم علماء المنهجية العلمية، مثل أنواع الملاحظة والتجربة (الاستطلاعية الضابطة الحاسمة) ومقومات الفرض العلمي واستخدام الخيال العلمي في المماثلة بين الظواهر المختلفة، والكشف عن الوحدة التي تربط بين وقائع متناثرة، وليس هناك من شك في أن الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى تُعد حلقة هامة في تاريخ العلم والحضارة بما قدمه علماؤها من تأسيس لمنهج علمي سليم ساعد على تطوير معارف جديدة؛ لكننا في عالمنا الإسلامي لا نزال بحاجة ماسة إلى إعادة قراءة تراثنا بأسلوب العصر ومصطلحاته؛ ليس فقط من أجل تحديث الثقافة العلمية الإسلامية بل -أيضاً- من أجل أسلمة طرق التفكير العلمي طبقاً لخصائص التصور الإسلامي ومقوماته.. إن

إسلامية المعرفة عامة والمعرفة العلمية خاصة يجب أن تكون من الروافد الأساسية للصحة الإسلامية المنشودة.

وها هو جابر بن حيان الذي يحذر من الإفراط في الثقة بنتائج تجاربه بالرغم من موضوعيته في البحث العلمي؛ فيقول: "يجب أن نعلم أننا نذكر في هذه الكتب خواص ما رأيناه فقط دون ما سمعناه أو قيل لنا وقرأناه بعد أن امتحنه وجربناه؛ فما صح عندنا بالملاحظة الحسية أوردناه وما بطل نفينا.. وما استخرجناه نحن -أيضاً- وقايسناه على أقوال هؤلاء القوم"⁽¹⁾.

ومن ناحية أخرى -من نواحي القياس- هو وجوب اتفاق صريح العقل مع صحيح النقل؛ فكلاهما يجب أن يسير في طريق واحد.. طريق الحق؛ لأنه: "وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عِلْمٌ" (يوسف-76) وليس المسألة مسألة تفرد؛ بل لأن الله قد: "قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا" (الطلاق-12).. "وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا" (طه-110)؛ بل إنه "وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ" (البقرة-255).. إذن هذا لحكم الرغبة الجامحة في المعرفة أو ادعائها أو الكفر ببعضها والتضليل والإضلال والهوائية والغوائية والغائية غير الصالحة والفسادة، وأخذ العلم على محمل شخصي ونفسي؛ فتكون النتيجة: "بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ" (يونس-39).

"قَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ" (الأنعام-5)،

"وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ" (البقرة-39).

"انْظُرْ كَيْفَ كَذَّبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ" (الأنعام-24)

⁽¹⁾ توفيق الطويل-في تراثنا العلمي والإسلامي-ص 18.

"وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا" (هود-18)

"سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ" (الأعراف-177)

والآيات الكونية والعلمية -الحقيقية لا الهوائية- قبل الشرعية، كما قال تعالى:
"سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ". (فصلت-53)

"بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ" (الروم-29)

"وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ" (القصص-50)

"وَإِنَّ كَثِيرًا لِّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ" (الانعام-119)

"وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَمَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ" (الرعد-

37)

ولطالما أن الله -عز وجل- خلقنا لعمارة الأرض فانه كان لا بد أن يعطينا ويزودنا بالمعايير والإرشادات، وإحاطتنا بما هو لازم "لعمارتها"؛ فالصانع لثلاجة مثلاً -ولله المثل الأعلى- يجب أن يضع معها "كتالوج" أو كتيب إرشادات لطريقة عملها واستخدامها؛ فكيف بصنع الصانع نفسه: الخالق عز وجل، ولو لم يكن القرآن "كتالوجاً" مناسباً معمرًا مستوفياً لشروط العمارة النفسية والكونية وصالح للحضارة والمدنية ومواكبا للتغيرات الشمولية الحياتية والتاريخية لكان أتى بغيره وغيره، كما الحال فيما قبله وقبله.

في كتابه (خرافة الإلحاد) ذكر الدكتور عمرو شريف أنه: "كان فرانسيس بيكون، أبو أعلم الحديث، مطلعًا على الفكر الإسلامي، ونقل عنه رأيه بأن الإله أمدنا بكتابين: كتاب الطبيعة والكتاب المقدس، وذكر أنه من أجل أن تكون متعلمًا حقيقياً ينبغي أن تستخدم عقلك لدراسة الكتابين"; فالعقل الصريح لا يخالف -أو يتعارض- مع النقل الصحيح وإن اختلفا فصحيحهما الصحيح إذا أنه: "صحيح المنقول: أي النقل الثابت عن الرسول -صلي الله عليه وسلم- أو كتاب الله أما صريح المعقول: أي العقل الصريح الخالي من الشبهات والشبهات؛ لأن انحراف العقول إما الشبهات تعرض للإنسان أو شهوة بمعنى إرادة سيئة يريد مخالفة الحق" كما جاء في شرح التدمرية لابن عثيمين، ويضيف في موضع آخر أن: "العقل الصريح لا يخالف النقل الصحيح.. وعندما يحصل الاختلاف بين العقل والنقل لا بد من أحد أمرين: أحدهما: أن النقل غير صحيح في نفسه أو أسى فهمه وفسر تفسيرًا غير صحيح. ثانيهما: المعقول الذي ادعى أن النقل يخالفه غير صريح وغير سليم؛ بل إنه أصيب بأدران الشبهة أو الهوى الذي غيره حتى فقد العقل سلامته؛ بل هو إما مريض أو ملوث ولا محالة، ولو كان العقل يتمتع بعافيته وسلامته والنقل يتمتع بصحته وقوته لا يكاد أن يختلفا.. وهذه قاعدة عظيمة ونافعة بإذن الله ومقبولة لدى العقلاء المنصفين.. بل لا يكاد يتردد فيها كل من نظر في العقليات وله اطلاع على التقلبات ورزق التجرد من التعصب والهوى والتحيز".

وهناك اختلاف مطلوب، وهو اختلاف الاجتهاد؛ ذلك الذي باطنه البحث عن الحقيقة والحق، وليس التضليل المقصود المرغوب بل ويجازي عليه -المجتهد- خيرًا، طالما استوفى في ذلك ما دل عليه، وهذا شيء لا يعلمه إلا الله، أهو تضليل مقصود أم اجتهاد وبحث جاد.. لذلك نقول: لا يجب أن نكون قضاة الله في أرضه ونحكم بجنان الله ونيرانه على عباده في الأرض. أما هؤلاء الرويبضة من الناس، الضالين، والمغضوب عليهم؛ فهم أكثر.. شاشات التلفاز ملأى بهم، والجميع يعرفهم ماعدا لا أحد؛ فهم القدوة والقادة في نهاية الزمان، الذي نحن فيه، والله أعلم.

مهما كان ما نختلف أو نتفق عليه وفيه؛ فالعقل يفصل، وكلام الله يحكم؛ لذا فدائمًا.. الله أعلم.

يقول الإمام الخطابي رحمة الله: "أخبر سبحانه أنه لم يغادر شيئاً من أمر الدين لم يتضمن بيانه الكتاب إلا أن البيان على ضربين: بيان جلي - (مباشر وواضح وقاطع) - تناولته الذكر نصاً، وبيان خفي اشتمل عليه معنى التلاوة ضمناً.. -وهو ما يقابله التدبر- فما كان من هذا الضرب كان تفصيل بيانه موكولاً إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- وهو معنى قوله سبحانه: "لَتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ". فمن جمع بين الكتاب والسنة؛ فقد استوى وجهي البيان".

والم تأمل قوله تعالى: "وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ". (النحل-89)

فإنه قال -عز وجل- "تبیاناً"، ولم يقل: بياناً. والقاعدة تقول: الزيادة في المبني زيادة في المعنى؛ فلهذه المفردة مدلولاتها العلمية القرآنية التي تشير وتؤكد ما نحن بصدد.

أما عن مما قيل عن -وفي- القرآن من قبل مفكري ومستشرقي الغرب المنصفين، وهم كثير، نذكر بعض هذا الذي قيل:

يقول إدوارد جبون -المؤرخ الإنجليزي- إن:

"المدن ما بين نهر الجانج والمحيط الأطلسي علموا أن القرآن نهج حياة وروحه التي لا تستقيم إلا به بنظر القرآن، لا فرق بين الحاكم الظالم والفقير المعدم أنه أتى بأحكام وقوانين لا نظير لها إنه أكبر دليل لوحداية الله.. فصاحب العقل والمنطق السليم يقر بأنه الحق ولا يتردد في ذلك فالإسلام أعلى سوية ما نفكر فيه اليوم".

د.ميلر بروز في كتابه: في كتابة الثقافية الإسلامية، ص 54، قال:

"إن أعظم نتائج العلم يمكن أن تستخدم في أغراض هدمية أو بنائية، وربما كان هذا هو المقصود بما ورد في القرآن.. خاصة باستخدام الحديد: "وأنزّلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس" - (الحديد25) - وأظهر مثال من هذه الآية بالضرورة هو استخدام النشاط الذري الذي نشطت بحوثه لضرورة حربية".

المفكر والقانوني الفرنسي (مارسيل بوازار- إنسانية الإسلام ص 52، 53)، حيث يقول إنه:

"لا بد عند تعريف النص القدسي في الإسلام من ذكر عنصرين: الأول: إنه كتاب منزل أزلي غير مخلوق والثاني: إنه (قرآن) أي كلام حي في قلب الجماعة وهو بين الله والإنسانية (الوسيط) الذي يجعل أي تنظيم كهنوتي غير ذوي جدوى؛ لأنه مرضي به مرجعاً أصلياً، وينبوع الهام أساسي، وما زال حتى أيامنا هذه نموذجاً رفيعاً للأدب العربي تستحيل محاكاته. إنه لا يمثل النموذج المحتذي للعمل الأدبي الأمثل وحسب، بل يمثل كذلك مصدر الأدب العربي والإسلامي الذي أبدعه، لأن الدين الذي أوحى به هو في أساس عدد كبير من المناهج الفكرية التي سوف يشتهر بها الكتاب..".

ويقول -أيضاً- نفس الكتاب ص 109:

"إن القرآن لم يقدر قط لإصلاح أخلاق عرب الجاهلية، إنه على العكس يحمل الشريعة الخالدة والكاملة والمطابقة للحقائق البشرية والحاجات في كل الأزمنة". وفي موضع ثالث -ص 345- يقول:

"إن الأدوات التي يوفرها التنزيل القرآني قادرة -ولا ريب- على بناء مجتمع حديث".

وفي كلمة للبروفيسور جرال ج جورنجر -جامعة جورج تاون والأستاذ المشارك بعلم الاجنة الطبي- يقول إن:

"هناك بعض الآيات القرآنية تعرف وتبين خلقة الإنسان من بدايته من مراحل تكوين الخلية إلى خلقه وتكوينه كاملاً؛ فهذه المصطلحات -القرآنية- لا نظير لها. معظم الحالات التي يتم تسجيلها في الكتابات العلمية التقليدية وتطوير الأجنة البشرية قد سبق تعريفها منذ مئات السنين".

وفي كلمة للأمير الألماني فون بسمارك –أحد أشهر الساسة الأوروبيين بالقرن التاسع عشر، مستشار ألمانيا الأول في عهد فليلم الأول– قال فيها:

"لأدير شئون البلاد قرأت وتمعنت في جميع الكتب السماوية المنزلة من عند الله في جميع العصور، ولم أجد في أي واحد منها الحكمة والإصابة وما ورد فيها بعيداً عن إدارة مجتمع بل بعيداً من إدارة منزل وإدخال السعادة عليهم.. لكن الإسلام يحرق القرآن من هذا.. فقد دققته من جميع الجهات؛ ففي كل كلمة فيه حكم عظيمة؛ فأعداء الإسلام أن يدعوا بأن هذا الكتاب قول محمد، أن يدعوا بأن هذا التكامل وهذه الروعة صادرة من دماغ بشرية؛ فهذا ليس إلا إعماء للبصيرة عن الحقائق ودس الحقد والضغينة، وهذا يناقض العلم والحكمة؛ فأنا أدعي بأن محمد قوة رائعة ممتازة لا يأتي له مثل ولا يحتمل ذلك. متأثر بأنني لم أعاصرك يا محمد! ما تعلمه وتبلغه ليس لك.. هي إلهي؛ فإنكار ذلك كانكار كتب العلم، وهذا مضحك؛ لهذا قد شهدت البشرية المتميزة مثلك، مرة أخرى إنني أنحي لدى حضرته بالمحبة والاحترام".

أما البروفسور لي جو سيمبسون –أستاذ علم الوراثة– فيقول: "بنظري لا تعارض بين الدين والعلم الوراثي، فالدين يضيف ويوجه العلم البشري وهذا ما نلاحظه ونجده في القرآن بعد مرور 14 قرناً على نزوله وهذا دعم وتأيد من الله".

ويقول البروفسور يوشيو دي كوزان –مدير مرصد طوكيو- في كتابه (إنه الحق):

"إن هذه القرآن يصف الكون من أعلى نقطة في الوجود، إن الذي قال هذا القرآن يرى كل شيء في هذا الكون وكل شيء مكشوف أمامه".

وتقول الصحافية الأميركية ديبورا بوتر- انظر: رجال ونساء أسلموا، ص 8/100:

"عندما أكملت القرآن الكريم غمرني شعور بأن هذا هو الحق الذي يشتمل على الإجابات الشافية حول سائر الخلق وغيرها، وإنه يقدم لنا الأحداث بطريقة منطقية نجدها متناقضة مع بعضها في غيره من الكتب الدينية أما القرآن فيتحدث عنها في نسق وأسلوب قاطع لا يدع مجالاً للشك بأن هذه هي الحقيقة وأن هذا الكلام هو من عند الله لا محالة". ويذكر في موضوع آخر-ص 8/113 قولها:

"كيف استطاع محمد -صلى الله عليه وسلم- الرجل الأمي الذي نشأ في بيئة جاهلية أن يعرف معجزات الكون التي وصفها القرآن الكريم، والتي لا يزال العلم الحديث -حتى يومنا هذا- يسعى لاكتشافها؟ لا بد إذن أن يكون هذا الكلام هو كلام الله عز وجل".

أما العالم والطبيب الفرنسي الشهير مورييس بوكاي فيول في كتابه (القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم) ص 145:

"لقد أثارت الجوانب العلمية التي يختص بها القرآن دهشتي العميقة.. في البداية لم أكن أعتقد قط بإمكان اكتشاف عدد كبير إلى هذا الحد من الدعاوى الخاصة بموضوعات شديدة التنوع ومطابقته تمامًا للمعارف العلمية الحديثة، وذلك في نص كتب منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنًا - الآن أكثر من أربعة عشر قرنًا على التنزيل".

ويتساءل في موضع آخر-ص 150- قائلاً:

"كيف يمكن لإنسان -كان في بداية أمره أميًا- أن يصرح بحقائق ذات طابع علمي لم يكن في مقدور أي إنسان في ذلك العصر أن يكونها؛ وذلك دون أن يكشف تصريحه عن أقل خطأ من هذه الوجهة؟".

بينما يقول المؤلف والمؤرخ الأميركي المعروف (ول ديورانت) في كتابه -ذي الـ 30 مجلدًا- قصة الحضارة -المجلد الـ 13 ص 68-69:

"ظل القرآن أربعة عشر قرنًا من الزمان محفوظًا في ذاكرة المسلمين يستثير خيالهم، ويشكل أخلاقهم، ويشحذ قرائح مئات الملايين من الرجال؟ والقرآن يبعث في النفوس أسهل العقائد وأقلها غموضًا وأبعدها عن التقيد بالمراسم والطقوس وأكثرها تحررًا من الوثنية والكهنوتية، وقد كان له أكبر الفضل في رفع مستوى المسلمين الأخلاقي والثقافي، وهو الذي أقام فيهم قواعد النظام الاجتماعي والوحدة الاجتماعية، وحرضهم على اتباع القواعد الصحيحة، وحرر عقولهم من كثير من الخرافات والأوهام، ومن النظام والقسوة وحسن أحوال الأرقاء وبعث في نفوس الأذلاء الكرامة والعزة، وأوجد بين المسلمين درجة من الاعتدال والبعد عن الشهوات لم يوجد لها نظير في أي بقعة من بقاع العالم يسكنها الرجل الأبيض".

ويقول جاك س ريسلر -الباحث الفرنسي المعاصر- في كتابه: الحضارة العربية ص 51:

"إن القرآن يجد الحلول لجميع القضايا، ويربط ما بين القانون الديني والقانون الأخلاقي، ويسعى إلى خلق النظام والوحدة الاجتماعية وإلى تخفيف البؤس والقسوة والخرافات. إنه يسعى إلى الأخذ بيد المستضعفين ويوصي بالبر ويأمر بالرحمة.. وفي مادة التشريع وضع قواعد لأدق التفاصيل للتعاون اليومي ونظم العقود والمواثيق.. وفي ميدان الأسرة حدد سلوك كل فرد تجاه معاملة الأطفال والأرقاء والحيوانات والصحة والملبس.. إلخ".

ذكرت النبيلة الإنجليزية الليدي إيفلين كوبولد في كتابها "البحث عن الله ص 51:

"أن أثر القرآن في كل هذا التقدم الحضاري الإسلامي لا ينكر؛ فالقرآن هو الذي دفع العرب إلى فتح العالم ومكثهم من إنشاء إمبراطورية فاقت إمبراطورية الإسكندر الأكبر والإمبراطورية الرومانية سعة وقوة وعمرانا وحضارة".

ويقول المفكر الإنجليزي عبد الله كويليام -الذي أعلن إسلامه عام 1887- في كتابه العقيدة الإسلامية- ص122، 123 إن:

"أحكام القرآن ليست مقتصرة على الفرائض الأدبية والدينية.. إنه القانون العام للعالم الإسلامي، وهو قانون شامل للقوانين المدنية والتجارية والحربية والجنائية والجزائية، ثم هو قانون ديني يُدار على محوره كل أمر من الأمور الدينية إلى أمور الحياة الدنيوية، ومن حفظ النفس إلى صحة الأبدان، ومن حقوق الرعية إلى حقوق كل فرد، ومن منفعة الإنسان الذاتية إلى منفعة الهيئة الاجتماعية، ومن الفضيلة إلى الخطيئة/ ومن القصاص في هذه الدنيا إلى القصاص في الآخرة؛ وعلى ذلك فالقرآن يختلف مادياً عن الكتب المسيحية المقدسة التي ليس فيها شيء من الأصول الدينية: بل هي في الغالب مركبة من قصص وخرافات واختباط عظيم في الأمور التعبدية، وهي غير مقبولة وعديمة التأثير".

وقال المؤرخ والطبيب الفرنسي الشهير غوستاف لوبون في كتابه "حضارة العرب" ص 431، 432:

"إن أصول الأخلاق في القرآن عالية علوماً جاء في كتب الديانات الأخرى جميعاً، وإن أخلاق الأمم التي دانت له تحولت بتحول الأزمان والعروق، مثل تحول الأمم الخاضعة لدين عيسى -عليه السلام- إن أهم نتيجة يمكن استنباطها هي تأثير القرآن الكريم في الأمم التي أذعنت لأحكامه؛ فالديانات التي لها ما للإسلام من سلطان على النفوس قليلة جداً، وقد لا تجد ديناً اتفق له ما اتفق للإسلام من الأثر الدائم، والقرآن هو قطب الحياة في الشرق؛ وهو ما نرى أثره في أدق شئون الحياة".

وفي الوقت نفسه؛ فإن الأفعوية والتنكر صفة لبعض العرب والمستشرقين ومترجمي القرآن الذين يدسون "سمهم" في "عسلنا"؛ فإن كان فيهم الموضوعي المتخلق ففهم -

أيضًا- الذي يخالجه البغض والحقد والتعصب، وهم كثر أيضًا.. حيث يقول الكاتب والمستشرق الإنجليزي جورج سيل -الذي ترجم القرآن الكريم للإنجليزية سنة 1734- إن:

"المترجمون السابقون للقرآن الكريم من المسيحيين كانوا متعصبين ويحملون نظرة سيئة عن الإسلام، تاركين بصماتهم السيئة على تلك الترجمات بحسب هوسهم وهواهم الشخصي".

ومن أصدق من الله قِيلًا: حيث يقول تعالى: "وَلَا يَزَالُونَ يَقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا". (البقرة 217).

ومن هؤلاء المستشرقين الذين شنوا حربهم الباردة ضد الدين بترجماتهم الأكثر برودة للقرآن الكريم، كان من بينهم هاملتون جب (1895 - 1971) المستشرق الإنجليزي، الذي ادعى أن القرآن الكريم من صنعة محمد -صلي الله عليه وسلم-.. والمستشرق الألماني فيشر (1865 - 1949) الذي طُرد من المجمع اللغوي سنة 1945؛ لأنه كتب رسالة بعنوان: "آية مقحمة في القرآن".. كما ادعى أن اسم "محمد" كان يُسمى بين البيزنطيين قبل الإسلام، وأيضًا المستشرق الفرنسي بلاشير (1900 - 1970) الذي ادعى أن أجزاء من القرآن تعرضت للضياع، أما ألفريد جيوم -الذي حصل على عضوية المجمع العلمي العربي بدمشق عام 1948 والمجمع العراقي في السنة التي تليها- ادعى أن القرآن مصدره بشري ومأخوذ من مصادر نصرانية ويهودية.. في ذلك مثله مثل المستشرق اليهودي إبراهيم جيغر والفرنسي جون بيرك.. مشيرين بالذات إلى إنجيل الصبوة الذي لا يعترفون به ضمن الأناجيل المعتمدة كنسيًا.

وغيرها من الإساءات والادعاءات التي عبّر الفيلسوف الإنجليزي توماس كاريل في كتابه (البطولة وعبادة الأبطال) عن سخطه من اتهام بني قومه للنبي بالكذب والخداع، ويعد الفيلسوف محمدًا بطلًا صادقًا ومؤسسًا لأمة كبيرة وعظيمة: حيث يقول:

"لقد أصبح من أكبر العار على أي فرد متمدن من أبناء هذا العصر أن يصغي إلى ما يدعيه المدعون من أن دين الإسلام كذب وأن محمدًا خداع مزور، وأن لنا أن نحارب ما يشاع من مثل هذه الأقوال السخيفة المخجلة؛ فإن الرسالة التي أداها ذلك الرسول ما زالت السراج المنير مدة اثني عشر قرنًا لنحو مائتي مليون -زيادة بليون نسمة في قرنين اثنين!- من الناس أمثالنا خلقهم الله الذي خلقنا؛ فكان أحدكم يظن أن هذه الرسالة التي عاش بها ومات عليها هؤلاء الملايين فائقة الحصر والإحصاء أكذوبة وخدعة؟ أما أنا فلا أستطيع أن أرى هذا الرأي أبدًا، ولو أن الكذب والغش يروجان عند خلق الله هذا الرواج ويصادفان منهم هذا التصديق والقبول؛ فما الناس إلا حمقى ومجانين، وما الحياة إلا سخف وعبث وضلال كان الأولى بها ألا تُخلق.. هل رأيتم قط -معشر الناس- أن رجلاً يستطيع أن يُوجد دينًا وينشره؟ عجب والله أن الرجل الكاذب لا يقدر أن يبني بيتًا من الطوب وعلى ذلك ولسنا نعد محمدًا -صلى الله عليه وسلم- رجلاً كاذبًا متصنعًا يتدّرع بالحيل والوسائل إلى بغيته أو يطمع إلى درجة ملك أو غير ذلك من الحقائق والصغائر، وما الرسالة التي أداها إلا حقًا صريحًا، وما كانت كلمته إلا صوتًا صادقًا صادرًا من العالم المجهول. كلا! ما محمد بالكاذب ولا الملفق؛ إنما هو قطعة من الحياة قد تفرط عنها قلب الطبيعة فإذا هو شهاب قد أضاء العالم أجمع ذلك أمر الله".

أما الفيلسوف (جوته)؛ فيقول:

"مرت سنوات طويلة لم يخبرنا القساوسة بشيء عن الله، كما أنهم منعونا من الاطلاع على حقائق القرآن وعظمته بسبب جهلهم وتعصبهم، ولو وضع أحدنا قدمًا واحدة في طريق العلم تاركًا الجهل والتعصب خلف ظهره لاطلعنا على عظمة الأحكام المقدسة التي جاء بها القرآن؛ فهي محيرة للعقول! ولأصبحنا نتحدث عن عظمته وتأثيره على العلوم في عصرنا الحاضر، وأخيرًا أقول: إن هذا الكتاب بحق أصبح محورًا يدور عليه هذا العالم".

في أواخر القرن التاسع عشر وقف المستر جلادستون -رئيس وزراء بريطانيا في عصر الملكة فكتوريا- في المجلس العمومي البريطاني، وقال لأعضاء مجلس العموم: أيها الأعضاء، لن نستطيع القضاء على الإسلام حتى نقضي على ثلاثة: الأول: هذا المصحف.. وأخرج المصحف من جيبه ورفع به بيده أمام الأعضاء؛ فقام عضو من الحضور بالقفز من مكانه، وقام بشكل هستيري بخطف المصحف من رئيس الوزراء ومزقه شرّاً تمزيق؛ فقال له ويليام جلادستون: أيها العضو الأحمق! ما أردت تمزيق أوراقه إنما أردت تمزيق آياته من صدور المسلمين.

الثاني: القضاء على صلاة الجمعة.

الثالث: القضاء على المسجد الحرام (الحج).

* * *

العلم والإيمان

اعتدنا ألا نعطي المصطلحات والمفاهيم وزنًا "معجميًا"؛ فرتابة المعنى تورث الركاقة فيه.. وتجنبًا للتكرار وملالة التعريف لا نرى حاجة للتشريح الاصطلاحي "للعلم"⁽¹⁾ وللعلم، ربما نصادف بعض المبهمات في فصول الكتاب وأبوابه، التي لم نتعرض لها بشكل كافٍ؛ ذلك تجنبًا للتكرار أيضًا؛ لأننا أجبنّا عنها وأحطنا بها علمًا في "كن عظيمًا"؛ فالكتبان مكملان لبعضهما.

أما بعد..

فإن العلم والإيمان بينهما علاقة طردية- أو يفترض أن يكون ذلك.

بل إنهما مكملان لبعضهما؛ فالعلم يهتم بالأشياء والأمور المادية والحسية والإيمان يتعلق بالغيبيات والماورائيات؛ فليس كل الأمور يمكن لمسها وحسها وقياسها بالمعنى التجريبي التجريدي؛ ولكن يمكن الاستدلال عليها، تارة بالطريقة الرياضية التقليدية، وتارة بالفلسفة المثالية، المادية -لا المادية العدمية- تلك التي تُعد ركنًا أساسيًا من أركان الفلسفة الماركسية، التي بناها كارل ماركس استنادًا إلى جدلية فلسفة فريدريك هيغل ومادية فلسفة فويرباخ، وكتب فيها وتعلق بها جوزيف ستالين؛ وهنا يتضح جليًا لنا عدم قبولها كأداة صحيحة، وليست دقيقة فحسب، للمعرفة واقتفاء أثرها الإيماني! ولا حتى تلك السفسطائية الجدلية أو الميتافيزيقية.. ومن هنا بدأ يسدل ستار الإلحاد -مع بزوع الداروينية في ذلك الحين من ناحية، والشيوعية من ناحية أخرى- مع الأخذ بعين الاعتبار أن الإلحاد كان منتشرًا قبل ذلك ومعروف منذ مئات السنين، ولم يُولد هنا، ولكن هنا

(1) انظر الكتاب السابق للمؤلف: "كن عظيمًا".. فقد عرفنا فيه العلم وماهيته باستفاضة- بعيدا عن وجهة النظر المعجمية- في مقارنة مع مصطلح "المعرفة".

بدأ يصبح الإلحاد أيديولوجية؛ بل ويصبح بديلاً للإيمان وللأديان والإنسانية والإنسان! وفي نفس الوقت نشأت -أو للدقة ثبتت وتأدجت- العلمانية كذلك.. وفُصل الدين -المسيحي- عن الدولة بمجتمعها، المدني والعلمي.. وإن كان قد صرح بذلك الفصل لأول مرة صراحة توماس جيفرسون -الرئيس الثالث للولايات المتحدة الأميركية- حين صرح قائلاً: إن الإكراه في مسائل الدين أو السلوك الاجتماعي هو خطيئة واستبداد، وإن الحقيقة تسود إذا ما سمح للناس بالاحتفاظ بأرائهم وحرية تصرفاتهم"، وجاء ذلك التصريح بعد أن استعمل حق النقض عام 1786 ضد اعتماد ولاية فيرجينيا للكنيسة الأنجليكانية كدين رسمي وأصبح الأمر مكفولاً بقوة القانون عام 1789 حين فصل الدين عن الدولة رسمياً فيما دعا "إعلان الحقوق".

وقد سك مصطلح "العلمانية" فيما بعد الكاتب البريطاني "جورج هوليوك" عام 1851. "فكرتنا" العلمانية والإلحاد كانتا موجودتان قبل ذلك الزمان -القرنين السابع والثامن عشر- بكثير، وبالأخص الإلحاد الذي وُجد قبل أن "يخلق" كارل ماركس (الذي اعتبر أن الدين هو أفيون الشعوب)، وتشارلز داروين (أبو التطور)، وفريدريك نيتشة (الذي قتل الإله)! وسيجموند فرويد (الذي اعتبر أن الدين -في الأصل- وهم).. الذين بدءوا بتحليل الظواهر الاقتصادية والعلمية والاجتماعية والنفسية بطريقة لم يكن لفكرة الخالق الأعظم أي دور فيها أو أي اعتبار! ولكن لم يكن -في ذلك الزمان القديم- رائجاً مثل ما كان عليه في ذلك الوقت ومثل ما هو كائن عليه اليوم: "فلم يكن لهذه الفكرة -الإلحاد- أي رواج في تواريخ العالم القديم، وهذا يدحض قول فولتير من أن الإنسانية لا بد أنها عاشت قروناً متطاولة في حياة مادية خالصة، ثم اخترع الدهاة الماكرون -يقصد الأنبياء والرسل (عليهم سلام الله)- فكرة الإلهوية لخدع البسطاء والسذج"⁽¹⁾.

(1) د. عبد الله دراز -كتاب الدين، ص 80.

علمًا بأنه: "أكثر فلاسفة العالم القديم كانوا يقرون بألوهية الله، ومنهم أشهر فلاسفة اليونان، مثل سقراط وأفلاطون وأرسطو، ولم يكن الإلحاد إلا مذهب قلة من المدرسة الأيونية المادية وأعلامها: طاليس الذي رد العالم العربي إلى أصل الماء أو إنكسماس الذي رده إلى الهواء"⁽¹⁾؛ فالإيمان بالله فطرة متأصلة في الإنسان، أكثر من كونه أيديولوجية كبقية الأيديولوجيات التي نعرفها: "وهذا ما اعترف به معجم لاروس للقرن العشرين بأن الغريزة الدينية مشتركة بين كل الأجناس البشرية حتى أشدها همجية وأقربها إلى الحياة الحيوانية"⁽²⁾.

يحدثنا عن حداثة الإلحاد رمسيس عوض؛ فيقول:

"أصدر كاي نيلسن -الذي تمتع بشهره كبيرة في الإلحاد- كتابه "الفلسفة والإلحاد" سنة 1985، وأيضًا كتابه "الشكل والحادثة" سنة 1989، ويرى نيلسن أن الإنسان الذي يملك القدرة على التفكير لا يعقل أن يؤمن بالدين، ويقول: إن العقيدة الدينية غير معقولة؛ ومن ثم ينبغي علينا رفضها (...). كما يقول إنه لا يشعر بأدنى حاجة إلى اعتناق أي عقيدة دينية"⁽³⁾.

ويضيف قائلًا:

"وينذهب -جابريل- فاهانيان إلى أن العلم نقطة تحول في تاريخ الحضارة المسيحية؛ فقد استقل العلم بنفسه عن الدين المسيحي، واكتشف أنه ليس بحاجة إلى الإله الوارد في الكتاب المقدس؛ كي يفهم الطبيعية ويسيطر عليها؛ وبهذا اتجه العلم إلى الإلحاد

(1) ولتر ستيس-تاريخ الفلسفة اليونانية، ص 29.

(2) معجم لاروس، مادة religion نقلًا عن عبد الله دراز-المرجع السابق.

(3) درمسيس عوض-ملحدون محدثون ومعاصرون ص 100.

واقترن بالمذهب الإنساني، ويعلن فاهانيان بصراحة إننا لسنا بحاجة إلى الإله الواحد الذي ورد ذكره في الكتاب المقدس"⁽¹⁾.

"إن قليلاً من الفلسفة يجعل الإنسان يميل إلى الإلحاد، أما التعمق والتبحر فيها، فيجعلان عقل الإنسان يميل إلى الدين". فرانسيس بيكون (1561-1626) - فيلسوف ورجل دولة إنجليزي.

وهنا قد كان محققاً فرانسيس بيكون عندما توقع للعلم والإنسانية ما نعيشه اليوم - في ظل فصل التوأم: العلم والإيمان، وتشويه الأول وقتل الأخير!... فقد قال الرجل قبل أكثر من أربعة قرون ونصف القرن: "أكاد أعتقد أن المصير النهائي للعلم أن يقضي على الجنس البشري".

في كتابه (الإنسان والإيمان) يرى مرتضي مطهري (1919-1979) -عالم الدين والفيلسوف، والمفكر الإسلامي- أن: العلم والإيمان ركنان أساسيان من إنسانية الإنسان؛ فيقول موضحاً تلك العلاقة:

"في عالم المسيحية ظهرت -مع الأسف- أفكار توحى بالتناقض بين العلم والإيمان وتلك الأفكار تستمد وجودها من انحرافات العهد القديم؛ حيث يقول: "... وأوصى الرب الإله آدم قائلاً من جميع شجر الجنة تأكل أكلاً، وأما شجرة معرفة الخير والشر؛ فلا تأكل منها لأنك يوم تأكل منها موتاً تموت".

ويقول: "وكانت الحية أحيل جميع حيوانات البرية التي عملها الرب الإله؛ فقالت للمرأة: أحقاً قال الله لا تأكل من كل شجر الجنة؛ فقال الله لا تأكل منه لا تمسأه لئلا تموتا؛ فقالت الحية للمرأة لن تموتا، بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما

(1) المصدر السابق ص 29.

وتكونان كالله عارفين الخير والشر؛ فرأت المرأة الشجرة جيدة للأكل، وأنها بهجة للعيون وأن الشجرة شبيهة للنظر؛ فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت رجلها -أيضًا- معها فأكل فانفتحت أعينهما وعلمتا أنهما عريانان فخاطا أوراق تين وصنعا لأنفسهما مآزر".

ويقول أيضًا: "وقال الرب الإله هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفًا الخير والشر والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة -أيضًا- ويأكل ويحيا إلى الأبد".

الشجرة الممنوعة في هذا المفهوم هي -إذن- شجرة المعرفة وكان أمر الله (الدين) يقضي بعدم اقتراب الإنسان من هذه الشجرة، ولما عصى أمر ربه وصار "عارفًا" طرد من الجنة.. كل الوسواس التي تساور الإنسان هي وسوسة المعرفة؛ ومن هنا كان الشيطان الوسواس هو (العقل) ذاته في مفهوم العهد القديم! والمسلم يمتلكه العجب حين يسمع هذا؛ يعجب لأن القرآن علمه: أن الله تعالى علّم آدم الأسماء (الحقائق) كلها، ثم قال للملائكة اسجدوا لآدم؛ فسجدوا، إلا إبليس.. وعصى لأنه لم يسجد لآدم العارف بالحقائق، يعجب لأن السُّنة علمته أن الشجرة الممنوعة هي رمز الحرص والطمع.. وأمثال ذلك مما يرتبط بحيوانية الإنسان لا بإنسانيته والشيطان الوسواس يوحى دومًا ما هو مناقض للعقل وملائم لهوى النفس الحيوانية والنفس الأمارة -لا العقل البشري- هي تمثل مظهر الشيطان في الوجود الإنساني.. نعم، الإنسان المسلم الذي تربى على هذه المفاهيم يمتلكه العجب حين يسمع ما جاء في سفر التكوين.

مما سبق نفهم سبب تقسيم تاريخ الحضارة الأوروبية خلال القرون الخمسة والعشرين الأخيرة إلى عصر إيمان وعصر العلم وسبب تناقص العلم والإيمان في ذهن الإنسان الأوروبي.

هذا بينما تاريخ الحضارة الإسلامية يُقسم إلى عنصرين:

- عصر ازدهار العلم والإيمان معًا.

- عصر انحطاط العلم والإيمان معًا.

والمسلم ينبغي أن يكون على حذر شديد من الفهم الأوروبي لعلاقة العلم بالإيمان، ومن الانجرار نحو التقليد الأعمى لهذا الفهم الذي جر على العلم وعلى الإيمان أفضع الأضرار.

علاقة العلم بالإيمان -في الفهم الإسلامي- علاقة تكميلية: أي أن أحدهما -أو الأخرى- كليهما- يكمل الآخر.

- العلم يمنحنا القوة وينير لنا الطريق والإيمان يبعث في قلوبنا الأمل والاندفاع.
- العلم يصنع الآلة، والإيمان يرسم الهدف.
- العلم يبعث على السرعة والإيمان يعين الاتجاه.
- العلم قوة والإيمان إرادة سليمة.
- العلم يكشف عما هو موجود، والإيمان يكشف عما ينبغي أن نعمل.
- العلم ثورة خارجية والإيمان ثورة داخلية.
- العلم يحول العالم إلى عالم إنساني -مع الإيمان- والإيمان يصير النفس نفسًا إنسانية.
- العلم يوسع نطاق وجود الإنسان أفقيًا والإيمان يرفع مستوى هذا الوجود عموديًا.
- العلم يصنع الطبيعة والإيمان يصنع الإنسان.
- العلم والإيمان كلاهما -معًا- يمنحان الإنسان القوة؛ لكن العلم يمنحه قوة منفصلة والإيمان يمنحه قوة متصلة.
- العلم جمال والإيمان جمال، غير أن العلم جمال العقل والإيمان جمال الروح.

- العلم جمال الفكر والإيمان جمال الشعور.
- العلم والإيمان كلاهما مدعاة للاطمئنان؛ بيد أن العلم اطمئنان خارجي والإيمان اطمئنان داخلي.
- العلم يقي الإنسان من الأمراض الجسمية والكوارث الطبيعية -إلى حد ما- والإيمان يقيه من الأمراض والعقد النفسية.
- العلم يوائم بين العالم والإنسان والإيمان يوائم بين الإنسان وذاته.

وول ديوارنت مؤلف (تاريخ الحضارة) المعروف، على الرغم من عدم تدينه يقول: "عالم الآلة الحديث يختلف عن العالم القديم في الوسائل فقط لا في الأهداف.. ماذا نقول لو أن كل تطوراتنا اتجهت نحو إصلاح الطرق والوسائل ولم تتجه نحو إصلاح الغايات والأهداف؟".

انفصام العلم عن الإيمان أدى إلى نتائج وخيمة؛ وهذا ما حدثنا عنه التاريخ وما نشهده في عالمنا المعاصر.

جورج سارتون العالم الذي اشتهر بكتابة تاريخ العلم، يصرح بعجز العلم عن إحلال علاقات إنسانية بين أبناء البشر، ويؤكد على حاجة الإنسان المبرمة إلى دوافع إيمانية؛ فيقول:

"العلم حقق في بعض المجالات انتصارات عظيمة وباهرة؛ ولكننا لا نزال نخدع أنفسنا في المجالات الأخرى، مثل السياسة الداخلية والعالمية التي ترتبط بعلاقات أفراد البشر مع بعضهم". ويؤكد سارتون على احتياج الإنسان إلى إيمان ديني، وإلى مثلث الفن والدين والعلم؛ فيقول: "الفن يميظ اللثام عن الجمال؛ وهو لذلك مبعث سرور الحياة، الدين يبعث على الحب، العلم يتعامل مع الحق والحقيقة -أو ينبغي ذلك- والعقل ويؤدي

إلى فطنة النوع البشري ونحن بحاجة إلى هذه العناصر الثلاثة: إلى الفن وإلى الدين وإلى العلم.. العلم بشكله المطلق ضروري للحياة؛ ولكنه غير كافٍ وحده على الإطلاق". انتهى

فصل العلم عن الإيمان (الدين) في عصر التنوير أدّى إلى قيام الحضارة الأوروبية؛ ولنفس السبب فإن الحضارة الحديثة على حافة الانهيار على نفسها وعلى الإنسانية والبشرية على حد سواء؛ لأن ذلك لا يصنع إلا همجاً؛ بل حيواناً ضالاً الهدف والوسائل.. هكذا جعلت منه الحضارة المادية: لا شيء.. هذا ما يؤكده د. سامي غامري في (مشكلة الشرووجود الله) عندما قال: "لقد تحول الإنسان الغربي تدريجياً بعد عصر التنوير عن سؤال: "لماذا نعيش؟" إلى سؤال "كيف نعيش؟" واحتلت وسائل الحياة مكان اغراض الحياة لتصبح ارض هذه الدنيا سجن هذا الانسان ومنتهي بصره ولتغدو مواجهة المشقة في حياته معاناته.. اذ ان هذه المعاناة مبرأة في حسه من كل غاية ومقطوعة الوشية بكل نهاية".

ومن ناحية أخرى؛ فإن التعمق في العلم -وبالتالي والتقدم العلمي- ألا يجب أن يزيد ذلك الإنسان -سواء طالب العلم أم العالم أم المتلقي العادي أم المتأثر- بالإيمان لا العكس؟ ويؤدي العلم إلى "العلم" ومدنية الإنسان وإنسانية المدنية وسعادة البشرية وسعادة العائلية من أدنى إلى أقصى "الشرق.. والغرب"، لا العكس؟

فإنه عندما يحدث العكس؛ فاعلم أنه يحدث شيء ما مريب -نؤكد ذلك مرة أخرى.. لكن لا أعرف ما هو على وجه التحديد!- وهذا أقرب إلى ما أشار إليه فرانسيس بيكون، عندما قال: "إن قليلاً من الفلسفة يجعل الإنسان يميل إلى الإلحاد أما التعمق والتبحر فيها فيجعلان عقل الإنسان يميل إلى الدين".

أما إذا حصلنا على النتيجة الأولى وكانت واقعة -القليل من العلم أو جهل العلماء والمتعلمين وطلاب العلم، بالتالي إلحادهم وتخليهم عن الله- فإن الواقع يكون وقتها كما

توقعه فرانسيس بيكون نفسه، قائلاً: "أكاد أعتقد أن المصير النهائي للعلم أن يُقضى على الجنس البشري".

علماء كثر ملحدون ولكن ليس "أكثرهم" كذلك -كما يروج ويدعي الملحدون- لنرى هل معظم وأعظم العلماء ملحدون أو مؤمنون بوجود إله حكيم قدير؟ ولنبدأ بالبرت اينشتاين أعظم العقول البشرية، وليس بوسع أحد أن ينكر ذلك.. ألبرت لم يكن ملحدًا؛ بل كان يهوديًا -كعرق وليس كديانة- ثم أصبح بعد ذلك ربوبيًا (لأنه يرى أن اليهودية ديانة ليست منطقية)، والربوبية هي الإيمان بوجود إله للكون، مع عدم الإيمان بالرسل والأنبياء والديانات، أو حتى بإله الإبراهيمية (الديانات الثلاث، الواحد الأحد)، أو حتى إله أي ديانة غير سماوية أخرى.. ولكن يؤمن بوجود "عقل أعظم"، "إله، عظيم، حكيم، كلي القدرة، أزلي، أبدي، سرمدى".

يقول ألبرت هذا: "إن ما في الطبيعية من قوانين يشير إلى عقل جبار يقف وراءها، وعلى أي عقل أن يكون شديد التواضع أمام عظمة الإله وحكمته".

ولو سألنا أي ملحد (أو حتى كائنًا من كان) مَنْ أعظم العقول البشرية بعد اينشتاين؟ أتوقع أن إجابته ستكون: نيوتن. وهل نيوتن كان ملحدًا؟! نيوتن كان آريوسيًا والأريوسية هي أنه تشهد أن لا إله الا الله وأن عيسى رسول الله، وقال عنه إبراهيم دي لابرايم: "نيوتن كان أفضل رياضي وفيلسوف وقديس".

وأحد الكتب التي وجدت في مكتبته كانت تحمل عنوان: "عقيدة الإله الواحد".

ماذا عن أكبر الفيزيائيين المشهورين؟

هايزنبرج

قال عن الكون: "إنه نظام باهر تحكمه قوة حكيمة قادرة، لو اختفت من الوجود لاجتاحت الجنس البشري مصائب رهيبة أسوأ من الانفجارات النووية وحروب الإبادة".

أما شرودنجر؛ فيخبرنا أن الجمال والأمور الصالحة والخيرة، ومعرفة ما هو صالح وخير عما هو شر فاسد.. لا يعرف ذلك إلا من يؤمن بوجود إله -سميع، بصير، رقيب...- فهو يقول:

"إن العلم يقف كالأبكم أمام الأمور القربية من قلوبنا، مثل الانشراح والكآبة، أو لما نعتبر هذا المشهد جميل أم قبيح.. إن العلم لا يعرف شيئاً عن الخير والشر؛ لأن مثل هذه الأمور لا يفسرها إلا الإقرار بوجود إله".

أما ماكس بلانك؛ فيقول:

"لا يمكن أن تجد تعارضاً حقيقياً بين العلم والدين؛ فكلاهما يُكَمِّل الآخر.. إنهما يحاربان معارك مشتركة ضد الادعاء والشك والتسلط والإلحاد من أجل الوصول لمعرفة الإله".

بول ديراك:

"إن الإله خالق حسيب استخدم أرقى مستويات الرياضيات في تصميم الكون ووضع قوانينه".

داروين نفسه.. ماذا قال عن الإله؟

"لم أنكر أبداً وجود الله وأعتقد أن نظرية التطور متماشية تماماً مع الإيمان بالله، أرى أن أهم دليل على وجود الله هو استحالة إثبات وفهم أن الكون الهائل الذي لا يمكن قياسه والإنسان هما نتاج الصدفة".

وقال أحد أعظم علماء البيولوجيا فرانسيس كولينز (رئيس مشروع الجينوم البشري في أميركا) في كتابه (*The language of god*):

"من الذي يحجر على الخالق في أن يستخدم آلية التطور في خلق الكون والكائنات الحية؟!".

وإذا ما تركنا الإحصاءات المضللة التي يظهرها الملاحدة عن نسبة العلماء الملحدون في جمعية كذا أو معهد كذا.. إلخ، وهي الإحصاءات التي تتسم غالبًا بعدم الموضوعية: لخضوع معظم هذه الجمعيات والمعاهد ومن فيها من العلماء والأكاديميين لاعتبارات رسمية تتعلق بتمويل الأبحاث والدعم المادي.. نجد أن أكثر الفائزين بجائزة نوبل مثلًا متدينون: "وقد أثبتت التقارير أن 65% من الحائزين على جائزة نوبل هم من أهل الأديان و24% روبيين و11% من الملحدون واللا دينيين" -بحسب كتاب: مائة عام من جوائز نوبل ص57- وتلك الأخيرة كفيلة بأن تدحض ما نُشر مؤخرًا من دراسة تقول إن: المؤمن أقل ذكاءً من الملحد! وكانت قد نشرتها مؤخرًا (اليوم السابع) في تقرير لها، عدد 31 مارس 2016 تحت عنوان (دراسة أميركية: الملحد مضطرب نفسيًا، لكنه أذكى من المؤمن)! والأولى كفيلة بأن تلغي الثانية! لتصوير بتلك الدراسة العبثية -وما شابهها- أن الملحد ذكي لأنه عرف السر: لا يوجد إله! فأصبح أمر الذكاء نفسه عبثًا.. فترى الملحدون الجدد يشهرون إلحادهم ويتباهون بكونهم ملاحدة كدليل على الذكاء والدهاء والفتنة! فاتخذوا العلم عقيدة ووظيفة، لا وسيلة لفهم الحقائق أو غاية لتفسير وفهم الكون وعمارة الأرض وإصلاحها، لا لإفساد فيها.. وهذا ما يفسر تعالم العلماء وتعولم العلم والمعرفة، الذين أخذوا العلم على محمل شخصي ونفسي وهوائي وعقائدي.. ومن ثم ربط هذا - الهراء- بالعلم! فيروج له -لتلك الافتراءات والافتراضات- على أن مثل هؤلاء مرجعية علمية!

لماذا ألحدوا؟

أما عن سبب إلحادهم..

فهذه إشكالية كبيرة، بعيدًا عن كل الهراء والمبررات الإنشائية التي يقولها الملحدون أو المتعاملون أو التي يعتقد غير الملحدون، في محاولة تفسير إلحادهم أنها سبب إلحادهم:

وهو لـ"تعارض" الدين مع أفكارهم، مع المنطق، مع العقل، مع الحقيقة، مع العلم..! وما أفكارهم وما المنطق وما العقل وما الحقيقة وما العلم؟!

العلم مفهوم واسع سنصاب بالتيه متى بحثنا في معاجم اللغة وكلمات الكتاب والكتب و"عقول" ما يسمون بـ"العلماء"⁽¹⁾؛ لذلك ولينا عن تعريف مفهوم العلم من منظور لغوي معجمي، أو من منظور ومأثور اجتماعي؛ فإذا سُمح لي أن أعرف العلم؛ فسأعرفه بأنه: الحقيقة أو المبدأ الذي وضعت عليه الحقائق؛ لذلك لا ينبغي أن يحتكر العلم أحد أو يزعم ذلك.. وهناك وجهان للاحتكار:

أولاً: لا حاجة للاجتهاد؛ لأن إمكانات العامة العقلية النسبية -أو حتى الأكاديمية- ضعيفة وبالتالي هناك من يفكر بدلاً عنا، سواء أكانوا أشخاصاً عاديين أم منظمات ووكالات -كناسا أو الوكالات الإعلامية على سبيل المثال-.

ثانياً: عدم قابلية القياس العامة، من عامة الناس والمتلقين العاديين أو طلبة العلم على السواء، وقد أشرنا من قبل أن هناك فرق بين المعلومات والمعرفة وبين العلم؛ فطالب العلم ليس من لديه كم من المعلومات، سواء تلك التي يحفظها عن ظهر قلب في مراحل التعليم والدراسة المختلفة أم يتلقها من الكتب أم عن طريق القراءة والوسائل المختلفة لجمع المعلومات، دون بحث وتفكير نقدي (معرفة) أو حتى تطابقها مع مبادئ البحث العلمي (علم)؛ بالتالي تبقى هذه معلومات أو مجرد "فرضيات" غير قابلة حتي للقياس أو الإثبات (وبالأخص علمي الطبيعة والفلك).

وكلا الوجهين للاحتكار يعتمد على مبدأ المرجعية العلمية: أي: ليس عليك أن تشك وتفكر؛ فالعلم يقوم بذلك بالنيابة عنك! وفي النهاية يرمون الدين بالجمود والاحتكارية!

(1) أشرنا للعلماء في هذا السياق، ليس استنكاراً، إنما لأننا لم نُعرف "العلم"، بالتالي لا نعرفه ولا نعرف ماهيته. ونحن نُعرِّف "العلماء" بالعلم، لذلك فإنه ينبغي أن نعرفهم قبل أن نسميهم.. وإلا على أي أساس نعرفهم!.

وهذا نفسه مبدأ الملحدين -وبالأخص الجدد- فهم لم يصلوا لفكرة "عدم وجود إله" من خلال بحثهم وفكرهم ودراساتهم المتعمقة وفكرهم الفذ.. بل لمجرد أن هوكينج أو دوكينز أو غيرهم من (الأذكىاء) ملحدون.. فلن نكون نحن أذكى منهم مثلاً ونكون مؤمنين! أو أنهم وصلوا لإلحادهم بعقريتهم؛ فلا داعي للبحث إذن؛ فهؤلاء يملكون كل الحقيقة! وبعضهم الآخر -الملحدون الجدد- فهم لم يلحدوا لأن "العلم" أقنعهم -وإن كانوا يدعون ذلك- أنه لا يوجد إله لهذا الكون؛ ولكن لأنهم أساءوا فهم الدين؛ وبالتالي لم يحاولوا فهمه؛ بل استعاضوا عن ذلك بالسخرية والاستهزاء من معتقدات المؤمنين، وخصوصاً المسلمين، ورموز الدين من الأنبياء والرسل والكتب المقدسة -وبالذات القرآن الكريم-!

"يمثل "الايمان" ركا في كل بحث علمي، واذا شككت فيما اقول، فذلك يرجع الي "ايمانك" بقدراتك العقلية! ومن ثم فان محاولات الالحاد الجديد الغاء دور الايمان عند النظر في القضايا العلمية مآلها الفشل" جون هوت

والشاهد في الأمر أنني أحب -أو كنت للحفاظ على صحي-! محاورة الملحدين دائماً، نصف حديثهم التعدي لفظاً على العقائد والصحابة بالسباب والشتائم، والنصف الآخر جدل وسفسطة وسب وسخرية في محاورهم أيضاً.. وذات مرة عندما وجدت أنه لا طائل في الحديث مع اثنين منهم، أخبرتهما أن ألبرت أينشتاين مسلم شيعي جعفري، وهذا هو الدليل⁽¹⁾ وفجأة وجدتهم انقلبوا بسبابهم على الإلحاد والملحدين، وكأنهما قد ضربا على رأسهما؛ فرجع وعيها مرة أخرى.. ورجعا لإيمانهما!. وإذا أخذنا مثلاً أكبر من هذا وهو (ريتشارد دوكينز) أحد أكبر رؤوس الإلحاد والأب الروحي للملحدين، في فيديو شهير له

(1) كنت قد قرأت خبراً مثل ذلك، موثقاً- أو ملفقاً-.. ولكن في الحقيقة أينشتاين عاش ومات ربوبياً، ولم يعتنق أية ديانة، كما ذكرنا ذلك سلفاً.

سُئِلَ: ماذا لو عشت قبل داروين؟ فرد دوكنز: "على الأرجح كنت سأؤمن بالله إن عشت قبل داروين!!"

وهذا يعني أن الإلحاد خداع منظم مبني على إستراتيجية الثقة أو المرجعية العلمية. وهذا المبدأ يقودنا إلى مبدأ آخر أكثر أهمية: مبدأ اتباع القطيع للقطيع.. وحاشا أن أقول أو يكون "العلماء" قطع! إنما المتعلمين الذين يدعون العلم، هم كذلك.

الذين يقدمون "فرضيات" لا "حقائق" -بالدليل، مقياسه البحث والنهج العلمي- ويلبسونها في لباس العلم لخوض حربهم ضد الدين لا أكثر وأمثالهم كثير، ومشكلاتهم نفسية مع الله..! والأسوأ من هذا وذاك هو أن تلك الفرضيات بُنيت على مبدأ (خيالي علمي) وليس على مبادئ (البحث العلمي)؛ فهم بذلك أدباء قبل أن يكونوا علماء -ومع ذلك أقحموا أدبياتهم بالعلم!- وأمثال هؤلاء كثير -أيضاً- مثل آرثر سي كلارك، جون ميلتون، كارل ساجان، إسحاق عظيموف، وستيفن هوكينج، والأكثر سوءاً، أن مثل هؤلاء قدموا للعلم -من فرضيات ونظريات- ما لم يقدمه غيرهم في مجالات الفضاء والكونيات و"الفلكيات"! بفضل خيالهم الواسع -مع الأخذ بعين الاعتبار أن تلك الفرضيات باتت اليوم من المسلمات العلمية التي لا يمكن التفكير في التشكيك فيها!-

وستعرض لذلك في الفصل المناسب في هذا الباب

لذا فإن تلك المعرفة التي قدمها هؤلاء أو من على شاكلتهم من المتعلمين ليست دقيقة فحسب؛ بل إنها ليست صحيحة بالمرّة؛ لأنها لا تمس المنطق والبحث العلمي بصلة⁽¹⁾ - وإن كانت أقرب ميتافيزيقياً للفلسفة، وأدبياً لقصص الأطفال.

الخيال العلمي والعلم لا يمكن أن يلتقيا أبداً؛ فمارسوا الأدب وهواياتكم بعيداً عن العلم فضلاً!

(1) ونضرب الأمثلة على ذلك، على سبيل المثال: الكائنات الفضائية، السفر عبر الزمن والانتقال الذري، السفر للخارج، التناين والديناصورات، صنع الحياة، الأكوام المتعددة والمتوازية.

فإن مثل هؤلاء ما يفسر إلحادهم أنهم كذبوا كذبة وصدقوها، وهذا ما يفسر-أيضًا- أن كثيرًا من طلبة العلم العاميين-بالرغم من التقدم العلمي المزعوم- يتركون إيمانهم ويلحدون بالله ويؤمنون "بالعلم"! لأنهم اتبعوا "الهوى" لا "الهدى" فضّلوا عن سبيل الله (الحقيقة).

"قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ۚ وَلَئِنَّ آتِيعَتَ أَهْوَاءِهِمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۚ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ". (سورة البقرة-120)

"وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ" (سورة الأنعام-150)

"فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ". (طه-123)

"ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ". (الجاثية-18)

"وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ". (سورة القمر-3)

"وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ". (سورة البقرة-99)

"وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ". (سورة طه-56)

"قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ". (سورة الأنعام-33)

"وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَقْتُرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ". (المائدة-103)

"وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ". (سورة العنكبوت-63)

"كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ". (سورة الروم-59)

ومرة أخرى.. فهم فاقد الشيء الذي لا يعطيه! أو ما يمكن تسميتهم -بناء على الآيات السابقة- "العالم، الجاحد" وبالتالي "العالم الجاهل"! الذي نعبر عنه قرآنياً بمصطلح (الكفر) أو "كافر".

وفي الوقت نفسه الذي يسخرون فيه من المؤمنين -لأنهم سذج يؤمنون بما لا يرونه ويعبدونه!- فإن أولئك الملحدون "يؤمنون" إيماناً أعمى بالداروينية والانتخاب الطبيعي- بالرغم من أنه لا يوجد دليل واحد يثبت هذا الرأي أو تلك الفرضيات!- فالإيمان المبرر - عند هؤلاء- بالدين هو تخلف وغباء، أما الإيمان السطحي بالعلم؛ فهو مقبول.. بل وهذا الأمر من الذكاء والعبقرية!

"وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ". (البقرة-13)

يتحدث العجيري في (ميليشيا الإلحاد) عن تلك العقلية -الإلحادية- بشيء من الوضوح ضارباً المثل بريتشارد دوكنز الملحد الأشرس والأشهر في القرن الأخير، قائلاً إن:

ريتشارد دوكنز من الشخصيات شديدة التعصب للداروينية والتي كانت -كما أخبر عن نفسه- سبباً للإلحاده وأضحت مجاله الاختصاصي وأصبحت أكثر مؤلفاته وكتبه وإنتاجه هو في سبيل تقريرها والتدليل عليها، وهو بكل حال صاحب التصريح الشهير: "إنه لمن الآمن تماماً أن تقول إن أي شخص تقابله ممن يدّعي عدم إيمانه بالتطور أن هذا

الشخص أما أن يكون جاهلاً أو غيبياً أو مجنوناً أو شريراً لكنياً فضل عدم اعتبار الوصف الأخير؛ فهل هذه الوثوقية العالية بهذه النظرية نتيجة لبحث علمي متجرد فقط أم أنها تكشف عن طبيعة إيمانية عقيدية بهذه النظرية؟ يقول دوكينز في كتابة (وهم الإله): "هذا الكتاب يدافع عن رؤية بديل: إن أي عقل خلاق لديه القدرة على تصميم أي شيء؛ فإنما يظهر في الوجود كمنتج لعملية طويلة من التطور المتدرج"؛ فما الذي يريده دوكينز حقيقة بذكر هذا التعليق؟

يقول في أحد حوارته بعد أن سأله المحاور: "ألم يكن في مخيلته أن ثمة احتمالية، ولو ضئيلة أن يكتشف أحد الفيزيائيين مستقبلاً الله في أحد هذه الأبعاد؟ يجب دوكينز قائلاً: "حسناً أنا مقتنع أن الفيزيائيين مستقبلاً سيكتشفون شيئاً مذهماً كأي إله يمكنك تخيله!"

- ولماذا لا تسميه الله؟

- لا أعتقد أنه من المفيد تسميته الله.

- حسناً كيف تعتقد أنه سيكون إذن؟

أعتقد أنه سيكون شيئاً مذهماً ومذهلاً وشيئاً يصعب فهمه، وأن كل التصورات اللاهوتية ستكون محدودة وبسيطة بالمقارنة".

تصل إلى هذه النقطة في الحوار: فتتشكك فعلاً هل أنت أمام ريتشارد دوكينز الملحد الصلب الشهير؟! لكنه يعود فيقول بعد ذلك: "لكن هذا العقل العظيم هو في حد ذاته بحاجة إلى تفسير ولا يكفي أن نسميه الله، سيحتاج إلى نوع من التفسير لوجوده كالتطور، من الممكن أنه تطور على كوكب آخر، صنع نظاماً حاسوبياً للمحاكاة ونحن جميعاً جزء منه!

إن هذه مقترحات من قبيل الخيال العلمي لكنني أحاول التغلب على قيود العقل في القرن الواحد والعشرين، إنه سيكون أكثر عظمة وأكبر وأكثر جمالاً وأكثر روعة وسوف يلحق العار بعلم اللاهوت".

وهذا الكلام كما تراه بعيد فعلاً عن الروح العلمية التجريبية، ويكشف عن منطقة إيمان بفاعلية الداروينية، ليس في المجال المنظور بالنسبة لدوكينز؛ وإنما في الوجود مطلقاً؛ فليس ثمة طريق أبداً للحصول على عقل مفكر إلا عن طريق تطور بطيء؛ فإن كان دوكينز ينتقد على المتدينين إيمانهم بالخالق وفكرة الخالقية؛ فهو الآخر يؤمن بالداروينية إيماناً شديداً العمق (...) إن موقفه من وجود الخالق عائد في حقيقته إلى هذا الإيمان العميق بالداروينية، وليس إلى معطيات علمية محققة (...) هذا نموذج واحد فقط لأحد تجليات الحالة الدوغمائية عند الملاحدة وإيمانهم المادي بالغيب، وثمة أمثلة متعددة أخرى كإيمان كثير من الملاحدة بأزلية الكون أو فكرة الأكوان المتعددة أو المتوازنة أو غير ذلك⁽¹⁾؛ وهذه هي السفسطة بعينها.

الإلحاد السفسطائي وأنماطه⁽²⁾

تدور حجج الإلحاد في الفكر الغربي حول القضايا العلمية الخاصة بخلق الكون وظهور الحياة ونظرية التطور الدارويني والأبحاث الحديثة في شتى المجالات العلمية، وهو ما يسوغ تسميته.

"الإلحاد المادي الطبيعي" أما الفكر الإلحادي بين شبابنا؛ فدور هذه القضايا العلمية فيه قليل بينما للخلفية النفسية فيه الدور الأكبر؛ كما أن للانطباعات العامة فيه دوراً

(1) عبدالله ابن صالح العجيري- ميليشيا الإلحاد: مدخل لفهم الإلحاد الجديد، انظر الصفحات: 89:92.

(2) المرجع الرئيسي لهذا الفصل: انظر:

خرافة الإلحاد- د. عمرو شريف ص 392 وما يليها.

الإلحاد مشكلة نفسية- د. عمرو شريف ص 334 وما يليها.

كبيراً أيضاً، وتقف وراء الإلحاد الذي ظهر بين شبابنا "مفاهيم ونماذج معرفية" مختلفة تختلف من مجموعة لأخرى يمكن أن نطلق عليها جميعاً اسم "الإلحاد السفسطائي" (...). ويلاحظ المتأمل لهذه الأنماط أنها تنقسم إلى مجموعتين كبيرتين:

المجموعة الأولى: وتشمل الأسباب الحقيقية وراء الحاد الملحدين، وهي الأسباب النفسية العميقة التي تختفي وراء أسباب موضوعية يعلنها شبابنا.

المجموعة الثانية: وتشمل الحجج العلمية والفلسفية المعلنة ويختلف مدى صدق مواقف الشباب الملاحدة من هذه المفاهيم وإن كان نصيب معظمهم من خلفيات وتفاصيل ما كُتب في تفنيد هذه الحجج ضئيلاً للغاية.

أولاً: الأنماط النفسية للإلحاد:

1- الإلحاد الصبباني:

اعتدنا في صبابنا أن نتحاور مع أقراننا وكان كل منا يحرص على استعراض قراءاته وإظهار ثقافته وكنت كثيراً ما أطرح على محاورى سؤالاً: إذا كان الله قد خلق الكون فمن خلق الله؟

إن الصببي في هذه المرحلة فرح بتساؤلاته وبتميزه عن أقرانه الصامتين (عوامل نفسية شخصية) ومع النضوج الفكري تنهت إلى أنني -بتساؤلي هذا- قد جعلت الخالق مخلوقاً بعد أن تفتح عقلي على عالم المعرفة والتساؤلات، وبالرغم من أن هذا التساؤل الصبباني (الطبيعي في هذه السن) قد قُتل بحثاً وحسم على أيدي علماء المسلمين منذ ألف سنة، وأيضاً على أيدي رجال اللاهوت في المسيحية، وكذلك في طرح العديد من الفلاسفة المعاصرين -لا سيما الأقدمين- فإن الملاحدة في بلادنا وعبر العالم يعدونه الحجة المحورية في الحادهم.. حتى إن ريتشارد دوكنز نفسه يقيم كتابه (وهم الإله) على هذا

التساؤل! وملخص تنفيذ هذه الحجة الإلحادية أن كل موجود حادث لا بد له من موجد (سبب) وإذا تسلسلنا في الأسباب لأعلى؛ فسنصل حتمًا لسبب أول وراء كل الحادثات ينبغي ألا يكون له موجد. ويطلق علماء المنطق على استحالة التسلسل إلى ما لا نهاية اصطلاح "التسلسل يمتنع"؛ ومن ثمَّ يصبح السؤال عن سبب السبب الأول الذي لا سبب له سؤالًا غبيًّا! وإذا كنا لا نستطيع (تصور) موجود لا موجد له؛ فإن هذا "الدليل العقلي المنطقي" (التسلسل يمتنع) وكذلك (الدليل العلمي) المتمثل في احتياج الكون والحياة والإنسان إلى مصمم ذكي "يحتمل" الإقرار العقلي بالإله كموجد أول. إذن فقضية الإله الأزلي تتعقل وإن كانت لا تتصور، وقد استقر هذا المفهوم في يقيني بعد أن قدم لنا العلم المعاصر مفاهيم لا يمكن تصورها، ولكن ينبغي تعقلها إذ يثبتها البرهان الرياضي، مثال ذلك ما تخبرنا به نظرية "الكوانتم" من أن الجسيم تحت الذري يمكن أن يوجد في أكثر من موضع في وقت واحد.

2- إلحاد المراهقين:

تُعد فترة المراهقة من أخرج الفترات في حياة الإنسان؛ ففيها يبدأ المراهق في الشعور بذاته والثقة بنفسه وعقله؛ فيعد آراءه وأحكامه العقلية هي المرجعية التي يقرر في ضوءها صواب وخطأ الآخرين؛ بل يجعل من نفسه نَدًّا للكبار؛ فيتمرد عليهم ويرفض ما لا يروق له من آرائهم وأفكارهم كما تسيطر عليه الرغبة في الظهور (عوامل نفسية شخصية) وقد أفرزت هذه الصفات (سواء تخلق بها المراهقون أو الكبار) عددًا من الأنماط الإلحادية؛ فاستحقت أن نطلق على كل منها اسمًا:

أ- إلحاد الندية والكبر:

ينظر المراهق (سواء كان في سن المراهقة أم كان كبيرًا مثل دوكنز) إلى الإله باعتباره رجلًا ذا قدرات خارقة (سوبرمان) فيحكم على أفعال الإله بمقارنتها مع أفعاله هو. في

المناظرة التي دارت بيني -الكلام للدكتور عمرو شريف- وبين قطب إلحادي والتي أذاعتها إحدى الفضائيات قال الملحد: في يوم من الأيام قتلت بعوضة وتحديت الإله إذا كان موجودًا أن يقبل التحدي وأن يحييها! يُعد التحدي لإحياء الموتى أحد أشكال الندية والكبر وقد طرحه ملاحدة الأمم الغابرة على أنبيائهم، وكنت أظن أنه قد انقضى بانقضائهم؛ فإذا بالملاحدة المعاصرين يمارسونه بغباء.. كيف يصير الأمر لو استجاب الله - عز وجل- لكل تحد يطرحه ملحد؟ لا شك أن الحياة ستصير مهزلة ويصبح الملحدون هم الآلهة.

ومن أمثلة الندية الخرقاء شكوى البعض من أن ليس هناك "عقد" بيننا وبين الإله يضمن أنه سيوفي بوعده لنا بالجنة إن أطعناه! ويؤدي الشعور بالندية إلى فرض تصورات على الإله، ومن أمثلة ذلك تساؤل البعض: ما الذي يستفيده الإله من عبادتنا طوال عمرنا؟ لهؤلاء قلت: إن قواعد المنظومة (أو اللعبة كما يقولون) يضعها الإله الخالق، وليس للعبد المخلوق إلا الطاعة والالتزام؛ فانت إذا شاركت في لعبة كرة القدم مثلاً عليك الالتزام بقوانينها، ولا تستطيع أن تطبق فيها قواعد كرة اليد⁽¹⁾. وفي كل الأحوال فإن طاعتنا لا تزيد في ملك الله ولا تنقص منه معصيتنا شيئاً والعبد هو المستفيد الأول والأخير.

ب- إلحاد التمرد:

في مناظرتي التي بثت فضائياً أراد الملحد إظهار إعلائه لقيمة الحرية؛ فقال: إني مستعد أن أدخل النار حرّاً ولا أدخل الجنة عبداً للإله. إن تمرد هذا الملحد ليس بسبب اعتزازه بالحرية ورفض العبودية؛ فقد خاطب رفيقته من خلال موقعه على شبكة المعلومات قائلاً لها "معبودتي"! إنه تمرد على العبودية للإله بالتحديد.. إن جوهر المشكلة الذي يولد إلحاد الندية والكبر وكذلك التمرد هو الإصرار على قياس علم وحكمة وأفعال

(1) هذا المثال من طرح الفيلسوف الألماني لودفغشتين الذي وضع الفلسفة الوضعية المنطقية.

الإله المطلق الأزلي الأبدي الذي لا حده الزمان ولا المكان ولا منظومة الأسباب على علم وحكمة وأفعال الإنسان المحدود المحكوم بالأسباب.. إن الإله ليس كمثله شيء، إنه مختلف تمامًا عن البشر، ومن هذه الاختلافات أنه لا يفعل لغاية أو احتياج مثلما يفعل الإنسان، لقد سقط إبليس اللعين في هذه الخطيئة المعرفية؛ فتمرد على الإله وجعل من نفسه نداءً له وحكمًا على أوامره عز وجل ورفض السجود لآدم -عليه السلام- بدعوى مخالفة الله -عز وجل- لمنطقة إبليسي؛ فإبليس من نار وآدم من طين!

ج- إلحاد "خالف تعرف"!

أخبرني الأب أن ابنه فشل في تحقيق ما حققه إخوته من تفوق في مجال الدراسة، وأخيرًا مال إلى الحديث مع الآخرين في قضايا الألوهية، ثم تبني إلحاد بشكل كامل وعندما حاورت الفتى لمست فخره بأن ذلك جعله حديث المدرسة، طلابها ومدرسيها، وجعله يجالس ويحاور عددًا من العلماء والمفكرين بعد وساطة والده على أمل أن يردوه عن إلحاده.. إن مخالفة أعراف المجتمع ومفاهيمه وقيمه المستقرة هي أيسر الطرق لتحقيق ذبوع الصيت والشهرة بين الأقران وأمام الآخرين.

د- إلحاد الاستغناء

شكى لي الوالدان أن ابنتهما قد تبني إلحاد ويدعوها إليه، وأنه يرفض أن يتحاور مع أحد لأنه "مبسوط كده" أرسلت إلى الفتى مع والديه ادعوه لمحاورتي؛ فإن أقنعتني برأيه سأدعم موقفه وأقنع به والديه؛ أما إن كان على خطأ؛ فليعلم أن تمسكه بموقفه سيكلفه ما لا طاقة له به في الدنيا والآخرة.. وافق الفتى على دعوتي والتقينا قال لي: إن حياتي سعيدة مستقرة مع إلحادي؛ فلماذا أشغل نفسي بقضية الألوهية والدين في الوقت الذي لا أشعر بحاجة إلى الإيمان بها؟ قلت له، ما تقول في الطالب الذي لا

يستذكر دروسه لأن حياته سعيدة مستقرة دون مذاكرة ولأنه لا يشعر بحاجة لبذل الجهد والمعاناة في ذلك؟

إن هذا الطالب لا يستحضر أن هناك عواقب لحياته السعيدة تلك! ألا ينبغي على والديه ومدرسيه أن يوجهوه إلى ما فيه مصلحته حتى إن كانت المذاكرة على غير هواه، وحتى إن كان لا يدرك أهمية ذلك الآن؟ وأضفت، لا ينبغي أن يحيا الإنسان تبعاً لما يحقق له السعادة فقط؛ ولكن ينبغي أن يحيا تبعاً لما يمليه عليه العقل، وينبغي أن يرسم مساره بعد أن يدرك مصيره ومآله وأنهيت التمهيد للجلسة قائلاً: إن الحياة تبعاً لما يمليه "الهوى" هي حياة المراهقين، أما حياة الناضجين فتتبع العقل، ومن ثم فإن "الاستغناء" الحالي ليس مبرراً لعدم الإيمان.. اقتنع الفتى وقبل أن يدخل معي في حوار.

3- إلحاد اضطراب الارتباط:

ونقصد بالارتباط، العلاقة بين أبنائنا ووالديهم، وتقف وراء نظريات الاضطراب نموذج الأم والتقصير الأبوي (...). استخرجت من أوراقي سبع حالات بالتحديد كان والداهم منفصلين، إما بالطلاق أو بالهجران، وكان الابن يحيا مع أحد الطرفين وفي حالتين كان يحيا وحده وكانت علاقات السبعة بوالديهم أو بأحدهما (خاصة الأب) سيئة للغاية، وفي حالتين تزوج الزوج زوجة أخرى، وبرر ذلك باتباعه سنة الرسول -صلى الله عليه وسلم- وفي خمس من السبع حالات كان الوالدان من المتشدددين دينياً الذين حرّموا على أبنائهم متعاً بريئة باسم الدين، وكانوا يضربونهم من أجل حفظ القرآن في صباهم.. وفي أربع حالات في المدرسة الثانوية شغل دور الأب مدرس ملحد كان مثلاً أعلى للفتى ودفعه للإلحاد دفعاً وأجهض كل محاولات الحوار والإقناع، أما الارتباط بصديق أكبر ملحد تشرب منه الفتى التوجه الإلحادي؛ فقد تجاوز العشرين حالة، ولا شك أن الأعداد الحقيقية لمن شاركت تنشئة الوالدين في إلحادهم تفوق ذلك بكثير؛ لكني كما ذكرت لم انتبه لخطورة هذا العامل النفسي إلا مؤخراً.

4- إلحاد عقدة النقص:

عقب الحلقة الأولى من مناظرتي مع الملحد التي أذيعت إعلاميًا اتصل بي صديق وأخبرني أن ابنه الذي سبق أن ألحد طلب منه أن يصلي معه العصر، وعندما سأله عن سر تصحيح موقفه بالرغم من أن المناظرة لا زالت في بدايتها قال الابن: عندما كنا نشاهد هذا الملحد وغيره في "التنت" كانوا يشعروننا بأنهم هم الحكماء الذين يحتكرون العقل ويتبنون العلم منهجًا، أما الدين ورجاله فهم المتخلفون علميًا والعاجزون عقليًا، وأنهم لا يحسنون إلا ترديد ما جاء في التراث؛ فأصبحوا خارج الزمان وخارج الحضارة (عوامل نفسية شخصية) وأضاف الفتى أما وقد شاهدت الجزء الأول من المناظرة، وعانيت قوة حجج د. عمرو العلمية والفلسفية وعجز الملحد أن يدفعها؛ تأكد لي كم هم أقزام ومدعون وأدركت أن الدين عظيم وأن حججه لا تدفع بشرط أن يحسن عرضها.

5- إلحاد الشهوات:

يبتعث الكثير من شبابنا إلى دول العالم الغربي والدول الشيوعية (سابقًا) - (والدول الرأسمالية أكثر انحلالًا وضلالًا للهدف والوسيلة!) - ويعاينون نمطًا من الحياة تحتل فيه العلاقات الجنسية - خارج إطار الزواج - موضعًا محوريًا باسم الصداقة والحب؛ كذلك فإن هذا النمط من الحياة يدخل بيوتنا عن طريق الإعلام والسماوات المفتوحة، كما تعرض المواقع الإباحية على الشباب كمًّا كبيرًا من المثيرات؛ نتيجة لذلك يتوق بعض شبابنا إلى هذا النمط من الحياة (عوامل نفسية وشخصية)، وقد تُمثل التنشئة الدينية حاجزًا أخلاقيًا وعبئًا نفسيًا يؤرقهم؛ فيلجأ بعضهم للهروب من هذه المعاناة إلى إسقاط منظومة الإله والدين من حياتهم بالتنكر لها؛ لذلك لا نجد هذا النمط من الإلحاد في العالم الغربي؛ فلا مشكلة عند شبابهم في الجمع بين الإيمان الديني والحياة المتحررة أخلاقيًا.

6- إلحاد الربوبية:

يشبه هذا النمط من الإلحاد ما كان سائدًا في مكة وقت البعثة المحمدية؛ فقد كان معظم القرشيين يؤمنون بوجود الإله، ولكن ينكرون أن يكون قد أرسل رسولًا: "وَلَيْنُ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ" (العنكبوت 61): فيقول هؤلاء: "نقر بوجود الإله أما الأديان فادعاءات سببت كل ما في الدنيا من شقاء ولا حاجة لنا بها". ويضيف آخرون: ما دليلكم على أن الإله قد خلقنا لغاية لم لا يكون قد خلقنا وتركنا؟ وكيف ينشغل بتفاهات مثلنا؟ هل هو في حاجة إلينا؟!

أجبت هؤلاء: أن الإنسان إذا أقدم على فعل شيء دون سبب عددناه أبله؛ فهل يعقل أن يخلق الإله الوجود والإنسان دون حكمة أو غاية؟! وأضفت: أن الباحث عن الحقيقة يرحب بأي عون يأتيه؛ لذلك كان خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام (وغيره من الأنبياء والمرسلين) يتفرس في السماء باحثًا عن الإله وفي النهاية قال: "لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ" (الأنعام 77) وإذا كنا مخلوقين لغاية ألا يكون من الظلم ألا نوجه إلها عن طريق الديانات السماوية. وحقيقة الأمر أن "القائلين بالربوبية المنكرين للديانات" هم والملاحدة سواء بسواء⁽¹⁾؛ فمنهم من يهتدي ويؤمن بالله -سواء إله المسيحية أو إله الإسلام-، ومنهم من يهتدي ببحثه أو "الدليل" للإيمان بـ"الإله" -دون دين محدد-، ولنضرب على ذلك أمثلة أربع على أكبر الشخصيات "غير المؤمنة" وأشرسهم:

(1) لدينا هنا بعض التحفظ على هذا الرأي، إذ أن الإلحاد في طبيعته هو "إنكار" مع "علم"، أما الربوبية فهي في الغالب، وفي حقيقة الأمر، مرحلة "ثانية" بعد "الإلحاد".. وهو الإيمان بوجود عقل أعظم محرك (مع عدم الإيمان بالرسول والأنبياء والرسالات: الأديان والكتب الثلاثة).. أي أن الربوبية هي إيمان "نسبي"، بعكس الإلحاد.. فهو "كفر" مطلق. وتعني الربوبية في حقيقتها البحث عن الله والحقيقة، لذا يمكن اعتبارها استثناءً للإلحاد السفطاني. فلن تجد عربيًا ربوبيًا! إنما الملحدون العرب جميعهم سفطانيون. تشتهر الربوبية، في الغالب، في الغرب، وذلك نظرًا لتناقضات الكتاب المقدس، وتسلط الكنيسة وكهنوتية الدين، لذلك فيلحدون برب الكنيسة وإله المسيحية ورسولها. والربوبيون يبحثون في أعماقهم عن الحقيقة، وليسوا سفطانيين كغيرهم، أو يأخذون الإلحاد كعقيدة "إيمانية"!

1. أنتوني فلو: الفيلسوف البريطاني، وشيخ الملحدين؛ فقد آمن بالإله بعد قضاء جل عمره في الكتابة والمناظرة في سبيل نشر الإلحاد.. ومات وهو "يبحث "عن" الله" - سنتكلم عنه فيما بعد-

2. لورانس بي براون: الطبيب الأمريكي.. الذي آمن بالله وأسلم بعد بحث طويل، وإلحاد أطول.

3. جيفري لانج: الكاتب وعالم الرياضيات والفيلسوف الأمريكي. قاده بحثه إلى الإيمان بالله ودخوله الإسلام.

4. فرانسيز كولينز: عالم الوراثة الأمريكي، ومدير مشروع الجينوم البشري.. الذي آمن بالله بعد إلحاد مؤثر دام طويلاً، أما "ملحدونا" "الجدد"، فهم لا يعرفون ولا يبحثون، فإيمانهم المطلق بعدم وجود "إله"، "أعمى فحت بحث!!".

فهم ليسوا ربوبيين -وإن ادعى بعضهم ذلك بغير علم وفهم!- ولا لادينيين، بل هم "ضد الدين" وضد الإله.. أو بالأحرى هم "ضد الله".. ومع ذلك فهم لا يؤمنون بـ"الإله" -وليس بالله..- وشتان بين هذا وذاك!

إذ إن إنكار الدين يفرغ الألوهية من جوهرها الذي هو تكليف الإنسان عن طريق الدين بأوامره ونواهيه، وما يعقب الموت من بعث وحساب وجزاء -وأيضاً الباحث عن الحقيقة والحق، يدله المنطق- كما يدل المؤمن -على الحياة الآخرة- وغيره مما عدده د.عمرو شريف؛ فالدين ليس وسيلة لفهم هذه الأمور؛ بل إن الدين منطوق للمنطق نفسه لأنه تشريع وتسوية إلهي لفهم الكون وتهئية قوانينه للإنسان -ولخدمته..- ولمعرفة الله، العقل الأعظم- وقد تبني معظم الربوبيين هذا التوجه تحرراً من تكاليف الديانات (افعل ولا تفعل)؛ لذلك وضعنا هذا النمط ضمن العوامل النفسية الشخصية وإن كان ظاهره يبدو عقلياً موضوعياً.

7- إلحاد الجبر والتسيير:

قال بعضهم: كان ينبغي على الإله أن يأخذ رأيي قبل أن يخلقني! وبأي حق يحاسبني إن لم أعبدَه أُلست حرّاً.. "إزاي يحاسب واحد على لعبة هو مش عاوز يلعبها"؟

لهؤلاء قلت: لو مش عاجبك انسحب من اللعبة! قال كيف؟ قلت: بالانتحار! وليس هناك عاقبة تخشاهما فأنت لا تؤمن بالبعث والحساب، وأضفت: إن عدم إقدامك على الانتحار لهو أكبر دليل على رضائك عن خلقه لك؛ حتى إنك قبل أن تعبر الشارع تنظر يمنة ويسرة عدة مرات حفاظاً على حياتك -أضف على ذلك، ومن ناحية أخرى، فإنه بالفعل أكثر المنتحرين يكونون من الذين لا "يلعبون"؛ فعدم اللعب أرهقه وقتل روحه قتلاً.. أليس هذا دليل على أن اللعب -الإيمان بالله والعبادة- أمر جيد؟- أفحمته حجتي؛ فقال: ربما يكون هناك شيء مما تقول عندها سيعذبني إلهك، إنه يعاملنا كالعبيد.. قلت له: أخيراً وصلت للحقيقة؛ فعلاقة الله بنا هي علاقة السيد بالعبد، وهذا ما نحاول دائماً التملص منه بادعاء الندية، والعدل يقتضي أن يكون الإله الرحمن الرحيم -أيضاً- منتقماً جباراً مثلاً، وأضفت، أن الإسلام يتبنى هذا المفهوم الذي يجمع بين الجمال والجلال ولا يكتفي بأن "الله محبة" كما يعتقد المسيحيون أو أنه "غضوب" فقط كما يعتقد اليهود فله الأسماء الحسنى جميعاً، جمالها وجلالها ومن لم يعرف ذلك؛ فمعرفته بالإله ناقصة.

وشكى بعضهم أن الإله يحاسبنا على اختياراتنا بالرغم من أنه فرض علينا أشياء كالعائلة والبلد والمرض وأحداث كثيرة مما يمر بنا.. قلت لهؤلاء: إن الله لا يحاسبنا على هذه الأشياء، الحساب لا يكون إلا على ما فيه مجالاً للاختيار، ويرجع ذلك إلى أن حرية الإنسان مقيدة وليست مطلقة؛ ذلك لأن قدراته ليست مطلقة؛ فحرية الإرادة بقدر المقدرة؛ لذلك تزداد حرية الإنسان في عمله بقدر ارتقائه في السلم الوظيفي.

وبيتهم الملاحدة المؤمنين بأنهم جبريون؛ إذ يؤمنوا بأن الله دون كل ما سيقع حتى يوم القيامة في لوح محفوظ، وأننا ملزمون بأن نتبع ما دونه، ويرى الملاحدة أن هذا جبر محض وظلم يّين.. قلت لهؤلاء: إن "العلم الإلهي" -الذي لا يحده الزمان- كاشف لما سيحدث وليس ملزماً، ولنوضح ذلك نضرب مثلاً: تصور إنساناً اخترع آلة الزمان وتقدم بها مائتي عام في المستقبل، ورأى ما سيفعله أحفاده، ثم عاد لزمانه ودوّن ما رأى، هل ما دوّنه الرجل ملزم أو أنه دوّن ما صدر منهم بالفعل؟ هذا هو حال العلم الإلهي الكاشف، ولا يتعارض ذلك مع إرادة الله المطلقة؛ فقد أراد الله -عز وجل- أن تكون لنا إرادة مثل النمط السابق، بالرغم من الظاهر العقلاني لإلحاد الجبر والتيسير فإن أنصاره يحتاجون به؛ لأنه يسقط عنهم المسؤولية الأخلاقية والدينية عن أفعالهم المنحرفة؛ لذا استحق أن نصنّفه مع عوامل الإلحاد النفسية الشخصية.

ثانياً: الأنماط المعلنة للإلحاد:

تتضمن هذه الأنماط الحجج التي يعلنها الملاحدة كتبريرات منطقية ومعرفية لإلحادهم، سواء كانت حقيقية (أقلية) أم حججاً تختفي وراءها دوافعهم الإلحادية النفسية (أغلبية).

1- إلحاد الشبهات:

يعد هذا النوع من الإلحاد الحجة الأولى المتداولة بين الشباب في بلادنا؛ فكثير من الملاحدة الشباب يركزون في هجومهم على الألوهية والدين على التشكيك في مصداقية القرآن الكريم وكتاب المسيحيين المقدس، وينكرون نسبتهما إلى الله عز وجل.. ويدور التشكيك حول عدد من النقاط أهمها:

- تُعد نظرية التطور الدارويني أهم الأعمدة التي يستند إليها الملاحدة؛ فهي بزعمهم تنفي الاحتياج للإله. كما تثبت خطأ مفهوم الخلق الخاص الذي طرحه التفسيرات التراثية للقرآن الكريم وسفر التكوين في التوراة.
- تتحدث العديد من كتب التفسير عن أي السيف التي تنسخ عشرات الآيات التي تؤكد حرية العقيدة في القرآن الكريم، بل وتصل إلى حد قتل من لا يؤمن بالإسلام ما يدفع الإسلام بالإرهاب.
- تجعل الكتب السماوية للقلب دورًا في المنظومة الإيمانية والمعرفية والشعورية، بينما يؤكد العلم أن القلب ليس إلا مضخة للدم -تعرضنا لهذا الأمر من قبل، مفندي إشكالية القلب وماهيته بشيء من التفصيل، هل العقل على القلب أو المخ؟
- تتحدث الكتب السماوية عن عدد من المفاهيم التي لا يقربها العلم، كالسماوات السبع، وأن الشهب والنيازك رجوم للشياطين، وأن الشمس تختفي من السماء بانتفاء النهار لتسبح تحت عرش الرحمن و...
- تشتمل الكتب السماوية على أحداث لا يمكن تقديم الدليل على صحتها كطوفان نوح وأهل الكهف، والتقام الحوت ليونس، وقوم بأجوج ومأجوج، والطفل الذي تلده العذراء دون أب، و...
- يدعي الملاحدة أن الكتب السماوية اقتبست بعض الأحداث التاريخية (كطوفان نوح وحوت يونس) من الأساطير السابقة عليها.
- أباح القرآن الكريم عددًا من السلوكيات التي لا ينبغي أن تتبناها ديانة سماوية كالرق وملك اليمين والرجم وقطع يد السارق، كما أباح لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- من الزواج ما لم يبيحه لأتباعه.
- كانت حياة المصطفى مليئة بالحروب والغزوات وسلب الغنائم، وبعد ذلك قام صحابة الرسول الكريم -صلى الله عليه وسلم- وأتباع دينه بنشر الإسلام بالسيف.

لتنفيذ هذه الدعاوى نقول: إن العلم قد صار الآن يتبنى مفهوم "التطور البيولوجي الموجه" الذي يتماشى مع الدين؛ كما أثبت العلم أن للقلب دورًا في المنظومة الإيمانية والمعرفية والشعورية، وإن كان هذا الأمر في حاجة إلى المزيد من الدراسة.. كذلك فإن القصص المشتركة بين الكتب السماوية والأساطير إنما بقيت كأساطير عند الشعوب بعد أن نزلت بها كتب سماوية في معظم الحضارات.. أما دعوى استباحة دماء الكفار فترد عليها الآية 190 من سورة البقرة التي تؤكد أن مناصبة العداء إنما تكون لمن يقاتلون المسلمين: "وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ".. وبخصوص اصطلاح "السما" في الكتب المقدسة فهو مرادف لـ"الكون"؛ فلو وضعنا لفظ "الكون" بدلًا من "السما" في القرآن الكريم لاستقام المعنى تمامًا مع المفاهيم العلمية، لكن القرآن استخدم اللفظ المعتاد والمشهور بين العامة وأيضًا العلماء؛ أما السماوات السبع والأراضين السبع؛ فمفاهيم غيبية لا ينبغي البحث عن تفسير علمي لها، وهناك عدد من المفاهيم ينبغي النظر إليها باعتبارها مفاهيم رمزية، كسجود الشمس تحت عرش الرحمن، بمعنى انقيادها للسنن والقوانين الكونية، وهناك عدد من المفاهيم التي طرحها القرآن الكريم ولم نتوصل لرمزيتها بعد، أما وقوع أحداث محلية في بعض بقاع الأرض، كأهل الكهف ويأجوج ومأجوج وغيرها، فأمور لا يتوقع أن تترك أدلة تاريخية تشير إليها، بل ينبغي اعتبارها من الأحداث التي تُعرف بالرواية؛ فالقرآن الكريم يرويها لنا مثلما تروي لأولئك أحداثًا وقعت لأجدادك، لا أظنهم سيطلبون عليها دليلًا تاريخيًا، أما باقي الشبهات كانتشار الدين بالسيف وغزوات الرسول -صلى الله عليه وسلم- والرق وما ملكت اليمين وقطع يد السارق وزوجات الرسول -صلى الله عليه وسلم- فقد تكفل العديد من كتب رد الشبهات بطرح الأدلة على كذب بعضها وحكمة الإسلام في التعامل مع بعضها الآخر.. وأحيانًا يعرض على شبابنا نمط خاص من إلحاد الشبهات؛ فيقال للشاب: ينبغي أن تؤمن بالإله فهو حق والأدلة العلمية على وجوده كثيرة، أما القرآن فلا، فهو مليء بالأخطاء، في هذا النمط يتم الإقرار بالإله مع إنكار

الإسلام، وقد تكون الخطوة التالية هي، إذن فلنبحث عن الدين الحق، ويكون ذلك مقدمة للدعوة إلى اعتناق المسيحية، إذا فهي محاولات تنصيرية.

2- إلحاد عدم التصور:

قال لي شاب ملحد: لا أستطيع تصور الإله الموجود الذي لا موجد له، ولا الموجود الأزلي الأبدي، ولا الموجود في كل مكان ولا مكان، ولا أتصور أن يكون للإنسان إرادة مع طلاقة الإرادة الإلهية.

ثم أردف قائلاً: كيف تطالبني أن أؤمن بإله أنا عاجز عن تصوره وتصور أفعاله، تكرر هنا أن "أس البلوى" في قضية الإلحاد في الغرور والكبر؛ فالملاحدة يزنون الحكمة والعلم والفعل الإلهي المطلق بميزان الحكمة والعلم والفعل البشري المحدود، هنا تنشأ عدم القدرة على التصور ومن ثم يحدث الإنكار.

3- إلحاد الإله الظالم القاسي:

يبلغ الإلحاد السفسطائي مداه بادعاءات تصف الإله بالظلم؛ فيقول بعضهم: كيف يعاقب إلهكم الرحمن الرحيم الإنسان على معاصي يرتكبها في حياته القصيرة (وإن كثرت) بعذاب أبدي لا يحتمله بشر. قلت لهذا المعارض: ولماذا لم يدهشك عظم الثواب والنعيم في جنات تخلص فيها مقابل طاعة قليلة؟! إن حجتك تصبح ذات قيمة إذا كان عظم العقاب يقابله فقط النجاة من العقاب في حالة الطاعة، إلا أن العقاب يقابله عظم الثواب، ولم يكتف الإله بذلك بل ذلك على طريق الجنة وأعانك على السير فيه، وتعهد بأن يبدل سيئاتك حسنات في حال التوبة من المعاصي. وأضفت: أن الإنسان إذا سب كلباً أزعجه فله العذر أما أن يهين والديه فلا عذر له، أعني لا تنظر فقط إلى عظم المعصية، لكن انظر في حق من ارتكبت المعصية. أجابني الشاب الملحد قائلاً: لقد تكررت كلمة العذاب ومشتقاتها في قرآنكم قرابة أربع مائة مرة، ربما أكثر من أي كلمة أخرى.

أليس هذا دليل على القسوة الشديدة؟! قلت له: إنك تقلب الأمور وتجعل الرحمة قسوة ما كان ينبغي أن تقول إن الله حذرنا أربعمئة مرة، وفي كل مرة وصف لنا طريق نجاة، وضربت لذلك مثلاً: ما رأيك في أم تنبه أولادها -كلما خرجوا من المنزل- أن يأخذوا حذرهم من عبور الطريق؟ هل تصف هذه الأم بالقسوة لأن تحذيرها يجعل أولادها يستحضرون في أذهانهم احتمال الإصابة في حادث؟! أم أن سلوكها عين الحب والرحمة؟ وأضفت قائلاً: هل تنتظر من الله أن يربت على أكتاف حفنه الشيوعيين (ستانلي وماوتسي تونج و...) الذين قتلوا أكثر من مائة مليون شخص لينشروا مذهبهم الإلحادي الفاسد؟! وهل تنتظر من الله يلتمس العذر لهتلر الذي تسبب في قتل قرابة ثلاثين مليون شخص لأن حياته كانت قصيرة؟!

أصر الشاب في عناده وقال: كيف يطلب الله من نبيكم إبراهيم أن يذبح ابنه؟! أي قسوة تلك أن يطلب من أب مسن أن يذبح وحيدته الذي رزق به على كبر؟! قلت له: هل طلب منك مثل ذلك؟! أجابني بلا.. قلت: وهل طلب ذلك من إنسان آخر سوى إبراهيم؟ فقال لا، فعقب شارحاً الموقف: أن إبراهيم -عليه السلام- ادعى (عن حق) أن ليس أحد أو شيء أحب إلى قلبه من الله؛ فكان طبيعياً أن يُختبر في هذا الادعاء السامق بمثل هذا الابتلاء القاسي، لذلك كان الطلب ذبحاً لتعلق إبراهيم بابنه، وما كان الله -عز وجل- ليدع إبراهيم يقتل وحيدته؛ بل كان جزاء إخلاص إبراهيم أن صار خليلاً للرحمن، وأن أصبح موقفه هذا عيداً تحتفل به البشرية كل عام حتى يوم القيامة.. وأضفت: بعد ذلك كله، فإن قسوة الإله وظلمه ليست حجة ضد وجوده، بل قد تكون حجة ضد رحمته، ومن ثم فهي ليست حجة للإلحاد، وحاشا لله أن يكون ظالماً أو قاسياً، بل حاشاه ألا يكون عادلاً! فهو الرحمن الرحيم؛ لكنها الرحمة الحقيقية الإلهية المطلقة وليست رحمة الضعف البشري، فلا ينبغي أن نقيسها بمقاييسنا.

4- إلهاد التعنت والسفه:

قال الشاب لي: كيف يعطيني الإله غرائز ثم يطالبني ألا أستعملها؟ وكيف يطالبني أن أخسر نقودي باسم الزكاة، وأن أخسر وقتي وجهدي باسم الصلاة، وأن أخسرهما جميعاً باسم الحج والعمرة؟ قلت له: إن الإنسان بهيمًا تحركه الغرائز فقط. إن ما طُلب منا هو توجيه هذه الغرائز وترشيدها، وفي ذلك الترقية للنفس وسمو للروح. إن الملاحظة إذ يدعون إلى إطلاق الغرائز يشبهون الصبية الذين يريدون أن يتفرغوا للعب فحسب، بينما يلزمهم والداهم بإنفاق بعض الوقت في مذاكرة دروسهم لما في ذلك من مصلحة لاحقة. وإذا كان الماديون يرفضون إنفاق بعض المال والوقت والجهد في سبيل الله، ويعدون ذلك سفهًا؛ فما بال فريق منهم، ينفقها في سبيل المجتمع استجابة لتعاليم الشيوعية؟!

5- إلهاد الإله العاجز:

قال لي الشاب الملحد؛ وقد علت وجهه ابتسامة خبيثة: هل يستطيع إلهك أن يخلق إلهًا أكبر منه وأقوى منه؟ وهل يستطيع أن يخلق صخرة لا يستطيع حملها؟ ظن ذو الابتسامة الخبيثة أنه قد وضعني في مأزق؛ فإن قلت أن الله -عز وجل- يستطيع؛ فإني بذلك أنفي أنه الأكبر والأقوى، وإن تهربت من هذا الاستنتاج بأن قلت إنه لا يستطيع، كنت أثبت على إلهي العجز، حاشاه.

قلت للشاب، إن كل من سؤاليك ينطوي على تعارض بديهي، ومن ثم يناقض نفسه ولا يجوز طرحه، وشرحت ذلك قائلًا: إنك تطلب مستحيلات عقلية كأن ترسم دائرة مربعة! فكيف تطلب أن يخلق الله إلهًا (سواء كان أكبر وأقوى أم أصغر وأضعف) بينما الإله لا ينبغي أن يكون مخلوقًا؟! وكيف تطلب أن يخلق صخرة لا يستطيع حملها، بينما كل مخلوق يستمد صفاته من خالقه، ولا يمكن بداهة أن يكون الفرع والجزء أكبر من

الأصل والكل، إن سؤالك سؤالان مستحيلان عقلياً، ولا يعكسان إلا المكابرة.. اختفت الابتسامة الخبيثة وعلا الشحوب وجه الشاب.

6- إلحاد نقص العهد:

قال لي: تدعون أن إلهكم أخذ علينا عهداً في يوم الذر بأن نعبد، لكنني ولا أنت ولا أحد من البشر نذكر هذا العهد؛ فكيف يجعل الإله هذا العهد الذي تركنا ننساه حجة علينا ويدخلنا النار إن خالفناه؟ قلت له: أقبل حجتك لو أن سيناريو الأحداث سار كما تدعي، لكن الأمر ليس كذلك، فنحن قد تعلمنا الدرس وإن كنا قد نسينا الموقف، فالعهد ما زال قائماً في نفس كل منا، متمثلاً في الفطرة السليمة المدركة لوجود الإله، كذلك وضع الله -عز وجل- أدلة الألوهية في الكون والأنفس وأرسل الرسالات السماوية تستحث العقل ليتأمل هذه الأدلة، وذكر الإنسان بما نسي من العهد وطمس من الفطرة، لذلك حفل القرآن الكريم بالدعوة إلى التذكر، بل إن الرسول الكريم -صلي الله عليه وسلم- إنما بعث مذكراً: "فَلَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ". (الغاشية-21)

7- إلحاد الإله الآخر:

أمعن بعضهم في العبثية؛ فقال: ما أدراني أن الله الذي تدعوني إلى عبادته هو الخالق والرازق والشافئ و...؟ لم لا يكون الفاعل لهذه الأشياء إلهاً آخر أو آلهة متعددين آخرين؟ قلت (وداخلي سخرية لم أظهرها له): قد يكون طرحك مقبولاً إذا كنا قد التقينا في الشارع بإله ادّعى أنه هو الخالق والرازق والشافئ و... وطالبنا أن نعبد دون أن يقدم لنا الدليل، لكن الأمر ليس كذلك! حقيقة الأمر أننا عاينا أفعال الخلق والرزق والشفاء و...، وأدركنا أنه لا بد لها من فاعل عظيم منزّه، ثم كان أن قدمت إلينا ديانات سماوية خاطبتنا بها من قال "إني أنا الله" ونسب هذه الأفعال لذاته، وطالبنا أن نعبد. ألا ترى لو كانت هناك آلهة أخرى هي الخالقة والرازقة والشافئة و... لوجب عليها ألا تسكت على

هذا الادعاء وأن تبين لمخلوقاتنا الحقيقة بل وأن تصفي حساباتها مع هذا المدعي! أما قضية تعدد الآلهة⁽¹⁾ فإن كان لها الموضع من المشركين قديمًا -"مشركين" يعني- في حد ذاتها -اتخاذهم إلهًا لأنفسهم مع الله- وتعليقًا على تلك النقطة لكلام الدكتور عمرو شريف:

فإن الشرك كان قديمًا وما زال، ولكن هذا لا يعني عدم وجود الله العظيم؛ فالذي اختار أن يأكل الجبن فقط، هذا لا يعني أنه لا يوجد لبن أو.... بل على العكس تمامًا، فإن الشرك يلغي، ويدحض فكرة "الإلحاد"، لا الإيمان أو الله، لأن المشرك استغنى عن - فكرة- عدم الإيمان (بالله) بالإيمان (بإله) على هواه. وهذا في حد ذاته دليل على فطرة (العبادة) و(الألوهية) والإيمان.. فإن كنا على أي حال "مؤمنين" ونحب "العبادة" وتعظيم من "نعتقد" أو من نجعله -بنفسنا- إلهًا لنا، لأنه أكبر وأعظم منا وأحكم وأعقل وأعلم و.... إذن أليس من العقلاني أن يكون "الله" أولى بتلك العبادة؟!

فقد أثبت العلم الحديث بما لا يدع مجالاً للشك أن الخالق واحد وذلك بعد أن توصلنا إلى أن قوانين الطبيعة واحدة وأن المادة الخام التي يتشكل منها الوجود واحدة، وأن نمط الخلق واحد من الذرة إلى المجرة. هذا بالطبع بالإضافة إلى الأدلة الفلسفية والعقلية التي تسوقها الكتب السماوية على التوحيد.

8- الإلحاد الحسي:

قال لي الملحد في المناظرة التي أذاعتها الفضائيات: إن الوجود الإلهي قضية في منتهى الأهمية، ولا بد أن يكون الدليل عليها مناسبًا لها في القوة لذلك ينبغي أن يكون دليلًا حسيًا أو تجريبيًا؛ بل إذا التقيت بإله في الطريق وصافحتي؛ فذلك غير كاف! فعليه أن

(1) فهي قديمة قدم الزمان.. وقد حسنها الله -هذه القضية- قبل أن يخلق هؤلاء، ورد على ادعاءاتهم في آيات سورة الأنبياء، وقال تعالى: "لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون..22" إلى آية 26.

يثبت لي أنه هو الخالق وهو الرزاق وهو المحي وهو.. كيف تريدني أن أصدق شيئاً لم أره؟ قلت له: إن كلامك هذا مليء بالأخطاء العلمية، والدليل الحسي الذي تطلبه هو أضعف الأدلة! فالحس خادع ألا ترانا نبصر قوس قزح ونبصر السراب وهما ليسا موجودين، وفي نفس الوقت فإننا لا نبصر أشياء أثبت العلم وجودها، كالجاذبية والثقوب السوداء، أما الدليل التجريبي فلا يستخدم إلا في العلوم التجريبية كالفيزياء والكيمياء، وعندما تطلبه في قضية الألوهية فإنك تطلب دليلاً في غير موضعه، كالذي يريد أن يبصر بأذنيه! لذلك فإن الأدلة الأقوى في الاستشهاد على الألوهية هي الأدلة الرياضية والعقلية، أما إذا التقيت بالإله وأحيا أمامك الموتى؛ فستقول إن ذلك لا يدل على الألوهية؛ فالعلم قد يثبت في المستقبل أنه ممكناً! وقد سبق أن قال أمثالك عن أنبيائهم الذين قدموا لهم هذه المعجزات إنهم سحرة، فالعلم المستقبلي بالنسبة لك هو إله سد الثغرات⁽¹⁾ الذي تقول به كلما واجهت دليلاً على الألوهية لا يمكنك رده.

9- إلحاد تحصيل الأهداف:

قال لي: أليس الغرض من الأديان حث البشر على تعمير الأرض، وحثهم على أن يعامل بعضهم بعضاً بخلق حسن؟ وأضاف: نحن نجد أمماً ملحدة تلتزم بهذين الهدفين إلى أبعد الحدود، كما نجد أفراداً ملحدة أكثر التزاماً بالهدفين من كثير من المتدينين، فما لزوم الدين؟ وكيف يدخل رجال عظماء قدموا للبشرية خدمات جليلة مثل نيوتن وفولتا وماكسويل وإينشتاين النار؟ قلت له: هذا الادعاء من أكبر الأخطاء وأكثرها شيوعاً عن دور الدين.. إن تعمير الأرض والخلق الحسن ليسا هدفين للدين لكنهما في الحقيقة وسيلتان⁽²⁾؛ فههدف الدين أن يُعرّف الإنسان بربه أولاً ثم بمصيره ومساره ومآله، ولا يتحقق حسن المآل إلا بتحصيل رضا الله والسبيل إلى تحقيق ذلك هو تعمير الأرض

(1) أو "إله الفجوات" أو "ال فراغات" وهو مصطلح يعود إلى (هنري دروموند) الذي كان محاضراً مسيحياً في القرن التاسع عشر، ينتقد فيه المسيحيين الذين يركزون على الأشياء التي لا يستطيع العلم تفسيرها، ثم استعمل المصطلح لاحقاً تشارلز كولسون عام 1955 في كتابه (العلوم والإله).

(2) للاستزادة، انظر للمؤلف: "كن عظيماً"-الجزء الثالث- لماذا خلقنا.

والخلق الحسن، بشرط أن تكون أفعال العبد ابتغاء مرضاة الله، أما إن لم نضع هذه الغاية في اعتبارنا؛ فستظل أفعالنا -مهما حسنت- بعيدة عن أن تحقق للإنسان حسن المآل، وعلى الإنسان أن يحصل مكافأته ممن عمل لأجلهم، وأضفت قائلاً لمحوري: أن ما ذكرت لك هو دور الدين الأساسي، أما أن تسألني عن أشخاص بعينهم أهم من أهل الجنة أم أهل النار؟ أجيبك قائلاً إن مفتاح الجنة ليس بيدي أو بيد أحد من البشر والأمر كله لله عز وجل.

10- إلحاد الإله المخادع:

قال الملحد: تدعون أن الاسلام هو الدين الحق، فكيف يرسل الإله لأقوام رسلاً بديانات فاسدة؟ ولماذا ركز الديانات كلها في منطقة الشرق الأوسط بينما حُرِّم أقواماً آخرين من الديانات تماماً؟ وبعد ذلك يحاسب ربكم البشر ويدخل النار أقواماً لا ذنب لهم، إن إلهكم الذي تدعون إله ظالم مخادع.. لقد جهل هؤلاء ببديهيات الدين؛ فالرسالات السماوية جميعاً في "الإسلام" ليس فيها دين حق ودين باطل، وقد كلف اتباع الرسالة الخاتمة أن يبينوا الأصحاب الرسالات السابقة ما اعترى رسالاتهم من تحريف، كذلك لم يترك الله -عز وجل- أمة دون أن يرسل لها رسولاً: "وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ" (النحل36) "إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ" (فاطر24) بل ما كان ليعذب من لم تصله الرسالة: "وما كنا معذبين حتي نبعث رسولاً" (الإسراء 15) إن الله ليس بمخادع.. إن الملاحدة هم الذين يخدعون أنفسهم.

11- إلحاد المحامي الفاشل:

من أقوال الشيخ الغزالي التي أصاب بها كبد الحقيقة -وما أكثر ما فعل- قوله: إن الإسلام قضية حق محاميا مقصر خائب.. إن كثيراً ممن حاورت من الملاحدة الشباب

عاتب بشدة على الخطاب الديني، خاصة بعدما صار يُعرف بثورات الربيع العربي. وعاتب -أيضاً- على أداء تيار الإسلام السياسي، وكانت الخطوة التالية أن حمل الإسلام كدين أخطاء هذه الممارسات.. إنه خطأ معرفي أن أعمم التقصير؛ فانتقل به من عيب الممارسة إلى عوار المنظومة كلها، ما أشبه ذلك بمرّض حدثت له مضاعفات صحية عقب عملية جراحية؛ فأصبح يشكك ليس فقط في قدرة الأطباء والجراحين، بل وفي جدوى الطب والجراحة!

12- إلحاد البساطة:

قال لي الشاب الملحد: إنكم أيها المتدينون تنظرون إلى الإنسان نظرة شديدة التعقيد، لقد اختزلتموه في دهاليز غيبية وصلت بكم إلى افتراض تواصله مع إله سماوي! بينما هو كائن بسيط مثل باقي الحيوانات! يعمل وينتج ويستهلك ويستمتع فقط- أما عن "الفكر" الذي أزالوه عن الجنس البشري، والعقل الذي تخلوا عنه كذلك، هو الذي أوصلهم للإلحاد، ليس عكس ما يدعون بل الحقيقة هي ما يعترفون!- قلت للشاب: إن نظرتك هذه هي سبب مأساة إنسان الحضارة المعاصرة، وقد شخص د. عبد الوهاب المسيري - رحمه الله- هذه المأساة قائلاً: إن الحضارة الحديثة حضارة عقلانية مادية (لا عقلانية وحسب)؛ فإنجازاتها الضخمة (التكنولوجيا، العلم، السيطرة على العالم) هي نتاج رؤيتها المادية التي تطلبت استبعاد الكثير من العناصر الأخلاقية والإنسانية (العناصر غير المادية) وذلك لتبسيط الواقع بهدف التحكم فيه (إذ لا يمكن التحكم إلا فيما هو بسيط).. لا شك أن الإنسان هو الضحية الأولى لهذا التبسيط؛ فبعد أن تم استبعاد عناصره الأخلاقية والإنسانية الراقية، لم يبق منه إلا ماديته؛ فسهل على البعض نسبتها للطبيعة العمياء.. هذه هي أكثر أنواع وأسباب الإلحاد التي قابلناها بين شبابنا شيوعاً، وكلها خاضعة للردود والدفع العقلية.. ولا شك أن الشيطان والنفس الأمارة بالسوء لن

يتوقفا عن محاولات التملص من هذا الخطاب العقلاني الصرف بما له من حجية قوية، كما لن يتوقفا عن طرح أشكال وحجج أخرى للتهرب من الإقرار بالألوهية والدين.

الإلحاد.. ومسألة الأخلاق

الإنسان يعيش في رحمة الأخلاق؛ فلا "إنسانية" دون أخلاق؛ فإذا أردنا فهم التاريخ البشري؛ فلا يجب دراسة أي شيء سوى الأخلاق، يقول أحمد شوقي-أمير الشعراء:-

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت.. فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

صلاح أمرك للأخلاق مرجعه.. فقوم النفس بالأخلاق تستقم

إذا أصيب القوم في أخلاقهم.. فأقم عليهم مأثما وعويلا

ولا يكفي أن نكون أخلاقيين، بل يجب أن نفهم ماهية الأخلاق؛ فعلى هذا الأساس تأدلجت المفاهيم، وجعلت الإنسانية على كفتين متأرجحتين، وهنا تحضرنا بعض التساؤلات-المبدئية:-

"الاخلاق نبتة جذورها في السماء،
أما أزهارها وثمارها فتعطر الأرض"
لامونيه.

أيهما أفضل: الأخلاق بلا تدين أم
التدين بلا أخلاق؟ علاء الأسواني.

أيهما أفضل: الإلحاد الأخلاقي أم الأديان
اللا أخلاقية؟ نبيل فياض.

وبالطبع لن نكون موضوعيين -رغمًا عنا، ومهما حاولنا- أمام أسئلة مطلقة كهذه؛ فمن السخف أن نطلق أحكامًا -تعميمية- في حدود تلك الأسئلة التعميمية المطلقة؛ فكان من الأفضل -نظرًا- أن نسأل: ماذا وراء الإيمان؟ وماذا وراء الإلحاد؟.. في حدود المسألة (القضية) الأخلاقية؟

ببساطة شديدة، يقول الفيلسوف والروائي الروسي (فيودر دوستوفسكي) في رائعته (الإخوة كرامازوف): "إذا لم يكن الإله موجودًا.. فإن كل شيء مباح!" بينما يعترف بذلك الفيلسوف الفرنسي جون بول سارتر، ويضيف قائلاً -وهو ملحد:- "من المحزن جدًا أن يكون الإله غير موجود.. إن كل القيم والأخلاق التي يمكن تصورها ستتلاشى معه.. لن يكون هناك خير فطري فليس هناك مرجعية أو مقياس"!!

يقول العجيري في (ميليشيا الإلحاد):

المشكلة أن ملاحظة اليوم يقدمون أنفسهم باعتبارهم "إنسانيين" ويبدون قدرًا من الصلابة الأخلاقية، في حيال ما يعتقدونه صوابًا وخطأ، دون أن يوضحوا القاعدة التي تتأسس عليها هذه الصلابة الأخلاقية، وإذا أرادوا التوضيح أحيانًا؛ فإما أن يقعوا في إشكالية التبرير النفعي البراجماتي للأخلاق والذي يفقد القيم الأخلاقية قيمتها، أو يقعوا في تقرير نسبيتها بما يفقدها قيمتها المطلقة، ويفقدون مبرر هذه الصلابة الأخلاقية التي يظهرونها والحماسة الكبيرة في دعوتهم لقيمهم الأخلاقية، بما يشعر المتلقي أنهم يدافعون عن رؤى كونية مطلقة.

واستقراء طريقتهم في نقد الممارسات الأخلاقية التي لا يميلون إليها تكشف عن هذه القضية بوضوح شديد، كما أنها تبرز التناقض ما بين الرؤى الكونية الإلحادية والممارسات الأخلاقية، وللتوضيح.. لو تصورنا أربعة أشخاص، اثنين منهما من المتدينين المؤمنين بالله -عز وجل- والدار الآخرة، الذين يعتقدون أن الإنسان محاسب على أفعاله

إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر.. واثنين ملحدين لا يؤمنان بالثواب والعقاب الأخروي، بل لا يؤمنان أصلًا بالحياة الأخروية ولا وجود الله، وقدرنا أن أحد المتدينين طيب يلتزم بالأخلاق الخيرة، والآخر شرير غير ملتزم بها، بل هو سيء خلقيًا، ومثلهما الملحدان، أحدهما ملتزم أخلاقيًا، والآخر على الضد، وطرحنا السؤال: مَنْ مِنْ هؤلاء الأربعة أكثر اتساقًا مع رؤيته الكونية للوجود؟ لانكشف الجواب: وهو أن الممارسة الأخلاقية الصادرة من المتدينين أكثر اتساقًا مع رؤيته الكونية التي تؤمن -فعلًا- بوجود القيم الأخلاقية المطلقة، وإن ممارسته اللاأخلاقية، غير متسقة مع هذه الرؤية الدينية، بخلاف الملحد الذي يبدو أن ممارسته الأخلاقية الحسنة غير متسقة في الحقيقة مع رؤيته الكونية العدمية التي لا تتضمن الحكم على القيم الأخلاقية بوصف الإطلاق⁽¹⁾.

وعندما نبلغ سن الرشد يتشكل لنا "ضمير" نشعرنا أن عملاً ما واجب التنفيذ، وآخر واجب الترك، وثالث مباح؛ فإذا فعلنا (أو تركنا) ما هو واجب، شعرنا بلذة الرضا الأخلاقي، وإذا قصرنا في ذلك شعرنا بألم تبيكت الضمير، ومن ثم يصبح "وحي الضمير" هو المصدر الثالث للسعادة والشقاء، وهؤلاء يكون شعارهم: "إرضاء الضمير أولاً وقبل كل شيء" والإنسان المتزن تحكمه الدوافع الأخلاقية الثلاثة: الأنانية، والإيثار والضمير، وتمثل هذه الدوافع أساس ما يُعرف عند الفلاسفة بـ"المسألة الأخلاقية" التي تتلخص فيما يلي:

تنبعث فينا طموحات مختلفة؛ فكيف نسلك تجاهها؟ أنتبع الميول الأنانية أم نستجيب لعاطفة الرحمة والإيثار أم نسعى إلى طمأنينة الضمير؟ وتأتي الديانات لتنظيم العلاقة بين هذه الدوافع التي وضعها الإله في فطرة البشر، تحثنا على الفاضل منها، وتنهانا عما هو دنيء. والديانات في حكمها على الشيء بين فضل ودناءة تخضع لمقاييس "مطلقة" يحددها الإله.. وفي المقابل ترى النظرة الإلحادية، أن هذه الدوافع قد شكلها

(1) عبدالله صالح العجيري-مليشيا الإلحاد، ص 149، 150.

التطور البيولوجي، وليس الخلق الإلهي ويهدف التطور في ذلك لتحقيق الفائدة التي تخدم تكاثر الكائن وبقاءه، ومن ثم تصبح (الأخلاق نسبية) تتشكل في إطار أن الغاية هي الوسيلة، وإذا كان يسهل تفسير نشأة دافع "الأنانية" بآلية الغاية تبرر الوسيلة؛ فمن الصعب تفسير نشأة دافع "الضمير"، أما دافع "الإيثار" فسيظل الصخرة الكؤود في مواجهة التطور الدارويني⁽¹⁾.

في كتابه الأول (أصل الأنواع) لم يتعرض داروين للجانب الاجتماعي لنظريته؛ لكنه طرحه في كتابه الثاني "أصل الإنسان" فسر داروين نشأة الأخلاق بالمبدأين المتكاملين "الصراع من أجل البقاء" و"البقاء للأصلح" أي اعتبر أن الأخلاق الإنسانية (ثم القول بالألوهية والدين) قد تطور ثم استقرت؛ تبعًا لما يحقق للإنسان المصلحة والتفوق، وانطلاقًا من هذين المبدأين قال داروين (ومريده) بتفوق الأجناس الأعلى (القوقازي) على الأجناس الأدنى (التركي)؛ ومن ثم ادعاء تفوق الجنس الآري، وبالرغم من أن هذه العنصرية -الأخلاقية- البغيضة تعد من أكبر الأكاذيب -العلمية- في تاريخ علم الاجتماع؛ فقد أدت إلى ميلاد اثنين من أسوأ النظم الاجتماعية والسياسية وأكثرها كلفة في التاريخ؛ الشيوعية في الاتحاد السوفيتي، والنازية في ألمانيا؛ فهل مثل هذه الآلية الصراعية العنصرية هي بحق مصدر مفاهيمنا الأخلاقية والإلهية والدينية؟! أما ألفريد والاس (نظير داروين)؛ فقد رفض المنظور الدارويني، وكتب عام 1864 يتساءل: "كيف أفرز الانتخاب الطبيعي المفاهيم الأخلاقية الجيدة بالمنطقية والإيثار؟!" ويرى والاس أن مبدأي "الصراع من أجل البقاء" و"البقاء للأصلح" قد أديا إلى تفوق الإنسان الحديث على حساب الإنسان البدائي الذي انقرض نتيجة لعدوانية أجدادنا؛ أي أن بقاء الأول كان على حساب فناء الثاني، ولما كانت هذه النتيجة لا تتماشى مع منظومتنا الأخلاقية؛ فذلك يعني أن لأخلاقنا مصدرًا آخر غير "الصراع" ويرى والاس أن هذا المصدر ليس إلا الإله

(1) د. عمرو شريف -خرافة الإلحاد - ص 299.

الخالق للعقل البشري خلقًا مباشرًا⁽¹⁾ في حديثه عن مصدر الأخلاق يقول ريتشارد دوكنز: "لسنا محتاجين للإله لنكون جيدين؛ فأنت لا تكاد ترى اختلافًا كبيرًا في ردود أفعال المتدينين والملاحدة؛ بل وبين البشر جميعًا، تجاه مواقف أخلاقية معقدة". كيف لم ينتبه دوكنز إلى أن قوله يعني أن البشر جميعًا لديهم مصدر مشترك للمفاهيم الأخلاقية - (عالمية الأخلاق) - بغض النظر عن الاختلافات الجنسية والحضارية والعقائدية؟! إن هذا الاتفاق الاتفاق ليس له إلا أحد تفسيرين: إما أن المفاهيم الأخلاقية فطرية في الطبيعة الإنسانية، وإما أن تكون هناك رسالة سماوية واحدة وصلت إلى شعوب الأرض جميعًا، ونحن نقول بالرأيين معًا (الفطرة والرسالة).. لكن هل يقبل الملاحدة الجدد أيًا من هذين الرأيين؟ بالطبع لا⁽²⁾.

ويدعي الدراونة أن الثورة العلمية قد شاركت في تشكيل منظومتنا الأخلاقية المعاصرة، باعتبار أن العلم جزء من المنظومة البيئية للإنسان؛ فما مدى صحة ادعائهم؟ يجيب إينشتاين عن هذا التساؤل في حوار عن العلم والدين جري في برلين عام 1930 قائلاً: لا شك أن هناك أسسًا أخلاقية للعلم، لكننا لا نستطيع أن نتحدث عن أسس علمية للأخلاق.. لقد فشلت وستفشل كل محاولات إخضاع الأخلاق لقوانين العلم ومعادلاته ومن ثم لا يمكن أن يكون العلم مصدرًا "للأخلاق".

ويشارك ريتشارد فاينمان -الفيزيائي الحاصل على جائزة نوبل في الفيزياء، عام 1965- إينشتاين رأيه قائلاً: إن أكبر القوى والقوانين الفيزيائية لا تستطيع أن تبين لنا كيف نستخدمها، إن العلم لا يعلمنا الخير والشر؛ لذلك فالقيم الأخلاقية تقع خارج مجال العلم، وي طرح هولز رولستون -أستاذ الفلسفة بجامعة كلورادو- جانبًا نفسيًا للمشكلة بقوله: لقد جعلنا العلم أكثر معرفة وأكثر قوة، لكنه تركنا في الوقت نفسه أقل ثقة بالصواب والخطأ.. إن ماضينا التطوري غير منسجم مع حاضرننا الأخلاقي، ليس هناك

(1) المصدر السابق ص 296، 297.

(2) المصدر السابق، ص 305.

طريق واضح يصل بين البيولوجيا والأخلاق، إن مصدر الأخلاق مشكلة كبيرة، ويلخص عالم الأخلاق الشهير (بيتر سنجر) -أستاذ الفلسفة بجامعة برنستون- مخاطر إخراج الإله من الصورة واللجوء إلى البيئة كمصدر للأخلاق؛ فيقول: لقد وضعنا التطور الدارويني في موقف حرج بعد أن أزال الحاجز بيننا وبين باقي الكائنات، وبعد أن قام بالإطاحة بالدين كمؤسسه مسئولة عن أخلاقنا السامية، فلم يعد ممكناً أن نبني أخلاقنا على أن الإنسان مخلوق متفرد، شكل على صورة الإله، وزود بروح خالدة.. لا شك أننا سنعجز في المستقبل عن استعادة مفاهيمنا الأخلاقية السامية، ولا بد أن نقر بهذه الحقيقة⁽¹⁾.

"لماذا يرفض هؤلاء الجمال والحسن والفضائل؟ السبب أنها تمثل قيود يعلمون أن عليهم الالتزام بها بل -لذا- يسعي كثير من هؤلاء لتحطيم كل صاحب فضيلة أو جمال أو حسن أو صدق حتى لا يعانون الشعور بدونيتهم". بول فيتر

وفي كتابه "من داروين إلى هتلر"، يعترف (ريتشارد فيكارد) -رئيس قسم التاريخ في جامعة ولاية كاليفورنيا ستانسلوس- (ص215) قائلاً: "لقد نجحت الدارونية أو تأويلاتها الطبيعية في قلب ميزان الأخلاق رأساً على عقب، ووفرت الأساس العلمي لهتلر وأتباعه لأقناع أنفسهم ومن تعاون معهم بأن أبشع الجرائم العالمية كانت بالحقيقة فضيلة أخلاقية مشكورة".

هذا الانتكاس الأخلاقي جعل من العالم حلبة صراع، البقاء فيها للأقوى، ويظل هذا الصراع إلى ما لا نهاية حتي تحل العدمية محل العلم والأخلاق.. والإنسان وإنسانيته.

(1) المصدر السابق- ص 305، 306.

هل أنت ملحد؟

- نعم.

- جارك وكلبك يغرقان ولديك فرصة واحدة لإنقاذ أحدهم. من ستنقذ؟

- بالتأكيد سأُنقذ كلبي!

هذه الأجوبة حصدت من ملحدين في الشارع وأجابوا بنفس الأجوبة!

"إن الأخلاق غريزة
القطيع لدى الفرد".
فريدريك نيتشه.

وهذا عين التناقض -النفسي- الذي يملأ عقل وقلب
ولواعي الملحد، الذي يبرر كرهه للدين والإله بأنهما ضد
الإنسان والإنسانية، التي يدعون أنهم دعاة وسفراء وبناءة
لها! ولم يكن دوكنز نفسه أحسن حالاً -أو أقل غباءً وجهلاً
بالنفس وبالقضيه التي يدعون أنهم يدافعون عنها!- بل
كان أشد تناقضاً بآرائه وأفكاره.. يقول د. عمرو شريف:
"حتى زعيم الملاحدة المعاصرين -الجدد- ريتشارد دوكنز

يؤكد خطورة غياب الدين؛ فيقول: لا تستطيع أن تبني القيم الأخلاقية المطلقة على أي
أساس إلا الدين"! وتارة أخرى يقول: "في عالم ليس فيه سوى قوى الطبيعة العمياء
وتحكم الجينات، سيدمر بعض الناس وسينجو من هم أكثر حظاً، لن تجد في ذلك أي
منطقية أو عدالة.. إن الأمور منطقية تماماً في عالم يخلو من التصميم والغائية، ليس
فيه شر أو خير، ليس هناك إلا العمى واللامبالاة، فالدنا (DNA) لا يعرف ولا يبالي، هذا
هو لحن الدنا، وليس لنا إلا أن نرقص على موسيقاه"، مضيقاً: يريدنا دوكنز أن نقنع
بعالم لا أخلاق فيه، ما عصف به من مصائب (حروب عالمية، تصفيات عرقية، حروب
صليبية، قنابل ذرية) ليس إلا اتباعاً لأوامر جينية، ومن ثم لا ينبغي أن نلوم هؤلاء
المجرمين أو نحاسبهم! عفواً! إن عالماً كهذا ليس فيه للوم والمحاسبة معنى⁽¹⁾.

(1) المصدر السابق-ص 448.

ولا -حتى- للعلم معني في ظل ثقافة مادية عدمية- لا تؤمن بالآخر، بل بالـ"أنا" فقط- وأخلاقيات عبثية، وإفراغه من مضامينه، وتسخير كآداة للشر والعنصرية والتحكم في الآخرين، لا كأداة لمعرفة الحقيقة والحق (الله). والأشد غرابة من ذلك أن تجد من "يؤمن" بالعلم على علته، ويؤله العلماء على علائهم: فإنهم معصومون!

-باعتبار أن ذلك الأول سماويًا وهذا الثاني إلهًا- وضع من قبل الملحددين فوق الله -عز وجل- حتي لو حلل الخمر والقتل والفواحش ما ظهر منها وما بطن، يجب أن نتبعه.. لأنه "عالم" -حتى ولو كان يتكلم فيما لا صنعة له فيه-!

يقول د. عمرو شريف:

يظن الكثيرون أن العلم معصوم كوشي السماء وإن كان يبذل رأيه دائمًا! ويعتبره آخرون المرجعية الوحيدة وصاحب الكلمة النهائية، وإذا كان هذا الفهم صائب بالنسبة للعلوم التجريبية والتطبيقية فإنه خطأ بالنسبة لأكثر العلوم إلحاحًا في حياتنا، كالدين والسياسة والقيم والأخلاق. ويضاعف من الخطأ أن الكثيرين ينظرون إلى العلماء التجريبيين والتطبيين نظرة تبجيل جعلهم يطلبون مشورتهم في أمور خارج مجالات تخصصاتهم ويقبلون آراءهم بثقة، كأنهم الطبقة الجديدة من المفكرين والفلاسفة ورجال الدين! فكريًا، جعل -الملاحدة- من المذهب المادي دينًا⁽¹⁾.

ومن نتائج هذه العدمية للعلم، وللأخلاق، على سبيل المثال:

- أن جيمس واتسون -عالم الأحياء والوراثة الأميركي الملحد- قد صرح من قبل في عام 2007 أن: "السود أقل ذكاءً من البيض" وراح يعمل على برهنة ذلك علميًا حسبما صرح به! بل ويعطي حق الإجهاض للفتاة: فقال إنه يجب إعطاء المرأة حق إجهاض

(1) المصدر السابق ص 449.

جنينها في حال استطاعت التجارب أن تثبت أن مثل ذلك الجنين قد يكون مثلي الجنس في المستقبل! باعتبار أن الجينات مسئولة عن "الشذوذ" الجنسي، وأن بعض الأشخاص يولدون شاذين، لتحميل الله فساد الأرض والخلق والأخلاق!

- نشرت جريدة التليجراف البريطانية مقالة بتاريخ 2002/3/3 لخبراء طبيين، أخلاقيين، تقريراً لجامعة إكسفورد ينادون فيه بأن الأهل لهم الحق بقتل الرضع حديثي الولادة، مشيرين إلى أن هذا الأمر مثله مثل الإجهاض؛ فهو أمر "أخلاقي ذو أهمية"!

- أما لورانس كراوس -الفلكي والفزيائي الأمريكي- يقول إنه: "لا يوجد خطأ أخلاقي في زنا المحارم"! معتبراً الأمر طبيعياً وعادياً بين الأخ وأخته -على سبيل المثال- على أن يستعملوا موانع الحمل!

- أما بيتر سنجر -فيلسوف الأخلاق الأسترالي- فقد أكد مراراً على عدم اعتراضه- بل ومناداته- بممارسة الجنس مع الحيوان! مبدئياً استغرابه على منع هذا الأمر في بلده!

- ويقول ريتشارد دوكنز: "أريد أن أسأل سؤالاً آخر يثير اهتمامي، لماذا يتكلم الناس دائماً عن الخيانة الزوجية؟ لماذا ترفض أن يتمتع الشخص الذي تحبه متعة جنسية مع شخص آخر إذا أراد هو أو هي أن يفعل ذلك الأمر؟!"

- أما ويليام ماهر، الممثل الكوميدي ومقدم البرامج الأمريكي المعروف، فهو يدعو إلى تقليص عدد سكان العالم عن طريق ترويج الموت!

تشريح عقل الملحد

بناءً -وما يتضح- مما سبق، أن الملحدين -خصوصاً الجدد- لا يقوم "إيمانهم" بأيديولوجية الإلحاد على حجج وأدلة عقلية، أو قل عقلانية، وإن كانت فهي -فلسفية واهية- لا علمية -منطقية- أو حتى قريبة من شخص راشد عقلياً يمكن التعاطي معه ومع ادعاءاته بقليل من الجدية؛ فتلك الاندفاعية التعصبية والنظرة المادية لله، والعدمية

للإنسان والأخلاق، يقابلها بالضرورة جهل منقطع النظير من ناحية، وعدم سوية نفسية من ناحية أخرى؛ فعندما نقول إن الملاحدة الجدد "متخلفين عقلياً" فهذا ليس نعتاً وذمّاً، إنما تحليلاً لشخصيتهم المعقدة، والتي يمكن اعتبارها (حالة نفسية خاصة)؛ ولذلك ميزنا بين لفظي "الملحدين" و"الملحدين الجدد" -صرفاً بالنظر عن الربوبيين منهم واللادينين- فإن كان الإلحاد القديم -أو لنقل أصل الإلحاد- نتيجة لمشكلة أو حالة نفسية أو صورة من صور البحث عن الله لتناقض المعرفة والاضطهاد الكنسي وكهنوتية الدين؛ فإن الإلحاد الجديد هو أعقد أشكال المرض النفسي، وتناقض في الحالة -كصفة لها- وتناقض المعرفة، كنتيجة لتناقض الحالة، وصفة لها، ولا يبحثون عن "الله"، بل ينكرون "الإله".

"ليس هناك ملحدون بمعنى الكلمة". موريس بلوندل (فيلسوف فرنسي، عاش بين 1860 و 1949).

وأيضاً من صفات هذه الحالة المعقدة كره "الله"؛ فبالرغم من أن "الإله" لم ينكره أعظم علماء وعظام البشرية وأكثرهم عبقرية -وهذا منطقي بالطبع.. أمثال نيوتن وإينشتاين وغيرهما -ألا أن هؤلاء "المتأخرين"، "المتخلفين" -والعرب منهم بالأخص- أكثر عبقرية وعلم، فهم توصلوا -عن طريق الصدفة!- أنه لا إله إلا الطبيعة، التي -في نفس الوقت- وجدت بالصدفة!

هذه العبثية أو "حالة الحالات" -كما نفضل تسميتها- تعود إلى الشعور بالدونية، فوجد شبابنا -أو أطفالنا- أن الإلحاد هو طريقة "ذكية" لتعويض الشعور بالذات، عن طريق نسخ ولصق ادعاءات وترهات الملحدين الجدد الغربيين -أمثال ريتشارد دوكينز، وكريستوفر هيتشز، وسام هاريس وغيرهم، وهم الأكثر عداءً وعدائيةً للأديان والإنسان- دون حتى فهمها -وعدم الاكتفاء بذلك- للشعور بالذات -بل وتزيين واجهات وصفحاتهم

الشخصية بصور "عميقة" لعلماء وفلاسفة الغرب- ولو حتي كانوا مؤمنين بالإله، لكن لا بأس!- والكتابة باللغة الإنجليزية، ليصوروا للعامة كم هم عابرة وذوي ثقافة منقطعة النظير وو الخ! سل أحد هؤلاء: أن كان العقل الهأ، والغرب ديناً، هل كنت ستعتنقه؟ أقصى إجابة يمكن أن تجدها من أحدهم على هذا السؤال -أو غيره!- هو أن يطرح عليك سؤالاً آخر!- من تلك الأسئلة المعتادة والمحفوظة عن ظهر قلب!-

" ليس هناك ملحدون بمعنى الكلمة".

موريس بلوندل- فيلسوف فرنسي، عاش بين

1860- 1949.

مهما كانت إجابته فهو يدين نفسه؛ فإن أجاب بنعم، فإن دينك (الغرب) عن طريق إلهك (العقل) قد أثبت -فيما لا يدع مجالاً للشك- أن هناك إلهًا حكيماً بديعاً للكون، وأن

هناك صانعاً أعظم لهذه الساعة العظيمة (الكون).. وإن أجاب بالنفي، لما أُلحِد!.. أعرف أحدهم أخبرني أن صديقه -الملحد- يسب الله والدين والمسلمين ويرحب بالمثلثة.. إلخ وآخر الأسبوع "بيصلي معانا الجمعة عادي!". معظمهم مراهقون أو عاطلون عن العمل - لا سيما التفكير- الكسل عن العبادة وطاعة الله أعطاهم دفعة قوية للإلحاد (فلسان حال هؤلاء يقول: لطالما أن بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة.. يعني كده كدة هخش النار، إذن "أخشها بضمير أحسن"!) وهو هنا كالشخص الذي كذب على نفسه -أو غيره- كذبة فصدها! وبنك الشهوات وارتكاب المحرمات -وللحاق بركب الغرب، المتقدم في هذا الأمر، بما يطلقون عليه "حرية"!- دافع -أيضاً- لإنكار-الملحد-الجدد- الله، حتي يعصوا ويزنوا يتخمروا و... إلخ دون تأنيب ضمير؛ فكما قال دستوفسكي: "إذا لم يكن الإله موجوداً، فإن كل شيء مباح".. وموريس بلوندل لم يكن عبثياً عندما قال إنه: ليس هناك ملحدون بمعنى الكلمة.

في مقدمته ل(الإلحاد مشكلة نفسية) يقول د. أحمد عكاشة، محللاً تلك العقلية الإلحادية، والشخصية الملحدة، والأسباب التي وراء إلحادهم، بكثير من الوضوح، قائلاً:

لعل من أهم العوامل والدوافع النفسية وراء الإلحاد، الأب القاسي والضعيف وعدم وجود الأب، وأيضًا التشدد الديني؛ حيث يكون الفرد شديد الخوف من الله في الوقت الذي يكون فيه متعطشًا لارتكاب المحرمات، ولكي يعصي الله دون تأنيب ضمير، يقنع نفسه بأن ليس هناك إله، وأن هذه خرافات، ومن دوافع الإلحاد النفسية -أيضًا- الإحساس بالنقص؛ حيث يكره الإنسان نفسه بسبب عيب ما في خلقته، فيكون إلحاده بمثابة اعتراضه على خالقه.

ومثل ذلك الاضطهاد الذي تعانيه المرأة باسم الدين -وليس بسببه- فهو شرارة البداية التي جعلت كثييرات من النساء يتركن الدين، ويتساءلن على مدى صحته أو ملاءمته ويشكون في عدل الإله. وهناك -أيضًا- الغرور المعرفي والثقافي الذي قد يقود الإنسان إلى الانحراف الفكري والإلحاد. وكذلك سطوة الشهوات حين لا تكون سببًا مستقلًا وحدها؛ ولكنها بمنزلة المحفز للجوء لخيار الإلحاد، كي يهرب الإنسان من وخز الضمير، وأحيانًا تجد الإلحاد وقد أصبح لدى البعض مجرد موضة ومراهقة فكرية أو وسيلة للفت أنظار الآخرين واستعراض العضلات، وغالبًا ما تجد هذا التوجه عند الأشخاص محيي الظهور والبروز ولفت النظر، وهناك عوامل أخرى تساعد على انتشار الظاهرة، منها ارتفاع نسبة الجهل، والتخلف الاقتصادي والسياسي والتنموي، وأيضًا اقتران القوة المادية بالإلحاد، كذلك يرى البعض في الإلحاد سببًا للقوة والعلم، ويعتبر أن الدين يعني التخلف والجهل (...) ولا ينبغي أن يغيب عنا كسبب مهم وراء الإلحاد، نوع من الخلل النفسي (العصاب) الذي يؤدي إلى تبني الإلحاد علي المستوى الفردي.

فبعد دراسات تحليلية مستفيضة أجراها أستاذ الطب النفسي الكبير بجامعة نيويورك "بول فيتز" على شخصيات عديدة من كبار ملحي العصر الحديث، توصل إلى أن الإلحاد قد يرجع إلى خلل نفسي عصابي، تقف وراءه رغبة دفينة في اللاشعور للتخلص من سيطرة الأب والحلول محله (كما يقول سيجموند فرويد) بينما يقف وراء الإيمان بإله ما يحققه من الشعور بالأمان؛ لذلك طرح بول فيتز مفهومًا سمّاه (منظور

التقصير الأبوي) يربط فيه بين سيطرة الأب البشري ورفض الأب الذي في السماء- الذي تتبناه الكنيسة.

كذلك هناك بعض حالات الإلحاد تكون مدفوعة باضطرابات نفسية، نذكر منها:

أولاً: اضطرابات الشخصية، مثل "الشخصية الحدية" وهي شخصية متقلبة في مشاعرها وعلاقاتها وإنجازاتها ومعتقداتها وتتميز بالاندفاعية وإيذاء الذات والملل المستمر؛ ولهذا نجد صاحب هذه الشخصية يتقلب في معتقداته الدينية -فأحياناً نجده متطرفاً دينياً وأحياناً نجده علمانياً أو ملحدًا- وأحياناً أخرى ربيعياً أو لادينياً ضد الدين.

ومثل " الشخصية البارانونية"، ويتميز صاحبها بالاستعلاء وسوء الظن والشك في الآخرين واحتقارهم واحتقار معتقداتهم، وهو يستعلي على العامة ويرغب أن يأخذ طريقاً خاصاً يتفرد به، كما يستعلي على الإيمان ويمكن أن يستعلي حتى على فكرة الإله الرب، وأيضاً "الشخصية النرجسية" وهي شخصية استعراضية تميل إلى المخالفة لجذب الاهتمام ونيل الشهرة والتمركز حول الذات؛ لذلك فأصحاب هذه الشخصية يرغبون في إعلان الإلحاد والتباهي بذلك ووضع صورهم على صفحات الإنترنت ويرغبون في الدخول في مناقشات وجدال مع بعضهم تحت الأضواء.

ثانياً: الأمراض النفسية: مثل الفصام والاضطراب الوجداني والاضطراب الضلالي واضطرابات التوافق، وهذه الاضطرابات تؤثر في تفكير الشخص ومشاعره وعلاقاته بالآخر وبالحياء، وقد تجعله يتوجه إلى اعتناق أفكار مخالفة لعموم الناس، وعلى الجانب الآخر قد تدفع هذه الحالات المرضية صاحبها للتطرف في التدين كنوع من الاندفاع النفسي ضد التفكك أو القلق أو الخوف⁽¹⁾. أما السمات النفسية والشخصية للملاحظة

(1) د. عمرو شريف- الإلحاد مشكلة نفسية ص 13:10

العتاة، التي ظهرت بوضوح في سيرهم الذاتية، وما كتب عنهم، والتي جمعها القائلون بالعلاقة بين الإلحاد الشرس وبين اضطرابات الشخصية؛ فيمكن تلخيصها في الآتي:

1. الشعور بالتوتر والغضب والمرارة.
2. سهولة الإحباط.
3. تبدل سريع في الانفعالات، مع نوبات من الاكتئاب، التجهم، التشاؤم.
4. الشعور بالخواء والفراغ وانعدام المعنى.
5. الرفض وحب الجدل والمنافسة والعند والعجز عن التكيف.
6. الضيق من العزلة والهدوء.
7. عدم الشعور بالأمن (ينعكس في الحساسية المفرطة للنقد والتقييمات السلبية).
8. عدم الثقة بالنفس -أو الغير- وإخفاء ذلك بسلوكيات التكبر والعجرفة وإظهار العظمة.
9. التفكير المضطرب، واستخدام عبارات رنانة في غير موضعها.
10. الانشغال الفائق بالجنس وتحقيق اللذة.
11. ازدراء المرجعيات والشخصيات التي يحترمها المجتمع.
12. الرغبة في الهيمنة وحب السيادة.
13. الإفراط في الكحوليات والعقاقير المخدرة وكل ما يحقق الهروب ويغيب عن الواقع.
14. عدم القدرة على التعامل مع فكرة الموت وتحاشي التفكير فيه.
15. احتقار من يتجنبه أو يثيره.
16. إثارة غضب وتوتر الآخرين.
17. تميز علاقته بالآخرين بالتحدي والإثارة والسلوك اللافت للنظر.

18. صعوبة تكوين علاقات جديدة أو المحافظة على العلاقات السابقة حتى مع أخواتهم.

19. إمكانية التعاطف مع الآخرين مع صعوبة المشاركة الفعلية في التخفيف عنهم(1). بناءً على قائمة السمات الشخصية للملاحظة العتاة، وانطلاقاً من اعتبار عدد من أطباء الأمراض النفسية أنها تمثل دلالات تشخيصية لما يمكن أن يطلق عليه "اضطراب الشخصية الإلحادية" نظر بعض أطباء النفس إلى الإلحاد الشرس باعتباره متلازمة مرضية متكاملة الأركان، وقد قام المفكر والكاتب الأميركي جون كوستر عام 1989 بنشر كتابه الممتع الذي أصّل فيه لهذه المتلازمة، وسماها "متلازمة الملحد" وانطلق كوستر في تأصيله للمتلازمة من الدراسات النفسية لعدد من أعمدة الإلحاد في التاريخ المعاصر، وأهمهم الأربعة: تشارلز داروين، وتوماس هكسلي، وفريدريك نيتشة، وسيجموند فرويد، بالإضافة إلى بعض الشخصيات الأخرى مثل هتلر وماركس وستالين -وسنتناول الحديث عن هؤلاء في الصفحات القادمة من هذا الباب-.

يرى كوستر أن "الابن الضحية" -نتيجة لتقصير الوالدين أو أحدهما- الذي يعاني متلازمة الإلحاد، يمر بثلاث مراحل تبعاً لنضجه العمري:

1- مرحلة الطفولة: عادة ما يعاني هذا الطفل الضعف والخضوع، وعدم وضوح الرغبات والأهداف، كما يكون متأخراً دراسياً. ويعاني معظم هؤلاء من قلة الثقة بالنفس؛ لإهمال والديهم لهم وعدم الاستجابة لمطالبهم مع السباب والإيذاء الجسدي والنفسي، ويتعامل هؤلاء الأطفال مع من حولهم بلا مبالاة وارتباك.

2- مرحلة المراهقة وما بعدها: تنقلب الصورة تماماً بشكل فجائي؛ فما إن تتاح الفرصة يحاول المراهق التهرب من عائلته التي يكرها ويسعى للاحتفاظ بمسافة بينه وبينهما، وما إن يصل المراهق إلى درجة من التعليم تجعله يؤمن بخطأ والديه تماماً! حتي

(1) المصدر السابق ص 143.

يلجأ إلى الزواج من بلدته وفي هذه المرحلة تتبدل الأمور تمامًا؛ فالابن الذي كان ضعيفًا كسولًا مرتبًا، يتخلص من كبته وخوفه من سلطة أبيه، ويشعر بنفسه أقوى وأذكى وأكثر دهاءً مما كان يحلم، وعادة ما يبدأ المراهق في هذه المرحلة في تكوين أفكاره التي يحصل بها فيما بعد على الأهمية والشهرة.

3- مرحلة رفض الذات: تكتمل المأساة في سن 35-40 سنة؛ فالشاب ينظر ذات مرة إلى المرأة؛ فيجد أنه نسخه من والده بقدر ما يتذكره.. ما أسوأها من مفاجأة، عندها يتحول كره الأب الذي قاده إلى الفتور واللامبالاة في طفولته وصباه، إلى الرفض والتمرد في مراهقته، يتحول إلى كره لنفسه، بعد أن أصبح نسخة ممن يكره ويؤدي ذلك إلى المزيد من الكراهية للأب، حتى يكرهه من أي شيء في الدنيا.. عندها يصدر العقل أوامره للجسم بأن "يدمر نفسه"؛ فهذا أفضل ومن أكون الشخص الذي أكره.. عندها تبدأ أعراض مرضية نفس جسمية -دون سبب عضوي- في الظهور، وتتفاقم الأعراض حتى تكاد تعجزه، وأهم هذه الأعراض: الصداع المزمن، عسر الهضم، الضعف والكسل الشديدين، الرهاب، العجز عن التركيز العقلي إلا في بعض الوسواس أو بعض الفنون التي يمارسها الأشخاص الأذكاء.. إنه اكتئاب مزمن، أجسامهم صارت عدوة لعقولهم، وأصبحت عقولهم تعادي نفسها، وإذا تأملنا السير الشخصية لرجال الإلحاد الكبار الذين درسهم كوستر (داروين، هكسلي، نيتشة، فرويد) نجد في حياتهم ملامح الاكتئاب المزمن:

1. عاش الأربعة لسنوات طويلة بعد انهيار صحتهم البدنية؛ حتي إن ثلاثة منهم عانوا الأعراض المرضية نصف حياتهم؛ يرجع ذلك أن هذه الأعراض كانت نفس جسمية، ولم يكن وراءها سبب عضوي.

2. كان هكسلي وفرويد يتعافيان من نوبات اكتئابهما الحادة بأن يسبا للدين والإله! فقد ذكر هكسلي أنه كان يرتاح كثيرًا كما يختفي عسر الهضم بعد أن يمسك قلمه ويكتب شيئًا ضد الكتاب المقدس، أما فرويد -الذي عاش أكثر من الآخرين- فكان

يشعر بأن لحمه يتعفن، حتي إن كلبه كان يعافه، وكان فرويد يتخلص من هذا الشعور بسباب المسيحية واليهودية (...) لقد أصبح هؤلاء المشوهون نفسيًا هم الملهمون للحركات الفكرية والسياسية في القرن العشرين!

- أما عن آليات الدفاع النفسية التي يلجأ لها الملاحدة؛ فإنه للخروج من توتراته ومعاناته النفسية، التي وقفت وراء تبني الإلحاد، وتلك التي تنتج عنه، يلجأ الملحد المضطرب إلى آليات الدفاع النفسية، وأهمها:

1. إنكار، كبح، قمع وإخماد رفض استحضار-أو التعامل مع- تجاربه السابقة المؤلمة، وكذلك أفكاره المؤلمة.
2. إزاحة وإسقاط غضبه وضيقه على المفاهيم والشخصيات والجهات الدينية وإرجاع إلحاده إلى سوء المنظومة الدينية والخطاب الديني.
3. رفض المعاونة: كثرة الشكوى مع رفض وازدراء أي نصيحة أو عرض بالمساعدة.
4. تبرير: بتقديم تفسيرات غير صحيحة لعدم رضائه عن الحياة.
5. الشق: -القسمة:- السلوك في الحياة بأسلوبين مختلفين، الأول شخصي حقيقي، والآخر مثالي أمام الناس.
6. الهروب: بالإفراط في استخدام الخمر والعقاقير والانشغال المفرط بالجنس.

بهذه الآليات يعيش الملحد المضطرب في ظل قناعة كاذبة بأنه من رواد حرية الفكر وفي نفس الوقت من ضحايا التعصب الديني!⁽¹⁾

في حقيقة الأمر هم يدافعون عن قضايا "غير حقيقية" وبالتالي بالضرورة يتخلون عن "الحقيقة" و"الحق" وإلا فإنهم يصلون- أو كان يجب "للأيمان" أو وجود الحق الذي قون القوانين، والحقيقة في الطبيعة. يقول فرانسيس بيكون إن: "قليل من العلم ربما يجعلك ملحدًا؛ فإذا تعمقت أمنت بالله": إذ إن الإلحاد يرتبط بالجهل والغباء لا العكس،

(1) المصدر السابق-ص 145:147.

بالسفسطة لا الفلسفة؛ فإنه: "لا يستطيع الملحد أن يدخل لك إلا من باب السفسطة في الفرعيات، واللعب على وتر التفاصيل؛ لذا كن حذرًا ورده بسرعة إلى الأصل، لا تجعله يعبت ببديهياتك، وضروراتك العقلية بدخوله في التفاصيل؛ بل كن أكثر ذكاء ورده أنت إلى الأصل؛ فينكسرو تطيش كل سفسطاته الفرعية"⁽¹⁾.

فإن ما يجري وراء "العدم" يظل عدماً وسراباً وخداعاً للذات وعلى الغير باسم "العقل" و"الحرية" و"الذكاء" و"العلم" وكل المصطلحات البراقة والنقائص البشرية!.

يقول كارل غوستاف بونج -عالم النفس السويسري ومؤسس علم النفس التحليلي:-
"لا أكاد أجد مريضاً واحداً يعاني من مشكلات نفسية إلا وكان بعيداً عن العقيدة الدينية". ويؤكد ذلك الدكتور هنري لينك، الطبيب الأميركي الشهير، في كتابه (العودة إلى الإيمان) إذ يقول: "إن كل من يعتنق ديناً أو يتردد على دار للعبادة، يتمتع بشخصية أقوى وأفضل ممن لا دين له أو لا يزال العبادة". أضف لذلك عدم اتزانه النفسي والانفعالي، وبالتالي الأخلاقي، وإن أردت التأكد من صحة ذلك؛ فأدعوك للتحدث ومحاورة شخص ملحد! أو أن تهزمه وتفحمه وتجبه وتثبت خطأه وجهله في الحديث! وهذا يدلنا على أمرين -نفسياً وعقلياً- لا يقل أحدهما عن الآخر: أولهما: أن ذلك يثبت أن الملحد -الملحدين الجدد- إنما لا يبحث عن حق أو حقيقة أو فضل أو فضيلة، أو حتى المثالية الأخلاقية؛ فكل تلك الأمور لا تعنيه البتة؛ فهو ضد الإله والدين؛ لأنه يريد أن يكون ضد الإله والدين -لأسباب المذكورة سلفاً!-

ثانيهما: طاووسية هذا المتعجرف، فهو يرى نفسه دائماً على صواب، ويرى كل من يخالفه الرأي والاعتقاد والفكر فهو على خطأ- وجاهل وغبي ومتخلف وضد الفكر وانغلاقي وو إلخ!- ومهما كانت رداءة أفعال الملحد وفساد منطقته وتوجهه الأخلاقي وفكره

(1) د. هيثم طلعت-كهنة الإلحاد الجديد- ص 379.

البدائي.. فهو في نهاية المطاف "عبدًا" للعلم – المادي- ونتيجة للصدفة والعشوائية، لأن الأديان- والله- ضد العقل والإنسان!.. هذا ليس مجنونًا، إنه ملحد!

أعتقد أن هتلر وأشباهه- ستالين، موسيليني، لينين، ماوتسي يونغ.. وغيرهم- لو عادوا للحياة، وعاد بهم الزمان للخلف، لفعلوا ما فعلوا.. فאלله- سبحانه وتعالى_ القائل: "ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون" "الأنعام 28" لماذا؟ لأنهم يعتقدون بل ويصرون أنهم وبرغم ذلك كله إنما هم على حق، وهذا ما كان يجب أن يحدث، بل وأكثر من ذلك! وهم سعداء بهذا، ليس من الممكن أن يكون أحدهم حزين أو يائس لمشاهد القتل.. ويقتل ويسفك! فهذا الهواء والغواء لا يمكن أن يكون صادرًا من شخص سوي- لطالما أنكر وجود إله يحاسب ويعاقب- إضافة إلى الشعور بالصواب والارتياح والانشراح تجاه تصرفاته غير السوية النابعة من كبره، وربما فخره بعدم السوية، أو في محاولة تملكه غيره بالقوة واتباع فكره غير السوي قسرًا، فهذا شيء خير وإنساني في عين مصاب بمرض ومتلازمة البارافرنيا، التي هي من أعراضها وصفات أصحابها:

- حالة هوس مصحوبة بأحاسيس من النشوة والانشراح.

- أوهام مصدرها الفانتازيا التخيلية، ذات المحتويات المتعددة في مشاربها، متمثلة في الافتخار الشديد بالنفس، والزهو والغرور.

- هلوسات وهلوسات كاذبة.

- جنون العظمة.

- الادعاء الباطل.

- الاعتقاد والتوهم أن كل "الأنظمة" والنظم ضده، بالتالي لا يرضخون لأي " نظام" كان، ويسعون للنيل منه وتقويضه، لذلك تجدهم دائمًا يسعون للسلطة والتسلط، ومتى

تمكنوا منها سعوا وعثوا في الأرض فسادًا ونهبًا واضطهاد شعبيهم أو من تحت سلطتهم، ومثال ذلك الشيوعيين والحكام الديكتاتوريين.

- دائم الشك والتخوف.

- يحب أن يرى العالم بشكل وردي خالٍ من أي إزعاج وفوضى وشر، لذلك فهو يرى أن بيئته ودينه لم يوفرا له متطلباته- أو أوامره!- باعتبار نفسه ملكًا متملكًا، فهو يرى الفضائل شرور والشرور فضائل، وما يصدر منه خير مهما كان- لأنه معصوم وحكيم!- وما يصدر من غيره شر؛ لأنهم أقل منه حكمة وعصمة!

"إن كل ما يذكره الملاحدة من صراعات إنما يعود إلى نقائص نفوس بشرية تتخذ من الدين -ومن غيره- ستارًا لأحقادها. ولو اختفى الدين فستمارس هذه النفوس الصراع تحت مسمى آخر!" د. عمرو شريف

- يرى أن الجميع- وعلى رأسهم الإله- يتآمر ضده! لذلك فالملحد- في الأصل- لا "ينكر" وجود الله، إنما هو "يجحد" الإيمان به، بالتالي ينفي وجود الله، تكبرًا وتعاليًا، ولو كان- وهو كذلك- يعرف جيدًا أن الله موجود! وإذا ما اطلعت على سورة "الأنعام" وتمعنّت النظر فيها، ستجد أن الله تعالى يصفهم فيها وصفًا دقيقًا ولعلك لاحظت استشهادنا المتكرر في أكثر من مناسبة بهذه السورة! يقول تعالى، في سورة الأنعام الآية 33 "فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ".

"وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ ^ج وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ". (العنكبوت-47)

"الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ هَوًى وَلَعِبًا وَغَرَّتُهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ۖ فَالْيَوْمَ نَنَسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ". (الأعراف-51)

"بَلْ هُوَ آيَاتٌ يَبَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ". (العنكبوت-49)

"وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ". (لقمان-32)

قال تعالى أيضاً: "كَذَلِكَ يُؤْفِكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ" (غافر-63) يُؤْفِكُ: أي يكذب، فالعلم عندما يغيب الإله من معادلاته يغيب الإنسان ويصبح جهلاً مقصوداً وقتلاً للحق والعقل، إنه ثلثي الشر أن نؤمن بالعلم وقدرته، دون الإيمان بالله وقدرته، يقول تعالى أيضاً: "ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءٌ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ" (فصلت-28) وتلك هي الفئة من "الكفار" المقصودة في القرآن، وهم أنفسهم الذين ندعو يومياً ألا نكون منهم، أي أن نكون: "غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ". (الفاحة-7)

يقول عز من قائل أيضاً: "وَلَقَدْ مَكَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّاهُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَابْصَارًا وَافْتِدَاءً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا افْتِدَاءُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ

"الساعة الثانية فجراً أنهيت مقالا أنكرت فيه وجود الله وحين ذهبت لأنام لم أستطع إطفاء النور خوفاً مما سيفعله بي الله!" ولسون

اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ" (الأحقاف- 26) فالقضية قضية جحود وتكبر واستكبار، وليست علمًا وفهمًا ودراسة وتحليل ومنطق "فالعلم" لا يمكن أن ينفي وجود خالق للكون.

يقول الباحث السوري، عبد الدائم الكحيل: في فلندا قام بعض الباحثين من جامعة هلسنكي بعمل دراسة على عينة من "الملحدين" وقد نشرت الدراسة في فبراير 2013 بالمجلة الدولية لعلم نفس الأديان، وكانت "لبنديمان مارجانا" الدكتورة المشرفة على الدراسة، التي قامت برصد التغيرات التي تطرأ على نشاط الدماغ والجلد والقلب من خلال وضع أقطاب كهربائية على أصابعهم- لقياس مجموعة من المتغيرات، كدرجة الحرارة وضبط الدم ونبضات القلب والموجات الدماغية.. وغيرها من المؤثرات الأخرى- وجعلهم يرددون عبارات يذكر فيها لفظ "الله" وقد أظهرت نتائج البحث والتجربة، أن هذا الملحد عندما يذكر أمامه اسم الله خاصة عندما يقال له ادعو على نفسك وأخيك وأبيك وعائلتك بالهلاك فإن مركز الخوف في دماغه ينشط ويتوهج، وهذا يعني أنه يشعر في قرارة نفسه بالخوف، وخلصت نتائج البحث إلى "أن الملحدين يقولون عكس ما يبيطون داخله".. قال تعالى: "وَحَدِّثُوا بِهِا وَاسْتَفِيقْنَها أَنْفُسُهُمْ ظُلُمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ" (النمل-14)

في لقاء مع ريتشارد دوكنز على قناة (بي بي بي) الإذاعية الرابعة، في برنامج (توادي)، قال دوكنز- ثم كرر- إن ثلثي من يقولون إنهم مسيحيون لا يعرفون عنوان السفر الأول في العهد الجديد، ثم طلب إليه أن يذكر عنوان كتاب داروين الأشهر، تعثر في الإجابة وتردد حتى قال: "يا إلهي!" فهبت الذي كفر!

وإذا ذهبنا لأبعد من ذلك مثلاً ، فإن كفار مكة كانوا يؤمنون بوجود الله: "وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ". (لقمان-25)

"وَلَيْتَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ^ط فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ". (الزخرف-87)

يقول د. عمرو شريف: "تعلمنا في صغرنا أن كفار مكة الذين بُعث فيهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) برسالة الإسلام، كانوا ينكرون وجود الله - عز وجل - ولما شببت عن الطوق واقتربت من فهم القرآن الكريم علمت أن معظم الكفار كانوا يقرون أن الله - عز وجل - هو خالق الكون والحياة والإنسان، لكنهم كانوا يشركون مع الله آلهة أخرى، وأنهم بعبادتهم لأصنامهم كانوا يتقربون إليه سبحانه وتعالى، أما إنكار الوجود الإلهي، كما يفعل الملحدون المعاصرون - الجدد - فقد كان نادرًا قبل العصر الحديث، حتى يمكننا القول إن الإلحاد المعاصر صناعة أوروبية حديثة"⁽¹⁾، يقول (بول فيتز): "إن كل شخص يستطيع بإرادته الحرة واختياره أن يتوجه إلى الإله أو أنه يبتعد عنه أو أن يقف ضده"، كما فعل هو وأعلن إيمانه بالله، بعد أن كان ملحدًا، أما نيتشه فيقول: إن الفوارق بين العلماء والفلاسفة وبين المتدينين والمؤمنين ليست فوارق نوعية، فكلنا نؤمن لكن الفارق هو مقدار الإيمان والورع والتقوى، فنحن أقل من المتدينين في هذا الجانب.. ولعله جعل المؤمنين هنا كأنهم جهلة، أغبياء، وعبثًا جعل "الملاحدة" في مصافِّ العباقرة، لكن ما يهمننا هو الجانب النفسي!

وقد عبر كثير من الملحدين عن مأساة العدمية المادية التي يعصف بها إرهاب الإلحاد، يقول د. عمرو شريف:

يؤكد "برتراند رسل" فكرة اللاغائية والعدمية في قوله: "الحياة خالية من المعنى ولا حكمة وراءها"، ويؤكد الفكرة من المعاصرين ريتشارد دوكنز بقوله "الحياة خالية من التصميم والغائية، لا خير ولا شر، ليس هناك إلا مبالاة مؤلمة".. وفي المقابل.. في لحظات من الشك في الإلحاد، صرح الفيلسوف الكبير جان بول سارتر: "لا أتحمّل أن أرى نفسي

(1) د. عمرو شريف - خرافة الإلحاد - ص 19.

كومة من التراب الذي ظهر بالصدفة في الكون، إني أرى نفسي كائنًا محسوبًا حسابه، استدعى لغاية، كائن لا يوجد إلا كخلق لإله حكيم.

إن هذا القول يتعارض مع الكثير من آرائي، لكنها فكرة تطفو على السطح كل حين وآخر.. إن هذه الفكرة تدفعني لأن أعيد النظر في منظومتي الفكرية"، وبالفعل أعاد سارتر بناءه الفكري وهو على فراش الموت، والتردد نفسه مر به تشارلز داروين، ففي حوار لداروين مع دوق أرجل 1885، قال له الدوق: لا شك أن الزهرة الجميلة من عمل إله حكيم، أجابه داروين: هذه الفكرة كثيرًا ما تعصف بعقلي، لكنها للأسف.

- وهز رأسه- تتلاشى بعد فترة، وقرب موته عام 1988، دخل الفيلسوف الكبير سير الفريد أير- واضع الفلسفة الإلحادية الرئيسية: الوضعية المنطقية- في لحظة من لحظات الصفاء، وقال لطيبه: "إني أرى إله السماء"، قد يقول البعض هذه هلاوس شخص مقبل على الموت، خاصة أنه كان زعيمًا للإلحاد، قبل قبول هذا التفسير، من المفيد أن نعرف أن سير إير عاش سنوات حياته الأخيرة في سلام عميق واطمئنان، وكان صديقه الأقرب هو أشهر مناظريه من المؤمنين هو الفيلسوف رجل الدين البريطاني فريدريك كوبلستون.

ولا شك أن أفضل المعبرين عن مأساة اللاغائية والعدمية هم الملحدون أنفسهم عند الاقتراب من الموت: كان فولتير يصرخ: ما أسوأه من مصير، أن تتلاشى في العدم، وكان الإمبراطور الروماني سيبتييمس سيفيرس يمس بحسرة قائلاً: لقد كنت كل شيء، وقال الفيلسوف والسياسي الأميركي توماس بين: إني مستعد أن أضحي بالوجود كله، لو كنت أملكه، إني أواجه الجحيم وحدي، قال الفيلسوف توماس كارليل: لست إلا إنسانًا عاجزًا يقترب من المصير المجهول، وقال سير فرانسيس نيوبورت: لقد انتهى كل شيء، وقال توماس هوبز: أوشكت أن أقفز قفزي الأخيرة إلى الظلام، كان الكونت ميرابو يصرخ عند وفاته: أعطوني مورفين، لا أستطيع أن أفكر في العدم، وقد وصف عالم اللاهوت

القديس أغسطين، وأيضًا عالم الفيزياء والدين الفرنسي باسكال العلاج من قولهما: "فقط مع الإله نحن في راحة"، إن العدمية وانعدام الغائية- بما يحملانه من يأس مطلق- هما الجحيم بعينه. و"الأمل فيما بعد" طلب النجدة من جحيم "الآن وهنا"، الأمل هو استغاثة طلب صحبة الإله، الآن وفيما بعد مات الأمل ولد الجنون.. إن قناع الإلحاد ليس إلا التعبير الأكبر من انعدام الأمل، لا حياة بلا أمل⁽¹⁾.

حتى أبو الإلحاد نفسه لم يكن "ملحدًا"! وبرغم نظريته- فرضيته- العلمية، التي ألحد على أثرها الآلاف أو العشرات، بل مئات الآلاف من الناس فإنها لم تكن إلا عبارة عن "فلسفة مسفسطة" وليس لها أساس علمي صحيح، فإن: "عالم البيولوجيا تشارلز داروين، صاحب نظرية التطور الذي اتهم كثيرًا بالإلحاد، عسى أن تبرئ هذه الكلمات ساحته، وتكون حجة على الملحدين، يقول داروين في سيرته الذاتية: من الصعب جدًا، بل من المستحيل أن تتصور أن كونًا هائلًا ككوننا وبه مخلوق يتمتع بقدراتنا الإنسانية الهائلة، قد نشأ في البداية بمحض الصدفة العمياء أو لأن الحاجة أم الاختراع، وعندما أبحث حولي عن السبب الأول وراء هذا الوجود، أجدني مدفوعًا إلى القول بمصمم ذكي، ومن ثم فإني أؤمن بوجود الإله"⁽²⁾ لا يوجد شيء اسمه ملحدون- وداروين مثالا- لكن يوجد شيء اسمه ربوبيين أو لا دينيين.. وذلك أسبابه اجتماعية ودينية- وله جانب نفسي أيضًا- أما الإلحاد نفسه فهو في الأصل مرض نفسي وعقلي.

(1) د. عمرو شريف-الإلحاد مشكلة نفسية-ص 148:150.

(2) د. عمرو شريف-رحلة عقل-ص 92-93.

" لا دينيين " أم " ضد الدين "؟

شخصية" الملحد تذكرني بطرفة كنت أسمعها قديمًا، هي أنه كان هناك شخص داخل منزله، وبيده مفاتيح سيارته، بينما هو يتجه للخارج، انقطع التيار الكهربائي، فتعثر، فسقطت المفاتيح من يده، وبينما هو يبحث عنها إذ وقع نظره على الشرفة، التي تطل على الشارع، فوجد المصابيح منيرة وتضيء الشارع، فخرج يبحث عن مفاتيحه بالخارج تحت نور المصباح! فجاء رجل ل يبحث معه عن المفاتيح وبعد نصف ساعة من البحث، سأله الرجل: هل أنت متأكد أن مفاتيحك سقطت منك هنا؟ فأجابه: في الحقيقة مفاتيحي وقعت بالداخل! سأله الرجل متعجبًا: إذن لماذا تبحث عنها هنا! فيرد الآخر متفلسفًا بنفس كلها ثقة عمياء: أليس يجب أن أبحث عن مفاتيحي في النور بدلًا من أن أبحث عنها في الظلام! فهذا الشخص حاول أن يستخدم عقله ويفكر خارج الصندوق، لكن يبدو أنه لو كان يفكر أصلاً لما فعل ما فعل، فهذه مشكلتك (مفاتيحك) ابحث عنها وعن حلها بالداخل (بداخلك) دون أن تقف في وجه غيرك، وفي وجه "الحقيقة".

الإنسان خلق فضوليًا، ل يبحث ويفكر ويعرف الله، والمؤمن عرف الله، أو يحاول ذلك.. فلما يحاول الملحدون إضعاف "عقيدة" المؤمنين- وبالذات المسلمين- وتشكيكهم في دينهم عن طريق بث الشائعات بجميع طرق الكذب والتلفيق والتزييف!؟

"ومن المثير للسخرية، أن الدراونة يهتمون أنصار التصميم الذكي بأنهم ينطلقون من منطلقات أيديولوجية، بينما العكس هو الصحيح فإن معظم من يؤيدون الدراونة لا يتمسكون بها لقوة أدلتها العلمية (بل ربما لا يعرفون الأدلة!) لكن لموقفهم الراض للدين" د. عمرو شريف- خرافة الإلحاد ص 240

على الرغم من أن امرأة العزيز "غلقت الأبواب" وأخبرته بذلك حين قالت "هيت لك" فإنه يقول في الآية التي تليها "واستبقا الباب" فإذا ما سألنا: ما الذي يجعل يوسف - عليه السلام - يجري ناحية الباب على الرغم أنه يعلم يقيناً أنه مغلق؟! هذا سبب إيمانه وتوكله.

لكن ما الذي يجعل امرأة العزيز تسابقه إلى الباب على الرغم أنها تعلم يقيناً أنه مغلق وحراسها عليه؟! هذه الفزعة، التي تصيب أهل الباطل حين يتحرك أهل الحق.

فهم لا يقصدون الإسلام والمسلمين، لأنهم على باطل أو ضد الإنسان والإنسانية.. أو إلخ- كما يدعون ذلك وغير ذلك كمبرر لحربهم على الإسلام خاصة- بل لأنهم يخشون الحق، هذه هي الأنفس المريضة الضعيفة.

كذلك الذي كانت بطنه تؤله أو يشتهي من شيء ما في جسده، فذهب للطبيب فوصف له دواءه طبقاً لأعراضه التي يعاني منها، فأعطاه عدة وصفات، فقال له الطبيب: اعطي تلك لجارك وتلك لأختك وهذه لوالدتك! فتعجب المريض: ماذا! أنا الذي أعاني المرض يا دكتور، فلما وكيف وبأي منطق أعطي تلك الأدوية لغيري!

فهذا "المريض" -الملحد- إنما علتة هو أنه لا يبحث عن الحقيقة- ولا يريدتها- بل يحاول تسميم غيره بالباطل والعاطل للأخلاق والقيم الإنسانية عند المسلمين- ولا سيما المسيحية-، يقول سام هاريس:

- الفيلسوف وعالم الأعصاب الأمريكي، وأحد أقطاب الإلحاد الجديد- "هدفنا أن نحطم كل مظاهر الاحترام للقيم والمفاهيم التي اشتهرت بها المسيحية" وهنا يقول- ويؤكد- د. عمرو شريف أنهم: "ليسوا لا دينيين.. لكنهم ضد الدين- ثم يقول مضيقاً- لم يكتفِ الملحدون الجدد بعدم الإقرار بوجود الإله ولا بدعوة الآخرين لذلك، وكلها بدائل متاحة لإنسان لا ديني، لكنهم أخذوا يوجهون قذائفهم "ضد" الإله ، ليس على مستوى القضايا

العلمية بل أيضًا على المستوى الأخلاقي، فالملاحدون الجدد يصرحون أنهم ليسوا ضد الأخلاق بصفة عامة، لكنهم ضد الأخلاق بالمفاهيم التي يطرحها المتدينون! ويؤكدون أن البشرية ستكون أحسن حالًا دون هذه المفاهيم! لذلك نجد كريستوفر هيتشنز- من أقطاب الإلحاد الجديد- يردد ويزمجر ضد كواييس العهد القديم وشروط العهد الجديد من كتاب المسيحيين المقدس، ويعلن عداؤه للإله الطاغية المتغطرس المستبد الذي يراقبنا دائمًا ذلك "الإله ليس عظيمًا" كما يدعي المتدينون⁽¹⁾!

يقول العجيري مضيئًا، ومن ناحية أخرى: "لقد بات الإسلام وتمثيلاته في الواقع هاجسًا حقيقيًا شديد الحضور في الذهنية الإلحادية الجديدة، وباتت المصطلحات العربية من جنس (الله، محمد، الشريعة، القرآن، الحديث، الأئمة، الملal، العلماء المدارس، الفتوى، الجهاد...) وغيرها، ذات حضور حقيقي في الكتابة الإلحادية، ويكفي أن تعلم أن أحد أهم أدبيات الإلحاد الجديد (الله ليس عظيمًا) لكريستوفر هيتشنز، إنما اختير عنوانه هذا مناكفة لشعار المسلمين (الله أكبر)، بل وكتاب (نهاية الإيمان) لسام هاريس، وهو أول الكتب المشكلة لظاهرة الإلحاد الجديدة، يمثل فيه الإسلام المحور الأساسي الذي يدور عليه الكتاب وهو ما يمكن ملاحظته بسهولة بقراءة الكتاب، بل من قراءة أول صفحة فيه، وقد سجل هذه الملاحظة بيتر سنجر في تزكيته للكتاب بشكل غير مباشر إذ قال: "نهاية الإيمان ليس تحديًا للمسلمين فحسب، لكنه تحدٍ كذلك للهندوس واليهود والنصارى كذلك" فالكتاب نقد للإسلام بالأصالة، ولغيره تبعًا، وهاجس الإسلام حاضر جدًا عند سام هاريس، حيث خصص في مدونته قسمًا خاصًا بالإسلام.

لقد كشف ريتشارد دوكنز عن موقف الإلحاد الجديد من الإسلام بغاية الوضوح والصراحة، قائلًا في تغريده له: "أعتقد أن الإسلام هو أعظم قوة للشر في عالم اليوم، قلت ذلك مرارًا وبصوت عال، فعن ماذا تتحدث"، يقول أيضًا مخاطبًا مخرج فيلم

(1) عمرو شريف-خرافة الإلحاد ص 306.

"فتنة" وهو واحد من الأفلام المسيئة للإسلام: "بخصوص قوة فيلم " فتنة" فإنني أحييك كرجل شجاع، الذي كانت لديه الشجاعة للوقوف في وجه هذا العدو المتوحش"، أما سام هاريس فهو يقول بغاية الوضوح: "إن فكرة الحرب على الإرهاب لا معنى لها"، "وإنه حان الوقت للاعتراف أننا لسنا في حرب مع الإرهاب إنما في حرب مع الإسلام".

بل يقول: "إننا في حرب جديدة مع الرؤية للحياة التي يحددها القرآن لكل المسلمين، لسنا نقول إننا في حرب مع جميع المسلمين لكننا قطعاً في حرب مع ملايين ليس لهم صلات مباشرة بالقاعدة". ويقول: "ما لم يدرك الليبراليون أن هناك عشرات الملايين من البشر في العالم الإسلامي الذي هم أشد ترويعاً بكثير من ديك تشيني، فلن يتمكنوا من حماية الحضارة الإنسانية من أعدائها الحقيقيين"! (...) فإذا اقتربنا من الظاهرة الإلحادية أكثر لمحاولة التعرف على موقفها من الإسلام بشيء من التفصيل، وما الذي يمثله القرآن مثلاً بالنسبة إليها؟ فإن سام هاريس يصرح أنه يتضمن جبلاً من الوصايا التي لا معنى لها والمدمرة للحياة، بل يقول في مقال له بعنوان "قصص أوهامنا": "إننا الآن في القرن الواحد والعشرين، جميع الكتب بما فيه القرآن ينبغي أن يكون مباحة لنا، بحيث يمكننا أن نلقمها في المرحاض دون خوف من ردود الفعل العنيفة"⁽¹⁾.

يضيف د. عمرو شريف قائلاً:

ولا يكتفي الملحدون بنفي صفة "السمو" عن الديانات، بل يدعون أنها "سممت" حياة البشر، وإذا كان ما يطرحه هتشنز على قدر من الصواب، بخصوص نصوص العهد القديم، فقد وجدها دعاة الإلحاد في الغرب والشرق فرصة لمد هذه الحملة ضد القرآن الكريم، فأخذوا يعملون بهمة وحماس لني النصوص وتفسير آياته بما يخدم اتجاههم المعادي للإله والدين، ويعلن وينبرج أن الدين إساءة لكرامة وكبرياء الإنسان، فبه أو دونه ستجد أناساً خيرين يقومون بأمر خير، وأناساً سيئين يقومون بأمر سيئ، أما أن

(1) صالح العجيري-مليشيا الإلحاد-ص 69:72.

تجد أناسًا خيرين يقومون بأمور سيئة فهذا يحتاج للدين! ومن المثير للعجب أن الملحدين الجدد الذين يستنكرون التوجهات الروحية للبوذية- وغيرها من الديانات غير السماوية أو حتى السماوية الأخرى بخلاف الإسلام- لم يكتبوا كلمة واحدة ضدها! أما إنكارهم لإله التوحيد- وليت الأمر يتوقف عند الإنكار فحسب!- فقد جعلهم يسودون آلاف الصفحات في الانتقاص منه عز وجل! لذلك قلنا إن الملحدين الجدد ليسوا فقط لا دينين بل إنهم ضد الدين وضد الإله، تارة يعلن ريتشارد دوكنز (وباقى الشراذمة) أن موقفه المعادي يتوجه ضد الديانات كلها، وتارة أخرى يركز على المسيحية التي درس عقائدها جيدًا، وأثاره (كما يقول) ما فيها من عدم منطقية ومجافاة للعلم، وأخيرًا ينكشف القناع، ويصرح دوكنز في محاولة لعقد هدنة مع المتدينين في الغرب (بعد أن عرّوه تمامًا) قائلاً: بقدر علمي، ليس هناك مسيحيون فجروا المباني، لم نسمع عن مسيحي انتحاري واحد، لا أعرف داعيًا مسيحيًا واحدًا يؤمن أن حد الردة هو القتل، إن لدي مشاعر متباينة تجاه المسيحية، لقد صرت أعتقد أن المسيحية ربما تكون حصنًا ضد شيء أسوأ منها (يقصد الإسلام).

ويتناسى دوكنز المجازر التي قام بها المسيحيون في الحروب الصليبية- والحروب الأهلية بين الطوائف بين المسيحية- والتطهير العرقي في الأندلس والبوسنة والهرسك والمجازر في أيرلندا، وغيرها وقد سعد المسيحيون بهذا التحول كثيرًا ، فكتب جون لينوكس يقول: من المؤسف أن دوكنز لم يفكر في ذلك أثناء تأليفه لكتاب "وهم الإله"، لكنني سعيد أن أقرأ له هذا الكلام⁽¹⁾ التعصب دائمًا يلازمه الجهل، والجهل بدوره يجلب ويولد مزيدًا من التعصب، لكن السؤال الذي يطرح نفسه: لماذا اجتمع الملحدون- وبصرف النظر عن تعصب وعدائية الكنسيين- على معاداة الإسلام والمسلمين- عن دون الأديان الأخرى، سماوية كانت أو غير سماوية؟ أهو عدم فهم لماهية، أو ما يعنيه الإلحاد- أو بالأحرى عدم فهم للذات-، - الذي هو في الأصل يجب ألا- أو من المفترض أن يكون- يحمل معنى طائفيًا

(1) عمرو شريف-خرافة الإلحاد-ص 306، 307.

وعدائياً للغير، أو من- أنت - تختلف معهم، وتقديم أفضل مما يقدموه لا الأسوأ، والعمل بما تنادي به أنت كملحد- متخذ الإلحاد كاعتقاد إيماني، أيديولوجي- من ناحية، وما تنادي به- أو تطلبه- أخلاق الفطرة وأخلاقيات العلم من ناحية أخرى، لا العكس، والبحث عن الحقيقة لا دفنها قسراً... أم هو محاولة تنصيرية "إرهابية" وهو ما يسمى- أو تسمى - بـ"الإسلاموفوبيا"؟

"إن الإسلام هو الجدار
الوحيد في وجه الاستعمار
الأوروبي "لورانس براون".

وأستبعد أن يكون الأمر- أمر العدائية-

مبني على جهل التائه في شوارع طوكيو.

يقول صالح العجيري: "في لقاء جمع ريتشارد

دوكتز ودانيل دينيت.

وسام هاريس وآيان هرسى- أشهر وأكبر الملاحدة المعاصرين- الذي تم عقده في أستراليا، شكل الحديث عن الإسلام السمة الأبرز لذلك اللقاء، وتم فيه طرح رؤى وأفكار تنم عن مشكلة حقيقية في فهم الإسلام وأحوال المسلمين بل تمثل حالة متطرفة من البغض والكراهية لهذا الدين"⁽¹⁾.

التي يظهر طرف منها المستشرق جاردنر، عندما قال (إن القوة التي تكمن في الإسلام هي التي تخيف أوروبا)، أما ألبر مشادر فيوضح ذلك أكثر قائلاً: "من يدري؟ ربما يعود اليوم الذي أصبح فيه بلاد الغرب مهددة بالمسلمين يهبطون إليها من السماء لغزو العالم مرة ثانية وفي الوقت المناسب"، أما بيرنارد لويس- المستشرق المؤرخ الأستاذ الجامعي البريطاني، ومؤسس مخطط تفكيك الدول العرية- فيقول: "تحدثت مع أحد الأساقفة الذين يهتمون بهذه المسألة فأكد لي أن الإسلام سيفرض نفسه في أوروبا بعد ثلاثين عامًا فقط، أخشى أن يكون هذا الرأي هو الحقيقة".

(1) صالح العجيري-مليشيا الإلحاد-ص 73، 74.

أما هذا الغزو أو الانتشار للإسلام، فلا يكمن في "حقيقة" الأمر حول ما يدعيه الملاحدة أو المتسلطون فيما روجوا له بما اسمه- أو جرى تسميته- بالإسلاموفوبيا إنما حقيقة الأمر تكمن فيما قاله شهاد أهلها، فقد قال هانوتو- مثلاً- وزير خارجية فرنسا سابقًا، حيث يقول

إنه: "لا يوجد مكان على سطح الأرض إلا واجتاز الإسلام حدوده وانتشر فيه، فهو الدين الوحيد الذي يميل الناس إلى اعتناقه بشدة تفوق كل دين

"إن المسلمين قد غزوا الدنيا كلها من قبل، وقد يفعلوها مرة ثانية". روبرت بين

آخر"، وقال الأديب الروسي الأشهر (تولستوي): "يكفي محمدًا فخرًا أنه خلص أمة ذليلة دموية، -يقصد العرب قبل الإسلام- من مخالب شياطين العادات الذميمة- مثل العبودية وواد الأنثى وغيرها- وفتح على وجوههم طريق الرقي والتقدم، وأن شريعة محمد ستسود العالم لانسجامها مع العقل والحكمة".

ويتفق معه كذلك الفيلسوف الفرنسي (فولتير) قائلاً: "إن السنن التي أتى عليها النبي محمد كانت كلها قاهرة للنفس مهذبة لها، وجمالها جلب للدين المحمدي غاية الإعجاب ومنتهى الإجلال، ولهذا أسلمت شعوب عديدة من أمم الأرض حتى زنوج أواسط أفريقيا وسكان جزر المحيط الهندي".

أما المؤرخ كروبر فيقول في (طبيعة الثقافة): "لقد انتشر الإسلام في العالم كله في زمن يسير، كما ينتشر شعاع الشمس في لحظات، وكان انتشاره دليل على سمو مبادئه

وغايته وعقائده وتشريعاته، هذه المبادئ التي كانت ولا تزال تشع النور والهداية والمعرفة على الناس"، أما عالم القانون مارسيل بوازار فإنه يصرح قائلاً: "إن دخول الإسلام إلى الساحة العالمية وإعادة الأمر إلى نصابه لتحقيق التوازن المطلوب ليس هو مجرد مشاركة فعالة، إنما هو إنقاذ للوضع البشري المنهار"، فليس من المدهش إذن أن تشن هذه الحرب الشرسة ضد الإسلام ومبادئه الأخلاقية والإنسانية.

التطور.. بين العلم والخرافة:

كتاب المسلمين- المقدس-، القرآن، وكتاب المسيحية، الإنجيل، وكتاب الملحدين "أصل أنواع"!

يلوم الملحدون- ويا ليتهم يكتفون باللوم!- المؤمنين والمتدينين على أنه ليس هناك دليل على صدق الرسالات والكتب، وعلى أنهم- أننا- مؤمنين"- بالله- أصلاً، ويدعون ويتبحون بعدم الصلاحية والأهمية

للأديان ورسالاتها، ويحاولون إقناع مئات الملايين من البشر عبثاً أن الأدلة غير كافية على إثبات وجود الله، بل إنها تثبت العكس، وتؤكد عدم أهمية وجود الإله!.. وفي الوقت نفسه لم- ولن- يستطيعوا إقناع شخص واحد، أو يقدموا دليلاً واحداً يثبت صدق وصحة مبادئهم الدينية في كتابهم المقدس: نظرية التطور!

"إن المفاهيم الهدامة للبيولوجيا التطورية تجاوزت تأثيرها على الديانات، لقد وصلت إلى المفاهيم الإنسانية الأعمق!"
ويليام بروفن

بل ربما لا يعلم الملحدون الجدد أبجديات التطور أو يكونون قد قرأوا من قبل السطور الأولى من مقدمة كتابهم المحبوب والمقدس، بل كل ما يعلمونه عن ذلك الكتاب، أو تلك "النظرية" أنها: "تؤكد" فيما لا يدع مجالاً للشك أو التفكير أن الكائنات الحية نشأت عن طريق الصدفة، وتدخلت بعض العوامل الفيزيائية والتركيبات الكيميائية في تكوينها، وأن الإنسان تطور في ظل تلك العملية- العنثية- من أحد القردة العليا التي تدعى "البونوبو"! عجباً! ولماذا لم تختفِ القردة إذن، ولم يكمل الإنسان تطوره!

سل أحد هؤلاء "المؤمنين" بالتطور أن يعطيك دليلاً واحداً- واحداً لا أكثر- أو حتى مثلاً يقوم مقام الدليل على هذا التطور المزعوم، بعد أن يبحث في جوجل قليلاً سيدرك لك مثلاً على مناقير بعض الطيور وزعانف الحيتان وجلد الحرباء وحوافر الجمل والحصان.. إلخ، لكن في الحقيقة لا تعدو هذه أكثر من كونها أمثلة على "التكيف" لا "التطور"! فالطير ما زال طيراً والحرباء ما زالت كما هي، والحوث ما زال حوثاً وكذلك الحصان والجمل، فما زالوا كما هم منذ آلاف السنين.

فالتكيف طبيعي للحيوانات- والكائنات الحية بشكل عام- لاختلاف النظم البيئية، وحمايتها من الافتراس، أو للبقاء، فالتكيف هو تحول سلوكي، نسبي، نوعي، ليصبح الحيوان أكثر تلاءماً مع "ظروف" البيئة التي يعيش فيها، وليس تحولاً مطلقاً كلياً كاملاً في

"حتى النظريات العلمية يمكن أن تصبح "موضة"، يمكن أن تحل محل الدين، يمكن أن تصبح مسلمة غير قابلة للنقاش، وهذا ما حدث مع نظرية التطور". كارل بوبر-الفيلسوف النمساوي البريطاني الجنسية.

الصفات البيولوجية والسلوك والشكل.. فلا يوجد مثال ولا دليل علمي ولا منطقي واحد

على صحة هذه "النظرية"، وعلى الرغم من أن بعض العلماء يعترفون أنها "مجرد نظرية" فإن التطوريين والملاحدة الجدد يعتبرونها ويروجون لها على أنها "حقيقة علمية" ومسلمة عقلية، وواحدة من البديهيات التي لا يمكن دحضها، أو مجرد التفكير في ذلك حتى.. إنها رسالة مقدسة، ومنزهة من النقائص والأخطاء.. هذا الجنون تعدى بجداره "جنون البقر"!

يقول المفكر التركي محمد كولن:

إن نظرية التطور عجزت في عدة أوجه، منها:

- إن أي نظرية علمية يجب أن تتبع المنهج العلمي في تحديد المسألة وحلها، وتفسير جميع الجوانب المتعلقة بها، إلا أن نظرية التطور لدى داروين قامت على ثلاثة مرتكزات هي: الصدفة والطفرة والانتخاب الطبيعي.
- لم تقدم النظرية أي تفسير عن نشوء الحشرات، مع العلم أنها تمثل 80% من أصل الحيوانات.
- نشوء القانون الثاني للديناميكا الحرارية، الذي ينص على أن العشوائية في أي نظام معزول لا يمكن أن تتناقص، أي إن الكون يتجه نحو التدهور ولا يمكن أن يستمر بالتطور.
- لا يمكن نشوء الحياة مصادفة، نظرًا لتعقيدات الجزيئات الحيوية وجزيئات D.N.A .
- لم تفسر التطور كيفية تكون الأنسجة، وعملية البناء الضوئي، وعمليات الهضم⁽¹⁾ مع ذلك- كما يستطرد د. عمرو شريف- ما زال معظم البيولوجيين في الغرب يؤيدون الداروينية- التطور- لكن هل الإجماع العلمي يكون دائمًا في جانب "الحقيقة"؟

(1) محمد كولن-حقيقة الخلق ونظرية التطور، ص 12، بتصرف.

ثم يضيف مجيباً، وقائلاً:

إن دعوى الإجماع ليست مفهومة علمياً، بل أسلوب حوارى- أو قل جدلي- يستغله السياسيون ورجال الدين للترويج لما يؤمنون به، إن العلم ينطلق من البرهنة على دعاوينا، بالمنهج العلمي الصحيح، ثم المناقشة الأمانة لما يوجه لدعاوينا من نقد، بل إن العلماء الكبار في تاريخ العلم (مثل ابن الهيثم ونيوتن وإينشتاين) قد احتلوا مكانتهم لأنهم خرجوا على الإجماع السائد، لقد أصبح القول بالإجماع العلمي طريقة لإيهام الآخر أن الرأي في هذه القضية قد استقر، وأن معارضته لا تعدوا إلا أن تكون جهلاً بما اتفق عليه "العلماء" ! خلاصة القول، إذا كان هناك "علم" فلا إجماع، وإذا كان هناك إجماع فليس هناك علم (...).

"ال دراونة لا يقدمون أي تفسير لنشأة الحياة علي المستوي الخلوي أو البيوكيميائي، كل ما يقدمونه تصورات مبتورة لا معنى لها". جيمس شاير-أستاذ البيولوجيا بجامعة شيكاغو.

يقول الفيلسوف الأميركي اللاداري إنجرسول: ينبغي اعتبار القرن التاسع عشر، قرن داروين، إذ أزلت نظريته في التطور من العقول كل بقايا المسيحية الأرثوذكسية.

كذلك أعلن سير جوليان

هكسل، في كلمة ألقاها عام 1959 في شيكاغو بمناسبة مرور مائه سنة على النظرية أنه: "لم يعد هناك احتجاج ولا مكان في المنظومة التطورية للحديث عن الإله، فالأرض لم تخلق لكنها تطورت، وكذلك كل الحيوانات والنباتات التي تحيا عليها، حتى وصل الإنسان بمخه وعقل وروحه"، بذلك أحل هكسلي الطبيعة محل الإله، ولم يبق أمامنا إلا المادية/ الطبيعة لتفسير كل شيء، حتى الحياة والوعي البشري والإبداع الإنساني والمشاعر الروحية، وحديثاً يقابلنا موقف الملاحدة الجدد الذين يصرون على الترويج للفكرة

نفسها، وادعاء دون أدنى دليل أن التطور حدث على خطوات بسيطة لا تحتاج كل منها لمصمم، ثم تجمعت الخطوات المتتالية، وشكلت الآلية الفعالة، أي إن الانتخاب الطبيعي يصمم دون أن يكون له عقل أو دافع، أي يصمم دون أن يدري، ودون أن يصمم! (...)

كذلك يؤمن ريتشارد دوكنز، أن النظرية كانت ثورة جذرية في عالم الأفكار، وإنه لم يعد هناك مبرر لأن نخبرنا الأسئلة الفلسفية المحورية مثل: ما معنى الحياة؟ لماذا نحن هنا؟ ما حقيقة الإنسان؟... ويؤكد هذا المعنى عالم الحفريات جـ.ج. سيمبسون قائلاً: إن كل المحاولات للإجابة عن السؤال حول حقيقة الإنسان قبل عام 1859 أصبح لا لزوم لها، وعلينا الآن أن نتوقف عن التفكير في الأمر!

"كنت مهتما أن أسمعها من فـه إن كان يعتبر عقيدته في تطور الأنواع حقيقة-علمية-أم فرضية؟ فسألته: هل عثر على أي نوع تطور من آخر بواسطة التغيير في أي مكان ويسنده الدليل؟ كانت إجابته القاطعة: لا، إذن أنت نفسك ترى أن عقيدة التطور فرضية؟ كانت إجابته الحاسمة: نعم". من لقاء عالم النباتات الألماني الشهير روبرت كاسبري مع داروين عام 1866.

ولم تعد هذه النظرية قاصرة على الأوساط الفلسفية والكتب العلمية العامة بل وصلت إلى كتب ومراجع العلوم والبيولوجيا في المدارس والجامعات، انظر هذه المقولة في أحد الكتب المدرسية: "إن المخاوف من أن تزح الداروينية الإله عن عرشه لها ما يبررها!" ثم يطرح الكتاب سؤالاً: "هل هناك غاية من خلق الإنسان؟" ويجيب: التطور يقول لا، فنشأة الأجناس وتكيف الإنسان يقف وراءها الانتخاب الطبيعي وليس التصميم!

إذا كنت من الدارسين للداروينية في الغرب، فحذار أن يخطر ببالك تساؤلًا بريئًا حول قدرة التطور الدارويني العشوائي على القيام بالمهمة! إن طرح هذا السؤال "العلمي" هناك يثير بركانًا من الضجة والهجوم ويفتح عليك طاقة من جهنم لا يفتحها أي سؤال علمي آخر، فلو شككت في سرعة الضوء أو في نظرية النسبية مثلًا، لن تقوم الدنيا ولا تقعد مثلما لو شككت في الداروينية الحديثة! انظر إلى وقاحة دوكنز حين قال: "إذا قابلت شخصًا لا يؤمن بالداروينية، فلا شك أنك أمام إنسان جاهل غبي أو مجنون لا يعي ما يقول، ولا أريد أن أقول شرير مؤذ"، إن ذلك يضعنا في موقف محرج إذا ناظرنا دوكنز، أي الصفحات نختار؟! ويضيف دوكنز: "لا ينبغي أن نشكك في التطور الدارويني إطلاقًا!" مع أن العلماء قد شككوا في نظريات نيوتن وإينشتاين وعلى الرغم من أن الشك هو الباب الواسع لتقدم العلم، بل إن كل العلوم تقدمت من خلال فتح الباب كل فترة لإعادة النظر في مسلماتها، لماذا هذا الهجوم الشرس؟ ولماذا هذه القداسة والتحريم مع الداروينية؟! وفي عام 1999 زار عالم الحفريات الصيني الكبير جن يوان شن الولايات المتحدة، وألقى بعض المحاضرات حول حفريات اكتشفها في منطقة شانج جيانج، تثير عددًا من التساؤلات حول صحة الداروينية، لقد قوبلت محاضراته بفتور شديد، مما أثار دهشته، فسأل أحد مضيفيه على سر ذلك، فأجابه أن العلماء في الولايات المتحدة يغضبون إذا سمعوا نقضًا للداروينية، فقال قولته الشهيرة: في الصين تستطيع أن تنتقد داروين ولا تستطيع أن تنتقد الحكومة، وفي أميركا تستطيع أن تنتقد الحكومة لكن لا تستطيع أن تنتقد داروين⁽¹⁾.

يفسر ذلك التعصيب الشديد في المجتمع الغربي- وبالأخص أميركا وبريطانيا- على الداروينية، و"تطور الأجناس" ماهر خليل، حيث يقول:

(1) د. عمرو شريف- خرافة الإلحاد- انظر الصفحات 183، 184، 185.

لقد كشف الباحثون النقاب عن تأثير بعض المفاهيم السياسية التي اعتقد فيها حكام الغرب وزعماءه بأقوال داروين ومبادئه فحاولوا أن يلتمسوا لأنفسهم الأسباب التي تعينهم على احتلال الشعوب من خلالها، نعم، استغلوها في محيط السياسة مما أدى إلى خلق جو مضطرب وحياء مكفهر تطل منها مذاهب العبقريّة، وقد كان قول داروين إن العناصر الضعيفة يجب أن تموت أو تستأصل، قول استغلته حركة الاستعمار إيما استغلال، فجعلته نظرية مرموقة تحتاج إلى تطبيق، فطبقتها على البلاد المحتلة خاصة بلاد العالم الثالث فنهبت خيراته وأجهزت على ثرواته الطبيعية تستنزفها بقدر ما تستطيع ظناً منهم أنهم الجنس الأسمى بالوجود والعيش في رغد وهناء، فهو بالطبع الأكثر تطوراً والأرقى فكراً والأسمى في مشاعره وعواطفه حسب فهمهم وزعمهم.

أما الجنس الأسود فهم ليسوا إخواناً لهم في الإنسانية أو آدميين مثلهم بل أقل مرتبة وأدنى درجة في سلم التطور الذي قال به داروين ومن سار على نهجه فأذاقوهم صنوف العذاب وألوان الهوان! نعم نبت مع تلك الأفكار استغلال الإنسان لأخيه الإنسان، أو على الأقل شجعته على ذلك وزادته بما يفعل، لكن صحوة الشعوب وثورتها على مستعمرها إنما تدل على سقوط هذه المفاهيم وتلك الأفكار الساذجة، وتثبت أن الإنسان الذي استعمر

"لقد استخدمت نظرية التطور لتبرير فكرة سيادة جنس علي غيره من الأجناس وذلك لأن هذه الفكرة تتلاءم مع مفهوم داروين عن "البقاء للأصلح" بل وأيضاً استخدمت لتبرير عدم الاعتراف بوجود أساس مطلق للأخلاق، بل تم أيضاً استخدام نظرية التطور لتجديد الحرب باعتبارها ممارسة شرعية لمبدأ البقاء للأصلح".
إيريل كيرنز-المسيحية عبر العصور-

ص 490

واحتلت أراضيه يوما ما، لم يكن سلبياً أو جباناً ولا متدنياً في عواطفه أو مستسلماً في إرادته بل ربما أرقى عاطفة وأكثر حساً من مثيله الأوروبي، وتمر الأيام لتثبت عكس أوهام داروين وخطأ معتقداته، لقد تركت تلك النظرية آثار الصراع من أجل البقاء في أوساط السياسة والحرب، فالبقاء للأصلح وللأقوى كما تقول وتدعي هذه النظرية، وكان لمبدأ بقاء الأصلح أثره في مخططات الاستعمار وإبادة الأجناس المغلوبة على أمرها (...) وقد لعبت هذه الفلسفة الدور الأعظم في تبرير عدوانية الرجل الأوروبي على غيره، وعدوانية حضارته على غيرها من الحضارات، فالاستعمار الاستيطاني، الذي يبيد السكان الأصليين، كما في حالة الهنود الحمر، أو يجرهم أو يقذف بهم في الصحاري والأحراش، كما حاول الفرنسيون في الجزائر، ويحاول البيض في جنوب أفريقيا، والصهيونية في فلسطين، تبرره - هذا العداء الجنسي والصراع الممتد- الداروينية، لأنه تنازع على البقاء.

الأقوى هو الأحق والأجدر بهذا البقاء!.. والاحتلال العسكري والسيطرة السياسية والنهب الاقتصادي والنسخ والمسخ والتشويه لموايرث الفكر- الثقافة- في حضارات البلاد التي هيمن عليها الغرب، هو تنازع على البقاء بين "قوة" الغرب وضعف هذه البلاد، ولذلك، فإن تجريد⁽¹⁾ شعوب هذه البلاد المستعمرة والتابعة من مقدرات بلادها نوع من الإجلاء عنها، تبرره الفلسفة الداروينية الخاصة بتنازع البقاء.. فالبقاء للأقوى، والأقوى هو الأصلح! والصالح هنا تحدده مادية الحضارة الغربية فتجعله مرادفاً "للقوة"! لعبت هذه الفلسفة الداروينية الدور الأعظم في تبرير عدوانية الرجل الأبيض الأوروبي وحضارته، فوجدناه يفترس الشعوب المستضعفة، ووجدنا حضارته تمسخ حضارات المستعمرات، تمهيدا لإزالتها والانفراد بالساحة⁽²⁾ نعم.. لقد كان لاتخاذ مفهوم التطور

مفهوم اجتماعي أبعد الأثر في التنكر للقيم الروحية والمبادئ

(1) كتبت: "تجربة" ونقلناها "تجريد"، ليستقيم المعنى.

(2) ماهر خليل-سقوط نظرية داروين-ص 115:217.

الثابتة مثل العقيدة والشريعة والأخلاق.

تقول بروتوكولات صهيون:

"إن داروين ليس يهوديًا لكننا عرفنا كيف ننشر أراءه على نطاق واسع، وأن نستغلها في تحطيم الدين والواقع".

"انتقلت فكرة التطور لتصبح منهجاً للبعض، وجاء هتلر يوماً فأعلن عن فكرته النازية في استيلاء سلالات بشرية قوية وإعدام السلالات الضعيفة واتخذت الفاشية الافتراض المتعلق بالانتقال الطبيعي والبقاء للأصلح مبرراً للقضاء على بعض الأجناس البشرية واتخذها تجار الحروب مبرراً لهم؛ لأن الحرب تقضي على العناصر الضعيفة وتستبقي العناصر القوية" د. كمال شرفاوي-التطور بين الضلال وممارسة حق النقد-ص 37

إن السر في دفع نظرية داروين ذلك الدفع القوي هو قيامها على مادية الكون، فقد كان داروين يرى أن العالم وجد صدفة، ومن هنا من وجهة نظرهم يقتضي القول وجود قوة خالقة حكيمة مدبرة وبالتالي تنتهي وحدانية الخالق جل وعلا، ويقول أيضاً بمادية الكون، فيفهم الناس ويثبت في أذهان المثقفين وطلاب العلم في

زمانه ومن بعده أيضاً أن المادة هي أساس الوجود وأنها لا تنفى⁽¹⁾ بل تتحول من صورة إلى أخرى ولا توجد من عدم أي ليس لها بداية أو منشأ قديم. فتبدأ دعاوى الإلحاد في الظهور، وكذلك اعتناقات الوجودية والفلسفات الضالة المضلة التي تقدس المادة وتعلي من شأنها وتهبط بالإنسان إلى درجات الهيمية البحتة، وتهمل شأن الروح فيه ولا تسمو بأخلاقياته ومبادئه وقيمه ومثله الرفيعة.

(1) كتبت أيضاً في المرجع السابق- "تنفى"، ونقلناها "تنفى" لتقويم المعنى.

نعم.. كان داروين أول من صور الإنسان على أنه حيوان، ضاربًا الصفع عما به من ملكات قادرة مواهب فذة ترتفع به من كل أنواع الكائنات الأخرى، وستظل حاجزًا، وأي حاجز تفصل بينه وبينها إلى يوم القيامة⁽¹⁾، فأبحاث الأيفو ديفو الجديدة- علم الأحياء النمائي التطوري- أثبت أن النظرية تعاني مشاكل حقيقية جذرية في عمقها- والكلام للدكتور هيثم طلعت، ثم يضيف قائلاً:-

وأبحاث الأيفو ديفو تختص بدراسة تطور الأعضاء داخل الكائن الحي، وقد تبين من هذه الأبحاث أن النظرية ما زالت حلمًا يداعب دعائها، وليست حقيقة علمية رصدية محترمة يمكن التحقق منها بالتجربة والرصد المعتبرين، فظهور الريش المفاجئ وظهور اليدين المفاجئ، وظهور الغدد الثديية المفاجئة وظهور الشعر المفاجئ وظهور المشيمة المفاجئ وظهور الأزهار مغلقة البذور المفاجئ.. وظهور مخطط الجسم المفاجئ وغيرها الكثير مما رصدته أبحاث الأيفو ديفو يجعل من النظرية وهمًا كبيرًا، لولا تمسك دعاة المادية بتلابيبها كونها الأمل الوحيد في وجه الإيمان بالخلق الإلهي المباشر! لقد تلقت النظرية كما غير اعتيادي من التهمكات من قبل أكبر دعاة ومؤسسيها بسبب تلك الكشف، فهذا ستيفن جاي جولد صاحب أكبر المصنفات وأشهرها في تأييد النظرية طوال حياته، وهو عالم البيولوجيا والملحد اللاإرادي أحد أبرز علماء النظرية عبر القرن العشرين، يقرر في نهاية حياته أن الداروينية عبارة عن مجموعة من القصص الطفولية⁽²⁾، كل ما يمتلكه دعاة النظرية خيال واسع وفروض عقلية وتخمينات فلسفية، ومن أمثلة ذلك أنك لو قلت للتطوري كيف ظهرت مثلاً العين البشرية المعقدة فإنه سيخبرك أن هناك عيونًا أقل تعقيدًا وهناك خلايا حساسة للضوء فقط، وهذا الجواب هو لب الإشكال التطوري! فما معنى خلية حساسة للضوء؟ ولماذا تحسست للضوء؟ وكيف يتحول التحسس للضوء إلى نبضات كهربائية؟ وكيف تتحول النبضة

(1) المصدر السابق ص 215.

(2) د.هيثم طلعت- أربعون خطأ في نظرية التطور: أخطاء لا يريدونك أن تعرفها- ص 8، 9.

الكهربية إلى وعي ورؤية لما أمامك؟ إن القضية منقوصة من البدء! وهذا شبيه بقولك لنفس التطوري: هل تستطيع الطبيعة أن تنشئ صينية كنافة طازجة بالجبن الكريمي؟ سيقول لك التطوري بنفس منطقته ورؤيته: هذا بسيط جدًا، فالقمح موجود في الطبيعة وسقوط النيازك قد تسبب في طحن القمح في أحد الأزمنة السحيقة ليتحول إلى دقيق، ومع قليل من المطر يتحول الدقيق إلى عجينة وعلى طرف إحدى صخور الأفران البركانية سيكون مكانًا رائعًا للطهي السريع، وقصب السكر موجود في كل مكان لإضافة مذاق الكنافة، وينابيع الماء الساخنة كثيرة لإذابة قصب السكر..

إلى هنا تشعر بسخافة الطرح، فالقضية ليست في توافر المواد الأولية، إنما القضية في المعرفة التي تنتج صينية الكنافة بالجبن الكريمي! فأنت لو انتظرت ملايين الأعوام لن تتشكل صينية كنافة واحدة، لأن القضية "معرفة" وليس موادًا أولية، القضية منقوصة أصلًا من البدء، وافترض أن وجود المواد الأولية كافٍ، هو افتراض قد يصلح للأطفال قبل النوم، لكنه لا يصلح كمعطى علمي يرصد! كذلك الحياة لا يمكن تحليلها في إطار الرؤية المادية التطورية، لأن معنى الحياة شيء مستقل عن الوجود المادي بأكمله، كذلك الوظائف البيولوجية، كذلك الأنظمة المعقدة داخل كل كائن حي، التطور لا يفسر شيئًا إلا بنفس مستوى تحليل ظهور صينية الكنافة! إن التطوري يضيف أنظمة معقدة إلى أنظمة معقدة ويسمى هذا تفسير، كل ما يفعله التطوري أنه يفكك في عقله أجزاء النظام البيولوجي الذي أمامه ثم يقوم بإعادة تجميعه من أماكن مختلفة، وكأننا نلعب لعبة البازل!

والمشكلة الأكبر أن أسلاف الجزيئات الحيوية في المنظومة التطورية هي أسلاف تحليلية لا أسلاف مادية كما يتصور البعض!

فالتطوريون أشبه ما يكون بمن يزعم أن البندقية هي سلف تطوري لمصيدة الفئران لمجرد اشتراكهما بنجاح في التخلص من الفأر!

فنظرية التطور تحمل الكثير من الأحلام والأفكار الخالابة لكنها في النهاية لا تصلح إلا لدغدغة خيالات مراقبي!

فالخيال خصب، وموهبة توليد الحكايات قد يمتلكها البعض، لكن على المستوى الجزيئي كل التفاصيل مهمة ونقطة نيوكليوتيدية واحدة- لبنة تكوين البروتين- تفسد نظامًا يتكون من مليون نيوكليوتيدة، وأنت بداخل كل خلية من خلاياك ثلاثة مليارات نيوكليوتيدة، كل بضعة آلاف منها تؤدي وظيفة حياتية متقنة، فلا تحاول تغطية إعجاز بيوكيميائي مذهل في كل جزئية داخل

خلاياك بحيل لغوية⁽¹⁾، نشعرنا خطاب الدراونة أننا أمام نظرية متكاملة تطرح التفاصيل المطلوبة عن نشأة كل كائن متى وكيف ظهر، الطفرات التي حدثت فيه وكيف نجحت في تحويله لكائن آخر، إنهم يوهموننا أن هناك أسفارًا تحوي كل شيء، وتكون ما يمكن أن نطلق عليه مكتبة الحياة، إذا كان ينبغي أن تتكون هذه المكتبة من مئات الآلاف من الصفحات، ففي الحقيقة ليس لدينا ولا صفحة واحدة مكتوبة، إذن ليس لدينا تتبعًا لأصل وتفرعات كائن واحد! كل ما هناك هو بعض التخيلات والافتراضات! كذلك هناك تعارض كبير بين ما يقوله الدراونة حول أساسيات نظريتهم، ونضرب هنا مثلين لهذا التعارض، أولهما خاص بمسار التطور، فريتشارد دوكنز يقول: ما أن بدأت الحياة حتى صار من الحتمي أن تصل إلى ما وصلت إليه الآن (نظرة حتمية مطلقة)، ويختلف ستيفن جاي جولد مع دوكنز إذ يرى أننا إذا أعدنا شريط التطور مرة أخرى فإن المصادفات يمكن أن تنشئ عالمًا مختلفًا تمامًا عما نحن عليه الآن. (نظرة احتمالية مطلقة)

والمثال الثاني لتعارض الدراونة يدور حول الانتخاب الطبيعي، ما الذي يستطيع تفسيره؟ ما الذي ينبغي تفسيره بآليات أخرى؟ إن ما بين المذاهب المتعددة للداروينية

(1) المصدر السابق- ص 12-15.

الحديث من التضارب ما يكفيننا مئونة تفنيدها، فهي تفند بعضها بعضاً، ويقول الفيزيائي روبرت لوجلن الحاصل على جائزة نوبل وهو ليس من المؤلفة: "إن الكثير من المفاهيم البيولوجية السائدة تحركها الأيدولوجية، فالدراونة مثلاً يطرحون من التفسيرات ما هو غير قابل للاختبار (مثل القول بالانتخاب الطبيعي بعد طفرات عشوائية) لا يكفي أن نصف هذا السلوك أنه لا عملي بل إنه ضد العلم فهو يغلق الباب أمام التفكير، لذلك أصف نظرية داروين أنها في الحقيقة ضد النظرية وضعت من أجل أن تغطي قصوراً تجريبياً وتستدعي كلما دعت الحاجة لسد فراغ ما: كيف تشكل جزيء الدنا (D-N-A)؟ التطور فعلها كيف تحولت التفاعلات الكيميائية إلى دجاجة؟ التطور فعلها.. العقل البشري لا يستطيع أي كمبيوتر أن يحاكيه، التطور فعلها.. لقد صار التطور إلهاً لسد الثغرات!!"⁽¹⁾

يدعي أنصار الداروينية الحديثة أن التطور البيولوجي لا تصميم فيه ولا تخطيط.. وفي الوقت نفسه ينفون عنه العشوائية! ويعتبر هؤلاء أن التطور نتاج لقانون الانتخاب الطبيعي ويتجاهلون تماماً دور الطفرات الوراثية فيدعون أن الطفرات مهما كانت هيئتها فإن الانتخاب الطبيعي ينتقي منها المفيد ويدفع بقاطرة التطور إلى الأمام فهل هذا صحيح؟ لا شك أن هذا الادعاء خطأ جملة وتفصيلاً فإذا لم يكن هناك قدر كاف من التغيرات المفيدة في الشفرة الوراثية (طفرات مفيدة) فلن يجد الانتخاب الطبيعي ما يختاره، ومن ثم لن تحدث التغيرات التطورية، إن الانتخاب الطبيعي هو جامع الثمار الذي يقطف الأصلح، فإذا لم يوجد هذا الأصلح فلن يتجمع لدينا محصول جيد (...). ليست الطفرات العشوائية إلا "أخطاء" تحدث في تتابع الحروف (القواعد النيتروجية = النكلوتيدات) التي تتكون منها الشفرة الوراثية (الدنا DNA)، وينبغي لهذا التعديل أن يقع في الخلايا التناسلية (الخلايا التي تنتج الحيوانات المنوية والبويضات) وليس في أي من خلايا الجسم الأخرى، والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: هل يمكن لهذه الأخطاء

(1) د. عمرو شريف-خرافة الإلحاد-ص 187، 188.

العشوائية أن تحدث تغيرًا في الشيفرة الوراثية يؤدي إلى تعديلات مفيدة تظهر في ذرية الكائن الحي، ويؤدي تراكمها إلى ظهور كائن حي من نوع جديد؟ يقدر علماء البيولوجيا أن معدل حدوث الطفرات يبلغ 4 طفرات في كل 100.000 حيوان منوي أو بويضة، كما يقدر أن 99% من هذه الطفرات تكون ضارة.

"وربما" تكون ذات فائدة في 1% من الحالات لذلك يستحيل لهذه النسبة القليلة جدًا من الطفرات المفيدة أن توجه تطور الكائنات الحية، خاصة إذا أخذنا في الاعتبار أن أي تعديل في وظيفة ما يحتاج إلى العديد من التغيرات الجينية التي تعمل في تآزر وتوافق، كما يحتاج إلى تعديلات ما زلنا نجهلها في آليات التحكم في الجينات، لذلك يلقي مفهوم العشوائية كعامل مسئول عن التطور رفضًا من العديد من الداروينيين أنفسهم، فأخذوا يشيرون إلى دور "الظروف المناخية والكيميائية" التي سادت الأرض عند نشأة الحياة التي تبدلت كل فترة باعتبارها المسؤولة عن تحديد طبيعة التغيرات الوراثية (الطفرات) في الكائنات في كل مرحلة، ويعلق هارولد موروتز (حجة الديناميكا الحرارية في الكائنات الحية) على هذا المفهوم أننا ينبغي أن نستبدل العشوائية المطلقة كعامل مؤثر في التغيرات الوراثية بالقوانين العلمية المنضبطة، كمحرك لقاطرة التطور، ويؤكد جيرالد شرويدر في كتابيه الرائعين "علم الألوهية" و"الوجه الخفي للإله" أننا إذا تغاضينا عن كل جوانب عجز الطفرات العشوائية عن إحداث تغيرات مفيدة فسيبقى أمام الدراونة عائق كبير لا يمكن تجاوزه، وهو أن "الوقت" المتاح لظهور هذا التنوع الهائل في الكائنات الحية عشوائي غير كافٍ على الإطلاق خاصة بعد ما أظهره سجل الحفريات من إحداث الانفجار الإحيائي الكمبيري. ومن نفس المنطلق (الوقت القصير جدًا) يرفض بيتر براون- رئيس اتحاد رؤساء تحرير المجلات العلمية- أن تكون الطفرات العشوائية مسؤولة عن حدوث التطور⁽¹⁾.

(1) المصدر السابق- انظر الصفحات 192، 193، 194.

الحقيقة الناصعة في وسط كل هذا هو أنه بينما يعتبر التطور الصغير⁽¹⁾ حقيقة علمية ثابتة بشكل كامل وعليها أطنان من الأدلة فإن التطور الكبير- المطلق أو الدارويني- ما زال مجرد فرضية نظرية لم يثبت وقوعها ولو مرة واحدة في التاريخ الطبيعي أو في المعمل.

بمعنى آخر فإنه لا يوجد في العلم إطلاقاً أن مادة وراثية جديدة، أي تركيب جديد للحمض النووي، قد نشأت عن طريق التطور الكبير، فالتطور الكبير، هو افتراض أو نظرية بلا دليل، أما التطور الصغير فهو حقيقة علمية ثابتة بالعديد من الأدلة بما فيها "عصافير داروين"، فلو كان التطور حقيقة، فلا بد أن ملايين من الأنواع من الكائنات الحية قد نشأت عن طريق نشوء حمض نووي جديد للنوع الذي ينشأ من نوع آخر سلف له، فيكون لدينا الحمض النووي بتركيبه المميز للنوع السلفي والحمض النووي الجديد للنوع الجديد، لكن في الواقع هو أن هذا لم يثبت حدوثه ولا حتى مرة واحدة في تاريخ العلم، وبالتالي تظل الداروينية مجرد نظرية أو فرضية، وليست حقيقة علمية، أما من الناحية الرياضية الإحصائية فهي لا تبلغ حتى مبلغ النظرية، بل هي أضغاث أحلام! فإذا جاء أحدهم واستغل الأدلة والأمثلة على وقوع التطور الصغير ليبرهن بها على صحة نظرية داروين -(التطور الكبير)- فهو إما جاهل جهلاً عميقاً أو متعمد للكذب والخداع، فإنه لا يوجد دليل علمي واحد على صحة التطور ولا يوجد مثال واحد له في الطبيعة أو

(1) يقصد بالتطور الصغير أنه عند تلاقح ذكر وأنثى من نفس النوع، فإن ذريتهما يكون لها نفس تركيب الحمض النووي وتنتمي إلى نفس النوع، لكن صفات هذه الذرية تختلف عند كل من الأبوين، فلا يكون الأبناء صورة طبق الأصل من الأب أو من الأم، بل هجين بينهما. فالتطور الصغير يشير إلى التنوع والاختلاف داخل النوع الواحد من الكائنات الحية، وإلى التنوع والاختلاف داخل نفس تركيب الحمض النووي. (راجع: د. هشام عزمي- التطور الموجه بين العلم والدين، ص 32). فإن تغيرات التطور الصغير تحصل داخل تركيبة الحمض النووي نفسه، فيحدث تغير جيني أو طفرى طفيف، فيمكن أن يتغير لون اليد من شخص إلى آخر، أو زيادة أو نقص أصبع في القدم أو اليد.. ولكن اليد ما زالت يداً، والقدم ما زالت قدماً، إذ لم تتحول الأولى إلى أجنحة مثلاً، أو الثانية إلى حوافر (وإلا كان تطورا أكبر أو مطلق، هو ما لم يحدث من قبل، ولا يوجد دليل واحد يثبت أن كائنا ما تطور تطورا كلياً أو داروينياً من قبل) ومن جانب آخر فإن ما يحدث من تكيف (وتحور) -وليس (تحول)- لدى الكائنات الحية يعد مثالا لهذا التطور الأصغر أو النسبي.

حتى في المعمل، فضلاً عن هذا فإنه إذا زعم أحدهم أنه يوجد دليل على التطور الكبير فإنه إما جاهل يهرف بما لا يعرف أو كذاب أشر، أي شخص يسعى لتوظيف أمثلة التطور الصغير كأدلة على صحة الداروينية قبل اكتشاف الحمض النووي عام 1953 فهو معذور، لأنه حتى هذا التاريخ لم يكن يمكن التفرقة - العلمية، لا المنطقية- بين التطور الصغير والتطور الكبير، ولأن فهم الفرق بين الاثنين يتطلب معرفة الحمض النووي (DNA) لكن بعد أعوام قليلة من اكتشاف الحمض النووي صار بالإمكان تعريف التطور الصغير والتطور الكبير وبيان الفرق بينهما، وعليه فإن داروين نفسه كان معذوراً في الخلط بين الاثنين واستخدام (عصافير داروين) كدليل على صحة التطور لأن الحمض النووي لم يكن قد اكتشف بعد (...) فالحقيقة التي لا يتم ذكرها هو أنه لم يثبت في تاريخ العلم بأكمله أن نشأت ميزة إضافية لكائن حي عن طريق طفرة أضافت شيئاً جديداً أو مادة جديدة للحمض النووي، بل ما يحدث هو تغير في الحمض النووي، مجرد تبدل في النيوكليوتيدات، وليس إضافة، فما يقع حقيقة هو فقد مادة وراثية عن طريق الطفرات لكن كيف يؤدي ضياع المادة الوراثية إلى اكتساب ميزة للكائن في صراع البقاء؟ لنستوعب إجابة هذا السؤال دعونا نضرب مثلاً بحيوان وقعت له طفرة أدت إلى جعله عديم الشعر، في البلاد الحارة ستعتبر هذه ميزة يتفوق بها على غيره.

أما في البلاد الباردة فسوف تكون سبباً في هلاكه فهذه الميزة التي اكتسبها هذا الحيوان ليست بسبب مادة وراثية جديدة أو جين جديد، بل بسبب ضياع مادة وراثية بالإضافة إلى الظروف البيئية، فهذا المثال إنما يشير إلى طفرة اكتساب جينات جديدة، أو بمعنى آخر فهذا المثال إنما يشير إلى طفرة مدمرة أدت إلى حدوث ميزة للبقاء بسبب ظروف البيئة المحيطة⁽¹⁾.

أو العكس.. أي أن تكون الميزة الجينية "وراثية طبيعية"، دون تدخل عوامل طبيعية أو كيميائية أو زمنية أو غيرها، "يكتسبها" الكائن لتساعده على البقاء في ظل ظروف بيئية

(1) د. هشام عزمي-التطور بين العلم والدين-ص 80:78.

معينة تختلف باختلاف البيئة - وليس هناك مكان للصدفة والعشوائية، أو حتى للتطور الكلي، في تلك العملية "الطبيعية"، يقول ماهر خليل:

إن ما أسماه داروين بتطور الكائنات من نوع إلى آخر، كتطور البقرة وتحولها إلى حصان أو كتطور القرد إلى إنسان، عملية خيالية غير واقعية لم تحصل لا بالتجربة ولا في الحياة العامة، ولم يلاحظ ذلك على الإطلاق عبر تاريخ البشرية الطويل إلى يومنا هذا، وبالتالي فلا يمكن اعتبار النظرية علمية، وفي ذلك قال الأستاذ العلامة وحيد الدين خان

-(في كتابه "الإسلام يتحدى، ص 66):- "هذه النظرية، هل لاحظها أحدهم، أو جربها في معمله؟ والجواب لا، فذلك ضرب من المستحيل حيث إنها مزعومة الارتقاء، معقدة، وهي تتعلق بماضي بعيد جدًا حتى إنه لا سؤال عن تجربتها أو ملاحظتها" واستحالة ملاحظة نظرية داروين يثبت خروجها عن دائرة التجربة والإخضاع للاختبار، وبالتالي خروجها عن نطاق العلم التجريبي رغم أن أنصارها يحاولون إقحامها على العلم التجريبي.. وهي التي جعلت العلامة جيمس كوانث الرئيس السابق لجامعة هارفارد يقول: "إن كثيرا من تلك النظرية المتعلقة بأصل الحياة ومنشأها ليست نظريات علمية على الإطلاق بل مجرد أفكار تأملية لا يمكن إخضاعها للاختبار"، لقد عرف أحد المعاجم العلمية نظرية داروين أنها قائمة على تفسير بلا برهان، بل إن هذه النظرية وأخواتها لا تخضع لأساليب العلم الحديثة من ناحية المنهج التجريبي فلا يمكن إثباتها حسيًا أو ماديًا أو متابعتها في الحياة كأي قصة خرافية أخذت حظًا من الاهتمام لكنها تزيد أنها حصلت على جانب من التصديق والاعتقاد، وفي هذا يقول العالم سوليفان: "من الممكن تمامًا أن تكون سائر النظريات العلمية باطلة، ذلك لأن النظريات التي تعتبرها اليوم حقيقية ليست إلا قياسًا على وسائلنا المحدودة الملاحظة التي لا تزال في علم العالم قضية علمية نفعية"⁽¹⁾.

(1) ماهر خليل-سقوط نظرية داروين-ص 54، 55.

مشكلة دعاة التطور أنهم يرفضون مسألة الخلق الإلهي لمجرد كونها غيبًا والغيب لا يمكن رصده داخل المعمل، لكنهم في المقابل يسلمون بالفرض الخاطئ! هل مجرد عدم معرفتك بالبديل تستسلم لفرض خاطئ؟ فالتطوريون مثل مجموعة من المنقبين عن كثر من الذهب ويبحثون ليلاً ونهارًا في طبقات الأرض المختلفة ويحفرون ويكسرون أطنان الصخور والكوارتز ويجرفون رمالًا لا حصر لها مع أن هناك قبوًا مكتوبًا عليه "الصنع الإلهي المتقن" أمام أعينهم كل لحظة.. لكنهم يتجاهلون هذا القبو، لأنهم ينطلقون من مقدمة أن منجم الذهب لا بد أن يكون تحت الأرض! إن مقدمة الخلق الإلهي المتقن هي معطى مادي نابع من تدبر أنظمة الحياة ذاتها، إنها معطى منطقي وعقلي وعلمي واستدلالي بديهي نرصده من خلال تبصر الأنظمة البيولوجية المعقدة والحياة ذاتها، والبنى الخلوية والدقائق الوظيفية والمهام الحياتية والوعي والإدراك والتنسيق الهرموني وما لا حصر له من الوظائف التي نتمتع بها، إن محاولة إغماض العين عن القبو والاستمرار في الحفر هي ضرر شديد على العلم وتأخير لفروع كبيرة من العلم، وتضييع لمنافع كان أولى أن تستخدمها في منحنى آخر! ولا يكتفي هؤلاء بكل هذا العناد بلا نتيجة بل لأنهم يضطرون إلى افتراض عدم التصميم لأن هذه إحدى مسلمات نظرية التطور، وهذا بذاته معضلة علمية تقضي على العلم، فاعتبارك عدم التصميم في عضو من الأعضاء هذا يعني أنك لن تبحث أكثر، فما معنى أن تبحث عن وظيفة هذا العضو واحتمالية كبرى أن يكون موجودًا بلا هدف؟ ما معنى أن تتبحر داخل تجاويف الخلية وأنت تجزم أن القضية هراء وعبث وأخطاء طبيعية ونفايات نجمية ورماد بركاني ووحل بيولوجي أنتجا كل صور الحياة حولك؟

إن تصور عدم التصميم يقضي على أي أمل في تفسير العالم ويسم العلم والبحث والتجربة، ويجعل الرصد والبحث سخف لا طائل وراءه، فلو اكتشفت فائدة لعضو ستظل بقية الأعضاء بلا فائدة! ⁽¹⁾ ليس هناك بد من الاعتراف " بالتصميم الذكي " المتقن

(1) د. هيثم طلعت-أربعون خطأ في نظرية التطور، ص 17:19.

، فالعشوائية لا يمكن أن تصمم شيئاً، بل تنتج فوضى خلقة.. أو لا شيء! يقول د. عمرو شريف:

وضع داروين نظريته في الميزان عندما أعلن تحديه في كتابه (أصل الأنواع) قائلاً: "إذا ثبت استحالة الوصول إلى بنية أي عضو في أي كائن حي عن طريق تعديلات بسيطة متتالية شديدة البطء (طفرات) فإن نظريتي ستتهار، إذ يعجز التطور عن إحداث قفزات كبيرة، ولن يكون هناك مفر من الإقرار أن-هناك- قوى غيبية تعاونه".

وقد تبني ريتشارد دوكنز التحدي نفسه، إن تحدي داروين تحد ملتو، ظن أنه سيكون لصالحه، إنه يشبه تحدي القائلين إن الحياة جاءت إلى الأرض من كوكب آخر محمولة على سفينة فضاء، وعلى المنكر أن يثبت خطأ الافتراض! لا شك أن هذا أسلوب خطأ، فالعلم يقوم على تقديم الدليل على ما نقول، وليس على إثبات خطأ جميع الاحتمالات الأخرى، ومن ثم ينبغي على الدراونة أن يقدموا الدليل على عشوائية التطور، ومع ذلك قبل (مايكل بيهي) التحدي، ووضع حججه في كتابه الرائع (صندوق داروين الأسود) وتركز حجج بيهي ضد عشوائية التطور على أن الدراونة عجزوا على أن يفسروا بالصدفة والعشوائية نشأة الآليات الجزيئية شديدة التعقيد في الكائنات الحية، التي لا يمكن أن تنشأ عن التعديلات البسيطة المتتالية، شديدة البطء، التي يعمل من خلالها التطور الدارويني (...). ومثال بيهي الأشهر المحبب في عالم البيولوجيا هو (سوط البكتيريا) الذي يدفع بحركته البكتيرية إلى الأمام مثل موتور القارب، وقد وصف أستاذ البيولوجيا بجامعة هارفارد (هاورد بيرج) سوط البكتيريا أنه أكفأ آلة في الكون ويشتمل السوط على ثلاثة أجزاء رئيسية (السوط- الخطاف- الموتور) تتكون من مائتي جزيء بروتيني، يشكل أربعين منها الموتور الذي يعمل في تناغم وتكامل كمكونات الساعة (وكمصيدة الفئران) وإذا غاب أحد هذه البروتينات توقف النظام كله عن العمل، لذلك لا بد أن ينشأ النظام متكاملًا من البداية إذا أريد له أن يعمل وأن يورث، ومن ثم يستحيل أن ينشأ السوط بخطوات عديدة متتالية شديدة البطء، يضاف في كل منها

جزئي بروتيني أو أكثر، كما يدعي التطور الدارويني ولن يقوم بذلك إلا المصمم الذي القادر، وقد قام الرياضيون بحساب احتمالية أن ينشأ سوط البكتيريا بالصدفة فوجدوها 1×10^{-1170} !⁽¹⁾ وعبر التاريخ وجد الكثيرون أن برهان التصميم مقبول للغاية، وقد كان داروين أثناء دراسته في كامبردج أحد هؤلاء، فقد كان من المؤمنين ببرهان صانع الساعات لويليام بيللي الذي يشبه فيه الكون بالساعة، ومن ثم لا بد له من خالق، كما أن للساعة صانعاً، بل كان داروين يعتبر بيللي مثله الأعلى في العقل، ثم تبدلت نظرة داروين فأصبح يعتقد أن قانون الانتخاب الطبيعي هو الفاعل وليس الإله⁽²⁾ يتصدى مفهوم التصميم الذي لدراسة الظواهر البيولوجية التي تعجز الطبيعة العمياء عن إيجادها بالعشوائية والصدفة، وأهم هذه الظواهر:

1- نشأة الحياة من المادة غير الحية.

2- إحداث التنوع الهائل في الكائنات الحية.

3- ظهور ما يميز الإنسان من عقل وملكات تفوق (نوعاً وكمّاً) ما يميز غيره من الكائنات، وفي مجال تنوع الكائنات الحية (التطور) تتبنى مفهوم التصميم الذي مدرستان.

أ- التصميم الذكي والخلق الخاص. ب- التصميم الذكي والتطوير الإلهي: وتنقسم هذه المدرسة إلى اتجاهين:

1- التصميم الذكي والتدخل الإلهي 2- التصميم الذكي والتطور الموجه.

أولاً: التصميم الذكي والخلق الخاص:

تركز هذه المدرسة عند تعريفها بنفسها على مفهوم "التصميم الذكي" دون التطرق إلى "أسلوب الخلق" وإن كانت تؤمن بالخلق الخاص لكل كائن على حدة، ويتبنى هذا الاتجاه

(1) د. عمرو شريف-خرافة الإلحاد-انظر الصفحات 223:220.

(2) المصدر السابق-ص 227.

في الغرب مؤسسة ديسكفري (اكتشاف) باستثناء مايكل بيبي (أحد أعمدة المؤسسة) وترى هذه المدرسة أن القول بالتطور يدعم المفاهيم الإلحادية ومن ثم تطالب المؤمنين بالوقوف في وجهه، بذلك يعتبر هؤلاء قريبين جدًا من (الخلوقيين) المتمسكين بالتفسيرات التراثية لآيات الخلق في القرآن الكريم وفي التوراة.

ثانيًا: التصميم الذكي والتطوير الإلهي:

يرى القائلون بالتطوير الإلهي أن الله-عز وجل- استخدم آلية التطور في خلق الكائنات الحية ومن ثم فهم يؤمنون بفكرة الأصل المشترك باعتبار أن الأدلة العلمية على التطور لا تدحض ويرى هؤلاء أن ليس هناك عشوائية ولا حتمية مادية مطلقة، بل إن إرادة الله-عز وجل- وقدرته وراء عملية الخلق، وبعد هذه القاعدة المشتركة ينقسم هؤلاء إلى فريقين:

1-التصميم الذكي والتدخل الإلهي:

يرى هؤلاء أن الخالق- عز وجل- تدخل من حين لآخر لإحداث التغيرات الجينية اللازمة لإخراج كائنات جديدة، ويمكن وصف هذه التغيرات أنها طفرات موجهة، ويتمسك أنصار هذا المفهوم بأن الموجودات تبلغ من التعقيد درجة تتطلب أن يظل المصمم الذكي متدخلًا بشكل مباشر (ليس من خلال القوانين الطبيعية) في نشأتها خطوة حتى تكتمل ويعتبر هذا الطرح مفهومًا وسطًا بين الطرح العلمي والطرح الديني الأصولي، ويتبناه من مؤسسة ديسكفري بالولايات المتحدة عالم البيولوجيا الكبير د. مايكل بيبي.

2-التصميم الذكي والتطور الموجه:

ويرى هؤلاء أن الخالق- عز وجل- وضع الثغرة الوراثية (الجينوم) في الخلية الأولى بشكل متناغم مع قوانين الطبيعة، بحيث يسمح لها بتوجيه عملية التطور، ويتزعم هؤلاء

عالم البيولوجيا الجزيئية (فرانسز كولنز) الذي وضع نتائج عمله كرئيس لمشروع الجينوم البشري في كتابة الفز (لغة الإله) الذي أصدره عام 2006(..).

إن التعريف الذي صاغه العلماء المحدثون للعلم يستوعب الداروينية ويطرد ما سواها من ساحته! لذلك حرص أنصار التصميم الذكي على أن يحفظوا مفهومهم داخل حدود عالم الفيزياء حتى لا يدفعهم الآخرون إلى عالم الميتافيزياء، ومن ثم ركزوا طرحهم على تساؤل واحد: هل وراء هذا الوجود والحياة وتنوع الكائنات والعقل الإنساني "تصميم" أم إن (الصدفة والعشوائية) قادرتان على إيجاد هذه الموجودات تلقائيًا؟ ويطالب أنصار هذه المدرسة بأن تطرح قضيتهم الأساسية (تصميم أم لا تصميم) للتمحيص العلمي، ولا تطرح هذه المدرسة للبحث التساؤل عن مصدر، حتى لا يصبح التصميم الذكي بحثًا فلسفيًا دينيًا يخرج عن حدود العلم كما رسمها العلماء (..) على الرغم من أن العلماء الماديين يقرون بوجود الذكاء في الطبيعة، فإنهم يرفضون الإقرار بمفهوم "التصميم الذكي" إنهم يتخوفون من الخطوة التالية، وهي الإقرار بـ"المصمم الذكي" ثم الإقرار بالديانات، وما قد يترتب على ذلك من عودة الظلام الذي سيطر على أوروبا في العصور الوسطى(..) إن إحدى أكبر مشكلات الدراونة أنهم لم يدركوا ما في ظاهرة الحياة من تعقيد مبهّر، فتمشت تصوراتهم البسيطة للحياة مع قولهم بعشوائية مصدرها وإذا كان لداروين العذر في تبني هذا الموقف، فليس هناك عذر للدراونة المعاصرين بعد كل ما تكشف من تعقيد في بنية ووظيفة المادة الحية والشفرة الوراثية⁽¹⁾، ما حقيقة الصدفة؟ ذلك الاقنوم الثاني لإله دوكنز الذي يجعل منه عوضًا للإله الحي، الفعال، الحكيم، الخالق؟ نجيب عن هذا السؤال بما قاله أرسطو للمؤمنين بالصدفة في زمانه: "لا تصلح الصدفة لتفسير شيء لأنها ليست شيئًا على الإطلاق". فإذا حللنا قول مثل "إن وقوع حدث ما بالصدفة أمر محتمل، نجد أن جوهر الأمر هو "وقوع حدث" وليس بـ"الصدفة" التي ليست شيئًا، ولنشرح ذلك بمثال: إن احتمالية الحصول

(1) المصدر السابق- انظر ص 230 وما يليها.

(بالصدفة) على الرقم "5" عند إلقاء زهر هو 6/1، هل 6/1 شيء أو سبب؟! إن الحصول على "5" بالصدفة تقف وراءه أمور حقيقية، مثل: لدينا زهر له ستة أوجه، يمكن هز الزهر وقذفه بقوة معينة، شكل الزهر يسمح بالاستقرار على أسلوب مختصر للتعبير عن محصلة هذه العوامل كلها، إن احتمالية 6/1 ستلاشى إذا غيرنا من الأمور السابقة: كأن تقذف بالزهر في فرن شديد الحرارة فينصهر، أن نملأ ثقوب الزهر بمادة تخفي الأرقام.

ولنصعد للمثال السابق لتتأكد أن "الصدفة" لا وجود لها في الحقيقة، هل تعلم أنك تستطيع الحصول على الرقم نفسه عند إلقاء زهري الطاولة مرات متعددة إذا ثبتت العوامل نفسها (قوة إلقاء الزهرين، وزاوية الإلقاء، ..) إن ذلك يعني أن ما نعتبره صدفة إنما هو محصلة لعوامل عديدة نعجز عن حصرها والتحكم فيها، ومن ثم نطلق على محصلتها اصطلاح "صدفة".

إذن فالصدفة ليست سبباً أولياً، إنها نتيجة ثانوية تتبع عوامل أخرى، هكذا ينهار الاقنوم الثاني من إله دوكنز الذي جعله إلهًا فاعلاً (الصدفة)! في محاولته لإنقاذ إله الصدفة لجأ دوكنز إلى تقسيم القدر الهائل من الاحتمالية من أجزاء صغيرة وافترض إمكانية حدوث كل منها بالصدفة خلال بضعة ملايين من السنين، على الرغم من إثباتنا أن الصدفة غير قادرة على فعل أي شيء، تعال نجاري دوكنز في محاولته.. لنفترض أننا سنقسم آلية نشأة جزيء الهيموجلوبين بالصدفة إلى 1000 خطوة، وأنه يكون أمام كل خطوة أحد احتمالين: إما أن تحدث فتقترب بنا من بنية جزيء الهيموجلوبين، أو لا تحدث، إن احتمالية اكتمال هذه الخطوات الألف بنجاح هي 2 1000 (2 مرفوعة للأس 1000) أي نحو 10 300 (10 مرفوعة للأس 300) إنها احتمالية أكثر ندرة من نشأة جزيء الهيموجلوبين بالصدفة في مرحلة واحدة التي تبلغ 100 190! (100 مرفوعة للأس 190) والأمر الذي لم ينتبه إليه دوكنز، بذلك يتحول إله دوكنز "الاحتمالية والصدفة" إلى وهم وسراب، فالاحتمالية لا تحقق إمكانية، كما أن الصدفة لا وجود لها أصلاً فسبحان الله

تعالى القائل في كتابة الحكيم "ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون". المؤمنون⁽¹⁾ 117

إذا كانت "الاحتمالية والصدفة" هي إله دوكنز وكل الدراونة فإنهم يلجأون إلى الاستشهاد على قدرته ببرهان القردة الذي ينسب إلى توماس هسكلي- عالم البيولوجيا البريطاني- نصير داروين الأول، الذي يدعي أن مجموعة من القردة لو تركت وقتاً كافياً لتدق على مجموعة من الآلات الكاتبة فإنها ولا شك ستكتب قصيدة من قصائد شكسبير، وربما إحدى مسرحياته، أو أعمال شكسبير كلها، ولقد لقي هذا البرهان من التسفيه بالأدلة العلمية والعقلية والرياضية، ما جعل سير أنتوني فلو يصفه أنه كومة من النفايات، ومن هذه الأدلة ما أثبتته الرياضي الكبير جيان كارلوروتا، من أن عمر الكون كله لن يكفي لكتابة مسرحية واحدة لشكسبير إذا دق القرد على آلة كاتبة بمعدل مرة كل نانو ثانية!

وبين رسل جريج أن القرد من أجل أن يكتب قصيدة تتكون من 603 أحرف بالمسافة، يحتاج 10 1017 (10 مرفوعة للأس 1017) سنة بينما عمر الكون 13.7 بليون سنة فقط! لذلك يؤكد سيرفريد هويل -عالم الفلك البريطاني- أن المادة مهما بلغت من حجم ومهما أعطيت من زمن فإنها تعجز عن إنشاء الحياة بالصدفة لأسباب علمية إحصائية بحتة، ويضيف: إن هذه الحقائق الإحصائية كافية لأن تدفن داروين ونظريته⁽²⁾.

توابع الداروينية.. الانحطاط المدوي:

هذه "العشوائية" هي التي قضت على الإنسان وهمشت الإنسانية وفرقت الأمم ودفعته بكل ذلك إلى اللاشيء، إلى "العدمية" واللامبالاة، هذا هو التطور العشوائي الذي

(1) انظر المصدر السابق- ص 338، 339.

(2) المصدر السابق ص 341.

نعيشه ونحياه، إنه "التطور الدارويني"، ذلك الذي نتج من فكره وصلبه أكثر الأنظمة استبدادا وعدوانية للإنسان (الشيوعية .. وفيما بعد -تأثرت بمبادئه- الرأسمالية).

- هذا الفكر والتصور الذي كان أساساً للنظريات اللاأخلاقية كنظرية فرويد في الجنس و"دوركايم" في علم الاجتماع، وما يعانيه المجتمع الغربي من تحيرون وفساد للروح والفسادة، والمجتمع العربي من تعولم وتعلمن وفساد الأرض وهلاك للنفس، وتشويه للهوية.

- أساساً للتطرف والتعصب والعنصرية والجهل المبرر وميتافيزيقية العلوم وتضليل للحقائق والمعارف.

- أساساً للفاشية والديكتاتورية والاستعباد والاستبداد لشعوب البلاد والأرض.

- أساساً للإلحاد وتلويث وتشوية للعقل والعقائد، وتدميرها.. هي ومن يعتنقها!

- تطور داروين يقابله تخلف الشعوب والإنسان وانحطاطهم.

"إن ما سببه الإلحاد من كوارث في القرن العشرين وحده يفوق ما سببته الحروب الدينية عبر التاريخ" د. عمرو شريف

يقول الفيلسوف الأمريكي ديفيد بيرلينسكي (1942) صاحب (وهم الشيطان): "إن الذين اقترفوا جرائم ضد البشرية مثل هتلر وستالين وماوتسي تونغ وضباط الجستابو والـ NKVD وكل النازيين والشيوعيين لم يكونوا يعتقدون أن الإله يراقبهم"، أما السياسي الأمريكي زبغنيو بريجنسكي (1928-2017) فيقول: "لقد كلفت محاولات إقامة الشيوعية في العالم حياة أكثر من سبعين مليوناً من البشر مما يجعلها أكثر المحالات الفاشلة كلفة في التاريخ"، والأخير يقول ذلك كمحاولة دفاعية عن الرأسمالية، التي هي في الحقيقة أكثر وأفدح كلفة وأكثرها خبثاً وأنانية في تاريخ الإنسانية، وفي حق الإنسان،

على الرغم من أن ضحايا الشيوعية يفوق عددهم تقريبًا ضعف ذلك الرقم المذكور من الأرواح- تحديدًا 120 مليون إنسان أو يزيد أو ينقص- ناهيك عن حجم الخسائر المادية الفادحة، يمكن تقسيم هذا الرقم كالتالي:

4 ملايين بروسيا على يد فلاديمير لينين.

3.9 ملايين باليابان في عهد هيدكي توجو.

42.6 مليون بروسيا في عهد جوزيف ستالين.

37.8 مليون بالصين في عهد ماوتسي تونغ.

20 مليون بألمانيا في عهد وعلي يد ادولف هتلر.

10،2 ملايين بالصين في عهد شانغ كاي شك.

2،3 مليون بكموديا في عهد بول بوت.

أما سالوث سار – رئيس وزراء كمبوديا من الفترة 1976- 1979 فخلال تلك الفترة عمل على إبادة 25% من شعبه، في بداية حكمه أعلن عبر راديو كمبوديا الرسمي أن الحكومة الكمبودية لا تحتاج من شعبها أكثر من مليون إلى مليوني مواطن لإقامة يوتوبيته.. ولا حاجة للباقيين! وفي دراسات ميدانية لاحقة تبين وجود 20 ألف مقبرة جماعية عملاقة، استخدمت لدفن ثلاثة ملايين نسمة. أما عن هذه العدائية للإنسان وتلك الفلسفة الإلحادية الشيوعية، فذلك نتيجة مباشرة للتأثر بفكر داروين وتطوره، فنرى مثلاً ما كتبه الكاتب الروسي (أي ياروسلافيسكي) في كتابه عن ستالين (علامات في حياة ستالين)، حيث كتب يقول: "في سن مبكرة جداً، وبينما كان وما زال تلميذاً في المدرسة بالكنيسة، نضج لدى الرفيق ستالين العقل النقدي والمشاعر الثورية، حيث بدأ

القراءة لداروين وأصبح ملحدًا!" أما عن كارل ماركس، ففي عام 1873 أرسل نسخة من كتابه (رأس المال) إلى داروين، كاتبًا عليها إهداء له كأشد المعجبين به، أما في كتابه (التطور، البيولوجيا الماركسية والعلم الاجتماعي) الذي أصدره عالم النبات كوتوي زبركل - البروفسير بجامعة بنسلفانيا- عام 1959 فقد أرخ عدة مراسلات بين إنجلز وماركس منهما قوله: "مبكرًا في 12 ديسمبر 1859- أي بعد شهور قليلة من صدور أصل الأنواع- فريدريك إنجلز كتب لكارل ماركس: "داروين الذي أقرأ له الآن: رائع!" وبعدها بعام - تحديدًا 19 ديسمبر 1860 - راسله ماركس أبو الشيوعية بالتالي: "خلال فترة وجودي للمحاكمة، وفي هذه الأسابيع القليلة الماضية لقد قرأت كل أنواع الأشياء ومن بين أمور أخرى، وقرأت كتاب داروين في الانتخاب الطبيعي، وعلى الرغم من أنه وضعه في نمط اللغة الإنجليزية الأصل، فإن ذلك الكتاب هو الذي يحتوي على أساسيات نظرتنا للتاريخ الطبيعي!" أما بالنسبة لفيردناند لاسال- أحد مؤسسي الاشتراكية الألمانية- فقد كتب في 16 يناير 1861 يقول: "كتاب داروين مهم جدًا وساعدني كأساس علم طبيعي للصراع الطبقي في التاريخ"، على الرغم من أن "نظرية التطور" لا تقدم تفسيرات منطقية، بل هي فلسفة أقرب إلى الميتافيزيقية ولا علاقة لها بالعلم ولا بالحقيقية العلمية فإنها تدرس ويروج لها على أنها كذلك، ربما هذا الجهل المبرر والتضليل - الجماعي- العلمي تبريرًا لجرائم الغرب الشيوعية من ناحية أو لتبرير الحرب الحضارية -أو العالمية الثالثة- من ناحية أخرى، أو لعدم اعتبار الإلحاد مرضًا نفسيًا من ناحية ثالثة، وكثير من الباحثين العلماء قد درسوا النظرية، وألفوا كتبًا لنقدها، بل ودحضها، ولعل أشهرها وأقواها:

- العلم مقابل نظرية التطور والنشوء والارتقاء- أم بودين.

- نظرية التطور والنشوء والارتقاء في محنة- مايكل دانتون.

- القضية ضد التطور والنشوء والارتقاء- جي أو تولى.

- صندوق داروين الأسود: التحدي البيوكيميائي للتطور- مايكل بيهي.

- حافة التطور- مايكل بيهي.
- حانوتي الإله: هل دفن العلم الله – جون لينوكس.
- التطور نظرية علمية أم أيديولوجية! عرفان يلماز.
- بين الباندا والناس: السؤال المركزي للأصول البيولوجية- دين كانيون، فيليب جونسون.
- الجانب المظلم لتشارلز داروين: تحليل نقدي لإحدى أيقونات العلم- جيري بيرجمان.
- التوقيع في الخلية: الحمض النووي وعلامات التصميم الذكي- ستيفن ماير.
- أين يكمن الاختلاف- الفن بلانتنجا.
- نظرية تطور ونشوء وارتقاء الإنسان مفندة في 50 حجة- دابليو وليامز.
- النباتات المنقرضة وعيوب نظرية التطور والنشوء والارتقاء- داي سكوت.
- محاكمة داروين – فيليب جونسون.
- في البدء كانت المعلومات- ويرنر جيت.
- الأعضاء الضامرة كاملة الوظيفة – جيري بيرجمان.
- الانتواع الخادع: خرافة رصد تغيرات على مستوى التطور الأكبر- لكيسي لسكين.
- تصميم الحياة: اكتشاف علامات الذكاء في النظم البيولوجية- ويليام ديمبسكي.
- شك داروين: النشوء المفاجئ لحياة الكائنات وحجة التصميم الذكي- ستيفن ماير.
- أيقونات التطور- جوناثان ويلز.
- العلم واصل الإنسان- آن جوجر، كيسي لسكين، دوجلاس إكس.

وغير ذلك الكثير من الكتاب الذين كتبوا، والأبحاث العلمية - سواء العربية منها أو الأجنبية- التي عملت على ذلك المنوال والاهتمام.

سنة 2008 تشجع معهد ديسكفري وقام بفتح قسم للعلماء الراضين لنظرية التطور، حيث على كل عالم معارض أن يضع بياناته الشخصية بالموقع ويوقع على البيان الصادر من المعهد. إذ إن عدد العلماء المعارضين بلغ سنة 2009 ، 700 عالم، وسنة 2010 وصل إلى 820 عالماً.. قد زاد العدد ليصل إلى أكثر من 1200 عالم في مختلف التخصصات.

يقول الدكتور البيولوجي التطوري هنري جي المحرر بمجلة نيتشر العلمية الشهيرة في كتابه (البحث في أعماق الزمن) ساخراً، يقول: "إن أخذ سلالة من الأحافير وادعاء أنها تمثل خطأ تكاثرياً لا يعتبر فرضية علمية قابلة للاختبار إنما هو تأكيد على قصة تحمل نفس قيمة القصص التي تروى قبل النوم، ربما مفيدة لكن ليست علمية!"

"ال دراونة لا يقدمون أي تفسير
لنشأة الحياة على المستوى
الخلوي او البيوكيميائي، كل ما
يقدمونه تصورات مبتورة لا
معنى لها" جيمس شاير-أستاذ
البيولوجيا بجامعة شيكاغو.

ويقول الكسيس كاريل - الجراح

الفرنسي الشهير، الحاصل على نوبل عام 1912- في كتابه (الإنسان ذلك المجهول): "إن نظريات النشوء والاتقاء هي مصدر كل الهموم الإنسانية، وإنها ليست إلا حكايات خرافية وجدت من يحميها ومن يقدمها للجماهير بحلة خادعة لا يعرفها كثير من الناس".

وبالفعل، أُلقت قبولاً "غير مفهوم" وتصديقاً أعمى مبنيًا على الجهل وعدم الفهم من قبل الملحدّين الجدد، مثيري الشفقة، وجلبة القسط.

يقول الفيلسوف الملحد الشهير مايكل روس ساخرًا من الملحدّين الجدد- الذين لا يعرفون عن التطور سوى أنه يجب أن "يؤمنوا" به لكي يصبحوا ملحدّين!

ولكي يصبح أكثر إحادًا وذكاءً وإنسانية و"عدمية" فعليه أن يعترف بفضل الغرب عليه وعلى الأرض، وأن يلعن أم اليوم الذي أصبح فيه عربيًا!- ما قاله روس هو: "على عكس الملحدّين الجدد، أخذ المعرفة بجدية - مضيفًا- كتبت سابقًا أن كتاب (وهم الإله) لدوكنز جعلني أشعر بالخجل كوني ملحدًا، عندما قرأت كتاب "وهم الإله" الذي اعتبره رأس حربة الملحدّين الجدد خجلت من أنني ملحد لما رأيت مستواه!" ويضيف في مقطع فيديو له على الإنترنت قائلاً إن: "خلاصة الكلام هنا أنه اعتبرهم مراقبين لسببين الأول: أنهم لا يبنون كلامهم على أسس فردية أو فلسفة قوية في الربط بين المنتج العلمي

وتوثيقه ثم الاستدلال به على أمر فلسفي، والثاني: اعتبرهم يعانون من مراهقة الكبر والسخرية من الآخرين لمجرد أن يختلفوا معه!" أما عالم الرياضيات البريطاني "جون لينوكس" البروفيسور بجامعة أكسفورد، فكتب يقول إن: "الملاحدة الجدد ليسوا علميين كما يدعون، بل

"حتى النظريات العلمية يمكن أن تصبح
"موضة"، يمكن أن تحل محل
الدين، يمكن أن تصبح مسلمة غير قابلة
للتقاش، وهذا ما حدث مع نظرية
التطور". كارل بوبر-

إنهم إذا اقترب بهم الدليل من الشك في المذهب المادي وترجيح القول بالألوهية تشنجوا

وصاروا لا علميين بل ضد العلم كأبي دوجماتيقي-(أي المتعصب لعقيدة أو رأي دون دليل)-".

بينما يقولها نيوتن صراحة إن: "الإلحاد هو ضرب من الغباء! فعندما أنظر إلى النظام الشمسي أرى أن الأرض تقع على المسافة المناسبة من الشمس التي تمكنها من الحصول على الكميات المناسبة من الحرارة والنور، وهذا بالطبع لم يحدث من قبيل الصدفة".

أما ويليام طومسون- المعروف بالورد كلفن-، مؤسس الفيزياء الحديثة فهو يقول إن: "كل ما حولنا يشير بوضوح تام إلى خطة حكيمة وصالحة أما فكرة الإلحاد فهي بعيدة كل البعد عن المنطق السليم بشكل أعجز عن التعبير عنه بالكلمات".

ولذا فإنه في دستور ولاية أركنساس: "أنه لا يجوز لأي شخص ينكر وجود الله تولي رئاسة أي إدارة مدينة لهذه الولاية ولا التقدم كشاهد أمام أي محكمة"، وفي دستور ولاية نورث كارولينا، جاء في بند فقدان الأهلية: "الأشخاص غير المؤهلين لتولي الرئاسة.. أولهم أي شخص ينكر وجود الله العظيم"، وفقدان الأهلية مبني على فقدان العقل، وفي أيرلندا- كما نشرت جريدة التايمز الأيرلندية- يمنع على الملحنين أو المنكرين لله التدريس في المدارس الحكومية، فصحة النفس والعقل لها علاقة كبيرة بالإيمان، فالإيمان من الأمن والأمان والشعور بالطمأنينة والسعادة وعدم الخوف، يقول تعالى: "فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون". البقرة 38

ويقول تعالى أيضًا: "فمن تبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكرني فإن له معيشة ضنكا". طه 123:124، وقال عز وجل أيضًا: "إن الذين قالوا ربنا الله ثم تنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون". فصلت 3، "وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون". الأنعام 48.

يقول الدكتور يوسف القرضاوي: "ولقد علمتنا الحياة أن أكثر الناس قلقًا وضيقًا واضطرابًا وشعورًا بالتفاهة والضيق هم المحرمون من نعمة الإيمان وبرد اليقين"، ويقول الفيلسوف وعالم النفس الشهير (ويليام جيمس): "إن أمواج المحيط المصاحبة المستقبلية لا تعكز قط هدوء القاع العميق ولا تقلق أمنه، وكذلك المرء الذي عمق إيمانه بالله، لا تعكرطمأنينته التقلبات السطحية المؤقتة فالرجل المتدين حقًا آمن من القلق محتفظ أبدًا بإيمانه، مستعد دائمًا لمواجهة ما قد تأتي به الأيام من صروف ونوازل".

وبشيء من الحزن والحسرة والأسى، يصف الفيلسوف الملحد برتراند راسل الحالة المزرية التي تنتظر كل ملحد فيقول: "إذا كان الإنسان نتاج أسباب لا تمتلك الوسيلة اللازمة لما تحقّقه من غايات وإذا كان وجوده ونموه وآماله ومخاوفه ومعتقداته وشطحاته مجرد حصيلة تجمع ذرات بالصدفة المحضة وإذا عجّزت أي حماسة متفجرة أو بطولة أو أي حدة في التفكير أو الشعور عن الإبقاء على حياة فرد واحد فيما وراء القبر، وإذا كان الاندثار هو المصير المحتوم لكل كفاح الأجيال ولكل التضحيات ولكل عبقرية الإنسان المتألّفة تألّق الشمس في غسق النهار، فإن لم تكن كل هذه الأمور غير قابلة للجدال، فإنها بهذا المفهوم تقترب من اليقين إلى حد يستحيل معه على أي فلسفة معاصرة أن تصمد في مواجهته، وبالتالي فإنه لا يوجد ملجأ للروح إلا في إظهار هذه

الحقائق التي تحيط بالإنسان بالقنوط الراسخ في كل جانب".

ويقول المفكر عبد الله القصيمي في شهادة له على نفسه بالمرض النفسي، في مشاعر يملؤها الأسى والحزن الشديدين، وقد وصفها في كتابه (العالم ليس عقلًا) تبين

"إن النموذج المعرفي للإلحاد نموذج أعمى معرفيًا! جيمس سبيجل

مدى انهياره النفسي والعاطفي، وما أصابه من عقد وأزمات تختفي وراء الألفاظ الأدبية الجميلة، فهو يقول مثلاً تحت عنوان (قصيدة بلا عروض): "إن كل دموع البشر تنصب في عيوني وأحزانهم تتجمع في قلبي وآلامهم تأكل أعضائي، ليس لأنني قديس بل لأنني مصاب بمرض الحساسية.. دعوني أبكي فما أكثر الضاحكين في مواقف البكاء، دعوني أحزن فما أكثر المبتهجين أمام مواكب الأحزان، دعوني أنقد فما أكثر المعجبين بكل التوافه، دعوني أحتج على نفسي"، ويقول واصفًا وقاصدًا حاله ونفسه: "لا تسيئوا فهمه، لا تنكروا عليه أن ينقد أو يتهم أو يعارض أو يتمرد أو يبالغ أو يقسو، إنه ليس شريرًا ولا عنيفًا ولا عدوًا ولا ملحدًا لكنه متألم حزين يبذل الحزن والألم بلا تدير ولا تخطيط كما تبذل الزهرة أريجها والشمعة نورها، لقد تنهى في حزنه وضعفه حتى بدا عنيفًا، ليس نقده لرتاء للعالم ورتاء نفسه، بل ليس نقده إلا تمزقًا ذاتيًا!" وكتحليل لشخصية الرجل وبيان مدى تناقضه، وما يعانيه نفسيًا وعقليًا، يقول الاشتراكي القومي حسين مروة: "يبدو لي أن أول ما ينبغي إيضاحه منذ الآن هو أنه لم يكن عسيرًا عليّ وليس عسيرًا على أي قارئ غيري اكتشاف كون المؤلف "عبد الله القصيمي" خاضعًا في معظم أفكاره وتأملاته وخواطره إلى عدد من الضغوط النفسية والفكرية العنيفة التي يصبح أن نجعلها كلها في حالة أو وحدة تؤلف ما نسميه الأزمة، إذا لم نسميها عقدة".

أما أدونيس- شيخ الحدائين- فيقول إن: "عبد الله القصيمي لا نستطيع أن نمسك به، فهو صراخ يقول كل شيء ولا يقول شيئًا يخاطب الجميع ولا يخاطب أحدًا، إنه الوجه والقفأ"، ويتحدث المفكر والأديب ميخائيل نعيمة عن كتابه (العالم ليس عقلًا) فيقول: "إنه كتاب هدم ونفي من الطراز الأول- هدم الآلهة والأخلاق والفضائل والثورات والمثل العليا والغايات الشريفة- ثم يضيف مخاطبًا القصيمي- ولا عجب فأنت في أول فصل تنفي أن يكون لوجود الإنسان أي معنى، الذي لا يعرف لوجود الإنسان ولعبقريته أي معنى، كيف يكون لكلامه أي معنى؟! إن قلمك ليقطر ألمًا ومرارًا واشمئزازًا وحقًا على

خنوع الجماهير لا العباقرة، ولو كان لمثل حقدك أن يصنع قنبلة لكنت أشد هولا من قنبلة هيروشيما".

في تقرير لليوم السابع، عدد 19 مايو 2014 تحت عنوان (الملحدون يعانون من الحزن والاكتئاب والضياع) تقول الدكتورة سهام حسن الأخصائية النفسية، في التقرير: "إن الملحد هو شخص لديه اضطرابات ويعاني الحزن والاكتئاب والضياع بسبب خبرات حياتية مر بها في حياته أدت إلى تشكيل التاريخ المرضي لحالته، معظمهم يعاني الهستيريا والهوس وبعدها شخصية انشقاقية تعاني انفصاما، ومن صفات شخصية الملحد أنه يجب أن تحترم رأيه وتستمع له في حين أنه لا يحدث العكس ولا يحترم عدم تقبلك له، ويقوم بتكفيرك بل ويتمك بالجهل ويتشكك في كل نتيجة ضعف بالإيمان وعدم رسوخ العقيدة بداخله مضيضة أن: هذا يكون عن الشخصية الملحدة التي يرفضها المجتمع، أما المجتمع لم يعرف طريقة للنقاش مع الملحد، المجتمع لا يأخذ ولا يعطي معه..!"

شيخ الملحدين يعلن أن: "هناك إلهًا!"

قضى الفيلسوف البريطاني الأشهر أنتوني فلو (1923-2010) أكثر من ستين عامًا من عمره يدافع بشراسة عن الفكر الإلحادي، وذلك عندما كان أستاذًا في جامعات أكسفورد وايردين وكيلي وريدينج وفي كثير من الجامعات الأميركية والكندية التي قام بزيارتها خلال حياته، بعد ذلك كله، فقد فاجأ الجميع وأعلن إيمانه بالإله عام 2004 وبعدها عام 2007 نشر كتابه "هناك إله". حينها قال قولته الشهيرة "نظرًا لأنه من المؤكد أن الناس قد تأثروا بأفكاري فإنني أحاول تصحيح الضرر البالغ الذي قد أكون ألحقته بهم"، وذلك لأنه يسير على المبدأ السقراطي: "اتبع الدليل حيث يقودك"، لا على مبدأ الملاحدة الجدد، حيث الغوغائية والسفسطائية هي طريق من لا طريق له. يقول، د. عمرو شريف في "خرافة الإلحاد:

"يخبرنا أنتوني فلو أن ليس هناك خط فاصل واضح في رحلته الفكرية من الإلحاد إلى تبنيه الإيمان بوجود الإله، ويصرح فلو أن هذا التحول تقف وراءه القفزات العلمية الهائلة التي حدثت في النصف الثاني من القرن العشرين، فقد أكدت هذه الاكتشافات أن الكون والحياة بما فيهما من تعقيد مذهل لا يمكن إرجاعهما إلى الصدفة والعشوائية

ولا بد أن يكون وراءهما إله حكيم قادر، وأن ما في الوجود من قوانين ثابتة متناغمة يعكس ما يمكن أن نسميه "فكر الإله" - مضيقًا- يرى انتوني أن

"إن علمنا يؤمن بالإله، إن الإله يقف وراء قصة العلم كلها، النظام المدهش، الانضباط، المصادقة، التعقيد المذهل، إن ذلك كله ليس إلا ممارسات الإله". سير جون هوفتن-عالم وأستاذ فيزياء المناخ باكسفورد.

العلم الحديث يجلي خمسة أبعاد تشير إلى الإله الخالق:

1. الكون له بداية وخرج من العدم، وقد فشلت جهود العلماء والفلاسفة الماديين في الوصول إلى نظرية مقبولة تفسر البداية في العدم المطلق بمعزل عن الإله الخالق، وقد أدرك فلو ذلك من خلال نظرية الانفجار "الكوني الأعظم".
2. تسير الطبيعة وفق قوانين ثابتة مترابطة، ويتطلب ذلك الإقرار بوضع هذه القوانين، والأكثر دلالة على الإله الخالق هو أن هذه القوانين تشمل الموجودات كلها، وأنها مترابطة مع بعضها البعض، وأنه يمكن التعبير عنها بصياغات رياضية دقيقة لا تشغل أكثر من صفحة واحدة.
3. نشأة الحياة بكل ما فيها من دقة وغائية وذكاء، فلا شك أن الصدفة والعشوائية، وكذلك كل القوانين الطبيعية التي نعرفها تعجز مجتمعة عن أن تفسر نشأة الحياة من المادة غير الحية، وقد تكشف لفلو ذلك من خلال دراسته لبنية جزيء (الدنا D.N.A) وطريقة أدائه لوظائفه.

4. يبيئ الكون بما فيه من موجودات وقوانين الظروف المثلى لظهور ومعيشة إنسان، وهو ما يعرف بالمبدأ البشري، وكلما زادت معارفنا عن دقائق بنية الكون كلما تأكدت ملاءمتها لاحتياجات الإنسان، مما يشير إلى أن هذا الكون قد أعد لاستقبالنا، وفي الوقت نفسه فإن ما وضعه العلماء والفلاسفة الماديون من تفسيرات لهذا التناغم (كفرضية الأكوان المتعددة) مثير للسخرية، ويجعل القول بالإله المصمم لهذا الكون أكثر قبولاً من الناحية العلمية.

5. العقل، خصوصية الإنسان، إن قدرات العقل الإنساني على التفكير المنطقي في الأمور المادية، وفي المفاهيم المجردة، وإدراك ما يحيطنا وما بداخلنا، وإدراك الإنسان لذاته، لا يمكن أن تكون صادرة تلقائياً عن المخ البشري المادي إذ لا تستطيع اللغة الكهروكيميائية للمخ التي لا تختلف عن نشاط باقي الخلايا الحسية أن تقوم بكل هذه المهام وإنتاج كل ما تملكه الحضارة الإنسانية من إبداعات، لقد أصبح لا مفر من اللجوء إلى عالم ما وراء الطبيعية لتفسير قدرات العقل الخارقة، ويختم فلو عرض حجته الإيمانية قائلاً: ليست معطيات العلم الحديث فقط هي التي دفعتني لتغيير قناعاتي لكني أيضاً أعدت النظر في البراهين الفلسفية التقليدية التي قادتني من قبل إلى الإلحاد، ثم طبقت القاعدة السقراطية المنهجية نفسها التي اتبعتها طوال حياتي الفلسفية الملحة: "أن نتبع البرهان إلى حيث يقودنا" فقادني البرهان هذه المرة إلى الإيمان، يخبرنا أنتوني فلو أنه كان قد صار مؤمناً بالإله الخالق للكون، فإن هناك مفهومان يتبناهما منذ إلحاده، ولم يغير فيهما رأيه:

أولهما: يرفض فكرة تجسد الإله المطلق في هيئة بشرية (المسيح) كما يعتقد المسيحيون.

ثانياً: لم يتوصل فلو إلى أدلة عقلية وعلمية على التواصل بين الإله والبشر عن طريق الوحي ومن ثم يؤمن أنتوني فلو بالإله الخالق ولا يؤمن بالأديان السماوية وبالتالي يمكن

"أستطيع أن أرى كيف أنه قد يكون من الممكن للرجل أن ينظر إلى أسفل على الأرض ويكون ملحدًا ولكن لا أستطيع تصور كيف يمكن أن ينظر إلى السماء ويقول إنه لا يوجد الله". إبراهيم لينكولن- الرئيس السادس عشر للولايات المتحدة الأميركية.

اعتباره من أنصار
الديانة الطبيعية
(الربوبيون) وإن كان
قد مات وهو يبحث
عن الأدلة على
تواصل الإله مع
مخلوقه الإنسان،

ونسجل هنا عقيدة انتوني فلو في الإله التي مات عليها يقول: لقد صرت أؤمن بإله واحد واجب الوجود غير مادي لا يطرأ عليه التغير، مطلق القدرة، مطلق العلم، كامل الخير.. (...) لذلك علقت مجلة تايم الأميركية على صدور كتاب انتوني فلو بقولها: على رأس أعظم الاكتشافات العملية في العصر الحديث يأتي اكتشاف أن "هناك إله"⁽¹⁾.

يقول فلو: "إن تمسكنا بمفاهيمنا السابقة كثيرًا ما يعيقنا عن التفكير في مفاهيم أرحب عن العالم.. فهناك فهم العوام وفهم العلماء وفهم الحكماء، ويتوقف إدراكنا لهذه المستويات على قدرتنا على الانطلاق بفكرنا دون قيود من مقدمات ومسلمات خاطئة. إن هذا هو الحاجز العقلي نفسه الذي واجهه زملائي (السابقين) الملاحدة عندما أعلنت قناعاتي بوجود إله، بناء على ما أظهره العلم من حقائق، فأخذوا يرددون في شبه هستيريا (خالية من المنطق والبرهان العلمي أو الفلسفي) مفاهيم تعيقهم عن التفكير الحر وتقف بهم عند مستوى ضحل من الإدراك مثل:

- لا ينبغي أن نبحث عن تفسير لكيفية وجود الكون، وعلينا أن نقبل فقط أنه موجود.

(1) د. عمرو شريف- خرافة الإلحاد ص 418:416.

- إذا كان من العسير علينا قبول فكرة وجود خالق للكون فمن باب أولى أن نقبل فكرة وجود خالق للحياة، ولا مفر أمامنا من التسليم أن الحياة قد نشأت ذاتيًا بالصدفة من المادة غير الحية.

أمام هذه الدعاوى
أطرح على الملاحظة
سؤالاً مهماً:
ما الذي تنتظرونه
من حثثيات عقلية أو علمية حتى تقبلوا إعادة النظر في رفضكم لأن يكون هناك عقل
ذكي وراء هذا الوجود؟⁽¹⁾

الإله ليس نقيضاً للعلم!

العلم محدود، ولا يستطيع الإجابة على كل الأسئلة الموجهة إليه، العلم والإله لا يمكن أن ينفصلا قط، فليس صحيح أن "أي معرفة لا بد أن تحصل بالعلم وما لا يستطيع العلم اكتشافه لا يستطيع العالم معرفته" كما يقول برتراند راسل، أو أن "العلم هو الطريق الوحيد للحقيقية، أنه قادر على تفسير كل شيء وليس هناك مبرر لاعتقاد أن هناك حدوداً لقدرات العلم" كما يتفق معه بيتر اتكينز- الكيميائي الإنجليزي

"عندما أتحدث عن الإله فإنني لا أطرح إلهاً لسد الثغرات التي لم يجب عنها العلم حتى الآن، فأنا لا أنكر قدرة العلم على استكمال التفسير، لكنني أطرح الوجود الإلهي لأفسر "لماذا" صار العلم قادراً على التفسير". الفيلسوف البريطاني ريتشارد سوينبرن.

(1) د. عمرو شريف رحلة عقل، ص 74.

وأستاذ الكيمياء بجامعة أكسفورد- في حقيقة الأمر، العلم لا يستطيع "تفسير" الحقيقة، إنما يستطيع أن "يصفها" بطريقة ما، أما عن الاتجاه الميتافيزيقي فهو ليس بديلاً لله أو للدين أو لقصور "العلمية" التي تعتمد- أو من المفترض أن يكون ذلك- على المنطق والتحليل والتجريب، "العلمية" في هذا الحال تفتقر للضوابط "الأخلاقية"، بل وتقلل من إمكانية "العلم" للتعرف والوصول "للحقائق" شبه المطلقة، فهذا المبدأ يخرج العلماء عن نطاق الموضوعية، ويجعل من العلم خدعة وزيف وكذب ووهم كبير، في كتابه (نصيحة لعالم مبتدئ) يرد سير بيتر مدور- الطبيب البريطاني من أصل لبناني الحاصل على نوبل عام 1960 -على هؤلاء الذين يتبنون مبدأ العلمية فيقول إنه " لا شيء يفقد الثقة في العالم قدر تصريحه أن العلم يعلم (أو سيعلم قريباً) الإجابة على كل الأسئلة التي تستحق أن تسأل وأن الأسئلة التي لا توجد لها إجابة علمية لا تستحق أن تسأل وتعتبر علم كاذب ولا يسألها إلا الحمقى ولا يحاول الإجابة عنها إلا السذج.

لا شك أن للعلم حدوداً لا يستطيع تجاوزها فالعلم لا يستطيع الإجابة على الأسئلة البديهية التي يطرحها علينا أطفالنا: كيف بدأ هذا الوجود؟ كيف جئنا هنا؟ ما الغرض من حياتنا؟ وغيرها الكثير"، بل إن العلم لم يجب حتى الآن عن أكثر الأسئلة العلمية بساطة: لماذا ننام؟ كيف تحدث عملية التفكير؟ أسئلة ومسائل لا توصف إلا بـ"التافهة" يعجز العلم عن الإجابة عنها.

هذا التخيبط المتعمد لرجال العلم بالفلسفة والأمور الغيبية ليس إلا وسيلة حمقاء لبسط مبدأ العلمية، بل يمكن الذهاب لأبعد من هذا إلى قلب العلمية، وهنا يقول عالم الفيزياء الأميركي تشارلز تاونز- الحاصل على نوبل عام 1964:- "لا شك أن السؤال عن بداية نشأة الكون سيظل دون إجابة علمية، لذلك أعتقد أن هناك حاجة إلى التفسيرات الدينية الغيبية، ومن ثم فإنني أوّمن بالإله الذي خلق الكون"، وهذا ما يؤكده- متفقاً- عالم الفيزياء الشهير (بول ديفس).

قائلاً: "إن التوجه العلمي الصحيح موقف ديني، فالعلم لا يعمل إلا من خلال نظرة تؤمن بانضباط الكون، وهذا موقف ديني ودون الالتزام بهذا الإيمان يتوقف العلم وينهار"، والسبب الحقيقي وراء ذلك التخبط هو ظهور تلك الفئة أو الطائفة من "المتعلمين" الذين جعلوا أو جعلوا أنفسهم على رأس هرم العلم وصنفوا عدم إيمانهم بالله "ذكاء"، مُتخذينه دليلاً على التفوق العقلي على المتدينين أو المؤمنين! قديماً في القرون الوسطى، كان العلم صامتاً والدين يحكم والإنسان هدف عن طريق تقرير وجود الله، واليوم العلم يريد أن يصمت الدين وينفي وجود الإله ويلعب دور الله للسيطرة على الإنسان وجعله هدفاً وغاية لا أخلاقية، فالبارحة كان يحكم دين مزيف ورجال دين ماديون، واليوم يحكم العلم المزيف ورجال العلم "الماديون"! فما أشبه اليوم بالبارحة، البارحة كان نصف العالم يغرق في الجهل والانحطاط والتأخر، أما اليوم فالعالم يبدو أكثر انحطاطاً وجهلاً! لأنه متى استبعد الإله، استبعد الإنسان واستبعدت الإنسانية لأنه: "العلم من دون الدين أعرج، والدين من دون العلم أعمى" كما يقول ألبرت أينشتاين.

يمكن أن "نثبت" بالدليل على وجود الله من خلال أقرب الأشياء لنا، إنما إثبات العكس يتطلب نفي كل شيء أو تعليل العلة بمبدأ الإنكار! وهذا يستحيل تماماً لأنه يتطلب منك الدراسة والإلمام بكل العلوم! يقول انتوني رافي، عالم اللاهوت الأميركي من أصل هندي: "إن افتراض عدم وجود الله يجعل الملحد يرتكب خطأً على الفور من النفي المطلق الذي هو تناقض ذاتي لأنه لتدعيم هذا الاعتقاد: إنه لا يوجد إله، عليك أن تثبت وجود المعرفة المطلقة، الذي هو بمثابة أن تقول: لدي معرفة مطلقة أنه لا يوجد كائن في الوجود لديه معرفة بلا حدود!"، وهنا يتناقض أو يتراجع برتراند راسل عن موقفه العلمي، عندما أعلن: "أن أكثر الأسئلة أهمية وإثارة تقع خارج قدرات العلم! مثل إذا كان الوجود ينقسم إلى مادة وعقل فما المادة وما العقل، وما العلاقة بينهما؟

هل الكون غاية وهدف؟ هل هناك قوانين حقيقية تحكم العالم أم إنها تصورات عقولنا التي تهوى النظام؟ ما حقيقة الأشياء؟ هل هناك مسلك محمود في الحياة

ومسلك عكس ذلك أم إن هذه افتراضاتنا؟ مثل هذه الأسئلة - وغيرها كثير- لا إجابة لها في المعمل!"

وهذا ما يؤكده فرانسيس كولنز- رئيس مشروع الجينوم البشري- بدوره قائلاً: "إن العلم عاجز عن الإجابة عن أبسط التساؤلات: لماذا نشأ الكون؟ لماذا نحن هنا؟ ماذا يحدث بعد أن نموت؟" هذه كلها تساؤلات لن ولم يجب عنها العلم، فإن مسلكه لن يكون محموداً إن حاول ذلك لأنه محدود تمام المحدودية، لذا فالدين يكلف نفسه- علينا- عناء البحث عن تلك المسائل "الميتافيزيقية".. هذه مهمة الدين لا العلم، عند نقطة ما توقف العلم عن تقفي الأثر، وادعى أن كل شيء كان لأنه كان يجب أن يكون، هذا كل شيء! أي نتاج للصدفة، لا لموجد حقيقي قادر، وأن الإنسان لا هدف ولا غاية له ولا مغزى من وجوده- كما يدعي الفوضويون الماديون- فإنهم يقولون: كل موجود لا بد أن يكون له علة، فإن كان الله- الإله- موجودا وليس له علة فقد وجد بالصدفة! وإن كان ليس موجوداً فإننا نحن كنا الصدفة! لكن في حقيقة الأمر، الله علة العلل، فعلى سبيل التبسيط: لدينا عنصران: "أ" و "ب" فإن "أ" يمكن اعتبارها علة لـ"ب" ، أما "ب" فهي علة في "أ" لأن "ب" "بعدية" من "أ" فهي أقل- منطقياً- من "أ"، فنستدل من "ب" على

وجود "أ". فاسأل الصانع لماذا صنعت وليس من صنعك، واسأله كيف صنعت لا كيف صنعت- بضم الصاد-! تلك "علة" أكثر منطقية "للتعرف" على الصانع بدلاً من إنكاره وإنكار صنعته، فهذا أسهل وأعقل.

"أرى نموذجاً لكن مخيلتي لا تستطيع تصور صانع هذا النموذج. أرى ساعة، ولكنني لا أستطيع تخيل صانع الساعة. عقل الإنسان غير قادر على تصور الأبعاد الأربعة، فكيف لنا أن نتصور الإله الذي تظهر أمامه آلاف السنين وآلاف الأبعاد كأنها واحدة". ألبرت أينشتاين.

أما مبدأ العلمية فإنه يدل على "ضعف" الحيلة، وعدم "قدرة" العلم على "فهم" الساعة، فما بالناس بمن صنعها؟! وإن كان المبدأ البديهي المتعارف عليه هو: بإمكان أي طفل أو أحمق أن "ينفي" أي شيء، لكن من الصعب على عالم أن "يثبت" العكس، فإن العلم والعقل المادي في تلك الحال يجدا أنفسهما أقل من أن يكونا أطفالاً سذج أمام هذه الأبجديات البديهية! فليس لديهم دليل واحد على "نفي" -إثبات عدم- وجود الله والعكس.. أي مؤمن لديه عدد نهائي من الحجج والأدلة التي "يثبت" بها وجود الله! اسأل أي إنسان، وعلى رأسهم هذا الملحد أو المادي: هل تؤمن بالعلة؟ سيقول لك- بافتراض- لا، اطرح عليه السؤال التالي: لماذا لا تؤمن بالعلة؟ سيقول لك: س...! والآن لا تكمل معه حديثك فإن "تبريره" أبطل فلسفته! وأظهره بمظهر جاف، ساذج، فتبريره- في حد ذاته- دليل على "العلة" لا على عدم وجودها.

يقول د. عمرو شريف:

ولما كان العلم لا يدرك الغائبة، فقد اعتبر الماديون/الطبيعيون ألا حاجة للبحث عن الغاية! لكن ذلك ينفي (رغم أنف المعارضين) أن الغاية علة حقيقة للأشياء، ولا ينفي

""الانحطاط هو قطع أواصر النسيج الاجتماعي، لتحويل المجتمع إلى ذرات، لتخريب العلاقات بين الجماعات القومية، الاجتماعية أو الدينية وذلك عندما لا تعتبر وحدة العالم هدفا نهائيا وقاعدة كبرى. يعني الانحطاط على المستوى الفردي الاهتمام بالنفس ورفض أي مسؤولية تجاهه وعلى مستوى الجماعات هو النزوع إلى السيطرة، عبادة السوق والملكية المطلقة للمال تقود مجتمعاتنا.. كل مجتمعاتنا إلى الانحطاط، إلى الموت". روجيه جارودي. حفارو القبور.. الحضارة التي تحفر للإنسانية قبرها- ص 68، 69

ذلك أن للعقل دورًا مع العلة الغائية، فالعقل- وإن كان يعجز عن التوصل إلى الغاية بذاته- هو الذي يحكم على مصداقيتها، فإذا أخبرتنا عمّي فضيلة أنها صنعت التورته احتفالاً بعيد ميلاد ابنتها إسراء، وكنا نعلم أن ليس لها ابنة بهذا الاسم، فسيرفض العقل قبول هذه الغاية، ومن ثم إذا أخبرنا المتدينون أن هناك إلهاً هو العلة الفاعلة لهذا الكون وأنه أطلعنا على الغاية من خلقه للإنسان ويقوم بالإجابة عن التساؤلات التي لا يستطيع العقل وحده أن يجيب عنها، فإن العقل يقوم بفهم هذه المعلومات والحكم على مصداقيتها إذن فالقول بالإله لم يعطل الدليل، ولا المنطق، ولا العقل⁽¹⁾، منذ أيام أرسطو والإمام الغزالي فقد وصفا لكل موجود عللاً أربع: العلة المادية: المواد التي صنعت منها الكعكة، والعلة الصورية: شكل الكعكة وصورتها وهندستها، والعلة الفاعلة: الشخص الذي قام بصنع الكعكة، والعلة الغائية: أي لماذا صنعت الكعكة؟ هل بإمكان العلم أن يجيب على: لماذا صنعت الكعكة؟ لا، بل هي مهمة الصانع.

وهنا يضرب د. عمرو شريف مثلاً بسيطاً يوضح هذا القصور والجحود العلمي، فيقول: لنفترض أن: أعدت عمّي فضيلة التورته احتفالاً بمناسبة ما، ودعت إليها- مع أفراد العائلة- مجموعة من أكبر علماء مصر في مختلف التخصصات، وانتهزت الفرصة وطلبت من كل عالم أن يعرفنا بالتورته من وجهة نظره، تحدث عالم التغذية عن محتوى التورته من السعرات الحرارية وقيمتها الغذائية، وتحدث عالم الكيمياء الحيوية عن تركيبها من البروتينات والدهون والكربوهيدرات، وتحدث الكيميائي عن الروابط الكيميائية بين مكوناتها وعن تأثير عملية الانضاج الحراري على هذه المكونات، وتحدث الفيزيائي عن العناصر التي تتكون منها مكونات التورته، وقدم الرياضي معادلات تصف سلوك هذه العناصر والجزيئات، وأخيراً حدثنا عالم الاقتصاد عن تكلفة صناعة التورته، لا شك أن العلماء قد أحاطوا بـ"كيفية" صناعة التورته من كل جوانبها، بعد ذلك وجهت إلى هؤلاء العلماء سؤالها "لماذا صنعت التورته؟ أي ما الغرض الذي من

(1) د. عمرو شريف-خرافة الإلحاد-ص 59.

أجله صنعت التورته؟ وهو ما يعرف بـ"الغائبة"، لم -ولن- يستطيع أحد من العلماء أن يقدم الإجابة، وفي الوقت نفسه لم ينقص ذلك من قدراتهم وكفاءتهم، أما عمي فضيلة، فقد ابتسمت ابتسامة عريضة، هل وصلت الرسالة؟⁽¹⁾ ولما كان الإجابة على العلة الغائبة عسيرة على العلم والفهم بل وعلى "التفسير العلمي" فقد اعتبر الإنسان أن لا غاية ولا هدف له (فاعتبره البعض - في المجتمع العلمي- حثالة كيميائية، والبعض الآخر اعتبره نتيجة عبثية عشوائية "لشيء ما"!) وكان الإنسان، لمن حكموا بهذا الحكم، هدفًا وغاية سخيفة، اتهم فيها الله بالتقصير أو الغائبة لما يحدث اليوم للبشر في كل بقاع الأرض...!

التاريخ الإنساني- ما بين العصور المظلمة حتى ساعة هذا العصر الحديث- يعيد نفسه اليوم بكل تفاصيله، بشكل ما، ولنوضحه ونؤكدده مرة أخرى:

في أمس كان الدين ضد العلم، لأنه الدليل إلى الله، وكشف لليد السوداء لرجال الكنيسة-أو السياسة الكنسية-، أما اليوم، فالعلم ضد الدين، لأنه الدليل إلى الله،

"من المفارقات المؤلمة، أن بعض رجال الدين في نهاية العصور الوسطى وقفوا في وجه العلم لأنه "يهدد" إيمانهم بالإله، وفي القرن العشرين، يقاوم البعض ما توصل إليه العلم لأنه "يمهد" للإيمان بالله!" الفن بلانتيجا- أستاذ الفلسفة الأميركي.

وكشف اليد السوداء
-والقلوب الأشد
سوادا- لرجال العلم
والسياسة!

بل إننا اليوم أكثر
سوادًا من أمس،

للشيخ عبد العزيز الطريفي قول قريب من هذا، فيقول في إحدى تدويناته: "نشأ (فصل الدين عن السياسة) في الغرب لأن دينهم فاسد وسيفسد السياسة، ونشأ الفصل في الشرق لأن السياسي فاسد والدين يفسد عليه سياسة!"

(1) المصدر السابق ص 57، 58.

في الوقت الذي اكتشف فيه نيوتن قوانين الحركة والجاذبية، لم يقل: ها قد اكتشفت السر الأعظم الذي يحرك الكون فلا داعي للإله، بل هذا زاده إيماناً وتعلقاً بالله، فقد ذكر في مقدمة كتابه (قواعد الرياضيات) قائلاً: "أتمنى أن يقنع هذا الكتاب الإنسان المفكر بالإيمان بالله!"

هذا يتناقض بالكلية مع توجهات "العلمية" والمتعلمين اليوم، فكلما اكتشفوا شيئاً أو خطوا بضع خطوات للأمام، قالوا: ها هو ذا دليل على عدم وجود الله! بل يتخذون العلم وسيلة لذلك! هذه الصبائية والطفولية تذكرني بالطالب الجامعي – في بلداننا العربي- الذي كل همه وغايته الحصول على الوظيفة والاستقرار المادي ولو على حساب ما هو أهم من ذلك: العقل والفكر والحقيقة أو كمن تملكهم العالم الافتراضي، واتخذوه بديلاً للواقع والعالم الحقيقي، أو وسيلة لغايات سخيفة، فهذا الإعماء عن الحقيقة، والاستبعاد للإله، عبارة عن خطاب قصير يوقعه "فاقد أهلية".

يتصور الملحدون الجدد، أو يعملون على: "أن تقدم علمي- كما يقول د. عمرو شريف- يسحب من رصيد الألوهية ومن ثم يدق مسماراً جديداً في نعش الإله!"

هذه العدائية والصراع الوهمي والطفولي بين العلم والدين يمكن أن تضرب عليه مثلاً بما قاله الكيميائي الإنجليزي بيتر اتيكنز: "إن العلم والدين لا يمكن أن يتعايشا! وعلى الإنسانية أن تقدر منزلة طفلها- يقصد العلم- وأن ترفض كل محاولات التوفيق وأن تعزي فشل الدين في مواجهة العلم وأن تنصب الأخير ملكاً!"

"أرى أنه غير محتمل بالمرّة أن يكون نظام الكون نشأ من الفوضى لا بد من منظم، وإذا كان الإله بالنسبة لي غامضاً فإنه التفسير الوحيد لدي لهذا النظام وأيضاً للإجابة عن سؤال لماذا انقطع الدم وبرز الوجود".
الان سانداج أبو الفلك الحديث.

إن كان هؤلاء العلميين الماديين يتمتعون بقليل من الموضوعية ويحرصون على سلامة المنهج، البحث العلمي.. لكانوا اكتفوا بلعب دور "الدفاع" لا "القضاء"! وما يوضح مدى سذاجة الموقف العلمي ومنهج البحث العلمي هنا، ذلك المثال الذي ضربه د. عمرو شريف للموقف "العلمي" للفيزيائي والصحفي البريطاني جون مادوكس، فيقول: "إن مادوكس يرفض أن يكون للكون بداية! لا بأس، لكم ما دليله العلمي؟ إنه يرفض (كما يقول): لأن القول بوجود بداية للكون يعطي حجية لرأي المتدينين! ⁽¹⁾ ويدحض الرافضون هذا الهراء (أن ينشأ من لا شيء دون سبب) لأربعة أسباب:

1. لم يقدم مدعي هذه التخمينات أي دليل علمي على صحتها.
2. إن العدم المطلق "اللاشيء" الذي يدعي هؤلاء أن الكون قد صدر عنه لا يملك "موارد" ولا "دافعاً" لإنتاج شيء ما، وإن افترضنا حدوث ذلك فلن يكون العدم عدماً مطلقاً.
3. مشكلة الملاحظة الكبرى هي تصورهم أن القول بـ"إله خالق" يتعارض مع "المنهج العلمي" لكن ألا يتعارض خروج شيء من لا شيء دون سبب- مسبب- مع المنهج العلمي- بل ومع المنطلق-؟! إن ذلك يدمر العلم الذي يقوم على البحث عن العلاقة بين الحدث والمسبب بل إن القول إن هذا الشيء قد حدث فقط يقضي على التفكير والتحليل المنطقي.
4. هناك إدراك عند البشر (عبر التاريخ والجغرافيا) ببداية فكرة "أن كل حدث له سبب" وهو ما يسمى بقانون "العلاقة بين الحدث والمسبب" لذلك فإن القول بوجود كون حادث (له بداية) دون محدث ودون مصدر سابق عليه سيكون خبرة البشرية الأولى والوحيدة في هذا الشأن!! ⁽²⁾

⁽¹⁾ د. عمرو شريف-خرافة الإلحاد-ص 114.

⁽²⁾ المصدر السابق-ص 116، 117.

الإلحاد.. تمهيد وتهديد:

تهديد للأخلاق وتمهيد للتخلف الإنساني والانحطاط البشري فكل شيء -بما في ذلك العلم- أحد طرفي معادلته الأخلاق، متى تدهورت الأخلاق تدهور كل شيء وعلى رأس ذلك العلم، ويعبر عن ذلك ما أصله الدكتور عمرو شريف عن أخلاق المجتمع العلمي فيقول: من المفاهيم التي أصلها الفيزيائي المؤرخ توماس كن أن العلماء في أبحاثهم لا يكونون محايدين أو ملتزمين بالموضوعية المطلقة بل إنهم يتمسكون بما "يروق لهم من نظريات" على الرغم من أن الأدلة قد تعارضها! وقد ضرب عشرات الأمثلة على ذلك، ويؤكد ذلك المعنى عالم الكيمياء والفيلسوف مايكل بولاني، فيعارض دعوى الموضوعية المطلقة في البحث العلمي ويتبنى أن ما يتمخض عنه بحث ما من نظريات هو أمر شخصي وليس موضوعي تحكمه مناهج محددة. فالعلماء يدخلون إلى موضوع البحث وهم محملون برغباتهم وعواطفهم وتحاملاتهم وانحرافاتهم مما يؤثر بشدة على الأدلة والمنطق العقلي، وقد تفاقمت هذه العوامل الذاتية مع تضخم تأثير رجال الأعمال والحكومات والرأي العام والطموحات والمشروعات العلمية.

"نحن نعيش في مجتمع يعتمد بشكل رائع على العلم والتكنولوجيا، لكن يكاد لا يوجد أحد يعرف شيئاً عن "العلوم" و"التكنولوجيا". كارل ساجان-الفلكي الأميركي الشهير.

ويلخص فيلسوف العلوم بول فييرابند الموقف في تعبير خطير إذ يقول: "إن بناء النظريات العلمية عملية ذاتية- ويضيف- وإذا كانت الموضوعية الكاملة مستحيلة فسيبقى الحس الجمالي والذوق الخاص وعقائدنا الدينية، باختصار لا يبقى إلا

الذاتية"، ولا شك أن تقبل وتطور نظرية التطور الدارونية من أشهر أمثلة الذاتية والتحيز في العلوم الطبيعية.

فعندما طرح داروين نظريته كانت الفلسفة المادية في عنفوانها وكانت تبحث عن أدلة علمية على صحتها، وقد وجدت في الداروينية ضالتها في النظرية -بزعم الماديين- تلغي الحاجة لوجود الإله، لذلك جعلها الماديون بمثابة ديانة لا إلهية لا يجوز الطعن فيها! إن ما حدث كان خطأ معرفيًا ومنهجيًا كبيرًا، فبدلاً من أن يؤدي اتباع المفاهيم العلمية إلى وضع الفلسفات الخاصة بالوجود حدث العكس! فقد انطلق الماديون من ماديتهم ليؤكدوا صدق نظرية علمية، وليدافعوا عنها دفاع المستميت (...) وإذا كانت النماذج المعرفية لا تغيب عن أي مجال من مجالات العلم حتى إن كل التخصصات تستخدمها فلا شك أن تعدد الاتجاهات والنظريات في كل مجال من مجالات العلوم هو أقوى دليل على ما أشرنا إليه من تأثير النماذج المعرفية بالمنظومة الذاتية، تأمل معي هذه العلوم وما يشمل عليه كل علم من رؤى متعددة:

التاريخ: النموذج الخطي أو الدورات النموذج العشوائي أو الغائي..

السياسة: الديكتاتورية، الديمقراطية، التحالفات..

الاقتصاد: الاشتراكية، الرأسمالية، الليبرالية..

علم النفس: السلوكيين، المعرفيين، الفرويديين، أنصار التحليل النفسي..

فلسفة الوجود: المؤلهة، وحدة الوجود، الربوبيين، الملاحدة..

الدين: السنة، الشيعة، الكاثوليك، الأرثوذكس..⁽¹⁾

ويوضح الدكتور عمرو شريف جوانب قصور هذا النموذج المعرفي الإلحادي في نقاط عشر:

(1) د. عمرو شريف-الإلحاد مشكلة نفسية-ص 274:272.

1- نموذج ذاتي متحيز:

يدعي الملاحدة الجدد أنهم قد توصلوا إلى آرائهم انطلاقاً من قناعات عقلية موضوعية، ولا شك أن ذلك هراء، فما إلحادهم إلا موقف ذاتي متحيز ضد الإله... وهناك بعض المواقف الصارخة الدالة على كذب ادعاء الملاحدة:

يقول توماس ناجل فليسوف الإلحاد: "كم يسيئني أن بعض من أعرف من العقول الكبيرة الحكيمة يتبنى المفاهيم الدينية، إنني لا أعارضهم لأنني لا أؤمن بالأدلة فحسب، بل إنني "أتمنى من داخلي" أن أكون على صواب في رفضي للإله، إنني لا أريد أن يكون هناك إله يتحكم في الوجود كما يدعي المتدينون"، وهذا عالم المناعة جورج كلين يصارحنا أن إلحاده ليس منطلقاً من العلم بل كان إيماناً مسبقاً اكتسبه في صباه، ويؤكد المعنى نفسه عالم الوراثة -الأميركي- ريتشارد ليونتن في حديثه عن صديقه كارل ساجان، فيقول: من الواضح تماماً أن القناعات المادية لساجان كانت عقيدة مسبقة شكلت نظرتة للعلم، ويتبنى ريتشارد ليونتن القناعة نفسها التي نسبها إلى ساجان ويقول: إن المادية هي المطلق، ولن نسمح للألوهية أن تقترب من الباب(...)

2- نموذج مبني على التحايل!

إن "النموذج المعرفي الإلحادي" ليس مرضاً في حد ذاته، بل هو أهم أعراض خلل نفسي وتمرد أخلاقي متجذر، ولقبول هذا النموذج المعرفي الشاذ المتضارب يلجأ الملاحدة

إلى أطروحات تفوق أشد أفلام الخيال العلمي شذوذاً وغرابة، ومن هذه الأطروحات:

- أن شيئاً يمكن أن ينشأ من لا شيء دون سبب -مسبب-!..

"أكثر الأمور المحزنة في جوانب الحياة في الوقت الراهن هو أن العلم يتقدم بخطى أسرع مما يحصل المجتمع الحكمة". إسحاق عظيموف- المؤلف والكيميائي الأميركي من اصل روسي.

- القول بفرضية الأكوان المتعددة- التي سنتطرق لها فيما بعد- وذلك لتفسير ملائمة كوننا الحالي لنشأة الحياة، إن هذه الفرضية تقول بوجود ما لا نهاية له عدد من الأكوان، لكل منها قوانينه الفيزيائية المخالفة للأكوان الأخرى! وإذا كانوا قد عجزوا عن تفسير نشأة كون واحد دون سبب أول، هل تصدق نشأة ما لا حصر له من الأكوان دون سبب وأيضاً دون دليل!

- يتبنى ريتشارد دوكنز مفهوم قدوم الحياة إلى الأرض من كوكب آخر محمولة على صاروخ انطلق من حضارة بعيدة ترغب في أن تنشر الحياة في الكون!! ويتبنى هذا الرأي فرانسيس كريك -عالم البيولوجيا الإنجليزي- إن دوكنز يتبنى تصور "الرجل الأخضر القزم" الذي أوجد الحياة على الأرض وبعد ذلك يصف المتدينين أنهم يهلوسون! كيف يطرح علماء أذكىاء مثل هذه السيناريوهات السخيفة من الشطط العلمي باعتبارها نظريات علمية؟! أي خلل علمي وعقلي وأي كذب وتحايل.

3- نموذج يفرز أيديولوجيا مدمرة:

لما كان النموذج المعرفي الإلحادي لا يخرج عن أن يكون تزيفاً للحقيقة في مستوياتها الأولية، لم يكن غريباً أن يفرز أيديولوجيات مدمرة كالماركسية والعدمية واللامنطقية.

4- نموذج يقف على ساقين كسيحتين:

يقف النموذج المعرفي الإلحادي على دعامتين عقليتين كاذبتين، الأولى هي الفلسفة الوضعية المنطقية التي تتبنى أن ما لا يمكن رصده لا وجود له، وقد أعلن سير الفريد

آير- الفيلسوف البريطاني- واضح هذه الفلسفة خطأها وموتها وذكر أنها تحتاج لمن يدفنها، على الرغم من ذلك قام الملاحدة الجدد بإعادة إحيائها!

"مصائب قوم عند قوم فوائد" المتنبي

والدعامة العقلية الثانية هي مجادلة الشر والألم التي طرحها ابيقور منذ أكثر من خمسة وعشرين قرنًا.

لقد تم الرد على هذه المجادلة من قبل فلاسفة عديدين ربما كان آخرهم سير انتوني فلو الذي كان زعيمًا للإلحاد طوال النصف الثاني من القرن العشرين.. كذلك قام رجال علم الكلام الإسلامي وأيضًا رجال اللاهوت المسيحي واليهودي بالرد على هذه المجادلة في مئات الرسائل ردودًا منطقية قوية، لكن الملاحدة أعرضوا عن كل هذه الردود وتمسكوا بحجّتهم الواهية.

دخل أستاذ الفصل وقال لتلاميذه: سوف أثبت لكم شيئًا: إذا كان الله موجودًا فهو شرير. هل الله خالق كل شيء؟ إذن إذا خلق الله كل شيء فقد خلق الشر أيضًا ما يعني أن الله شرير. حينها وقف أحدهم وسأل أستاذه هل البرد موجود؟ أجابه الأخير بثقة: بالطبع البرد موجود، من منكم لم يشعر بالبرد يومًا؟ فرد الصبي قائلاً لا في الواقع يا أستاذ البرد لا وجود له وفقًا لقوانين الفيزياء فإن ما نعتبره بردًا هو ناتج عن انعدام الحرارة.

1- مجادلة ابيقور، أو محاجة الخير والشر، تقول: هل الله يريد أن يمنع الشر لكنه لا يستطيع؟ إذن هو ليس كلي القدرة، هل هو قادر على منع الشر، لكنه لا يريد؟ إذن هو خبيث وشرير النزعة، هل هو قادر ويريد منع الشر؟ إذن من أين أتى الشر؟ هل هو غير قادر ولا يريد منع الشر؟ إذن لماذا نطلق عليه إله؟

ثم سأله مره أخرى: هل الظلام موجود يا أستاذ؟ فأجابه الأستاذ بالإيجاب، فرد الصبي قائلاً: لا، فالظلام أيضًا لا وجود له! الظلام في الحقيقة هو انعدام الضوء، نستطيع دراسة الضوء، لا الظلام، الشر أيضًا ليس كائنًا، إنه مثل البرودة والظلام، الله

لم يخلق الشر، الشر هو نتيجة ما يحصل حينما يتجرد قلب الإنسان من حب الله، وذلك كان رد ألبرت أينشتاين على مجادلة الشر.

5- نموذج المثلث المتداعي:

يقوم النموذج المعرفي الإلحادي عند كبير الملاحدة الجدد [ريتشارد دوكنز] على مثلث من المفاهيم التي تبث تداعيا، وإذا تأملنا العناصر الثلاثة التي يقوم عليها منهج دوكنز الفلسفي هي [التعارض، المماثلة، الاحتمالية] نجد أنها تجهض أية دراسة موضوعية بقضية الألوهية، ولا تسمح إلا بتبني الإلحاد! [...]

6- نموذج معرفي عاجز:

يلخص الفيلسوف هولمز رولستون قصور النموذج المعرفي المبني على الفلسفة المادية قائلاً: "لا يمكن أن يكون العلم [الذي يتبنى الفلسفة المادية كمنطق] نهاية القصة، فالعلم [بهذا التصور] لا يستطيع أن يُجيبنا عن أكثر الأسئلة إلحاحاً في حياتنا: من أين وإلى أين؟ ما معنى الحياة؟ كيف نُقيمها؟... وما زلنا بعد العلم نحتاج أن نعرفنا الصواب والخطأ، والخير والشر والغاية من وجودنا.."، إنه ببساطة نموذج عاجز عن الإجابة على أبسط الأسئلة التي يطرحها أبناؤنا عن مصيرنا ومآلنا، على الرغم من ادعاء أنصاره أنه نموذج متكامل لتفسير الوجود.

7- نموذج معرفي قاصر:

"إن التوجه العلمي الصحيح موقف ديني"، فالعلم لا يعمل إلا من خلال نظرة تؤمن بانضباط الكون وهذا موقف ديني، وبدون الالتزام بهذا الايمان، يتوقف العلم، بل ينهار". بول فيترز.

إذا كان النموذج المعرفي للإلحاد يدعي أنه يتبنى العلم كمنهج، فإنه بذلك يتحمل جوانب قصور العلم، فالعلم

الذي يقوم على البحث عن أسباب الظواهر يعاني قصورا شديداً الأهمية، في منهجه في جانبيين: الجانب الأول: هو أن العلم يتعامل فقط مع عالم المادة من ثم لا تخرج نظرياته وتفسيراته عن هذا العالم، ولا بأس في هذا، بشرط ألا يترتب على ذلك نفي وجود عوالم أخرى غير مادية دون علم، وهذا هو الخطأ الأكبر الذي يقع فيه الملاحدة الماديون، وجانب القصور الثاني: أن العلم في بحثه عن أسباب الظواهر يكتفي بالآليات المباشرة للظاهرة، ويتجاهل أن وراءها سلسلة من الآليات تتدرج حتى تصل حتماً إلى سبب أول، ولا بأس أيضاً في اكتفاء العلم بالسبب المباشر للظواهر، بشرط ألا يدعي العلماء الماديون أن ما يتوصلون إليه من آليات هو نهاية المطاف، وأنها ذاتية عشوائية لا سبب وراءها ويكون ذلك الادعاء أيضاً دون دليل.

8- نموذج منهار من داخله:

يمكن وصف النموذج المعرفي الإلحادي أنه يحوي داخله عناصر انهياره فهو يتبني عدداً من المفاهيم المتضادة فيما بينها، بل إن كلاً منها خطأ ومنهار داخلياً، ومن ثم فهو نموذج يكذب ذاته، يقدم الفيلسوف الأميركي الكبير الفين بلانتنجا دليلاً فلسفياً كاسحاً على صحة ما ذهبنا إليه، وينطلق بلانتنجا في استدلاله من أن جوهر النموذج المعرفي الإلحادي وهو الفلسفة المادية، وهم كبير يتعارض مع المنطق، يمهّد بلانتنجا لطرحه بمثالين يثبت من خلالهما أن تحقيق فائدة عملية لا تعني صحة وصواب المفاهيم التي حققت الفائدة [..]

9- نموذج معرفي أعمى معرفياً

"أصبح من الواضح أن التكنولوجيا التي أنتجناها تجاوزت إنسانيتنا".
ألبرت أينشتاين.

للكاتبة الأميركية جين أوستن قصة بعنوان إيما وبطلة القصة، كانت -إيما- شخصية عنيدة ترفض أن تستجيب

للسواهد والأدلة، وفي أثناء أحد الحوارات المحتمدة مع صديقها نايتلي، علق الصديق على عنادها قائلاً: "إن تكوني دون عقل أفضل من أن تسيئ استخدامه"، إن قول نايتلي ينطبق تمامًا على قضية الإلحاد - وأيضًا ذلك القول ينطبق على مفاهيم التطور والتقدم التكنولوجي والعلمي الذي يتجه بتسارع للخلف، لاستخدام المعرفة في الشر لا الخير- فالعقل إذا أحسن استخدامه كان نعمة يستمتع بها الإنسان في جميع مجالات الحياة ابتداءً من أغاني الحب إلى أعتى تقنيات القرن الحادي والعشرين.

أما إذا أسيء استخدامه، فلا شيء ينافسه في آثاره التدميرية، فالقنابل الذرية والحروب العالمية والثورة الماركسية لم تكن إلا نتاج عقول جبارة أسئ استخدامها، وقد كانت المصائب كبيرة حتى إنه من تسببوا فيها لم يتحملوها، ودليلنا على ذلك أن أوبنهايمر مخترع القنبلة الذرية سئل بعد إلقاء قنبلة هيروشيما: بماذا شعرت؟ قال تقيأت.. ويصف أستاذ الفلسفة والأديبات الأميركي جيمس سبيجل هؤلاء العباقرة المدمرين أنهم يرون العالم بعدسة نموذج معرفي كاذب أو مشوه أو منحرف، ومن ثم فهم يعانون "عمى معرفيًا" فنموذجهم المعرفي يمنعهم من رؤية الحقيقة حتى لو كانت جليلة أمامهم.

إن العمى المعرفي أخطر بكثير من الجهل بالأمر، فالأول جهل مركب يستعصي على العلاج إذ يحيا

أصحابه في وهم الاستنارة والرؤية العلمية الثاقبة، بينما الثاني جهل بسيط قابل للإصلاح والتعلم.. كذلك فإن عمى النموذج المعرفي الإلحادي يجعل صاحبه عاجزًا عن رؤية المعاصي كأمر لا أخلاقي، ومن ثم يدخل في دائرة مغلقة:

هذا على المستوى النفسي.

أما على المستوى العقلي، فهؤلاء العميان معرفيًا يسخرون من قيم المتدينين ومفاهيمهم الأخلاقية، وذلك ليعوضوا ما يشعرون به من دناءة.

10- نموذج معرفي يطمس الفطرة

يستوقفني كثيرًا موقف المجتمعات الغربية من العلاقات الجنسية، فهو موقف يتصف بالفصام والازدواجية، فالمجتمعات الغربية تسمح قبل الزواج بقدر كبير من "الحرية الجنسية". تتعدد فيه العلاقات دون قيد أو شرط، أما بعد الزواج فعادة ما تراعي "العفة الجنسية" فتقتصر العلاقة على ما يحدث بين الزوجين، وتعتبر أي ممارسة خارج إطار الزواج بمثابة خيانة يستنكرها المجتمع! كيف تفسر هذه الازدواجية في النظر إلى العلاقة الجنسية- العلاقة الزوجية الحميمة- قبل وبعد الزواج؟! هل الأصل هو "الحرية الجنسية" ثم يأتي الزواج ليقيدها؟ أم الأصل هو "العفة الجنسية" التي يتم التغاضي عنها للحصول على أكبر قدر من المتعة قبل الزواج؟- هكذا يتساءل د. عمرو شريف، فيجيب:- قناعي أن الحضارة الغربية المادية ما كانت لتقيد ببساطة شيئًا تشتهي

النفس، لذلك قناعتي أن الأصل هو العفة الجنسية، لكن ما مصدر تلك العفة؟ إنه شعور يولد به البشر جميعًا، وينمو معنا ولا ندركه على المستوى الواعي، إنه أحد ملامح "الفطرة" [...]

"لا تستطيع أن تبني القيم الأخلاقية المطلقة على أي أساس إلا الدين".
ريتشارد دوكنز - ركائز الشيطان-

ص 93

ما علاقة مفهوم الفطرة بالنموذج المعرفي للإلحاد؟ يمهّد الفيلسوف الأميركي الكبير الفن بلانتنجا للإجابة هنا على التساؤل قائلاً: "إن أية منظومة إنسانية يمكن أن يصيها خلا لعدة أسباب أهمها أن تعمل في غير الوسط الذي صممت لتعمل فيه، ومن أمثلة

ذلك ما يعتري الإنسان من مشكلات صحية في المرتفعات العليا أو أعماق البحار أو غياب الجاذبية في رحلات الفضاء" ثم ينتقل بلانتنجا من هذا التمهيد إلى مفهوم الفطرة، فيقول: "إذا كانت الملكات الحسية والمعرفية يمكن أن تصيبها الأمراض، فالفطرة كذلك"، ويرى بلانتنجا أن الانحرافات الأخلاقية [المعاصي، الخطايا] تؤدي إلى اضطراب كل منظومات الوجود، والمنظومة المعرفية ليست استثناء، وأول اضطراب تسببه الخطايا هو عدم القدرة على التفكير السليم، ويشمل ذلك اختلال المفاهيم حول حقيقة الإنسان والقيم الأخلاقية والغاية من الوجود، وأصل الأشياء، وغيرها.. [...]

وإن كان علماء النفس يحدثوننا عن "الآليات النفسية لخداع الذات"، التي تعين الشخص على التنكر للحقيقة، فإن هذه الآليات هي الأداة الكبرى للنموذج المعرفي الإلحادي لطمس الفطرة من أجل تحقيق أكبر قدر من المتع، ومن أجل التنكر لفطرة الوجود الإلهي التي تعمل داخل نفوسنا.

"إن الهدف من العلم هو قتل الديانات التي تقوم على الإله وإحلال دين العلم مكانه!" ريتشارد دوكنز.

لذلك يتمرد الملحد على المنظومات الدينية التي تحد من شهواته وتطالبه بالتزامات أخلاقية

لا يريد الخضوع لها، فيتبني "بإرادته" النموذج المعرف المادي، الذي يُسوّغ له اتباع الهوى وارتكاب المعاصي، مما يؤدي إلى ما أطلق عليه بلانتنجا "التأثيرات النفسية للخطيئة"، وتؤدي هذه التأثيرات إلى مشكلتين، إحداها واعية والأخرى غير واعية، المشكلة الواعية هي "العمى المعرفي" الذي يمنع الإنسان من إدراك الإله الذي تتجلى شواهد في كل ما حولنا، والمشكلة اللاواعية هي "طمس الفطرة" التي تمحو الإدراك الخلقي لوجود الإله⁽¹⁾ وإحلال "العلم" محل "الإله" برغم نواقصه التي يحملها أصلاً

(1) د. عمرو شريف-الإلحاد مشكلة نفسية-ص 276-287، بتصرف.

وفصلاً فما البال بحجم تلك النواقص - الشنيعة والمدمرة - إذا ما كان العلم وسيلة
لإزاحة الإله!!

يقول العالم والعلامة الدكتور مصطفى محمود، في إحدى حلقات موسوعته المرئية
التي تحمل اسم [الصانع الأعمى] إن: "الطبيعيين أعطوا الطبيعة كل أسماء الله
الحسنى، ويريدون أن يختصروا- ويختزلوا- الخلق والخالق إلى شيء واحد: الطبيعة،
هناك نوع من التزييف واللعب بالألفاظ، وطالما أنتم - يا علماء الطبيعة/المادية -
محتاجون للخالق الذي يتصف بهذه الصفات فلما لا تقولون إنه موجود! بل ينكرون
ذلك، لأنهم لو قالوا إن الله موجود، فيجب أن يعترفوا أن الله له تكاليف وأنه سيحاسب
وأنتهم لا يريدون لأحد أن يحاسبهم أو أن يكون أحد أكبر منهم فالمسألة مسألة كبر ومكابرة،
إنما الدراسة والملاحظة في الحياة تؤكد وجود الخالق"، إذن فالمسألة ليست مسألة
تعارض ما بين الدين والعلم، بل هي مسألة أخلاقية ونفسية في المقام الأول، ويؤكد ذلك
المعنى عالم الأجنة الأميركي [ريتشارد ليونتين] التطوري المعروف، فيصارعنا قائلاً: "لقد
اخترنا جانب العلم على الرغم مما فيه من مفاهيم تنافي العقل بشكل واضح، وعلى
الرغم من عجزه عن تحقيق طموحتنا الصحية والحياتية، وعلى الرغم من كثرة قبول
المجتمع العلمي لمقولة just so [هو كده] كإجابة على الكثير من التساؤلات، لقد اخترنا
التفسيرات المادية للظواهر لقناعتنا المسبقة بالفكر المادي، ليس لأن نتائج العلم أقنعتنا
بهذه التفسيرات، وبناءً على قناعتنا المادية المسبقة وضعنا منظومة أبحاثنا وصممنا
أجهزتنا وتجاربنا لتصل إلى التفسير المادي المناسب لكل ظاهرة، وقد تجاوزنا في هذا
المنهج العديد من الاعتراضات والمآخذ، فقناعتنا بالفكر المادي قناعة مطلقة، ولن نترك
مجالاً لموضع قدم لتدخل الإله!"

قطيع يتبع القطيع!

التقدم الإنساني لا يمكن أن يكون، أو الحضارة تقوم في ظل غياب الإله والحساب والعتاب، وبالتالي مراقبة النفس، حيث إنه في الحضارة- المجتمع- المادي كل شيء متاح ومباح ومقنن، لدرجة أنه لا يمكن وصف ذلك إلا بـ"العدمية"، حيث المفاهيم اللاأخلاقية فيها حرية شخصية وفكرية وإنسانية، و"التطور الدارويني" حيث البقاء للأقوى والأجدر، و"التطور التكنولوجي" حيث الأسلحة الفتاكة والحروب وغزو عقل الغير ووطنه، والرأسمالية، حيث الغنى أكثر غناء على حساب الفقراء والضعفاء، والفقراء، أكثر فقرًا وعناءً، وفي النهاية يلحدون بسبب تساءلهم السخيف: لماذا يوجد هذا الشر؟ وهم بذرة شرور العالم، ومع ذلك فقد أصبح الغرب/المجتمع الغربي- في نظر أولئك الملحدون الجدد، العمى معرفيًا وعقليًا- هو الحداثة والتقدم والنمو والرحمة والإنسانية .. وكل شيء، حتى كاد المسكين يعلن "عبوديته" لهذا "السيد"!

هم بحق يعانون في المقام الأول "أزمة أخلاقية".

يقول الفيلسوف الألماني [إيمانويل كانت]: "لا يمكن تصور التزامات أخلاقية في-ظل- غياب الإله"، ويؤكد ذلك المعنى بشيء من الوضوح الإعلامي الأميركي الشهير، المهتم بحقوق الإنسان [ويليام إيملسون] بقوله:

"الإنسانية امتلكت كل التكنولوجيا المناسبة لجميع الأهداف الخاطئة".
ريتشارد فولر - المخترع والكاتب
الأميريكي

"ليس الجديد في الإلحاد عدوانيته ووقاحته فقط أو الترويج له إعلاميًا أو التناول العلمي للدين، لكن أشد الجديد ظهورًا هو مهاجمة الممارسات الإسلامية، بل والإسلام ذاته"، إنهم قطيع يتبع قطعياً، هكذا يصفهم ويروضهم ريتشارد دوكنز-أبو الملحدون الجدد- في كتابه

"وهم الإله"، بقوله: "إذا كانت القطط لم تمثل قطعياً بعد فإن أعداداً معقولة منها تستطيع أن تصدر ضوءاً مزعجة لا يمكن تجاهلها"، هذه ببساطة إستراتيجية القطيع! وهنا يضيف د. عمرو شريف، في كتابه [خرافة الإلحاد] قائلاً: "ومن أجل أن يصدر طلائع قطيع القطط وقائدهم دوكنز ما يكفي من الصراخ والضوضاء في مواجهة الأديان فإنهم لم يكتفوا بالأساليب المعتادة كتأليف الكتب والمقالات وإلقاء المحاضرات وعقد المناظرات والظهور في البرامج التلفزيونية والفضائيات والحديث عبر شبكة المعلومات [الإنترنت] وهي الطرق المعتادة لطرح الأفكار، بل إنهم ابتدعوا طرقاً جديدة.

ففي أثناء سيرك في شوارع لندن قد تقع عينك على أحد أتوبيسات النقل العام الحمراء ذات الطابقين وقد علق عليها إعلان لمحاضرة أو مناظرة لدوكنز، وكثيراً ما تقع عينك على إعلان كتب عليه: في الأغلب ليس هناك إله لا تقلق واستمتع بحياتك، هذا بالإضافة إلى ظهور مثل هذه الكلمات على مختلف السلع كالبيرة مثلاً، ومن إعلانات الأتوبيسات، إعلان يشترك دوكنز في دفع أجره مع الاتحاد البريطاني لحقوق الإنسان منذ عام 2009 ويظهر الإعلان طفلين سعيدين يخاطب كل منهما والديه قائلاً: من فضلكما لا تصنفوني "كمتدين" دعوني أكبر لاختار لنفسي بإرادة حرة، إن هذا الإعلان يدعو إلى الإلحاد بدعوة حرية الإرادة، إن الملاحدة يطالبوننا ألا نُعرض أطفالنا لتأثيرات تربوية تدعوهم للإيمان، بينما يتمادون في التأثير عليهم وتوجيههم للإلحاد، كذلك يمثل إعلان "غالباً ليس هناك إله،

"ينبغي أن يفيق العالم من كابوس الديانات الذي طال،
ينبغي علينا كعلماء أن نفعل أي شيء من أجل أن نخفض
من قبضة الدين، ولا شك أن هذا سيكون عطاءنا الأكبر
للحضارة"! ستيفن واينبرج - الفيزيائي الأميركي الشهير.

لا تقلق واستمتع
بحياتك" سقطة تربوية
خطيرة"⁽¹⁾. بل وأخلاقية
تحمل الكثير من
التطرف والتعصب..

(1) د. عمرو شريف-خرافة الإلحاد-ص 34.

فهذا هو الهدف وذلك هي الوسيلة، وهذا ما يؤكد دوكنز نفسه قائلاً: "ينبغي رفع وعي الآخرين بإظهار جاذبية الإلحاد المعاصر وبذلك نثبت أقدام الإلحاد في عالم

التطرف"! أعتقد الآن أن الملحدين الجدد قد وجدوا إجابة سؤالهم الحجة في كلمات قائدهم وكتبه -الملأي بالتطرف والتعصب-!

ومن جانب آخر يقول الفيلسوف الأمريكي [دانيال دينيت]- أحد فرسان الإلحادية الأربعة: "إن أي إنسان يشك اليوم في تنوع الحياة على كوكبنا، قد حدث بالتطور الدارويني فهو ببساطة جاهل لا يعذر!⁽¹⁾ فما بالنا بمن يؤمن بهذا الهراء! وقد كان أكثر أدباً -برغم ذلك- من دوكنز الذي كتب عام 1989 في النيويورك تايمز يقول:

"لا أتجاوز الحقيقة إذا اعتبرت أن من لا يؤمن بالداروينية إما جاهل أو غبي أو مجنون أو شرير مؤذ"! لذا يقولها سكوت هان صراحة: "-لقد - ذهبت أيام الإلحاد المؤدب"⁽²⁾.

الأخلاق عند من لا يؤمن بالخالق

من لا يؤمن بالله - الإله - لا يؤمن بالأخلاق والفضيلة، هي بالنسبة له - للماديين - مفاهيم نسبية، وغير حقيقية، هذا المفهوم لا يمت بصلة لـ "فلسفة الأخلاق".. إنها "فلسفة الإلحاد"، بعد دراسة تحليلية متعمقة لأكبر الشخصيات الملحدة، خرج لنا [بول جونسون] بمؤلفه [المفكرون] ليخبرنا عن: ما الذي يدور بعقل الملحد؟ وما الذي كون عقليته وشخصيته؟ وإلحاده أو فلسفته الإلحادية؟.. ملخص دراسته: أن العديد من الرموز الفكرية للبشرية كانوا إباحيين وكانوا أنانيين مغرورين، وإن اهتمامهم المزعوم

(1) دانيال دينيت-إبطال السحر-ص 46.

(2) ونفس المقولة تنسب لبنيامين وكر.

بالإنسانية كذب ونفاق يختفي وراءه قدر كبير من القسوة واللامبالاة بأقرب الناس إليهم خاصة عائلاتهم، ومن هؤلاء:

1- جان جاك روسو - فليسوف الاستنارة والثورة الفرنسية

حيث كان شديد الزهور والاختيال، لا يتحمل المسؤولية فقد أنجب الرجل 5 أطفال غير شرعيين تركهم في ملاحئ الأيتام، وهو ما كان يعني في أيامه الموت المبكر، ويذكر فؤاد زكريا- الأكاديمي وأستاذ الفلسفة المصري- اعترافات روسو بصداقته للساقطات، مؤكداً أن معظم أبنائه يسكنون إصلاحية الأحداث الباريسية، وجهاً بالمعصية، كتب روسو كتاباً، يحمل اسم (اعترافات جان جاك روسو) يعترف فيه بكل أفعاله

وأعماله، سواء الطيب منها أو البذيء، بالإضافة إلى أنه: قد كان سافلاً، لصاً، مخادعاً، غادراً، خائناً، كاذباً، دون أن يجد أي غضاضة في الاعتراف بذلك، وكان مجرداً من جميع الفضائل، لحق بالكاثوليكية طمعاً في بعض المغنم فأوته سيدة تدعى [مدام ميريكي] فسرق منها شيئاً يخصها، فلما اكتشفت أمره وخشي أن يفتضح، اتهم خادمها زوراً بالسرقة، ولم يكن مسلكه الجنسي أفضل حالاً فقد كان منفلاً إلى أقصى الحدود فقد تعرف في إيطاليا على سيدة تدعى [مدام وارتنز] كانت بروتستانتية وتحولت مثله للكاثوليكية، وكان في البداية يدعوها [أمي]، ثم تحولت إلى خلية، وعاش معها في بيتها يعاشرها معاشرة الأزواج دون أن يكدره أنها كانت تضاجع خادمها الخاص إلى جانبه! ولما مات الخادم حزن عليه ولم يعزه سوى علمه أنه سيستولي على ثيابه من بعده! وفي سنة 1745 تعرف على خادمة تدعى [نيريزي فاسبر] عاش معها بقية حياته دون زواج وأنجب منها 5 أطفال أدخلهم جميعاً دار اللقطاء، وفي آخر حياته سيطرت عليه الوسواس وجنون الاضطهاد فمات منتحراً⁽¹⁾.

(1) انظر: تاريخ الفلسفة الغربية، برتراند رسل-ص 288، 289، الإلحاد في الغرب-رمسيس عوض-ص 180.

عوضًا عن ما أثر عليه من الكذب والسرقة، ففي يوم من الأيام، لما لم يجد ما يقتات به، ذهب إلى القسيس الكاثوليكي في سافوي وادعى أنه يريد الهداية إلى المذهب الكاثوليكي على يديه- حينها كان عمره 16 عامًا، بعدما غادر جنيف وسافر لإيطاليا- ويعترف لنا روسو الذي لا يخجل من ماضيه المشين أن دافعه إلى ذلك لم يكن دينيًا على الإطلاق، بل كان ماديًا ودينيًا تمامًا، وكانت بداية نجاح "فيلسوف الاستنارة" الأدبي في كتابته لمقال بعنوان: [هل أفادت العلوم والفنون الجنس البشري؟]

ومنحته أكاديمية ديجون جائزة أحسن مقال عليه، وذهب فيه إلى أن العلوم والفنون والآداب هي ألد أعداء الأخلاق، وأنها تستعبد البشر وتفرض القيود عليهم في حين أن الإنسان البدائي الذي يسير عاري الجسد لا تكبله هذه القيود، فهو أكثر حرية وتلقائية وانطلاقًا من الإنسان المتمدن، ونحن نتفق معه تمامًا في ذلك.

2- ارثر شوبنهاور- الفيلسوف المتشائم

في سن السابعة عشر مات والده منتحرًا، كما أصيبت جدته لأبيه بهلوسة عقلية ربما بسبب حزنها المفرط على ابنها المنتحر، وانقلبت حياة ارثر إلى حياة شقاء بعد أن فقد أبيه الذي كان يحبه حبًا جمًّا، أما أمه فقد كان دائم الخلاف معها بسبب تحررها من كل قيود الفضيلة والأخلاق. وفي إحدى المرات تشاجر معها أثناء زيارته لها فدفعته على درج السلم فسقط لعدة درجات، فقاطعها ولم يرها ثانية حتى موتها، وربما هذا ما جعله يعزف عن الزواج نهائيًا، لكن لم يعزفه عن ممارسة الرذيلة، لدرجة أنه: "أصيب بمرض الزهري الجنسي نتيجة لإباحته الجنسية، وكان من الداعين لزواج أكثر من رجل من امرأة واحدة، مثله مثل الكثير من الملاحدة الذين يؤيدون العلاقات الجنسية المتعددة لكلا الجنسين" - كما يقول بول جونسون، في (المفكرون)- وفي سنة 1814م قدم أهم أعماله الفلسفية، كتابًا بعنوان (العالم كإرادة وفكرة "وكان منبهراً بهذا العمل، حيث أظهر اهتمامه بفلسفة توماس هوبز- الفيلسوف الإنجليزي الشهير- وبناءً على هذا العمل

حصل على وظيفة محاضر في جامعة برلين، لكن لسوء حظه كان يحاضر في ذلك الوقت فيلسوف ألمانيا [جورج هيغل] فأنصرف الطلبة عن محاضراته وفشل في حياته الأكاديمية، ولم يتم رواج كتابه كما كان يتوقع، بل إن الناشر اضطر إلى بيعه بعد 10 سنوات كأوراق مستعملة! وعزى شوبنهاور هذا الفشل إلى أن هناك مؤامرة تحاك به حوله من جميع المفكرين والفلاسفة الذين نعتهم بالحمير قائلاً: "إن كتابي هذا مثل المرأة، فإذا نظر فيها حمار فلا تنتظر أن يرى وجه ملاك". وكثير ما كان يحتقر أساتذته في الفلسفة، وهم بدورهم وصفوه بالكبرياء والغرور، فدائماً ما كان يردد بتكبر وعلياء: "إن فلسفتي هي في حدود المعرفة بصفة عامة، الحل الحقيقي للغز العالم وهذا المعنى يمكن أن نسميها "رؤيا" وهي مستوحاة من روح الحقيقة".

أقر شوبنهاور بالإبداع والإتقان والإرادة في خلق الكون، لكنه لم يرجع ذلك لله، إنما أرجعه إلى الطبيعة الجامدة، وكان ينظر للحياة باعتبارها شراً مطلقاً وتعاسة وشقاء، فليس كل تعاسة إلى سعادة، بل كل سعادة إلى تعاسة، وليس كل شقاء إلى راحة، بل كل راحة إلى شقاء، وليس كل مرض إلى صحة، بل كل صحة إلى مرض، فرأى أن الشقاء والعناء والمرض والألم والموت- ذلك هو-الأصل والأساس.

ومن فرط تشاؤمه لم يكن له أصدقاء وخلان.. إلا كلب، أطلق عليه [اطماً]- أي الروح الكلي- كان يسكن معه في الفندق الذي كان "يسكنه"! وقد أطلق عليه المقربون منه "شوبنهاور الصغير"! وكان دائم القلق والخوف والتوجس والتشاؤم ولا يأمن لأحد فيغلق الأبواب بعناية شديدة، ولا ينام إلا وسلاحه تحت وسادته محشو بالرصاص، ولم يسلم رقبتة لموس الحلاق طوال حياته، لئلا يتآمر مع الآخرين ويذبحه، فقد كان يسيء الظن بجمع الناس ويرى نفسه هدفاً لتآمر الناس واللصوص⁽¹⁾، ولهذا كان من "الطبيعي" أن ينهي حياته بيده كما فعل والده قبله! وقد قال في شبابه- على لسان د. عبد الرحمن

(1) رحلة الي قلب الإلحاد: بذار ورجال-حلمي يعقوب-ص 131 ومايليها بتصرف.

بدوي:- "أيتها الشهوة أيها الجحيم! أيها الإحساس أيها الحب الذي لا يشيع ولا يقوى على قهره شيء" - مضيئاً - وظل شيطان الشهوة يطارده كالجلاد في شبابه ورجولته⁽¹⁾ ومن الخطأ أن نظن أن شوبنهاور كان يضع تعاليمه موضع التنفيذ- كما يقول رمسيس عوض- فمن المعروف عنه أنه كان يستمتع بالطعام الهنيء والشراب الطيب ويلبي شهوات الجنس من آن لآخر.⁽²⁾

"إذا أصيب القوم في
أخلاقهم، فأقم عليهم مأتما
وعويلاً"
أحمد شوقي.

وقال في موضع آخر في كتابه
[ملحدون محدثون ومعاصرون]: "رغم
دفاعه عن حياة النسك والزهد وكرهيته
للنساء، فإن هذا لم يمنعه من إقامة
علاقة جنسية ببعضهن من آن لآخر-
مضيئاً- وبعد وفاته ترك مجموعة من
الأوراق التي سجل فيها بعض جوانب من

حياته الجنسية، كتبها باللغة الإنجليزية التي كان يتقنها، غير أن الوصي على تراثه الفكري
أثر أن يحرقها زاعماً أنه أوصى سفاهة بذلك وهو على فراش الموت".

3- فريدريك نيتشه- الفيلسوف الألماني الشهير

مات أبوه وهو لا يزال طفلاً فعكفت على تربيته بعض النسوة المتدينات اللاتي كن
يعاملنه في تدليل ورقة، وبالنظر إلى استقامته وحرصه على تجنب أقران السوء أطلق
عليه زملاء الدراسة اسم [القسيس الصغير] لكنه فقد إيمانه بالدين وبالإله في الثامنة
عشر من عمره، فزالت عنه بهجة الحياة، لأن الدين كان حجر الزاوية في بداية حياته،
وفي عام 1865 أطلع نيتشه على كتاب شوبنهاور [العالم كإرادة وفكرة] فوجد فيه كما

(1) د. عبد الرحمن بدوي- شوبنهاور- ص 26.

(2) رمسيس عوض- ملحدون محدثون ومعاصرون- ص 16.

قال: "مرآة طالعت فيها العالم والحياة بل وطبيعة نفسي مرسومة في جلال مخيف" وما لا شك فيه أن نيتشه تأثر بتشاؤم شوبنهاور، ومن ثم كان محققاً عندما اعتبر نفسه خليفة شوبنهاور، كما اتفق معه في حالة موت الأب الذي في الأرض، لذلك أعلن موت الأب الذي في السماء- في العقيدة.

الكنسية... فأعلن موت الإله، وربما موت الأب يعد دافعاً أو سبباً نفسياً للإلحاد، وهو ما يشترك في كثير من الملحدين أمثال جون بول سارتر وبرتراند رسل وديفيد هيوم، وآخرون كان آباؤهم قساة أمثال ج. وليز وكارل ماركس وسيجموند فرويد وفيورباخ وهتلر وغيرهم، يقول د. عمرو شريف: "أجمع كل من كتب سيرة الفيلسوف الألماني نيتشه أن آراءه الصادمة كانت انعكاساً لشخصيته المعقدة، بل إن نيتشه نفسه أكد ذلك حين قال: تتوقف فلسفة الفيلسوف على بنيته الشخصية، وفي حالة الإلحاد بصفة خاصة تعتمد الأفكار على الغريزة"⁽¹⁾، وقد كان يناشد الشعب الألماني الوثوق بأصالة غرائزه وما سوف يتمخض عنها من بطولة ومجد عسكري! إن كان ذلك غريباً، فالأكثر غرابة أنه في كتابه [فيما وراء الخير والشر] كان يدافع عن الشر ويهاجم الخير، بل وصل الأمر إلى أنه هاجم الفيلسوف الإنجليزي جون ستيورت ميل، الذي ذهب إلى أن واجب الإنسان يقتضي منه العمل على نصر الخير ودحر الشر! وناصب عداء كبير للديموقراطية والأفكار الداعية إلى المساواة بين البشر، ورأى في ذلك نوعاً من الغوغائية الذميمة، وكان يتمنى لو أن اندلعت الحروب واستمر القتال في كل أنحاء العالم، يقول د. عمرو شريف: "والمطالع لسيرة نيتشه الذاتية يلاحظ تعارضاً قوياً بين فلسفته المفرطة في الذكورية القاسية - حتى إنه يقول: إنني بطبيعتي أحب الحرب فالهجوم إحدى غرائزي" - وبين حقيقته كشخص محافظ مفكر، كثير المرض والشكوى من الصداع وآلام المعدة وأعراض مرضية أخرى ترجع إلى إصابته بمرض الزهري الجنسي، وكثيراً ما كانت هذه الأعراض تقعه في الفراش وتقوم أمه وأخته الصغرى برعايته، لذلك فإن هذه الفلسفة

(1) د. عمرو شريف-الإلحاد مشكلة نفسية-ص 162.

الذكورية القاسية ليست إلا قناعاً
تختفي وراءه حقيقة نيتشه المحافظة
وأيضاً الضعيفة".⁽¹⁾

يقول بول جونسون:

"يذكر فرويد وكارل يانج أن نيتشه
قد أصيب بالزهري نتيجة لعلاقة

جنسية مثلية في جنوة بإيطاليا، وكان من المؤيدين للعلاقات الجنسية مع المراهقين"،
وكان مصاباً بنوع من الهوس والمرض النفسي، وقد عرفت في عائلته حالات من الجنون،
وكان شهوانياً داعراً ولم يرتبط في حياته بأي امرأة عن طريق زواج شريف إلا في علاقات
غرامية مبتذلة ومع ذلك يندد بالمرأة ويمتدح العزوبة، وكان شديد البخل ويستخدم
مراسلين يتصيدون له الشواهد على شهرته ويصعب أن نجد في حياته شواهد على أي
فضيلة باستثناء الرفق بالحيوان⁽²⁾.

قضى السنوات العشر الأخيرة من حياته مجنوناً، وكان أصابه قبل ذلك أيضاً الزهري
نتيجة لممارساته الجنسية العابثة في لياليه الحمراء، وأصابه جنون هذيان العظيمة، وكان
مجرداً من التعاطف، متحجر القلب،
قاس، ولا يعرف الشفقة، خبيث لا يعبأ إلا
بقوته، وكان قد أحب زوجة صديقه فانجر
وحاربه في كتاباته من أجلها⁽³⁾.

"رجل بلا أخلاق، هو وحش تم
إطلاقه على هذا العالم". ألبير كامو-
الفيلسوف الفرنسي من أصل جزائري.

(1) المصدر السابق- ص 164.

(2) ويليام كيللي رايت-تاريخ الفلسفة الحديثة-ص 335، انظر أيضاً: تاريخ الفلسفة الغربية-ص 385،
386، 391.

(3) انظر المصدر السابق-ص 403، انظر أيضاً: فؤاد زكريا-نيتشه-ص 24، 25، ويليام كيللي رايت-
تاريخ الفلسفة الحديثة-ص 358، 359.

وفي حديث برتراند رسل عن فلسفة نيتشه – على لسان رمسيس عوض في كتابه [ملحدون محدثون ومعاصرون] – فقد قال: "إن هذه الفلسفة المربعة والمروعة أدت إلى ظهور الفاشية والنازية" – ثم يضيف الأخير قائلاً: "فيحلم بالرجل "السوبر مان"، الرجل النبيل الذي يحق له أن يحكم العاديين من البشر، هذا النبيل ليس قادرًا على ممارسة القسوة فحسب.

بل اقتراف الجريمة أيضًا، وليس عليه جناح لو ارتكب الجرائم!

والسوبر مان ليس مطالبًا بتفسير أعماله لمحكوميته، فهو مسئول فقط أمام أقرانه من السوبرمانات، وهو يصول ويجول في ساحة الوغي دون رحمة أو هوادة ودون أن تأخذه أدنى شفقة على أعدائه، ولا يهم في محاربة أعدائه أن يستخدم العنف والمكر ويعمل فيهم تفتيلًا!"

هذه الفلسفة تطبق الآن وتمارس على أعلى مستوى، على مستضعفي الأرض بحذافيرها، هذه الفلسفة قد مهدت لكل شرور العالم حتى يومنا هذا، وفي النهاية تجد من يؤمن بهذا الرجل ومن على شاكلته وينكر وجود الله.. بسبب شرور العالم!

4- كارل ماركس، الفيلسوف والاقتصادي الألماني

وهو الأب الروحي للشيوعية، وجرائمها لا تخفى على أحد، ومجمل حياته، كما ذكرها بول جونسون، أنه: معاد للسامية، متطرف، أناني، كسول، مستغل لا قائد، فاسق، داعر، كثير الخيانة لزوجته، ترك طفلًا غير شرعي، ورفض الاعتراف به.

5- ليوتولستوي – الأديب الروسي الشهير

كان مقامرًا مزمنًا، ومصائبًا بداء العظمة وزانيًا مغتصبًا للنساء، وكان يحترقهم ويحتقروهم ويزدري زوجته.

6- هنريك إبسن - الكاتب المسرحي النرويجي الأشهر

كان مزهواً مختلاً، وكان حقوداً لا قلب له، زير نساء، لا يبالي إلا بالمال يحتقر الفقراء والمحتاجين حتى ولو كانوا من عائلته!

7- ارنست همنجواي - القصصي والصحفي الأميركي الشهير، الحاصل على نوبل

كان سلوك الأديب الإنجليزي الكبير - كما يقول جونسون - يخالف اسمه [مخلص -Emest] فقد كان كذوباً، يحتقر النساء، فاسقاً، داعراً مدمناً للخمر، دمر نفسه ومات منتحراً.

8- برتراند رسل - الفيلسوف البريطاني الحاصل على نوبل

كان يحتقر النساء، وكان زانياً مزمناً، مغتصباً، خاصة تلميذاته الصغيرات، حتى في سنه الكبيرة، وعلى الرغم من ذلك استاء عندما مارست إحدى زوجاته الزنا.

9- جان بول سارتر، الفيلسوف الفرنسي الشهير، وسيمون دي بوفوار

"لا يمكن للإنسان أن يصبح عالماً، قبل أن يكون إنساناً". نواليس - الفيلسوف والكاتب الألماني.

كان "بول" فاسقاً ومغامر جنس حتى مع تلميذاته، لذلك كان سهل المنال لعشيقته سيمون دي بوفوار، التي اشتهرت بعلاقاتها الجنسية المتعددة بالرجال، حتى إنها منعت من التدريس لعلاقاتها الإباحية بتلاميذها.

10- الماركيز دي ساد- الفيلسوف الفرنسي

كان مدافعاً عن الحرية الجنسية، واشتهر بشذوذه، وعدوانيته الجنسية، حتى عرف أحد أنواع الانحراف الجنسي باسمه (السادية) وكان من الداعين للإجهاض، وقد رفض الألوهية لأنها تضع قيوداً على رغباته الجنسية.

11- مارجريت سانجر- الناشطة الأميركية، وإحدى الداعيات لحرية المرأة

لدرجة أنها كانت تدعو لممارسة "الرزيلة" بالمدراس، والإجهاض وهي من الأسماء الشهيرة في الدعوة للإباحية والتعددية الجنسية مع الدعوة إلى إلغاء مؤسسة الزواج، وقد اشتهرت بدعواتها للتحكم في النسل والإجهاض وتفوق الجنس الأبيض على بقية الأجناس.

وتقول: "إن هدي هو الإشباع الجنسي دون خوف من ولادة أطفال غير مرغوب فيهم، فالمرأة ينبغي أن تتمتع بالحق في أن تحيا، أن تحب، أن تتكامل، أن تصبح أمًا غير متزوجة! أن تخلق، أن تحطم..". وتقول أيضاً: "إن فراش الزوجية هو أسوأ عناصر النظام المجتمعي" كما تقول: "إن أكثر الأشياء رحمة تقدمها الأسرة لأحد أطفالها: أن تقتله!!" في تحليليه لهذا السلوك الإلحادي للأخلاقي وتلك الفلسفة العدمية، يقول الكاتب الإنجليزي الشهير ألدوس هكسلي:

"بالنسبة لي وللكثيرين غيري، فإن فلسفة العدمية كانت أداة للتحرر، وإذا كان التحرر الذي نتطوق إليه هو تحرر من بعض المنظومات السياسية والاجتماعية والأخلاقية فإن اعتراضنا على الجوانب الأخلاقية يرجع إلى أنها تتعارض مع حريتنا الجنسية.

إننا بإرادتنا الحرة
نحدد كيف وأين
نستخدم ذكاءنا،
فهؤلاء الذين يتبنون
أن العالم لا معنى له
إنما يفعلون ذلك لأنه
يناسب رغباتهم في ألا

"إذا شخص لا يؤمن بوجود إله ليحاسبه، إذن ما هي
الفائدة من محاولة تعديل تصرفاتك لتبقى في الحدود
المقبولة؟! هذا ما أعتقدته على أي حال. كنت دائماً أعتقد
بأن نظرية التطور حقيقة، بأننا أتينا من الوحل: عندما
موت لا يوجد شيء". جيفري دامر-السفاح التطوري

يكون للعالم معنى". ويؤكد ذلك المعنى الذي ذهب إليه هكسلي، الفيلسوف الأميركي
مايكل جونز، في تحليله للعقل العلمي والجمعي الإلحادي، يضع النقاط على الحروف،
قائلاً: "هناك نوعان من المفكرين، هؤلاء الذين يشكلون رغباتهم تبعاً للحقيقة، وهؤلاء
الذين يشكلون الحقيقة تبعاً لرغباتهم، وبين هؤلاء وهؤلاء يوجد طيف واسع من الأنماط
الفكرية".

فليس غريباً أن يكون أحفاد هؤلاء مدعي الفكر – الملحدون الجدد – بهذا السوء،
لطالما أنهم يحزون حزوهم ويسبرون وفقاً لخارطة الطريق الإباحية والشريرة والمعادية
المتطرفة والكئيبة واللاأخلاقية.. وزد ما شئت على تلك الشاكلة- التي رسمها هؤلاء
المرضى، المجرمين، للبشرية!. لهذا يزعم الدين هؤلاء الكسالى المتحمسين للتحرر وارتكاب
الفاحشة والرزيلة والسعي في الأرض فساداً وكساداً، إن جون كينيس – الاقتصادي
البريطاني الشهير – كان محقاً كل الحق عندما كان يصف دائماً الحداثة أنها "اللواط
الأعلى"، هذا ما صنعه المادية بالبشر والبشرية ألم يقل ريتشارد دوكنز- رجل التناقض
الثاني الذي فاق في تناقضه أستاذه شوبنهاور:- "إن الوجود لا تصميم فيه ولا غاية ولا شر
ولا خير ولا شيء إلا مبالة مؤلمة"، كما يقول نيتشه: "إن غياب الإله قد جعل الوجود
وحشياً فظاً" وهذا ما يعنيه تحديداً دستوفي بقوله المأثور: "إذا مات الإله كل شيء
مباح".

نستعرض الآن قشرة من سطح شخصيات بعض أشهر الملحدين الجدد:

12- أ- سام هاريس - عالم الأعصاب الأميركي:

رجل تواق للشهرة ولو على حساب الحقيقة، يسعى إلى ذبوع الصيت، وهو مفكر غير ملتزم، نرجسي لا يقبل آراء الآخرين، ويحاول أن يجعل من نفسه محورًا ومركزًا لأي مجموعة عمل، وقد نشر سام هاريس كتابه (خطاب إلى أمة مسيحية) على نفقته ليحقق الصيت، الكتاب مليء بالهجوم غير المبرر على الديانات، كقوله: تتبنى الديانات مبادئ تدعو إلى قتل الآخرين من أجل أن يؤمنوا بها! ويصفه عالم الأنثروبولوجيا سكوت اتران أن هجومه على الدين لا أساس علمي له، ولا حجة وراءه، وأنه ساذج سياسيًا وأن فكره غير مثمر⁽¹⁾.

"لو كان بإمكانني الحصول على عصا سحرية، واستطعت القضاء إما على الاغتصاب أو الدين، لما ترددت أبدًا في القضاء على الدين"! - سام هاريس.

يقول سام هاريس منتقدًا علماء الطبيعة المعتدلين دينيًا، مسقطًا عليهم فسادهم - كملحد - العلمي، قائلاً: "حان

الوقت للعلماء والمفكرين أن يلحظوا أن المنافسة بين الإيمان والعقلانية نتيجة صفرية، ليس ثمة شك في هذا، لكن علماء الطبيعة المعتدلين دينيًا مثل فرانسيز كولنز وكينيث ميلر يتسبون بضرر دائم لحديثنا بسبب حالة التوافق التي صنعوها مع اللاعقلانية الدينية!" وحين رشح فرانسيز كولنز لرئاسة معاهد الصحة الوطنية الأمريكية [Nih] هاجمه هاريس بشدة مبررًا هجومه أن تدين كولنز سيؤثر سلبًا على دعم البحث العلمي!" وأنه متنكر للرؤية العلمية المادية للوجود.

(1) - د. عمرو شريف - الإلحاد مشكلة نفسية - ص 207.

يصفه جيري كوين أنه: "مثير للخجل للمعاهد الوطنية الصحية وللعلماء، وجرماً لجميع البشر العقلاء".

كما يصفه الملحد الشرس [بي زي مايرز] بقوله إنه: "شخص مغفل يؤمن بفكرة الخلق! وإنه ضد النظريات العلمية"، وفي مقام آخر يصفه أنه "مهرج"، "وأن جميع ما كتبه حيال طريقة تفكيره في العلم هو مجرد [زبالة]"! لا يمكن أن تقرأ للملحد، دون أن تجد تناقضاً في كلماته وأفكاره، وسكوت أتران ليس استثناء، بل هو مثال حقيقي لهذا التناقض، فيتحدث عن هاريس قائلاً: "أنا لا انتقد سام هاريس أو أولئك الذين يوافقونه في رغبتهم في تخليص العالم من المعتقدات الغوغائية التافهة والبربرية الخاطئة التي عفا عليها الزمن- يقصد الدين- اعترض في طريقة مكافحتهم لمثل هذه المعتقدات التي غالباً ما تكون بلا قاعدة علمية وعن جهل ذاتي وسذاجة سياسية! ويأتي بنتائج عكسية للأهداف المشتركة التي نريد الوصول إليها"! الملفت والمثير للتقزز والدهشة في الوقت نفسه أنه يحاول علاج المشكلة بالمشكلة نفسها التي يريد علاجها! عذراً دوكنز، فأتران هو رجل المتناقضات الثاني، بل عذراً شوينهاور، فهذا الأتران هو رجل المتناقضات الأول! إن الدوغمائية والتفاهة والبربرية، -تلك المفاهيم التي ربطها أتران- وأشباهه- بالدين - لا وجود لها إلا في أفكار وفكر هؤلاء العمى معرفياً.

13- ب- كريستوفر هتشنز -الكاتب الصحفي البريطاني- أميركي:

كان يتبنى طوال حياته المهنية أسلوب "الصدمة" للحصول على الاهتمام، ولفت الأنظار.. فهاجم الأم تريزا ووصفها أنها أصولية متعصبة خادعة، تسببت في شقاء الملايين لتحقيق الشهرة! وقد حصل على شهرة كبيرة نتيجة لهذا الهجوم، وقد وصفت أستاذة

الفنون الملحدة كاملي باجليا، هتشز، أنه نرجسي منغمري اللذات، ولا يعير اهتمامًا لأي شيء إلا ملذاته الشخصية.⁽¹⁾

14- ج- ريتشارد دوكنز- البيولوجي التطوري، البريطاني:

على عكس ما يظن البعض أن ريتشارد دوكنز [جراح] مثلًا أو متخصص في [التشريح] أو حتى في [الحفريات والمتحجرات]: فإن الرجل هو عالم سلوك حيوان في الأصل من جامعة أكسفورد بريطانيا، وعندما أرادوا ترقيته، لحديثه عن التطور فصار يرفق بتعريفه وصف: عالم البيولوجيا التطورية!

"لا يوجد شيء طبيعي أكثر من الاغتصاب! البشر تغتصب، الشيمبازي تغتصب، الأورانجوتون- نوع من القردة- تغتصب، الاغتصاب من الواضح هو جزء من الاستراتيجية التطورية لتمرير جيناتك إلى الجيل اللاحق!"
سام هاريس.

يقول الناقد البريطاني الكبير تيري ايغلتنون عن دوكنز: "تخيل رجلًا يسهب في الحديث عن علم البيولوجيا ومبلغه فيه لا يتجاوز ما ورد في كتاب

الطيور البريطاني!" في حوار مع جيلز واتيلز، يتحدث عن النسبية الأخلاقية- في نظره .. من وجهة نظر صبيانية، لا فلسفية حتى!- يقول: "وأنا أنظر عدة عقود إلى الوراء، إلى طفولتي، أرى أشياء مثل الضرب بالعصا أو الاعتداء الجنسي على الأطفال، هذه الأشياء لا يمكن أن أدينها بالمعايير نفسها التي أدين بها شخص يقوم بالفعل نفسه في وقتنا الحالي!" فهل يمكن أن نقول إنه في الماضي مثلًا [عندما كان طفلًا غير ملحد] كانت هذه الأشياء سيئة ومرفوضة وظالمة ومستبدة، أما اليوم، عندما صار رجلًا ملحدًا ماديًا، لا يعترف بالروح والنفوس والمشاعر والعواطف، صار لا يمكنه إنكارها! المشكلة أن دوكنز لا

(1) المصدر السابق-ص 207.

يرى إشكالاً في التحرش بالأطفال طالما كان بلطف! لا يرى أن الاعتداء الجنسي على الأطفال - ولو - بلطف واعتدال سيسبب الأذى لهم!

والجدير بالذكر أن دوكتز نفسه قد تعرض للتحرش في صباه، في المرحلة الإعدادية من أستاذه بسالبوزري، وأربع مرات أخرى في أوندل، وقد ذكر ذلك بنفسه، خلال لقائه مع مجلة التايمز عدد 7 سبتمبر 2013.

ودون الخوض في تفاصيل! فقد وصف هذا التحرش بـ[الجنس المعتدل]!

وقد اعتبر أن الخيانة الزوجية أمراً عادياً- بعكس الزواج!- وراح يقول: "لماذا كل هذه الهواجس حول الإخلاص لزوجة واحدة؟ لماذا نعتبر كلمة "الغش" هي الوصف لذلك؟! ولماذا يشعر الإنسان أن له ملكية خاصة في جسد إنسان آخر؟"! ويضيف متسائلاً: "لو افترضنا أننا وجدنا طرقاً للقضاء على الأمراض الجنسية المعدية [وهي التي قضى الله تعالى أن تكون عقاباً للزنا] ووجدنا طرقاً للقضاء على مشاكل الأبوة (حيث تحمل الفتاة أو المرأة في الخارج ثم لا تعرف من هو الأب من بين كل من زنوا معها] السؤال: ما الخطأ في حب أكثر من شخص؟ ولماذا تستنكر المتعة الجنسية لحبيبك مع شخص آخر إذا كان هذا ما يميل إليه؟!

"إن دينيت وغيره- من الملاحدة- الجدد- ممن يتبعون المذهب الطبيعي لا يدرون شيئاً عن فلسفة الدين التي تشغل ثلث الفلسفة، ومع ذلك لا يتوقفون عن الخوض فيها والهجوم عليها. ينبغي أن يعوا أن الربع الأخير من القرن العشرين قد شهد موجات انحسار الفلسفة المادية لصالح الفلسفة الدينية". الفن بلانتيجا- الفيلسوف الأميركي.

وقد انتقد كثيرون فكر هذا الرجل، حتى الملحدون أنفسهم فقد صرح مثلاً فيلسوف العلوم الإنجليزي مايكل روس قائلاً: "كتاب (وهم الإله) جعلني أشعر بالخجل من كوني ملحدًا، دو كينز وجماعة الملحدين الجدد يزدرون حتى من يحاول أن يفهم الدين، إنه كطالب في السنة الجامعية الأولى، يدور بفرح ويصرخ بصوت عالٍ: "من خلق الخالق؟" وكأنه اكتشف مسألة فلسفية خطيرة! ويقول كذلك بصورة أشد نقدًا وكشفًا لضالة فكر دو كينز: "دو كينز ملحد وقح في جهله بالفلسفة واللاهوت وتاريخ العلم".

أما الفيلسوف الملحد توماس ناجل فهو يقول عن "وهم الإله": الكتاب عبارة عن نقد ساخر، مجرد فلسفة هواة لا أكثر!⁽¹⁾، الذي يذكر فيه مثلاً: "من الصعب جدا الدفاع عن القيمة الأخلاقية المطلقة على أرضية أخرى غير الدين"⁽¹⁾

هكذا تخلى الكثيرون من أنصار دو كينز عنه بعد أن مارس غروره بتلقائية شديدة في كتابه الأخير وملاه ببذاءات كثيرة، منها:

- ما إن يتصفح المؤمنون كتابي فإنهم سيصبحون ملاحدة قبل أن يضعوه جانبًا.
- لقد تشبعت أدمغة المؤمنين بأفكارهم، بحيث لا تستجيب للدليل والبرهان، تمامًا كما تتخلل الصبغة النسيج، وقد تكونت هذه المقاومة تدريجيًا عبر سنوات طويلة من التلقين منذ الطفولة.
- عندما يعاني شخص أوهام نصفه بالجنون أما عندما يعاني مجموعة من الناس الأوهام فإننا نعتبرهم متدينين.
- إن ذوي التوجه الديني يعانون العجز عن التفرقة بين ما هو حقيقة وما يريدون أن يبدو كحقيقة.

(1) يتصرف عن: الباحثون المسلمون-الوجه الآخر للعلم: ريتشارد دو كينز في ميزان العلم والعقل والمنطق والنفس والأخلاق-مقال رقم 983.

- لا تجد حضارة تتسم بتضييع الوقت والمال والطقوس العدائية والأفكار المنافية للحقيقة، والأوهام المعوقة للإنتاج قدر ما تجد في الأمم المتدينة.

"لا شيء في العالم يفسد الأخلاق كاللأل". سوفو كليس

ويشخص سكوت هان -المفكر الأميركي- سبب ما ينضح به الكتاب من تدني أخلاقي قائلاً: "إن الكتاب لأذع، جارح، مليء بالغضب -أو قال: تعصب-.

وبعد سقطة معجلة لدوكنز، ولا يصنف كعمل فكري موضوعي، إنك تشعر وأنت تقرأه أنك أمام محاولة يائسة من شخص يعصف به الضيق لأنه لم يستطع التخلص من معارضيه الذين لا يزالون يملأون الساحة، إن الكتاب يبدو كهزيان شخص ملأه الغرور والزهو بعد أن أفرط في شرب الخمر، فأخذ يبعثر سبابه الحاقد على من لا يشاركه الرأي⁽¹⁾ وفي خطاب لقطعانه المنتشرين هنا وهناك على المنتديات وشبكات التواصل الاجتماعي، وكان ذلك خاتمة أحد التجمعات الإلحادية، التي قال فيها موصياً: "اسخروا منهم، واستهزأوا بهم علانية إياكم أن تقعوا في فخ العرف الدارج: إننا مؤدبون جداً، نتحدث عن الدين، الدين ليس مرفوعاً عن الطاولة ولا هو خارج عن حدود النقد، والدين يقدم تصورات معينة عن الكون التي نحتاج إلى التثبيط منها، ينبغي تحديدها والسخرية منها باحتقار!" فهذا هو سلاحهم: الطفولية والغوغائية.. بالإضافة إلى سلاح الإسقاط النفسي! فمن يتخلى عن الله، يعز عليه التخلي عن أيا ما كان ومن كان.

كان يدير موقع دوكنز الإلكتروني شخص يدعى [جوش تيموثن] وهو شخص قريب جداً من هذا الأول، لدرجة أنه قام بإهداء كتابه [أعظم عرض على الأرض] له، بما يدل على احتفائه به، لكن دوكنز سنة 2010 قام برفع دعوى قضائية ضد جوش متهمًا إياه أنه احتال عليه بسرقة مئات الآلاف من الدولارات من خلال بيع المعروضات الإلحادية

(1) د. عمرو شريف-خرافة الإلحاد-ص 321- بتصرف.

والأعمال التذكارية الخاصة به من خلال الموقع مطالبًا إياه بتعويضات تصل إلى 950 ألف دولار!

ودافع جوش عن نفسه، معتبرًا أن ما قام به دوكنز خيانة كبرى، واتهامًا غير مدلل! حتى أقرب الناس منه لم يسلّموا من مكره! أما عن هدفه ورؤيته، فيخبرنا الفيلسوف الأميركي توماس ناجل أن: "أحد أهداف دوكنز هو إلغاء هذا التقليد الذي يبدي احترامًا نحو الدين الذي هو من آداب الحضارة المعاصرة، يقوم بهذا من خلال الانتهاك المستمر لهذا العرف وأن يكون مهينًا بالقدر الذي يستطيعه وأن يشير بغضب وهو مبتهج إلى المعتقدات الدينية أو الممارسات التي تبدو سخيّة أو مدمرة -في نظره-!"

"إن مهمة التنصير ليست هي إدخال المسلمين إلى المسيحية فإن هذا هداية لهم وتكريم! فإنما مهمتكم هي أن تخرجوا المسلمين من الاسلام، فيصبح مخلوق لا صلة له بالله!" صمويل زويمر-المبشر الكنسي الأمريكي.

ولتعرف مدى تطرفهم وتطفلهم وعدوانيتهم وإرهابهم.. انظر لما يقول سام هاريس، فهو يقول بكل وضوح وصراحة: "إن فكرة الحرب على الإرهاب لا معنى لها، وإنه حان الوقت للاعتراف أننا لسنا في حرب مع الإسلام إنما

في حرب تحديدًا مع الرؤية للحياة التي يحددها القرآن لكل المسلمين!"⁽¹⁾ فلا أستطيع تفسير ذلك، هل هو حقد أم تخوف أم مرض عقلي وإن ثبت إحداهم، ثبت أخراهم! فحريهم ليست على الإسلام، بل على السلام، وعلى الحق، على الفضيلة، على الأخلاق، لهذا يتخوفون، وهذا مبعث حقدهم وكرهم وتعصّبهم، النقيصة- لا الفضيلة ولا السلام- تسيطر على هؤلاء بشكل مخيف ومرعب.

(1) عبدالله صالح العجيري-ميليشيا الإلحاد.. ص 70.

في كثير من مناظراته كان هيتشنز يقوم بسؤال المناظر النصراني أو اليهودي في أكثر من مناسبة: أيهما تفضل: أن أكون مسلمًا أو ملحدًا؟ أو يسأل: أيهما تفضل أن تحكم أوروبا بالشرعية أم بالعلمانية الملحدة؟

أو يسأل: في أي دولة إسلامية اليوم تود أن تعيش؟

الطريف أنه وفي إحدى المناظرات التي عقدها مع أحد اليهود طرح عليه هذا السؤال، فكان جواب اليهودي: أفضل أن تكون مسلمًا معتدلاً.

بل إن دوكنز وصلت به البذاءة والتجرد الأخلاقي أن يعبر عن احتقاره لمن لا يسيء للإسلام أو الرسول محمد- صلى الله عليه وسلم- بنشر صور كرتونية للرسول الكريم. وقد قال قبل ذلك في إحدى تدويناته: "من الممكن أن أستسلم لإرادتك بمنع نشر هذه الصور لأنني أخاف من بربريتك! لكن لا تعتقد للحظة واحدة أن هذا ناتج من الاحترام.. أنا لا أحترمك، أنا أحتقرك!".

وكثيرا ما أفحم في مناظراته، وكان أضحوكة بسبب جهله وسطحيته وخوضه بما يجهل، فعلى سبيل المثال في إحدى مناظراته مع جون لينوكس- الفيلسوف وعالم الرياضيات البريطاني- ادعى أن الإيمان الديني لا يقوم على برهان، بعكس الإيمان العلمي!، بل تمادى واعتبر أيضا أن الإيمان بالأشخاص غير مبني على دليل فأفحمه لينوكس، وسأله عن إيمانه بإخلاص زوجته، هل لا دليل عليه؟! وفي إحدى مناظراته مع هيتشنز، ذهب الأخير إلى أبعد مما ذهب إليه الرفيق دوكنز، وقال: كلما ازداد إيمان إنسان بشيء ما، تضاءلت فرصة أن يشتمل هذا الشيء على حقيقة. فسأله لينوكس: هل تؤمن أنك موجود؟ إن قلت نعم، تضاءلت فرصة أن يشتمل هذا القول على حقيقة، وكلما ازداد إيمانك بوجودك، قلت صحة ما تقول!

فلسفة الملحدین فلسفة تناقضية اعتبارية، دائماً ما يرمون أنفسهم بنفس الحجارة- الحجّة- التي يرمون بها غيرهم، فيهدمونها من فورها بأنفسهم! أما عن تكهناتهم ضد الدين-وتحديداً الإسلام – بدون مبرر أو حجج معقولة، فقط دافعها الجهل والتعصب، فيرد عليها بكل موضوعية السياسي الألماني يورغن تودينهورف.

"مادام هذا القرآن موجوداً فلن
تستطيع أوروبا السيطرة على
الشرق، ولا أن تكون هي
نفسها في أمان". غلادستون-
الإسلام على مفترق الطرق،
ص39

فهو يقول: "هناك مع دولة
مسلمة لا أحد منهم قد اعتدى على
دولة غربية في الـ200 سنة
الماضية، كنا نحن دائماً من يهاجم
الدول عسكرياً أثناء الحروب
الصلبية الدموية وأثناء
الاستعمارات والحربين العالميتين
وفي مذبحه الهولوكوست كذلك،

وعندما قرأت أكثر اكتشفت أنه لا يزال 83% من الألمان يعتقدون أن المسلمين
متعصبون، اتضح أننا لا نعرف الكثير عن العالم الإسلامي.. المتعصبون يتواجدون في
الغرب وأنا شخصياً لم أجد الحب والكرم أفضل منها في دول العالم الإسلامي".

حقائق علمية أم خيال علماء؟

المعرفة الإنسانية [البشرية] مقصورة بطبيعتها ويعتبرها النقص، إذا ما أضفنا إلى
ذلك أن بعضها مُسلم بها [أي غير صحيحة وغير حقيقة].

وبعضها نجهل بها- سواء كان قسراً وتضليلاً أو جهلاً طبيعياً- فإنه يمكن القول
والتأكيد مرة أخرى على فكرة أننا بالفعل نتقدم إلى الخلف والتخلف، وهذا يرجع إلى
"الثقة العمياء" في العلم والعلماء وكأنهم رسل من الله لا ينطقون عن الهوى!

في 7 يونيو من العام المنصرم خرج علينا الأستاذ المساعد بكلية علوم الأرض، جامعة أوترخت الهولندية، جوليان كبرشر، بمقال صادم⁽¹⁾ للذين يثقون ثقة عمياء في كل ما تنشره المجلات الأكاديمية وكأنه كله صحيح 100% ولا يضعون احتمالاً صغيراً للخطأ!، المقال نشرته جريدة الجارديان تحت عنوان: لماذا لا يمكننا الثقة في المجلات الأكاديمية أن تخبرنا الحقيقة العلمية؟

وجاء في مقدمته: لقد خرج مئات الآلاف من العلماء إلى الشوارع في أرجاء العالم في شهر أبريل الماضي، وقال صديق لي من المشاركين في مسيرات العلم هذه: نحن نحتاج العلم لأن العلم يخبرنا الحقيقة، نحن الذين نستطيع أن نكافح الأخبار الكاذبة، وكنت أتمنى أن هذا الأمر صحيح، لكن تشير معظم الأدلة للأسف عكس ذلك.. مضيفاً: إن فكرة أن نفس التجربة ستنتج دائماً نفس النتيجة بغض النظر من يجربها، هي أحد أسس زعم العلم أنه الحقيقة، لكن أكثر من 70% من الباحثين الذين شاركوا في دراسة حديثة منشورة في مجلة نيتشر حاولوا وفشلوا في تكرار تجارب العلماء الأخرى! ووجدت دراسة ثانية أنه لا يمكن تكرار 50% على الأقل من بحوث علم الحياة، وانطبق نفس الشيء على 51% من الأوراق العلمية في علم الاقتصاد، مضيفاً أنه قد تحوي المجلات الأكاديمية "أخباراً كاذبة" مثلها مثل "أي" مصدر معلومات آخر!

مضيفاً أن 14% من العلماء يقولون إنهم يعرفون عالماً زيف مجموعة بيانات كاملة، ويقول 72% إنهم يعلمون أحداً تورط في ممارسات بحثية مشكوك فيها من إسقاط نقاط بيانات مختارة إلى تضيق نتائجهم. يفضل العلماء عادة عزو الاكتشافات إلى كفاءتهم الأكاديمية إلا أن إحدى الدراسات قدرت بأن ما يصل إلى 50% من جميع الاكتشافات العلمية قد تكون نتيجة الصدفة. انتهى.

(1) المقال بتصرف عن: الباحثون المسلمون-الوجه الآخر للعلم: الثقة العمياء في كل ما يتم نشره-مقال رقم 4740.

ولطالما تكلمنا عن "الحقيقة العلمية" و"الخيال العلمي" فكان بديهياً أن نذكر "ستيفن هوكينج"- الفيزيائي والرياضي البريطاني - فهو عبقرى رياضيات، ويُشهد له في ذلك، أما في مجال الفيزياء النظرية فقد جعل العلم يسلك مسلكاً خيالياً. ويشهد له في الأخيرة أيضاً! فأقحم الخيال في العلم، وما رواء الطبيعة في الطبيعة، وعرف بتناقضاته الشديدة- كعادة الملاحظة!- ومن أغرب تلك التناقضات هي التي ساقها في كتابه [تاريخ موجز للزمن] من أن الكون نتج عن مراحل صدفوية، ولكن في ذات الوقت ذكر في نفس الكتاب بعض الحقائق العجيبة التي تعبر عن مدى دقة ضبط قوانين الكون وثوابته منذ لحظاته الأولى!

وفي عام 2010 خرج علينا بكتابه [التصميم الذكي] والذي حاول فيه تفسير الكون.. ليس بأن له صانع وخالق كما يقتضي العقل والفطرة السليمة، لا وإنما خرج لنا بما أسماه [Theor m]، نظرية كل شيء، أو النظرية إم، أي أن كوننا بهذه الدقة المذهلة لأنه أحد أكوان متعددة أخرى كثيرة جداً وعشوائية! الغريب في الأمر أنه قد ذكر الرجل في مقدمة كتابه: "إن الفلسفة قد ماتت" أي أن الرجل سيلتزم في كتابه حدود وشروط العلم المادي التجريبي والبحث العلمي، بعيداً عن إقحام الأفكار والتفسيرات الميتافيزيقية غير القابلة للرصد أو التجريب. لكنه لم يلتزم بما قال. ففي الوقت الذي لا يجرؤ فيه عالم مادي على الحديث عن ما قبل 1 على 351.

من الثانية الأولى من عمر الكون، نجد هوكينج يشطح بخياله بعيداً

- وربما لأبعد من النسبة المذكورة!- خلف حدود المعقول والمرصود زماناً ومكاناً ليحدثنا عن عدد مهول من الأكوان المزعومة المتعددة التي يبلغ عددها 50010 أكوان (10 مرفوعة للاس 500)، أي عشرة وأمامها خمسمائة صفر من الأكوان! وكعادتهم أيضاً، فالرجل يتضح من كلماته أنه يعاني من عقدة نقص أو هدفه وراء ذلك هو رغبته المحمومة في بقاء اسمه مثل العلماء الكبار كإينشتاين ونيوتن، وخصوصاً أنه لم ينل

نوبل حتى اليوم! فلم يجد بدءًا من سلوك طريق داروين في زعم ما لا يمكن التحقق منه تجريبيًا ومعمليًا.. وقد انتقدت فلسفته بشدة من قبل العلماء، فوصفها البعض بالهراء، والبعض الآخر بالخيال العلمي!

فمثلًا يقول الفيزيائي الشهير راسل ستانادر في مقالة في الجارديان: "إن فلسفة هوكينج هو تحديدًا ما أعارضه فهي كما وصلنتي مثال واضح على التعامل- ساينتزم- فطرح أن العلم هو مصدر المعلومات الوحيد وأننا لدينا فهم كامل لكل شيء. هذا هراء! بل وهراء خطير أيضًا، فهو يشعر العلماء بالكبر والغرور بشكل مبالغ فيه".

ويقول أيضًا: "نظرية الأوتار تحتاج لمصادم هيدروني بحجم مجرة لاختبارها وهذا غير ممكن. حسنًا، لو قلنا- طبقًا للنظرية إم- إن الكون خلق نفسه فمن أوجد النظرية إم؟ ومن أوجد القوانين الفيزيائية الخاصة بها؟

ورغم ذلك فلا توجد لها معادلة فيزيائية، لن يفعلوا لأنهم ببساطة لا يمتلكونها!"

أما جون بولكنجهورن- عالم الفيزياء النظرية- فيقول: "إنها- يقصد الأكوان المتعددة- ليست فيزياء، إنها في أحسن الاحوال فكرة ميتافيزيقية ولا يوجد سبب علمي واحد للإيمان بمجموعة- ضخمة- من الأكوان المتعددة، إن ما عليه العالم الآن هو نتيجة لإرادة خالق يحدد كيف يجب أن يكون".

ويقول العالم البريطاني،

الفيزيائي [روجر بنروز]- الذي أثبت مع هوكينج حدوث الانفجار الكبير- قال معلقًا على فلسفة هوكينج ونظريته الخيالية: "على عكس ميكانيكا

"إذا اكتشفت هذا الكون المدهش المعد فعليًا بعناية أعتقد ليس أمامك إلا تفسيرين اثنين: إما خالق عظيم، أو أكوان متعددة!" ريتشارد دوكنز.

الكم فإن "النظرية إم" لا تملك أي إثبات مادي إطلاقاً". ويقول عالم الفيزياء البريطاني الشهير بول دافيس: "تبقى القوانين المطروحة غير قابلة للتفسير! هل نقبلها هكذا كمعطٍ خالداً! فلماذا لا نقبل الله؟! حسناً وأين كانت القوانين وقت الانفجار الكبير؟ إننا عند هذه النقطة نكون في المياه الموحلة!"

ويقول الفيزيائي وعالم الفضاء مارسيلو جليسر:

"ادعاء الوصول لنظرية نهائية يتنافى مع أساسيات وأبجديات الفيزياء والعلم التجريبي وتجميع البيانات، فنحن ليس لدينا الأدوات لقياس الطبيعة ككل، فلا يمكننا أبداً أن نكون متأكدين من وصولنا لنظرية نهائية، وستظل هناك دائماً فرصة للمفاجآت كما تعلمنا من تاريخ الفيزياء مرات ومرات. وأراها ادعاء باطل أن تتخيل أن البشر يمكن أن يصلوا لشيء كهذا، أعتقد أن على هوكينج أن يدع الله وشأنه!"

ويقول الفيزيائي من جامعة كولومبيا بيترويت: "لست من أنصار إدخال الحديث عن الله في الفيزياء لكن إذا كان هوكينج مصرّاً على دخول معركة الدين والعلم، فما يحيرني هو استخدامه لسلح مشكوك في صلاحيته أو فاعليته مثل (النظرية إم)".

وقد خصصت جريدة الإيكونومست حديثاً عن كتاب هوكينج ووصفت كلامه بغير القابل للاختبار، ثم علقت على ذلك بقولها: "يبدو أن الفلسفة حلت محل العلم!" ويقول الفيلسوف الأميركي ويليام كريج ساخراً: "لا شيء جديد علمياً في هذا الكتاب بالمرّة، ولكن نقاش فلسفي بحت، خصوصاً في الثلث الأول، وهو شيء غريب، إذا علمنا أن هوكينج في أول صفحة في كتابه يقول: إن الفلسفة قد ماتت!"

أما فيلسوف الفيزياء كريج كالندار، فيقول عن هوكينج ساخراً: "منذ ثلاثين عاماً صرح هوكينج بأننا على أعتاب نظرية كل شيء، وبحلول 2000 وحتى العام 2010 لا شيء! لكن لا يهم فهو هوكينج رغم ذلك قرر أن يفسر سبب الوجود بالرغم من عدم وجود

النظرية! إن ما يتحدث عنه هو مجرد حدس غير قابل للاختبار أبدًا!" الغريب أن هو نفسه صرح معترفًا من قبل بعدم إمكانية التفسير النهائي، فهو يقول: "محاولة فهم الفيزياء والرياضيات لا نهاية لها أبدًا! ويقول العالم جون بتروث، العامل بمصادم الهادرون الكبير بسويسرا:

"النظرية إم خارج نطاق العلم!"

ويقول الدكتور هاميش جونستون، محرر موقع عالم الفيزياء، وهو يعبر عن مخاوفه من تأثير الدعم الحكومي للبحث العلمي في بريطانيا تبعًا لتصريحات هوكينج: "توجد مشكلة فقط صغيرة، وهي ضحالة الدليل التجريبي للنظرية إم، بمعنى آخر فهناك عالم كبير يخرج بتصريح للعامة يتحدث فيه عن عدم وجود الخالق، اعتمادًا على إيمانه بنظرية غير مثبتة. إن الفيزياء بحاجة لدعم العامة حتى لا تتأثر بتخفيض النفقات، وهذا سيكون صعبًا جدًا إذا ظنوا أن معظم الفيزيائيين يقضون وقتهم في الجدل عما تقوله نظريات غير مثبتة عن وجود الخالق!"

"العلم الطبيعي لا يستطيع حل اللغز المطلق للطبيعة، وذلك لأنه في التحليل الأخير نكون نحن أنفسنا جزء من الطبيعة وبالتالي جزء من اللغز الذي نحاول حله".

ماكس بلانك-عالم الفيزياء الألماني الأشهر.

أما الصحفي العلمي جون هوررجان كتب مقالًا بعنوان: "الهلوانية العلمية" قائلًا إن: "هوكينج نفسه قال باستحالة اختبار نظريته! أن تضع نظرية لكل شيء فأنت لديك لا شيء! أن يكون خلاصة بحثه هو

"النظرية إم" غير القابلة للإثبات، إننا نخدع أنفسنا إن صدقناه!"

أما جون لينوكس، فقد أسهب في نقده قائلًا: "إن قول: إن الفلسفة قد ماتت، خطير جدًا، خصوصًا عندما لا تتوقف أنت نفسك عن استخدامها! ولأن هوكينج لديه فهم

مغلوط لكل من الفلسفة والدين، فهو يريدنا أن نحترق بين الله وقوانين الفيزياء! إن القوانين الفيزيائية لا يمكن أن تخلق شيئاً، فهي مجرد الوصف الرياضي للظواهر الطبيعية، فقوانين نيوتن تحرك الكرة، فضلاً عن خلقها! إن ما يقوله هو خيال علمي بحت! من أين جاءت الخطة الكونية التي تحدث عنها هوكينج؟ إنها ليست من الكون، فمن جعلها تعمل إن لم يكن الله؟ إن محاولة العلماء الملحدون الهروب من فكرة الخالق يجعلهم يعززون الوجود لأشياء أقل مصداقية كالطاقة والقوانين أو الكتلة بالنسبة لي، كلما زاد فهمي للعلم، زاد إيماني بالله، وتعجبي من اتساع وتعميد وتكامل خلقه. إسحاق نيوتن عندما اكتشف قانون الجاذبية وألف أهم كتاب في التاريخ [برينسيبيا ماثيماتيك] قال إنه يأمل أن يساعد أصحاب العقول أن يؤمنوا بالله! وكانت قوانين أينشتاين الرياضية مثار اندهاشه الدائم وإيمانه بقوة حكمة جبارة خلف هذا الكون- وإن لم يؤمن بالله الكتاب المقدس- وآلان سانداج المعروف بالأب الروحي لعلم الفلك الحديث الحائز على أرفع الجوائز قال إن الله هو التفسير لمعجزة الخلق".⁽¹⁾

إذا انتقلنا من القوانين والنظريات الرياضية إلى عالم البيولوجيا، يفاجأنا هوكينج باتباع أسلوب سفسطائي مشهور وهو أن يطرح تصورات الإلحادية المسبقة باعتبارها مقدمات مسلم بها دون أدنى دليل! انظر إلى قوله: "لا أجد أمامي تفسيراً لنشأة الذكاء الإنساني وقدرتنا على التواصل لقوانين الطبيعة إلا الانتخاب الطبيعي الدارويني".⁽²⁾

وأخيراً وليس آخراً، يقول دون بيج، الفيزيائي الكندي الذي كان تلميذ هوكينج وشاركه في كتابه [ثمانى ورقات علمية]: "أتفق بكل تأكيد مع القول بأننا حتى لو تمكنا من الحصول على صياغة كاملة للنظرية إم و ثم ثبتت أيضاً صحتها فهذا لا يتضمن أبداً أن الله لم يخلق العالم". إن كان أعظم العقول البشرية، ممن تركوا أثراً علمياً منذ قرون،

⁽¹⁾ الباحثون المسلمون-الوجه الآخر للعلم (عالم الفيزياء الملحد ستيفن هوكينج وأفكاره الخيالية في نظر العلماء والمتخصصين..)- مقال رقم 342 .

⁽²⁾ د. عمرو شريف-خرافة الإلحاد-ص 364.

إن لم يكن ألوف الأعوام، وما زال العالم يذكرهم ويحتفي بهم حتى اليوم قد آمنوا بوجود الخالق الأعظم بسبب علمهم، أو عظم علمهم، فما لا شك فيه، من يقول بالعكس، لا شيء له - عنده - إلا العكس، أي لم يؤمنوا لعظم جهلهم!

هذه "إرادة الإلحاد" كما سماها باسكال. فأما الله أو الأكوان المتعددة، أو بمعنى آخر، أما العلم أو الخيال العلمي! وهذا بعيد كل البعد عن المنطقية والموضوعية العلمية. كما تفضل ريتشارد سوينبرن - أستاذ فلسفة الأديان البريطاني - قائلاً: "إن افتراض وجود تريليونات التريليونات من الأكوان بدلاً من القول بإله واحد خالق لهذا الانتظام في كوننا هو أقصى درجات اللامنطقية".

لقد طرد داروين الإله من
البيولوجيا، ولكن الوضع في
الفيزياء بقي أقل وضوحاً ويسدد
هوكينج الضربة القاضية الآن!
ريتشارد دوكنز. الألماني الأشهر.

ويقول عالم الفلك البريطاني،
إدوارد هاريسون، ساخراً: "عليك
أن تختار الصدفة العمياء التي
تتطلب وجود مليارات الأكوان أو
التصميم الذي يتطلب إلهاً
واحداً". أما جون ليسلي - أستاذ
فلسفة العلوم في كندا - فيحاربهم
إلى آخر الطريق، ويقول ساخراً:
"في حالة ثبوت هذه الفرضية فما

زلنا في حاجة لتفسير كيفية وجود هذه الأكوان ولماذا ناسبت ظروف إحداها متطلبات
نشأة الحياة وسيظل وجود الله مطلوباً للقيام بالمهمتين. إن كل ما فعله هؤلاء المخبولون
أنهم قد حركوا الاحتياج إلى الإله خطوة للأمام".

ويا ليت الرجل ابتدع هذا المفهوم أو دله عليه فكره وبحثه، بل أخذه أخذاً، ونسبه
انتساباً من إحدى قصص الخيال العلمي، يقول الدكتور عمرو شريف: "طرح مفهوم

"الأكوان المتعددة" لأول مرة كقصة من قصص الخيال العلمي بعنوان star maker عام 1973، وتنظر القصة إلى الزمن باعتباره نهرًا مستمر الجريان. يحمل العديد من الفقايع التي يمثل كل منها كونًا منفصلاً، ظهر من العدم على هيئة نقطة من الطاقة، ويتكون كل كون من هذه الأكوان من مادة مختلفة تخضع لقوانين فيزيائية مختلفة وقد كانت مادة وقوانين أحد هذه الأكوان مناسبة تمامًا لنشأة حياتنا. وفي ثمانينيات القرن العشرين وقع البيولوجي f.A.Pantin في أسر هذا التصور الخيالي، وأخرج منه نظرية علمية يُشبهنا فيها بمن دخل متجرًا للملابس يوجد به ما لا نهاية له من الموديلات والمقاسات وقد قام المشتري [الذي هو نحن] باختيار الثوب الذي يناسبه [الذي هو كوكبنا] ⁽¹⁾.

هو كينج- ومن على شاكلته- لا يؤمن بالله وكتبه ورسله، ولا يعترفون بذلك حتى لأنهم يعتبرون- أو يقولون بأن- تواصل "الإله" مع البشر تصور طفولي وأسطوري ومحض خرافة، والعالم الآخر [الجنة والنار والحساب والعقاب] كذلك، وفي نفس الوقت أتوا بما هو أكثر طفولية وميتافيزيقية ولا منطقية.. بل ويودون أن نؤمن بهذا الهراء دون أدنى دليل!! فهذا لا يمكن اعتباره إلا إسقاطًا علميًا. فصدق "الاتباع" ما أتى به "المخلوق" دون دليل، وكذبوا واستعجزوا واستعصوا الفهم لما أتى به الخالق، برغم ما لا نهاية الأدلة عليه! والأكثر من ذلك يريدون أن نكذب

"إن مجرد وجود القواعد التي يمكن اختبارها هو نوع من المعجزات، إن إمكانية وجود قاعدة مثل قانون الجاذبية الذي يصف تناسب شدتها عكسيا مع مربع المسافة هو نوع من المعجزة، ولا يمكن فهمه مطلقًا ولكنه يقدم إمكانية للتنبؤ".
ريتشارد فايمان- الفيزيائي
الأميريكي.

(1) د. عمرو شريف- رحلة عقل.. ص 96.

الله، ونصدق هو وترهاته!! وكأن العلم- المادي - في صراع ومنافسة مع الدين: إذ من يأتي بالمعجز هو الفائز!!

بل ذهبوا إلى أبعد ما يمكن الذهاب إليه، واعتبروا أن الإنسان عبارة عن حثالة كيميائية، ذلك بعد أن اعتبره البيولوجيون أن أسلافه تنحدر من القردة!، فيقول ستيفن هوكينج: "الجنس البشري ليس إلا حثالة كيميائية على سطح كوكب متوسط الحجم يدور حول نجم متوسط في مجموعة طرفية في مجرة من مئات بلايين المجرات. نحن بغاية التفاهة للدرجة التي أتخيل أن الكون كله موجود من أجلنا، هذا سيشابه قولنا إنك ستختفي لو أغمضت أنا عيني!".

ربما الإنسان ليس بهذه الحقارة التي يراها الرجل في نفسه!

فإن تحط من قدر غيرك، فهذه إهانة لك أيضًا، فأنت لست استثناءً للقاعدة، ولو ثبت أن العكس صحيح، فيكون وقتها من يعتبرون أن الإنسان "حثالة" هم استثناء القاعدة!.. قبل أن أكتب تلك الكلمات، سألني أحدهم على صفحة علمية- على موقع التواصل الاجتماعي: فيسبوك-أديرها: لماذا دائمًا ما يقابل الله السماوات [الأكوان] بالأرض، والأرض تمثل حبة رمل في هذا الكون؟! فأجبت من فوري: لأنك أنت علمها! الكون خلق للإنسان، والأرض ليس (كمًا) بل (كيف)، حتى الجنة! فهي مسألة كيف وليس كما - بصرف النظر عن الماهية والمادية، فعلمها عند الله عز وجل - لأن الإنسان لو حوسب بالكم، لأعد الله نارين لا جنة ونارًا!.. في كتابه [مثل باقي التطورين] بذكر دانييل دينيت أيضًا: "إن الحياة قد نشأت بالتطور الكيميائي العشوائي، الذي يخضع للقوانين الكيميائية والفيزيائية".. بل ذهب كارل ساجان إلى أبعد من ذلك، ففي كتابه [الصلة الكونية: منظر من خارج الأرض] الذي نشر عام 1973 قال فيه: "نحن مصنعون من غبار النجوم!" ويقول لورانس كراوس- الفيزيائي الأمريكي:- "كل ذرة في جسدك جاءت من نجم قد انفجر، أنت كلك غبار نجمي، من نجم آخر قد انفجر".. ويقول نيل تايسون-

الفلكي والفيزيائي الأميركي:- "نحن غبار نجمي في أرفع حالاته". ربما هذا الذي يقال عجيب ولكن الأعجب من ذلك، أنهم يسخرون من "كلام الله" ويقولون سحر وشعر وأضغاث أحلام..! أي منطق هذا الذي يقبل أنه حثالة وصدفة وغبار وقرد متطور، دون أدنى دليل علمي أو حتى منطقي على تلك الفرضيات!

تقول إيزاكون
جيمينيز سيرا من كلية
الفيزياء والفلك، جامعة

"العلم شيء رائع إذا لم تكن تتعاش منه". ألبرت أينشتاين.

الملكة ماري: "إن نتائج دراستنا تشير إلى أن التركيب الكيميائي للمذنبات "قد" يكون موروثةً بصورة مباشرة من الوسط ما بين النجمي"!... كنت أنتظر أن يكون هناك احتمال آخر، حيث ينتصر الإنسان لإنسانيته، ويكون "شيئاً" .. أو لا شيء...! كما جعل الماديون من الإنسان.

حديقة الحيوان البشرية!

هذا ميراث داروين الذي قال في ذلك: "في فترة مستقبلية ما ليست بعيدة إذا ما قيسست بالقرون ستجد أن الأجناس المتحضرة للإنسان وبشكل شبه مؤكد ستبديد وتستبدل الأجناس الوحشية في العالم، وفي الوقت نفسه ستباد بلا شك الكائنات شبه الأدمية، ومن ثم ستزداد الفجوة ما بين الإنسان وما بين أقرب حلفائه اتساعاً، حيث سينتقل إلى حالة أكثر تحضراً كما تتمنى! بل وستكون أكثر اتساعاً إذا ما قورنت بالتي بين القوقازيين وقرود منحن كالبايون، بدلاً من الموجودة الآن بين الزنجي أو الأسترالي والغوريلا!"⁽¹⁾ ويقول أيضاً: "هزم الأتراك شر هزيمة على يد ما تسمى بالأعراق القوقازية، الأكثر تحضراً في نضالها من أجل الوجود، وبالنظر إلى العالم في زمن ليس

(1) ريتشارد داروين- أصل الإنسان- ص 168، 169.

ببيعيد من الآن سيكون قد تم القضاء على عدد لانهائي من الأعراق الأدنى مرتبة على يد الأعراق الأكثر تحضرًا عبر مختلف بقاع الأرض!"⁽¹⁾

وما لا شك فيه أن ما يعانيه شعوب العالم الثالث اليوم هو من توابع فلسفة داروين وتطوره.. بالإضافة إلى:

1. أن هذه النزعة "العرقية" التي غرزها وأكدها داروين في نفس الإنسان الأوروبي أو الجنس الأبيض عمومًا، وأنه الأرقى والأكثر تطورًا، أجبت أكثر وحشية نيران الاستعمار البريطاني والفرنسي والإسباني والبرتغالي للعالم.. لقد صاروا ينظرون لباقي البشر على أنهم "حيوانات" لم يكتمل تطورهم مثلهم! بل وضموا إلى ذلك كل أنسان مبتلى في جسده بعاهة أو عيب ما [مثل صغر حجم الرأس أو تضخم جزء معين من جسده أو الأقزام وهكذا]، وصارت نظرتهم للسود والزنوج على أنهم الأقرب للغوريلا- أخذوها بالشبه أيضًا، مثل داروين، وخصوصًا بروز الحمة للأمام وكبر فتحتي الأنف!- وحتى عشرات الملايين الذين قتلهم الإنسان الأوروبي الأبيض من غير ذرة ضمير كان بدافع هذه النظرة التطورية للآخرين على أنهم [حيوانات]! وصار من المعتاد أن يأتي الجنود الاستعماريون من بلاد أستراليا أو أفريقيا أو الأمريكيتين ببعض هؤلاء كنماذج فريدة يتم عرضها على الإنسان الأوروبي كعجيبة من عجائب الحيوانات.. إنه ميراث داروين "العبقري".

عندما مكث قرابة العام في جزيرة [تيرا دال فويجو] بسواحل أميركا الجنوبية ليأخذ منها فويجيين ثلاثة ليعرضهم على الناس في إنجلترا.. لقد ظنوا أن تصرفات أولئك البشر تدل على حيوانيتهم، ونسوا- أو تناسوا- أن هؤلاء البشر عاشوا في غياهب الأدغال والغابات والسواحل لآلاف السنين عيشة غاية في البساطة بعيدًا عن المدينة، فماذا كان ينتظرون منهم مثلًا؟ أن يقودوا السيارات!.. وهكذا ظل [سرقة وإحضار] آلاف البشر إلى

(1) المصدر السابق ص 185، 186.

أوروبا وأميركا لعرضهم أو قتلهم وتشريحهم لدراستهم أو لقياس أبعاد جماجمهم ورؤوسهم، لعشرات السنين باسم العلم وخرافة التطور.

2. فلما امتزجت الخرافة بالعلم، رأوا أن يخصصوا أماكن في حدائق الحيوان بالفعل لعرض هذه النماذج البشرية، أو يخصصوا لها حدائق كاملة لهم، وكانوا يسمونها بـ "حدائق حيوان البشر أو معارض الأعراق أو حديقة الزراعة الاستوائية"، وبالفعل- وبتأثر انتشار الصحافة في ذلك الوقت- كان أقبال الأوروبيين والغربيين و الأميركان على هذه الحدائق كبيراً ليشاهدوا صوراً من مختلف أنماط حياة أولئك البشر، حيث تم بناء وعمل محاكاة لأكواخهم ولطبيعة العشب والغابات التي كانوا فيها، وكذلك المستنقعات.. وكان يمر الأوروبيون والأميركان عليهم ليفعلوا بهم كما يفعلون بالحيوانات تماماً!!.. المشاهدة بما لا يوجد معه أي قدر من الإنسانية أو الخصوصية، رمي الطعام لهم والمأكولات، والتصفيق لهم، أو استثارتهم ليتحركوا!!⁽¹⁾

"لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي
ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا
بالتقوى". رسول الله محمد- صلى الله عليه وسلم.

ولعل أشهر مأساة
إنسانية في ذلك الوقت،
هي للأفريقي أوتا بينجا.
فعندما ذهب سكان
نيويورك إلى حديقة حيوان

برونكس، يوم السبت 8 سبتمبر 1906 استمتعوا بعرض لمخلوق جديد في بيت القرد ولم يتأكدوا حينها أي نوع من المخلوقات هو، ولكنهم قرأوا لافتة في المدخل تشير إلى احتضان الحديقة لمخلوق قديم يمثل "الحلقة المفقودة" للتطور البشري! وقد كان هذا "الوحش الغريب" قصير القامة وأسود اللون ولديه أسنان حادة لا تشبه أسنان البشر، ولكنه قدم عروضاً مسلية داخل قفص القردة!، وهو في الحقيقة لم يكن

⁽¹⁾ بتصرف عن: الباحثون المسلمون-منكوشات تطويرية: باسم داروين وخرافة التطور-مقال رقم 1185.

سوى عبد كنغولي اشتراه علماء أميركيون من سوق للعبيد في الكونغو عام 1904. لقد عاش مع زوجته وطفليه إلى أن جاء ذلك اليوم وهو في سن الـ 21، حيث خرج للصيد، وعندما عاد وجد قريته وقد أبيدت عن بكرة أبيها ومات أغلبها، بما فيهم زوجته وطفليه، وعلى الفور تم أسره لبيعه كعبد، كما العادة عند الأوروبيين. حيث رآه رجل الأعمال والمستكشف الأميركي صامويل فيليبس فيرنر، والذي كان يربطه عقد مع معرض شراء لويزيانا التابع للمعرض المفتوح أو العالمي بسانت لويس، حيث تم عرضه في معرض الإنثروبولوجي بسانت لويز عام 1904، أما عام 1906 فقد ذهب به فيرنر إلى حديقة حيوان برونكس في نيويورك وبعد العذاب النفسي الذي عاشه الرجل، أطلق على قلبه النار وأنهى حياته!

أنت حر .. ما لم تعترف بالتصميم الذكي!

في عام 2008 خرج علينا الإعلامي والكاتب اليهودي بن ستاين بالفيلم الصادم والشهير (مطرودون: غير مسموح بالذكاء)! يتناول هذا الفيلم نظرية التصميم الذكي التي تعارض- وتنتقد وتنتقص من نظرية التطور-، ويوثق الفيلم شهادات علماء كبار من المجتمع العلمي بقمع الأكاديميين وأساتذة الجامعات وحتى بعض الصحفيين العلميين، لمجرد فقد أنهم يشيرون أو يلمحون إلى علامات التصميم أو الذكاء في الخلية أو الكائنات الحية أو ينتقدون نظرية التطور ويحاربون ما يعتبرونه "المؤامرة العلمية لفرض تدريس نظرية علمية واحدة في البلاد"، ويصور لنا الفيلم أن نظرية التطور لها علاقة بالفاشية والمحركة والشيوعية والإلحاد وتحسين النسل- عن طريق القضاء على الضعفاء والمعوزين-وهؤلاء الإكاديميين لم يتم طردهم فحسب من المؤسسات العلمية وعملهم، بل وتلفيق التهم لهم وإدراجهم في القائمة السوداء ومنعهم من العمل في أي مكان آخر..!

وبعض تلك الشخصيات التي عرضها الفيلم:

1- عالم الأحياء ريتشارد سترنبرج.

تم طرده من وظيفته كمحرر في مجلة تابعة لمتحف التاريخ الطبيعي لمجرد سماحه بنشر مقال للدكتور ستيفن ماير وهو واحد من رواد التصميم الذكي، الذي اقترح فيه أن التصميم الذكي "قد" يكون أحد التفسيرات لكيفية ظهور الحياة.. وكان هذا الاقتراح الاحتمالي كفيلاً بطرده وقمعه!

"في وقت الخداع العالمي يصبح قول الحقيقة عملاً ثورياً". جورج أورويل.

في مقدمة اللقاء مع عالم الأحياء بالفيلم الوثائقي، يقول بن ستاين: "الحرية هي التي سمحت لنا بالابتكار

والاكتشاف والتغلب على كل تحدٍ واجهته أمتنا، لكن تخيل إذا سلبت منا كل تلك الحريات فأين كنا سنذهب؟ وماذا كنا سنفقد؟ لكن لسوء الحظ أنا لم أعد بحاجة إلى التخيل، فهذا يحدث اليوم! نحن فقدنا حريتنا في أحد أهم قطاعات المجتمع.. وهو العلم!

لقد افترضت دائماً أن العلماء أحرار لطرح أي سؤال لمتابعة أي مسار للتحقيق بدون خوف من رد فعل انتقامي.. لكن مؤخراً تم تنبهي لاكتشاف أن هذا ليس هو الواقع.. ثم أضاف يتحدث عن سترنبرج: "صاغوا إليه بعض الاتهامات في الدين والسياسة وعلم الاجتماع"، ويقول الأخير: "لقد صاغها رئيس القسم ليجعلني أبدو كإرهابي ثقافي- مضيقاً أن هذا- بسبب إعطاء موضوع التصميم الذكي بعض القليل من المصداقية".

2- جراح الأعصاب مايكل إجنور

أغلقت جامعة بايلور موقع البحث العلمي الخاص به، وأجبرته أن يعيد مال المنحة البحثية.. بمجرد أن اكتشفوا رابطاً بين أبحاثه لنظرية التصميم الذكي! ويضيف ستاين: "فعندما كتب مقالة لطلاب المدرسة العليا تقول إن الأطباء ليسوا بحاجة إلى دراسة

التطور لكي يزاولوا الطلب، تحرك الداروينيين بسرعة لمحاولة إبادة هذا التهديد الجديد".

وإجنور بدوره يقول: "كثير من الناس في كثير من المدونات شتمني غير صالح للطبع، أطلقوا على أسماء لا يمكن كتابتها، لكنهم كتبوها! كانت هناك الكثير جدًا من التعليقات السيئة جدًا. أناس آخرون اقترحوا أن يتم الاتصال بالجامعة التي أعمل فيها، واقترحوا أنه ربما حان وقت تقاعدي، أدركت أنني أسأت توقيت تصريحتي بشكوك حول كفاءة نظرية داروين، كنت أعرف أنني كنت سأواجه النقد، لكن ما أدهشني هو وحشيته أو مدى حقارته".

وبرغم أنه قال من قبل: "أنا رجل كبير في السن لدي مدة خدمة، أنا محصن أكاديميًا-مضيفا- لكن صغار السن والذي يحدث لهم في أميركا الآن بسبب معسكرات السخرة العلمية هذه! فظيع جدًا".. هذا لم يكن ليشفع له أمام نقده للتطور من قبل المجتمع العلمي، الذي يحاول جاهدًا أن يُثبت أقدام نظرية، لا يستطيع أن يثبت صحتها، ولا يرضي بمن يفكر ويثبت عكسها أو عدم فاعليتها.. وهنا يصف الرجل ما تعرض له على إثر ذلك قائلاً: "هوشىء صاعق.. لم يسبق لي أن عوملت بهذه الطريقة عبر حوالى 30 سنة في الوسط التعليمي".

3- الدكتوراة كارولين كروكر، أستاذة علم الخلية الحيوي، بجامعة جورج ميسون

تقول: "دعاني مشرفي إلى مكتبه، وقال لي: سيكون على أن أعاقبك لقيامك بتعليم نظرية الخلق! فقلت: لقد ذكرت نظرية التصميم الذكي في شريطي عرض فقط، لكنني لم أدرس نظرية الخلق! قال: مع هذا- بسبب ذلك- يجب أن تتم معاقبتك!

"في عصرنا لا يوجد شيء اسمه بعيداً عن السياسة، كل القضايا هي قضايا سياسية" جورج أورويل

وفي نهاية الفصل الدراسي فقدت وظيفتي" .. ويضيف ستاين في تقريره المرئي: "لم تفقد هذه الأستاذة المحبوبة جدًا، عملها، في جامعة جورج ميسون فحسب، بل وجدت نفسها فجأة مدرجة في القائمة السوداء، وغير قادرة على إيجاد عمل في أى مكان" .. وتضيف هي قائلة: "كنت كلما ذهبت في مقابلة عمل أحصل على الوظيفة عادة فوراً، لكن منذ أن حدث هذا ومنذ أن صار باستطاعة الناس البحث عني في جوجل أجد أنني كلما أرسلت أوراق اعتمادى أذهب إلى المقابلات، العديد من المقابلات، لكنني أبداً لا أحصل على عرض العمل.. أنا لا أخبرهم عن "خطيئي العلمية"! كنت فقط أحاول أن أدرس ما قامت الجامعة من أجله هو حرية المناخ التعليمي" ..

4- الصحفي لاري ويثام

حيث يعترف عن تصرفات مماثلة رآها طوال 25 سنة من متابعته لجدل التطور ويؤكد فيها قوة وهيمنة هذا "اللوبي التطوري" في أميركا.

5- يوجيني سكوت- المركز الوطني لتعليم العلوم

والتي كشف الحوار معها- في الفيلم الوثائقي الموثق- عن الجهود غير الحيادية بالمرة التي يبذلونها لتظل خرافة التطور تدرس في الجامعات منفردة دون السماح بأي رأي معارض، مؤكدة أن هناك لوبي ضخماً في الأوساط التعليمية يعمل على حماية خرافة التطور المتهالكة علمياً كلما تقدمت الأبحاث والاكتشافات عن عالم الخلق الإلهي الرائع. هذا اللوبي أغلبه ملحدون.

6- الفلكي جيليرمو جونزاليس

وهو الذي تعرض لحرب ضروس في جامعة أيوا، بعد أن نشر كتابه الذي يناقش فيه فكرة أن الكون مصمم بشكل ذكي، وعلى الرغم من سجل بحثه الممتاز الذي قاد إلى اكتشاف عدة كواكب، تم رفض طلبه حين تقدم لتثبيت منصبه، يقول الرجل:

"قلقت بشأن مدة خدمتي قليلاً في 2005 عندما وزعت العريضة، فقد تمت مهاجمتي تبعاً لخطة هيكتور إف لاس وشركائه في محاولتهم لتسميم جو الحرم الجامعي ضدي، لأنه عرف أنني لم أحصل على منصب دائم حينها".

7- إوارد مورو – الصحفي الأميركي

يؤكد مورو أن الصراع الدائر حول مبادئ التطور صار حرباً دينية، ولم يعد حقاً متعلقاً بالبحث العلمي، حيث انتقل كبار المؤيدين للتطور من الدفاع عن التطور إلى مهاجمة الدين.

8- ضحايا هاديمار

"إن الناس الذين يقولون لك على سبيل المثال أن العلم يخبرك بكل ما تحتاج معرفته، أو أن الدين خاطئ كلياً، أو أن العلم يخبرك بعدم وجود إله.. أولئك الناس لا يخبرونك بأشياء علمية، هم يقولون أشياء غيبية، وهم يجب أن يدافعوا عن مواقفهم لأسباب غيبية!" جون بوليكن هورن.

أثناء الحرب العالمية الثانية تم قتل 15 ألف شخص هنا-كما تقول أوتا جورج- فسألها ستاين: لماذا قتلوا فأجابت: هم قتلوا لأنهم معاقون! الناس غير القادرين على

العمل، غير القادرين على إعالة أنفسهم كانوا يستهلكون الطعام بلا جدوى.

فنزلاً في قبو، حيث في مكان ما تحت الأرض قتل وشرح وحرق فيه أجساد "المرضى" فسألها قائلاً: "هل فكرت قط أن العقلاء هم من كانوا يرقدون هنا وقد أزيلت أمخايم والشخص المجنون كان د/ جورجاس وكل من معه؟!"

فردت: لا.. كانوا عقلاء جداً وقد أدوا أدوارهم بالحياة.

وهذا أيضًا موروث داروين الذي ذكر في [انحدار الإنسانية] قائلاً: "إذا تخلصنا سريعًا من الهمج الضعفاء في الجسم أو العقل نكون قد حضرنا الرجال من الناحية الأخرى، وعلينا أن نبذل قصارى جهدنا لتحقيق عملية التمهيع والحذف!- مضيفا- أننا نبني الملاهي للبلهاء والمعاقين والمرضى ليتكاثر فيها الأعضاء الضعفاء في المجتمعات المتحضرة ولا أحد ممن تابعوا تربية الحيوانات الأليفة سينكر أن هذا مؤذ جدًا للجنس البشري، من غير المحتمل أن يصل الجهد بأي حد إلى درجة أن يسمح لأسوأ حيواناته بالتكاثر".

وبالرجوع للتصميم الذي مرة أخرى، نطرح سؤالاً على معارض هذا التصميم: إذا وضعنا أي شخص على سطح كوكب ما ليس عليه أثر ما من آثار التعقيد [الحياة]، ولكن وجد أثناء هبوطه آلة أو جهازاً ذا تركيب بسيط، هاتفاً مثلاً، فأول سؤال سوف يخطر في بال هنا الشخص: من الذي أتى بهذا الشيء هنا؟ ومن الذي أوجده هنا؟! لأن المنطق والفطرة ينفيان الصدفة، وأيضاً يقولان ببديهية السبب الأول، هذا بالنسبة لهاتف بسيط التصميم، فما بالنسبة لهذا النظام المعقد والمحكم والعظيم والدقيق؟!.. ويقول صاحب [التفكير العلمي]: "لقد كان إدراك النظام الرياضي الذي تسير عليه القوانين الطبيعية في مطلع العصر الحديث، باعثاً لعدد من أقطاب العلم في ذلك العصر، إلى أن يروا في الكون عناصر جمالية تتحكم فيه، وهكذا تصور كبلر العالم الفلكي المشهور، أن النسب الهندسية الرشيقة البسيطة هي التي تسيطر على الكون، وعندما وجد أن الظواهر الطبيعية الشديدة التعقيد ذات بناء هندسي محكم، وقابلة للتعبير عنها بمعادلات بسيطة، بهر هذا الكشف إلى حد أنه تصور أن الله "مهندس" الكون، بمعنى أنه هو الذي يشرف على جعل الحوادث الطبيعية المعقدة خاضعة لنسب رياضية بسيطة. ولم يكن ذلك راجعاً إلى نقص في إيمانه، بل إنه كان يؤمن حقاً بأن المعجزة الإلهية الكبرى في هذا الكون هي الإحكام والتوافق والاتساق الرياضي الذي تتمثل عليه القوانين المتحكممة في مساره، وتكرر ظهور هذه الفكرة التي تربط بين الله وبين الرياضة أو

الهندسة، لدى كبار الفلاسفة في ذلك العصر، مثل ديكارت وليبنتس، وكان الجميع يؤمنون بأن في الكون انسجامًا عقليًا مجردًا وتناسبًا في العلاقات بين الظواهر، هو الذي تتمثل فيه أعظم الآيات الإلهية"⁽¹⁾.

الخيال العلمي.. بين الأدب والعلم!

أما رياضيو اليوم.. فنظروا للكون نظرة "أدبية" أكثر منها "فنية"، و"علمية". ومن هنا كان "الخيال العلمي"، والذي اخترق حدود الطبيعة.. والعلم. فإنه يمكن القول إن العلماء الماديين- أو الذين لا يؤمنون بالله أو بالعقل الأعظم- هم في الحقيقة كانوا يبحثون عن الله.. ولكن في المعادلات الرياضية وليس في "الحقيقة العلمية" والسببية العقلية.. فأولئك يعيشون في عالم وهمي افتراضي، كالذي يعيشه أي شخص عادي يمتلك حساب "فيس بوك". وهنا نكرر مرة أخرى ما قاله الفيلسوف الإنجليزي فرانسيس بيكون: "قليل من العلم ربما يجعلك ملحدًا فإذا تعمقت أمنت بالله".

يقول د/ فؤاد زكريا: "الواقع أن الروابط وجوانب التشابه بين النشاط الذي يمارسه الإنسان في العلم وفي الفنون والآداب أقوى مما يبدو وللهولمة الأولى. وحسبنا أن نتأمل هنا دور "الخيال" في هذه الميادين. على حين أن العالم، الذي يأخذ على عاتقه مهمة وصف الواقع على ما هو عليه، دون أية إضافة من عنده، لا بد أن يستبعد الخيال من مجال عمله، ولكن حقيقة الأمر أن العالم، وإن كان يلتزم بالفعل بتلك النظرة الواقعية، يجد مجالًا خصبًا لممارسة ملكة الخيال في صميم عمله العلمي. وحين نتحدث هنا عن "العالم"، فنحن لا نعني المشتغلين العاديين بالعلم، الذين يتعين كل منهم أن يلقي الضوء على جانب معين من جوانب مشكلة علمية، والذين يقومون بالمهام الروتينية

(1) د.فؤاد زكريا-التفكير العلمي- ص 192.

المألوفة في البحث العلمي، وإنما نعني العلماء الكبار، أي أولئك الذين يتغير بفضلهم مجرى العلم، ويتوصلون إلى كشوف أو نظريات علمية ثورية⁽¹⁾ (1) يلعب في معظمها الخيال العلمي دورًا ما.

"مرة أخرى شعرت أنني لم أعد أميز الحدود
الفاصلة بين عالم الحقيقة وعالم الخيال".
توفيق الحكيم

إلى أن يقول: "وهكذا كان
التداخل وثيقًا بين التجريد
العلمي متمثلًا في أعلى مظاهره،
وهي الرياضة، وبين الخيال،
الذي يسعى إلى كشف الجمال

في كل شيء، وكان كل كشف جديد يثير لدى العالم حساسية جمالية متزايدة. بقدر ما يوسع نطاق معرفته ويؤكد سيطرة العقل على الطبيعة. والحق أننا لا نحتاج إلى أن نذهب بعيدًا لكي نؤكد وجود رابطة وثيقة بين العلم وملكه الخيال في الإنسان، ذلك لأن حالات الإبداع العلمي ذاته تؤكد هذا الارتباط تأكيدًا قاطعًا، فالطريقة التي يظهر بها الكشف العلمي في ذهن العالم قريبة كل القرب من تلك التي تظهر بها فكرة العمل الفني في ذهن الفنان، ولو رجعنا إلى ما كتبه العلماء أنفسهم عن حياتهم الخاصة وعن الظروف التي توصلوا فيها إلى كشوفهم، لوجدنا أن الكثيرين منهم كانوا يهتدون إلى فكرة الكشف الجديد بصورة مفاجئة- صدفوية- وربما هبطت عليهم الفكرة أثناء النوم، أو في غفوة أو حلم يقظة، وربما أثارها شيء بسيط لا يكاد يثير في الإنسان العادي أية فكرة ذات قيمة، كما هي الحال في قصة التفاحة التي سقطت على نيوتن أثناء جلوسه ساهبًا في الحديقة، والتي أوحى إليه بقانون الجاذبية [إذا كانت هذه القصة-الرواية- صحيحة].

(1) المصدر السابق ص 190، 191.

وهنا لا نكاد نجد اختلافاً بين طريقة ظهور نظرية جديدة في ذهن العالم وطريقة هبوط "الوحي" على الشاعر بأبيات قصيدة جديدة، أو ظهور لحن موسيقي جميل في ذهن الفنان! ⁽¹⁾ وربما يتعدى الخيال العلمي حدود الوحي والإلهام، إلى حدود "الاقتباس الأدبي" المحض!.. حتى تعذر علينا التمييز بين الأدب العلمي و الخيال العلمي.. والعلم، بين ما هو حقيقة، وما هو خيال. وهنا يقول صاحبنا [الطفرات العلمية الزائفة]:

"يظهر العلم الزائف المتخفي في ثياب العلم الحقيقي في هينات عديدة: الإيمان بسفن الفضاء القادمة من كواكب أخرى، واختطاف البشر على يد مخلوقات فضائية، وتجارب الخروج من الجسد والكيانات الخفية والتنجيم ونظرية الخلق "العلمية" إلى جانب الإدراك الحسي الفائق والتحريك عن بعد". ⁽²⁾

"يفضل المرء أن يؤمن بما يفضل أن يكون صحيحاً". فرانسيس بيكون.

ويضيفا في موضع آخر: "إن معيار العلم فيما يخص قبول الزعم بوجود كيان أو ظاهرة هو أن هذا الزعم يجب أن يتأكد بما لا يدع مجالاً للشك" ⁽³⁾. وكأمثلة على تلك الأدبية العلمية:

- في مؤلفه [رحلات غوليفر] كتب جونثان سويت- الكاتب الإنجليزي المعروف- عام 1735 أن المريخ لديه قمران، وبعد 142 عاما جاء أحدهم ليحقق علمياً تلك النبوءة الأدبية الخيالية.

(1) المصدر السابق-ص 192، 193.

(2) الطفرات العلمية الزائفة: عندما يطمس العلم الحقيقي ويسود العلم الزائف- تشارلز ام وين، ارثر دابليو وبيجنز-ص 160- ترجمة: محمد فتحي خضر.

(3) المصدر السابق-ص 158.

- وفي مؤلفه [حرب العوالم] تكلم جورج ويلز عن الغزو الفضائي وهبوط المريخين على الأرض، وحاول تصوير مبدأ البقاء للأقوى وأنهم أذكى منا.. إلخ.. واليوم قد نسخها ولصقها لنا نفس الفكرة [ستيفن هوكينج]

- وما على شاكلته- في كتبه العلمية، وليل نهار يصدر أدمغتنا بالغزو الفضائي المزعوم.. ويا ليتها من "وحي خياله".

كما أن ويلز- أبو الخيال العلمي- كان أول من تحدث عن الصعود إلى سطح القمر في مؤلفه [أوائل الرجال على سطح القمر] - المنشور عام 1901-، والجدير بالذكر، أن ويلز نفسه قد نشر مؤلفاً لتاريخ غسل الدماغ وأنواعه المتعددة، ويشرح في كتابه (كيف تصنع مريضاً) أكثر من عشرين تقنية من تقنيات غسيل الدماغ وطرق وأساليب الأمراض النفسية للأسوياء والتي منها: التنافر المعرفي، الذبذبة العصبية، الإبدال المعرفي، التشفير العميق، التقطيع الإدراكي والتشويش الإدراكي.. وغيرها من تقنيات وأساليب غسيل الأدمغة، والتي تستخدم فعليا- في الدول الضعيفة والنامية سواء، أو القوية المتقدمة- بشكل ممنهج جداً. كسلح فكري من ناحية، ومن ناحية أخرى في صناعة الوهم، والأمراض مخبرياً كالايبولا والكورونا مثلاً⁽¹⁾ أو للترويج لأدوية معينة.. أو كوسيلة لأي هدف آخر - سياسي كان أو اقتصادي.

(1) في كتابه [الحصان الشاحب] يدعي خبير الفيروسات الأمريكي ويليام كوبر، أن فيروس الإيدز صنع عمداً وخصيصاً للحد من تناسل الدول الفقيرة، ويقول إن الفيروس دخل أفريقيا في السبعينيات من خلال صناديق اللقاحات، وأن الولايات المتحدة تملك القدرة على إنتاج المصل الشافي، ولكنها ببساطة لا تهتم بذلك.. وفي عام 2001 تقدم الدكتور الأمريكي بويد إي جريفس أمام المحكمة العليا الأمريكية، بقضية تحت عنوان [اعتذار الإيدز العالمي]، يقدم فيها الدليل العلمي على أن فيروس الإيدز مصمم ومنتج من خلال برنامج الفيروسات الفيديري الأمريكي الخاص. وطلب جريفس في الدعوى القضائية أمريكا بتقديم اعتذار إلى كل ضحايا مرض الإيدز في العالم، وكشف النقاب عن أصل فيروس الإيدز، وأكد أن الدكتور روبرت جالو، الذي كان يعمل باحثاً في المشروع الاتحادي الأمريكي لبرنامج تنمية الفيروس الخاص، وهو برنامج بحثي كان قد تم إقراره في الولايات المتحدة في فترة ما بين عامي 1962 و1978 وتكلف 550 مليون دولار من أموال دافعي الضرائب الأمريكيين، قد تقدم بطلب تسجيل لبراءة اختراع أمريكية في أبريل من عام 1984 لاختراعه فيروس [إتش أي في] وهو الفيروس المسبب لمرض نقص المناعة

كما تحدث روبرت هاينلاين- عميد الخيال العلمي - أيضًا عن غزو الفضاء والعيش على المريخ.. وغيرها من الأمور التي لا نعلم يقينًا- بما لا يدع مجالًا للشك - إن كانت حقيقة أم مجرد خدعة، أم كذبة أبريل علمية أم أحلام يقظة أم محض هراء وخرافات وقصص طفولية ممتعة كالتى تقص قبل النوم..

الكتابة هواية تمارس في "أوقات الفراغ"!

وكيف يكون لعلماء يمثل هذه القوة (الماديين، وعلماء الطبيعة أو الميتافيزيقية) أن يكون لديهم وقت فراغ.. نحن نعرف أن أينشتاين توفي على مكتبه وهو يحاول أن يضع إحدى معادلاته اللعينة، وأن بعضهم مات وهو تحت "ضغوط" العمل، وأن "علماء" الفيزياء والطبيعة- بالذات- ليس لديهم وقت لتضيقه، أو لممارسة هوايات، ويجعلون منها نشاطا تجاريا.. أو لم نسمع قط مثلا أن أحدهم مات تحت ضغوط أوقات فراغه.

المكتسب [الإيدز] . وفي يونيو 2002 كان أول إعلان رسمي ببناء فيروس مصنع في التاريخ، حيث نجحت مجموعة من الباحثين الأمريكيين من جامعة ستوني بروك - نيويورك، في تصنيع فيروس شلل الأطفال في المختبر لإثبات إمكانية تخليق الفيروسات مخبريًا بموارد بسيطة وإمكانات تخليق الفيروسات مخبريًا بموارد بسيطة وإمكانات متوفرة ومعلومات استخرجوها من الإنترنت، للفت الانتباه إلى قدرة "المنظومات الإرهابية" على بناء فيروس قاتل، ويمكن للمختصين حاليًا إنتاج أي فيروس بكل سهولة، والمطلوب فقط معرفة الخريطة الوراثية [الجنوم] لهذا الفيروس - وهي عادة ما تكون متاحة ومتوفرة بالمجان على الإنترنت- وهذا ما فعله الفريق الأمريكي، واستطاع تخليق فيروس شلل الأطفال من الصفر باستخدام الخريطة الوراثية للفيروس، تلك الخريطة التي تظهر تسلسل الموروثات وتتابعها، ويرى الباحث [جبرونيمو سيلو] عضو الفريق البحثي، أن فيروس شلل الأطفال، الذي جمع في المعمل أحد أبسط الفيروسات المعروفة، مضيافًا: "إن صنعه كان سهلًا".. وفي عام 2014 نجحت الولايات المتحدة رسميًا في استعادة الفيروس الذي قتل 30 مليون شخص عن طريق استخلاصه من الحمض النووي لجثة متوفى به في الأسكا، وقد بررت هذا يومها؛ بغرض التعرف على هذا الفيروس القاتل الذي تعود إليه 5 أنواع من فيروسات الإنفلونزا الوبائية التي ظهرت بعده. وفي مقال نشره موقع [جلوبال ريسيرش] في عام 14 أغسطس 2008 كتب ويليام أنجيدال تحت عنوان [مشروع البنتاجون للفيروسات المعدلة] وصف فيه استدعاء فيروس 1918 بأنه جنون علمي محض، مضيافًا: "إن هناك معلومات تشير إلى احتكاكات الأدوية، تعمل مع الولايات المتحدة على تطوير مادة فيروس، لترويج لقاح ضده".. مضيافًا: إن فيروس الإنفلونزا الإسبانية الذي ظهر عام 1918 وأدى إلى مقتل الملايين، هو إحدى التجارب الأولى للأسلحة البيولوجية، وأنه ولد في قواعد عسكرية في كنساس. وبضيف الدكتور ليونارد هورديتش، مؤكداً أن "أسطورة إنفلونزا الخنازير صورة من صور "الإرهاب البيولوجي" لـ"عصابة دولية" تمتلئ الأعمال الإجرامية، من خلال إنتاج وتطوير وتخزين اللقاح الموجه ضد الإنفلونزا بغرض استخدامه كأسلحة بيولوجية للقضاء على سكان الكرة الأرضية، من أجل تحقيق أرباح مادية.

ألم يقل ألبرت أينشتاين من قبل إن: "العلم شيء رائع إذا لم تكن تعتاش منه".. وها هو ذا- وغيره من "العلماء" المجدين أمثاله- قد بذل حياته من أجل "الحق" و "الحقيقة"، وقدموا للبشرية ما لم يقدمه أحد من حفنة الماديين ومدعي العلم والعلمية هؤلاء.. الذين عبدوا الحياة. واسبعدوا الإله، من أجل الشهرة أو بضع ورقات خضر، أو بعض تلك الأشياء التافهة.

"إن العلم الموضوعي البحث أسطورة خلدها هؤلاء الذين يفرون من التساؤلات الضبابية والخلافية المحيرة". ديفيد ريزنيك- أخلاقيات العلم.

فبعض العلماء مزجوا بين أساليب البحث العلمي، والخيال العلمي، فجعلوا العلم خليطاً من الأدب والشعر وأضغاث الأحلام،

مصبوغة ببعض المعادلات الرياضية المعقدة اللعينة! [هكذا أصبحت ذات طابع علمي].. إنه بوسع أي طفل خصب المخيلة أن يوسعك ويغرقك بأخاويل لا حصر لها، بل إن هذا بوسع أي أحمق، لكن المعيار على أنه ليس أحمق هو أن يقدم دليلاً على فرضياته أو ادعاءاته، ولو كان منطقيًا.. لا ملموسًا ومادياً.. وفي الوقت ذاته يطالب الماديون بدليل ملموس على وجود الله، ويدعون أن الدليل المنطقي لم يسعفهم! وفي الوقت نفسه فهم لا يقدموا أية أدلة منطقية أو علمية تثبت صحة ادعاءاتهم.

"وقد حاول الماديون- كما يقول د. عمرو شريف في [خرافة الإلحاد]- تقديم الآليات والتفسيرات العشوائية التي تسمح بنشأة الكون من العدم على هذه الهيئة، تهرباً من إرجاعها إلى الله الخالق فخرجت أطروحاتهم ملأى باللامعقولية واللاعلمية والكثير منها أقرب للخيال العلمي". ويضيف صاحباً [الطفرات العلمية الزائفة] تحت عنوان [حيث تنتهي الحقيقة، ويبدأ الوهم]:

"ينبغي أن تبني الآمال والمعتقدات على التفكير النقدي، لا على التفكير التواقي. إن معتقدات العلم الزائف تعيق التقدم صوب امتلاك نظرة واقعية للعلم من حولنا، لأن من يعتنقون مثل هذه المعتقدات لا يفكرون تفكيرًا نقديًا. فالطريق إلى الوهم الذي يقود صوب هذه المعتقدات هو الطريق إلى الضلال: أي اعتناق معتقد زائف وأمل زائف على الرغم من عدم وجود دليل داعم"⁽¹⁾.. "قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ". (البقرة-111)

الاشتغال بالعلم

"لا ترم العلوم إلى الشرح، ولا تحاول التفسير، بل تركز على صنع التماذج، ويتألف النموذج من بناء رياضي يصف ظاهرة تخضع للمراقبة، إضافة إلى مجموعة من التفسيرات الشفوية. لا يبرر مثل ذلك البناء الرياضي إلا بقدرته على العمل!" جون فون نيومان- عالم الرياضة الأميركي، مجري المول.

الاشتغال بالعلم له جانبان: الأول، العمل به [تطبيقه] والثاني، فيه [أي امتيانه] وأخذه وظيفة، وهو أيضًا له جانبان: طالب العلم في مراحل الدراسة [طالب الثانوية العامة، علمي أو طالب الجامعة بكلية قمة.. والمتعاليم] فالاثنتان- الفئتين- يظنان أنهما يمتلكان من العلم والتميز ما لم ولا يملكه غيرهما من بقية الناس..

"ومما يزيد الأمر فداحة، المشكلة أن أمثال هؤلاء "المتخصصين" محدودي الأفق، هم في الأغلب أناس مترفعون عن غيرهم، يتحدثون فيما بينهم لغتهم الغامضة الخاصة، ويتصورون أن تخصصهم فيما يكسبهم امتيازًا على كل من عداهم، مع أنهم لو خرجوا عن ميدانهم الأصلي قليلًا لأصبحوا مكشوفين تمامًا أمام الغير، أمثال هؤلاء "العلماء،

(1) الطفرات العلمية الزائفة. تشارلز ام وين، آرثر دابليو ويجنز-ص 167.

الجهال" قد يكونوا أحياناً أسوأ من الجهلاء غير المتعلمين، لأن الآخرين على الأقل ليست لديهم ادعاءات، على حين أن الأولين يتصورون أن معرفتهم في ميدانهم الخاص يتيح لهم أن يعدوا أنفسهم "عارفين" في الميادين الأخرى، وكثيراً ما نجد هؤلاء الأشخاص يكونون مادة طريفة لسخرية مؤلفي الروايات والمسرحيات الهزلية، حيث يتصورهم وقد "تظاهروا" بمعرفة كل شيء وهم في الواقع لا يفقهون شيئاً مما يخرج عن ميدانهم الخاص أو حين يسخرون من ميلهم إلى تطبيق لغة تخصصهم واصطلاحاته الفنية على ميادين لا شأن لها به على الإطلاق، أو لا يعجزون عن مواجهة موقف من مواقف الحياة المعتادة، لأنهم لم يعرفوا كيف يلائمون بين عقولهم التي تشكلت في قالب ضيق واحد، وبين مقتضيات هذه الحياة"⁽¹⁾.

فهناك فرق بين أن تكون "طالب علم" و "طالب شهادة" أو حتى "طالب وظيفة".. بين أن تكون ناسخاً لاصقاً، وأن تكون فاهماً واعياً مدرّكاً .. بين أن تكون إنساناً آلياً مسخاً، معداً

"إذا كان العلم في طبيعته الأصلية يستهدف أساساً أن يزيد الإنسان وعياً بإنسانيته عن طريق زيادة معرفته وتوسيع أفقه الفكري، فيبدو أنه يتجه الآن بعد أن أحرز كل هذا القدر من التقدم إلى عكس هدفه الأصلي، أي إقامة حواجز لا يمكن عبورها بين الاشتغال بالعلم، وبين المتابع الأصلية للحياة الإنسانية". د. فؤاد زكريا- التفكير العلمي.

للتخزين والتفريغ، وأن تكون إنساناً حقيقياً لديه هدف ورؤية ويسعى للتغيير وينظر أبعد قليلاً من تحت قدميه.. هذا هو تماماً الفرق بين "نظام" التعليم، نظام تعليمنا الذي ساقته "الصدفة والعشوائية" إلينا! وبين التعليم الذاتي.. أو قل- إن أردت الدقة- الفرق بين "التعليم" و"الدراسة".. فهناك فرق بين أن ندرس وأن نتعلم.

(1) د. فؤاد زكريا- التفكير العلمي- ص 188.

"التفكير أصعب الأعمال، وهذا هو
السبب في أن القليلين هم الذين
اخترأوه كعمل" هنري فورد

ف"السعي والهدف والنتيجة" تختلف،
وتحددها وجود الإرادة من عدمه -
بالإضافة لبيئة التعليم المناسبة- فعندما
تضع في نصب عينيك أنك تريد أن تتعلم
وتحدث تغييرًا ما، يتحتم عليك أن تكون

مختلفًا مفكرًا، مبدعًا.. ولن يكون ذلك إلا إذا كنت حرًا، تمارس عملاً وعلماً تحبه
وشغوف بدراسته، وليس مقيدًا ومضطربًا لقبول ما يمليه عليك المجتمع- من "عادات"
لا "حاجات"- وقطعة من الورق السخيفة!. فكف عن سباق الورق، فاليوم يجري سباق
العقل، تنافس في هذا، وحتماً ستفوز وتربح، أما عن الحالة الأولى، فهو لا يعطيك حقل،
ولا يجعلك كفاً ولا حتى يقيمك بكفاءة، هو حتى لا يحسن أن يجعل منك إنساناً! يقول
توماس إيديسون: "لا يمكن لورقة امتحان سخيفة أن تحدد مستقبلي". ونحن نضيف:-
وبالتالي- لا يمكن أن تحدد مستقبل مجتمع أو أمة أو تكتب لهم المدنية والتحضر..
فاهتم بسباق العقل.. حيث لا منافسة، وحيث الاستخدام الكامل للعقل والوقت،
النجاح فيه يعتمد على كفاءتك ودرجة أفكارك واختلافك، إضافة إلى أنه ليس له وقت
محدد: إما نجحت أو لا!، النجاح فيه يتعدى حدود الخدمة الشخصية أو الهدف
الشخصي، والذي يتمثل في وظيفة، وفي الغالب لن تحصل عليهما!- في مقابل ورقة!-، إلى
كونه هدفاً عاماً يخدم أكبر كم من أفراد المجتمع- أو أكثر من مجتمع - عطاؤه واسع،
غير روتيني، فيجب أن تدرك أن هذا العالم خلق لك- لنا- للعمارة.. بالعلم.

وهنا يقول مضيفا الدكتور فؤاد زكريا:

"وحيث نتحدث هنا عن "العالم" فنحن لا نعني المشتغلين العاديين بالعلم، الذين
يتعين على كل منهم أن يلقوا الضوء على جانب معين من جوانب مشكلة علمية، والذين
يقومون بالمهام الروتينية المألوفة في البحث العلمي، وإنما نعني العلماء الكبار، أي أولئك
الذين يتغير بفضلهم مجرى العلم-والعالم-ويتوصلون إلى كشوف أو نظريات علمية

ثورية"⁽¹⁾.. هذا هو بالضبط الفرق بين "طالب العلم" و "طالب الشهادة" ..أو بين متسابقى العقل ومتسابقى الورق.

أمتنا بحاجة إلى أولئك، إلى من يتحررون من قبضة "المؤسسات التعليمية" ويحررون عقولهم -وعقول غيرهم -من الترهات والثوابت الاجتماعية والعلمية المسلم بها..فالحضارة تقوم على العقل الجيد، لا الذاكرة القوية..

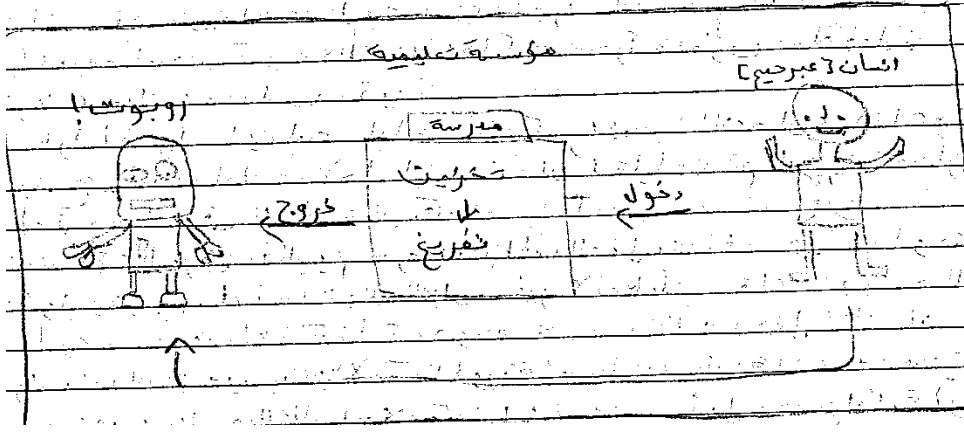
لدينا أفضل مؤسسات تعليمية على مستوى العالم،فهي قادرة على أن تصنع روبوتًا من العنصر البشري، بأعلى تكاليف وأقل جهد.. هي تجعل الإنسان خاويًا، خاليًا من أي معنى وقيمة، أضف إلى أن معظم من جعلوا للحياة ولأنفسهم قيمة ومغزى لم يكونوا متعلمين، أو بمعنى صحيح، لم تكن المؤسسة التعليمية وسيطًا أو وسيلة ليكونوا أضخم العقول البشرية..فما بالنا بمن يأخذ غايه!.. وهذا يعني أنه لا يوجد علاقة طردية بين الإبداع والإنتاج والإنجاز والتعليم.. السيئ! بل العكس هو الصحيح..⁽²⁾

"قضية التعليم هي قضية عجيبة ، ما من فرد إلا ويلبس انحرافاتهما ويتندر بشذوذها، ومع ذلك فهي تجري في مجراها، وتحدث عواقبها عاما بعد عام، ونحن نتناقش ونقترح ولا نقدم على استئصال الداء".نجيب محفوظ.

بل إن البعض الكثير يظن أن الدراسة"فريضة" اجتماعية، ولا بد منها..والتعليم الذاتي من الكبائر والمحظورات! لدرجة أنه عندما أخبر أحدهم أنه يجب أن نفرق بين طلب العلم وطلب الشهادات، والأصل في التعليم-كما هو الحال في العبادة- القيمة والاستفادة، كنت ألاقى من الهجوم الشديد، والرفض والنقد وابلا وكأني أطلب منهم منكرا، أو الاستيقاظ الساعة السادسة صباحًا في شتاء يناير!

(1) المصدر السابق- ص 190، 191.

(2) انظر مرجع التفاصيل- ص 375.



والبعض يقول: "إحنا نعمل اللي علينا وخلص"! ولكن لو بحثنا في القرآن-هكذا يكون ردنا- سنجد أن 9 من أصل عشرة آيات تحت على المعرفة، أو مرتبطة بـ"العلم" بشكل ما، فعندما يكون نظام في الدولة من أهم أنظمتها ومن أهم العوامل المساعدة والأساسية لقيام أية حضارة أو أمة أو مجتمع [ليس نظامًا إداريًا أو سياسيًا أو اقتصاديًا أو حكم..] وهو نظام التعليم، لا يضيف أية قيمة علمية أو أي فارق في حياة الناس أو المجتمع.. فلا بد أن هناك شيئًا ما خاطئ!.. إذن "مش هوده اللي علينا".

- "لما نكون هنسأل عن الوقت والعلم، وإحنا بنهدر الأول في سبيل طلب غير الثاني.. إذن مش هوده اللي علينا"..

- "لوده اللي علينا .. لم نكن من الضالين والمغضوب عليهم"..

- "لوده اللي علينا .. لما كنا أسفل سافلين بعد إن كنا في عليين"..

- "لوده اللي علينا .. فإنه لم يكن هو نفسه الذي على "العرب" الذين بنوا

الحضارة الإسلامية	يا طالبي الشهادات.. العلم أولى أن يطلب". المؤلف
والعربية..	
أساسها حضارات غير	
"العرب" ..	

- والذي هدم حضارة العرب، فقط لأننا جعلنا هذا هدفنا.. وضللنا الهدف..
"وضلينا اللي علينا!"

يقول د. أحمد عكاشة: "العبقريّة معدّلان: الذكاء، والقدرة على تغيير المجتمع". ومن أحسن من الله قبلا، إذ يقول عز وجل: "قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا* الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا" (الكهف 103، 104).

قالوا.. عن التعليم.. الذاتي والدراسي

يقول الاقتصادي وعالم الاجتماع المغربي مهدي المنجرة، في كتابه [قيمة القيم]:

- "النظم التعليمية المنقولة نقلاً مطاباً للأصل في بعض دول العالم الثالث نظم بالية غير صالحة".

- "من نتائج القدرة التعليمية القاصرة أن تنتقل المعرفة والتكنولوجيا بغير فهم كافٍ".

- "إن قصور قدرات التعليم هو الذي يفسر ضعف مستوى الفهم لما ينشأ من معارف وأفكار خارج ثقافة أهلها، كما يفسر ضعف مستوى الفهم للقيم الذاتية التي تتضمنها التكنولوجيا المنتقلة من ثقافة إلى ثقافة بطريقة غير سليمة".

- يقول المفكر والسياسي الأميركي روبرت إنجرسول: "الجامعات هي المكان الذي يلمع فيه الحصى ويخبو فيها الألماس".

- يقول غوته – الأديب الألماني الشهير: - "لقد تأخر العلم كثيراً بسبب دراسة مالا يستحق المعرفة وما يستحيل معرفته". ونضيف: ودراسة ما لا يستحق معرفته!

- يقول الأديب والكاتب الإنجليزي ألدوس هكسلي: "نكون جميعًا عباقرة إلى أن نبلغ العاشرة".

- يقول ديفيد ريزنيك في كتابه [أخلاقيات العلم]- ص 94:- "إن الإبداع العلمي

"إن أي مجتمع لا يعطي الإبداع الفرصة الكافية، إنما هو مجتمع ميت" أرنولد توينبي المؤرخ البريطاني الشهير.

يتبس في البيئات الاستبدادية والسلطوية والمحكومة بصرامة".

- يقول المؤرخ والمفكر الأردني ماجد عرسان الكيلاني: "أما في الأقطار العربية الإسلامية فإن حال العلم والمعرفة كحال الذهب عند نساء هذه الأقطار، يبقيان مجرد حلية يتباهى بها الأفراد وحملة الشهادات بعضهم بعضًا في الداخل".

- "في الواقع أي عملية تعليم هي تعليم ذاتي، المُعلم مجرد مرشد يشير لك إلى الطريق، ولا توجد أي مدرسة مهما كانت كفاءتها قادرة على إعطائك تعليمًا حقيقًا، ما تتلقاه في المدرسة أشبه بحدود رسومات في كتاب تلوين للأطفال، وعليك أن تلون الفراغات بنفسك" لويس لامور - الكاتب الأميركي.

- "مجتمعنا القائم على المعلومات والذي يسير كل شيء فيه بشكل سريع، يحتاج بشدة لهؤلاء الذين يعرفون كيف يحصلون على المعلومة، لا كيف يتذكرونها. وهؤلاء الذين يستطيعون التكيف مع المتغيرات بطريقة أكثر ذكاءً. وهما الشيطان اللذان لا نتعلمهما في المدرسة" ويدني بريسنيتر - كاتبة كندية متخصصة في التعليم.

- "التعليم هو ما يتبقى في عقولنا بعد أن نكون قد نسينا كل ما تعلمناه في المدرسة. إنها معجزة أن نحافظ على هذا القدر من الفضول نحو التعليم وحب الاطلاع، بعد أن أتت عليه الوسائل التعليمية الرسمية" ألبرت أينشتاين.

- "أؤمن بكل ثقة أن التعليم الذاتي هو التعليم المثمر الوحيد على وجه الأرض" إسحاق عظيموف، الكيميائي والروائي الروسي.

- "جميع الذين يقدرّون التعليم لم يتلقوا تعليمًا جيدًا، فبدون هذا، لم يكن ليكملوا تعليمهم ذاتيًا". جلبرت تشيسترون – الأديب والناقد الإنجليزي.
- "الأميون ليسوا هؤلاء الذين لا يعرفون القراءة والكتابة، بل أولئك الذين يتوقفون عن التعليم". الفين توفلر – الكاتب والمفكر الأميركي.
- "التعليم الرسمي يوفر لك لقمة العيش، التعليم الذاتي يجعلك صاحب ثروة". جيم رون – رائد الأعمال وخبير التنمية البشرية الأميركي.
- "التعليم هو شيء رائع فعلاً، لكن من الجيد أن نتذكر من وقت لآخر، أن جميع الأشياء التي تستحق، لا يمكن لأحد أن يعلمها لك". أوسكار وايلد – مؤلف مسرحي وشاعر إيرلندي.
- "الطفل الذي اقتصر تعليمه على المدرسة فهو طفل لم يتعلم". جورج سانتاينا الفيلسوف والروائي الأميركي الجنسية وإسباني الأصل.
- "إنه لخطأ أن تعتقد أنك لست بحاجة لتعلم أي شيء جديد بمجرد انتهائك من التعليم الرسمي". صوفيا لورين.
- "كيف يكون الأطفال في غاية الذكاء والرجال في غاية الغباء؟ لا بد أن السبب هو التعليم". الكسندر دوما – الأديب والروائي الفرنسي.
- "لا يولد البشر أغبياء، بل جهلة.. ثم يجعلهم التعليم أغبياء". برتراند راسل.
- "لا أحد يسعى لتعليم جيد، الكل يسعى لدرجات جيدة". لي رودولف.
- "التعليم أنتج قطاعات عريضة من البشر قادرة على القراءة، ولكنها غير قادرة على تمييز ما يستحق القراءة". جورج تريفيليان – المؤرخ البريطاني.
- "المستغرب في العملية التعليمية هو كمية الجهل المتراكم في صورة حقائق جامدة". هنري آدمز – الكاتب الأميركي.

- "في التعليم، نحن نعلم الناس كيف يتذكرون بدلاً من أن نعلمهم كيف يكبرون". أوسكار وايلد المؤلف المسرحي والروائي الإنجليزي.
- "الذهاب إلى المدرسة يختلف عن التعليم". حسن كمال - الكاتب المصري.

التقدم.. ليس مرادفاً للتكنولوجيا

"يبني العلم بالحقائق مثلها يبني المنزل بالأحجار، إلا أن مجموعة الحقائق لا تمثل علماً كما بقدر ما تمثل كومة الأحجار منزلاً". جول هنري بوينكير.

التطور يجري على كل شيء، وليس بالضرورة أن يكون للأفضل، وربما يكون للأفضل بالنسبة لفئة معينة.. على حساب أخرى.

التطور لا يعني التكنولوجيا، التي تقضي على حرية الإنسان وحقه في الحياة، وهو أيضاً ليس مرادفاً للاستهلاك والإنتاج والعرض والطلب وسياسة السوق المادية، ولا يعني كذلك زيادة وإطالة وقت الفراغ والعمل على اختراع كل ما يضمن ذلك "الهدف".. وهو أيضاً لا يعني استبدال الذكاء الطبيعي [الإنسان] بالذكاء الاصطناعي [الروبوتس].. إن "التقدم" الحقيقي يجب أن يساهم في تقدم الإنسان، وشعوره بإنسانيته وحرية، لا قهره، وحرمانه من أبسط حقوقه: الحياة. يؤكد ذلك المعنى - للتقدم.. التكنولوجيا - بصورة أكثر وضوحاً الاقتصادي الكبير جلال أمين، فهو يقول: "إن هناك عدة تفسيرات ممكنة لانطواء أي تقدم تكنولوجي على إمكانية القهر. هناك مثلاً ما أشار إليه لويس مففورد من أن الإنسان معرض دائماً لأن يعتبر شيئاً ما مرغوباً فيه لمجرد أنه قد أصبح ممكناً، كأن يعتبر الانتقال من مكان لآخر بسرعة الصوت شيئاً مرغوباً فيه لمجرد أن اختراعاً حديثاً قد جعل هذا ممكناً. وليس هناك أي قانون يضمن للإنسان أن يقتصر في

تطويره للتكنولوجيا على تلك الدائرة التي تتفق مع طبيعته فلا يتجاوزها. ليس هناك ما يضمن للإنسان أن

"إذا أردت تصور المستقبل، تخيل حذاء برقبة طويلة يدعس على وجه إنسان.. للأبد!" جورج أورويل

يتجنب ابتداء وسائل للإنتاج أو الاستهلاك تتجاوز قدرته البيولوجية أو النفسية على التحمل، فإذا به يذهب في تطوير التكنولوجيا إلى حدود قد تتعارض تعارضاً جسيماً مع الهدف الذي كان يبتغيه ابتداء، وهو تخفيف أعباء الحياة وزيادة قدرته على الاستمتاع بها، بل وحتى المحافظة على بقائه، ليس هناك مثلاً ما يحمي الإنسان وهو في سبيل السعي إلى إطالة وقت فراغه من أن يبتدع من طرق الإنتاج أو الاستهلاك ما يقصر وقت الفراغ بدلاً من أن يطيله، وليس هناك ما يحميه، وهو في سبيل السعي إلى تحقيق مزيد من الاطمئنان إلى مستقبله، إلى اختراع ما يجعله أكثر قلقاً وأقل اطمئناناً، وقد يكون التفسير هو حاجة الإنسان الدفينة إلى إثبات تفوقه على غيره، فإذا به يحاول أن يستأثر دون غيره بالأدوات المتاحة [سواء كانت سلاحاً أو أداة إنتاج أو حتى أداة من أدوات الاستهلاك] لمجرد الاستمتاع بتفوقه على الغير عن طريق قهره له [...]

من المؤكد أن التكنولوجيا الحديثة، أي ما طوره الإنسان من وسائل للإنتاج

"ليس باستطاعتنا التوصل إلى امتلاك الكون في الزمان والمكان بمجرد محو عطاء آلاف السنين من الثقافة والقيم ودمج عدم الاستمرارية في الزمان والمكان، مما يوهم مع ذلك أن التقنيات الحديثة هي المنتج الخاص بنموذج التطور الغربي، ومن ثم تصبح كلمتي "عصري" و"غربي" مترادفتان" مهدي المنجرة-قيمة القيم-ص201

والاستهلاك خلال القرنين الماضيين. وعلى الأخص خلال نصف القرن الأخير كانت تحمل خطر إخضاع الإنسان للقهر، وتهديداً لهويته وأدميته أكبر مما تعرض له الإنسان طوال تاريخه الطويل.

إن إغراء الممكن تكنولوجيا، والظن بأنه مجرد أنه قد أصبح ممكنًا هو أيضًا مرغوب فيه، أكبر الآن فيما يبدو من أي إغراء من نفس النوع تعرض له الإنسان من قبل، كما أن خطر هذا الظن أكبر بكثير منه في أي وقت مضى، ذلك أن تطوير الإنسان للتكنولوجيا تتجاوز استعداداته وقدراته الطبيعية على التحمل، وتهدد توازنه المادي والنفسي، تزداد احتمالاته كلما زاد التطور التكنولوجي، كذلك فإن شهوة السيطرة وقهر الآخرين تبدو وكأنها تزداد قوة وسطوة كلما زاد حجم هذه السيطرة، وهذا كما يبدو مثلًا من شهوة الشهرة في ظل وسائل الإعلام الحديثة، وشهوة جمع المال مع تضاعف حجم الثروة التي أصبح من الممكن تحقيقها، وشهوة إخضاع الآخرين بالقوة المادية، كلما زادت فعالية الأسلحة المنتجة⁽¹⁾. إن ما تفعله التكنولوجيا الحديثة بهوية الإنسان داخل الدولة الواحدة، تفعل مثله بثقافات مختلف الأمم في العالم ككل، فكما خلبت التكنولوجيا الحديثة لب المستهلك الفرد حتى استسلم لها، خلبت لب الأمم، فضحت الواحدة بعد الأخرى، بجزء بعد آخر من استقلالها الثقافي. وكما استخدمت التكنولوجيا الحديثة من جانب طبقة لقهر الطبقات الأخرى داخل الأمة الواحدة، استخدمت من جانب الأمم المتقدمة تكنولوجيا لقهر سائر الأمم [...] ومن الغريب أن القلق المتزايد داخل المجتمعات المتقدمة اقتصاديا من التهديد الذي تتعرض له بعض أنواع الحيوانات والطيور التي يهددها التقدم التكنولوجي بالانقراض، ولا يقابله قلق لما يحدث لثقافات الأمم المختلفة من وراء هذا التقدم التكنولوجي نفسه، مع أن هذه الثقافات مهددة هي أيضًا بالانقراض، والخسارة في هذه الحالة لا تقل فداحة..⁽²⁾

إن من حق المرء أن ينتقد المجتمع التكنولوجي الحديث دون أن يكون شخصًا حالمًا لا يقدم بديلًا له إلا القعود ساكنًا ولا يفعل شيئًا إلا التحسر على الماضي، بل إن من حسن حظ أمتنا أنها في كل ميدان من ميادين الإبداع الفكري والفني والاقتصادي

(1) جلال أمين-العولمة-ص 51، 52.

(2) المصدر السابق-ص 55، 56.

والاجتماعي والسياسي قدمت أمثلة ناصعة على وجود هذا البديل وقدمت أدلة عملية على إمكانية إحراز النهضة دون التضحية بهوية الأمة..⁽¹⁾

"إن تكنولوجيات الحياة اليومية هي
ميتافيزيقية بالنسبة للإنسان العصري، وتجسيد
لمادية الحلم الغربي" آلان جراس.

الذكاء والعبقرية، هو وضع
واكتشاف قوانين الطبيعة، أو قل
أكثر الأسلحة فتكا في التاريخ: القنبلة
النووية، الهيدروجينية النيوترونية..
لكن الغباء المطلق أن

تطبيقها، وتجعل البشر فأر تجاربك! "ما العقلاني والموضوعي في هذا كله؟ إن هناك فرقاً
يجب ألا نتجاهله بين موضوعية القانون العلمي والعقلانية، بين المبادئ الرياضية
والفيزيائية التي تسمح بصنع القنبلة النووية وقرار صنع هذه القنبلة بالفعل، بين المبادئ
العلمية التي تسمح بإنتاج التلفزيون أو بإنتاج كاميرا للتصوير بكفاءة معينة وما اتخذه
من قرارات فيما إذا كنت سأنتج التلفزيون أصلاً أو شيء آخر، سأستخدم هذه الكاميرا
في تصوير بعض المناظر الطبيعية أو فضح أسرار أميرة من الأميرات. يمكن للمرء أن يطبق
مبادئ العلم بحذافيرها من دون أن يكون عقلانياً، كما أن من الممكن أن يكون المرء أكثر
عقلانية من غيره، من دون أن يكون أكثر علماً⁽²⁾.

ما يمكن قوله، إن الأدباء أكثر عبقرية بمراحل من العلماء، الأدب ليس فيه من
الصدفة والإيمان الأعمى والزيغ وعدم الموضوعية بقدر ما بالعلم من ذلك. والعلم ليس
فيه من الاستشفاف والاستبصار بالمستقبل بقدر ما بالأدب من ذلك.. لدرجة أن العلماء
يتكئون على الأدب أصلاً – كما أشرنا لذلك قبلاً – ليخرجوا لنا بتحفة فنية علمية قريبة
للوواقع وتفسيره.. إذن الأدب يتقدم بضع خطوات على العلم.. و"التكنولوجيا" تكتسح
وتحل محلها..

(1) المصدر السابق ص 58.

(2) المصدر السابق ص 35، 36.

في مقدمة كتابها [أكبر خمس مشكلات في العلوم] يطرح آرثر ويجينز وتشارلز وين هذا التساؤل: العلم والتكنولوجيا وجهان لعملة واحدة.. أليس كذلك ؟ فيجيبان: "لا ليس كذلك، فمع أن التكنولوجيا التي تهيمين على الثقافة الحديثة مستمدة من المعرفة التي قدمها العلم عن الكون، فإن كلا من العلم والتكنولوجيا ينبعان نتيجة دوافع مختلفة تمام الاختلاف. ولكي نستبين هذا الأمر سنضع الاختلافات الأساسية بين العلم والتكنولوجيا في منظورها السليم: ففي حين يرجع السبب الأساسي في ممارسة العلم إلى الرغبة الجوهرية للبشر في معرفة الكون وفهمه، نجد أن السعي الحثيث وراء التكنولوجيا يرجع إلى الرغبة الجوهرية للبشر في التأثير على الحياة البشرية، وربما يتخذ ذلك التأثير شكل كسب قوت اليوم أو مساعدة الآخرين أو حتى استخدام القوة ضد الآخرين لتحقيق مصلحة شخصية"⁽¹⁾..

قبل ترجمة الأفكار العلمية إلى تكنولوجيا، هناك أمور إضافية يجب أن تؤخذ في الاعتبار، فإلى جانب مسألة أي الآلات التي "يمكن" تصميمها، هناك مسألة أخرى وهي: ما الذي "يجب" أن ينتج؟ ولعل علم الأخلاق هو المجال المناسب لمناقشة هذه المسألة الأخيرة..⁽²⁾

وهنا يقول ديفيد رزنيك إن: "العلماء والمسؤولين في الحكومة قد بحثوا ووثقوا بعض حالات السلوك الأخلاقي السيئ وأصدروا أحكامًا عليها، وذلك في ميادين كثيرة من البحث العلمي على أن الافتقار إلى الأخلاقيات في العلم دائمًا ما يهدد سلامة واستقرار البحث، وتضمنت حالات الانحراف هذه، الادعاء بالانتحال والخداع وانتهاكات القانون وسوء إدارة التمويل، استغلال المرؤوسين، انتهاكات في توليفات الشفرة الوراثية [DNA] والتحامل والانحياز وصراع المصالح. ومشاكل أخرى عديدة داخل المختبر الجنائي الفيدرالي..⁽³⁾

(1) أكبر 5 مشكلات في العلوم- آرثر ويجينز، تشارلز وين-ص 9- ترجمة: محمد العوجي.

(2) المصدر السابق-ص 10، 11.

(3) ديفيد رزنيك-أخلاقيات العلم-ص: 13، 14. ترجمة: د. عبد النور عبد المنعم.

"لا شك أن هناك أسسا أخلاقية للعلم، لكننا لا نستطيع التحدث عن أسس علمية للأخلاق". ألبرت أينشتاين.

وقد ذكر رزنيك
الكثير والعديد من تلك
الانحرافات الأخلاقية
بالعلم، وعن أخلاقيات

ومبادئ البحث العلمي، ومن تلك الانحرافات على سبيل المثال لا الحصر:

1- صخور يوهان بيرنجر

ادعى بيرنجر وهو أستاذ التاريخ الطبيعي في جامعة فور تسبورغ بألمانيا أنه اكتشف مع عدد قليل من طلابه مجموعة من الأحجار مكونة من 2000 صخرة منحوتة مع صور من السحالي والطيور والحشرات والضفادع والبعض الآخر عليها رسوم لأجسام فلكية ونقوش لحروف عبرية.. وادعى بأن الحجارة هذه من الآثار المتحجرة من زمن طوفان نوح عليه السلام. ورفض فكرة أنها مصنوعة، حتى إنه كتب كتابًا حول هذا الموضوع، ولكن بعد نشر الكتاب جلب بعض الأولاد حجرًا أخيرًا منقوشًا عليه اسم بيرنجر، اتضح فيما بعد أن الحجارة صنعت ووضعت من قبل اثنين من زملائهوسميت فيما بعد بـ الحجارة الكاذبة.

2- آلة الحركة الدائمة

اخترع تشارلز ريديفير عام 1813 آلة، حيث أظهرها للجميع على أنها في حركة مستمرة ولا تتوقف ولكن تحداه المهندس روبرت فولتون في معرفة سر حركتها اللامتوقفة. حيث كان السبب هو رجل داخل الآلة يحركها من الداخل!

3- الحياة على القمر

في عام 1835 نشرت جريدة نيويورك صن مقالًا تحت عنوان [نظرية جديدة لظاهرة المذنبات] للفلكي جون هيرشل يدور حول اكتشاف كواكب جديدة من خلال مراقبة النجوم وحل مشاكل رياضية مستعصية في الفلك، والحدث الأبرز كان العيش على سطح

القمر. تبين فيما بعد أن جون لم يكتشف طريقة الحياة على القمر ويحل المشكلات. بل لم يكن على علم بهذه الاكتشافات المزعومة والمربوطة به!

4- إنسان بليتدوان

في 1912 اكتشفت تشارلز داوسون عظاما متحجرة لجمجمة في منطقة بليتدوان تعود للإنسان الأول على الأرض، قبل 500 ألف سنة، تم اعتباره دليلاً على الرابط التطوري المفقود بين القردة والبشر، ولكن عام 1950 قام العلماء بفحص الجمجمة، وجدوا أن عمر الجزء العلوي هو 50 ألف سنة، بينما يعود عظام الفك لقرد الأورانغتون بعمر عدة عقود تقريباً، أما باقي الأجزاء فطليت بمادة كيميائية لجعلها تبدو أطول عمراً.

5- اكتشاف عنصرين كيميائيين

ادعى علماء مختبر لورانس بيركلي الوطني عام 1988 اكتشاف عنصرين ليفرموريوم [العنصر 116] وأنون أوكتيوم [العنصر 118] وقال وزير الطاقة الأميركي: بالمناسبة أن "هذا الاكتشاف المذهل سيفتح الباب لمزيد من الضوء على بنية نواة الذرة" إلى أن تراجع المختبر عام 2000 نتيجة لفشل مجموعات مختلفة من الباحثين لتكرار النتائج، وتم اتهام الفيزيائي فيكتور نيتوف بتلاعبه بالبيانات لإثبات أن هذه العناصر تم صنعها، إلى أن تم تصنيع ليفرموريوم بالفعل في العام نفسه وبعده أنون أوكتيوم بسنوات قليلة.

6- جين التحرش

نشرت صحيفة الإندبندنت البريطانية في عام 2015 دراسة لبروفيسور علم النفس بجامعة أكسفورد، سينا فازل، تشير نتائج دراسته التي شارك فيها فازل وفريقه بمساعدة باحثين من معهد كارولينسكا في السويد إلى أن هناك جينا مسئولاً عن التحرش، والغريب أنه ليس له علاقة بفيولوجيا الجسم والأكثر غرابة أنه استدل على ذلك بإحصائيات وعينات من رجال سبق لهم ارتكاب جرائم جنسية، أي أن نتائج الدراسة مشكوك في صحتها ودقتها من ناحيتين: إحداهما الوظيفة، والأخرى عدم توافق البناء

العلمي. ومع ذلك فلا بأس، فقد نشرت في مجلة عملية! وعندما تسأل أحدهم: ماذا تفعل يا رجل؟ [تعالى بينا على القسم!] يخبرك أنها إرادة الرب! لا سيدي، إنها إرادة من لديهم النزعة المرضية في عدم ممارسة أخلاقيات العلم!

7- عملاق كارديف

هو من أشهر عمليات الخداع العلمي في أميركا في عام 1896 اكتشف عمال مايدا جثة حفرة لرجل يبلغ طوله 10 أقدام داخل بئر في نيويورك، ولم يكن العملاق في الواقع سوى شيء من صنع رجل ملحد يدعى جورج هال الذي صنعه للسخرية من القول إن العمالقة كانوا موجودين على الأرض، ورغم تأكيد العلماء أن العملاق مزيف، انتشر نبأه بين الناس إلى الحد الذي جعل أحد العاملين في مجال الترفيه، وهو بي تي برنام يعرض 60 ألف دولار لاستئجار العملاق لمدة ثلاثة أشهر.

8- طير ديناصور

في عام 1999 ثم اكتشاف حفرة الإركيورايثور وكان يعتقد أنها دليل على أن الطيور في العصر الحديث من سلالة الديناصورات آكلة اللحوم. وسرعان ما تم اكتشاف الخدعة، حيث أوضح العلماء أن هذا الكشف ما هو إلا حفرة لرأس وجسد طائر قديم تم لصقها بالأطراف الخلفية والذيل لحفيرة ديناصور من نوع يرومايصور، عثر عليها مزارع صيني. مع ذلك لم يتم كشف عملية الاحتيال إلا بعد نشر مجلة ناشونال جيوغرافيك لموضوع عن هذا الاكتشاف باعتباره حقيقة، وأقرت المجلة فيما بعد أن هذا القرار كان خاطئاً.

9- يان هندريك شون

وهو باحث في معامل [بيل لابورا توريز] في نيو جيرسي، وكان خبيراً كبيراً في الإلكترونيات المتطورة. وبين عامي 2000 و2001 نشر سبع أوراق بحثية في دورية [نيتشر] وتسع أوراق بحثية في دورية [ساينس] كذلك حصل على الكثير من الجوائز في

الفيزياء، نظرًا لإسهاماته المهمة في مجال العلوم، ومع ذلك تغير الحال بعد تشكيك بعض العلماء في بعض النتائج التي توصل إليها، وليس في حالة واحدة أو اثنتين، بل في 16 حالة على الأقل وتسبب في إحراجة، وإحراج كل معاونيه وأصحاب العمل، بل مسنولي النشر في الدوريات التي نشرت أعماله. وبعد الفضيحة قامت جامعة كونستانز في ألمانيا بتجريد شون من درجة الدكتوراه بسبب "سلوكه غير الأخلاقي المشين". وربما كان العار الأكبر هو إنفاق ملايين الدولارات على العلماء والمشروعات في محاولة البناء على عمل شون المعيب.

حتى أنت يا أينشتاين!

بالإضافة إلى تلك الأمثلة التي ذكرها رزنيك، فإن هناك عشرات بل قل مئات الأمثلة على الانحراف العلمي، والتي تتمثل في السرقة العلمية والفكرية والانتحال، ونسب الحق لغير صاحبه من قبل أشهر العلماء، وأشهر تلك المسروقات نذكر على سبيل المثال لا الحصر، دون سرد وخوض تفاصيل:

1- توماس إديسون

هو ببساطة أكبر لص ومحتال في تاريخ البشرية. فقد نسب لنفسه الكثير واعتدى على الكثير من حقوق غيره.. دون أن ينسب أو حتى يشير إلى فضل أصحابها عليه. ومن تلك الحقوق أو الاختراعات على سبيل المثال لا الحصر: المصباح الكهربائي، الكرسي الكهربائي، أشعة إكس، بطاريات التخزين، التلغراف، المسجل الصوتي، المولد الكهربائي.

أما عن المصباح الكهربائي فإديسون لم يخترعه ولم يطوره أو حتى عمل على تطويره. فإن أول محاولة لصنع مصباح ضوئي كانت سنة 1799 على يد اليساندرو فولتا، حيث وضع الأسس الأولية لتوليد الكهرباء بشكل علمي. ومن بعده جاء المخترع هامفري دافى

ليخترع أول مصباح كهربائي وهو ما عرف باسمه عام 1802، إلا أنه ظل غير مستخدم من قبل العامة نظرًا لأن ضوءه كان قصير المدى وغير عملي. وفي سنة 1854 توصل هنريش غوبل لاختراع المصباح بشكل رسمي ورئيسي، فعرض اختراعه على إديسون، لكن الأخير رأى أنه لا فائدة من هذا الاختراع ورفض العرض. بعد وفاة غوبل، وبعد إدراك إديسون لأهمية الاختراع استغل الأخير فقر زوجته الأرملة واشترى منها اختراع زوجها بمبلغ بخس. بعدها وقبل أن يسجل اختراع اللبة باسم إديسون قام جوزيف ويلسون باختراع حقيقي وكامل للبة، ولكن إديسون وخوفًا من أن يضيع عليه براءة الاختراع، أنشأ شركة تحت اسم [شركة إديسون المتحدة] وجعل من ويلسون شريكًا له ليقوم بعدها بشراء اختراعه!

2- بيل غيتس

يقول ستيف جوبز عن بيل، إن "بيل لا يملك الخيال ولم يخترع أي شيء، كل ما يقوم به هو سرقة أفكار الآخرين". فنظام الويندوز، بدأ في عقل ومعمل جوبز، كما يدعي هذا الأخير، وأن بيل سطا عليه.

3- ألبرت أينشتاين

في حقيقة الأمر قد عرف- بل ووضع أسس وقواعد- النسبية قبل أينشتاين الفيزيائي وفيلسوف العلوم الفرنسي هنري بوانكاريه [1854:1912] بل وتطرق لها قبلهما وتولفر برستون، وأولنتو دي بريتو، وقبلهم جميعًا إسحاق نيوتن.. كانوا جميعهم ملهمين بموضوع تحويل المادة الى طاقة والطاقة إلى مادة، وأكد المهندس هربرت إيفس أن أينشتاين لم يعرف قط كيف يستعمل تلك المعادلة $E=MC^2$ ، ولا يمكن أن نربطها بأي عمل قام به أينشتاين. أما بوانكاريه فقد ألف ثلاثين كتابًا ومئات الأبحاث [فيما يربو عن 500 بحث] في الرياضيات والفيزياء فضلًا عن الفلسفة. وفي سبتمبر عام 1904 ألقى بوانكاريه

محاضرة عامة [أي قبل عام واحد من نشر مقال إينشتاين] استعرض فيها تعليقات مهمة حول نظرية النسبية، وفي نفس السنة تحدث في مقال له نشره في مجلة [نشرية العلوم الرياضية] عن نوع جديد من الميكانيك وأشار إلى أن [الكتلة مرتبطة بالسرعة].

وعلى الرغم من تأكيد إينشتاين أنه لم يطلع على عمل بوانكاريه، إلا أن صديق إينشتاين الحميم، الرياضي والفيلسوف موريس سولوفين [1875-1958] اعترف فيما بعد بأنه انكب هو وإينشتاين على دراسة كتاب بوانكاريه الصادر عام 1902 -العلم والفرضية، وأن محتواه حبس أنفاسهما عدة أسابيع. وبيتر جاليسو يذكر أن إينشتاين وبعض زملائه شكلوا مجموعة اسمها [الأكاديمية الأولمبية] وكانوا يجتمعون من الحين للآخر لمناقشة إنجازات وأعمال العلماء الآخرين. ومع ذلك لم يستشهد أو يذكر قط فضلاً أو حتى اقتباساً لبوانكاريه!

4- الكسندر غراهام بل

وكان أشهر ما نُسب له -أو نسبته لنفسه- هو الهاتف المحمول. فالمخترع الحقيقي للهاتف المحمول هو الإيطالي أنطونيو ميوتشي [1808: 1889]. ففي عام 1871 ذهب ميوتشي إلى المكتب الأميركي لبراءة الاختراع والعلامة التجارية مقدماً لهم اختراعه ليحصل على براءة اختراع لهذا الجهاز، ولكنه نسى شيئاً مهماً لم يكتبه في طلبه، وهو أن الجهاز يتميز بوجود الانتقال الكهرومغناطيسي من الترددات الضوئية، وهو تحويل الذبذبات الصوتية إلى نبضات كهربائية، يتيح فيها نقل الصوت عبر سلك من مسافات بعيدة. ولأنه لم يكن يمتلك الدولارات العشر اللازمة لتسجيل هذا الطلب طبقاً لما جاء في التاريخ الرسمي الإيطالي، لم يتم إثبات حقه في الاختراع أو براءة الاختراع. وفي عام 1876 أتى جراهام بيل مقدماً اختراع ميوتشي بناء على فكرة اختراع وجدها في نموذج من نماذج اختراع ميوتشي على أنه هو صنعه، وفي 11 يونيو عام 2002 اعترف مجلس النواب الأميركي رسمياً، بعد أن نجح بعض المؤرخين الإيطاليين والأميركيين من إقناع الكونجرس

بأحقية ميوتشي في الاختراع في قرار المجلس رقم 269 وذلك بعد مرور 113 عاما على وفاته.

5- البوصلة

اخترعها جابر بن حيان واستخدمها العرب في رحلاتهم سنة 845م، ولكن الغرب يأبي إلا أن ينسبها للإيطالي فلافيوجويا من أمالفي سنة 1302..⁽¹⁾

6- البارود

لقد كبر عليهم أن يعترفوا بذلك - الاختراع - للعرب فاختاروا الراهب برتهولد شفارتز من طائفة الرهبان الفرنسيكان كمخترع للبارود سنة 1359..⁽²⁾

7- ماركوني

في الحقيقة لم يكن ماركوني هو صاحب الفضل والحق في اختراع المذياع [الراديو]، إنما صاحب الحق الحقيقي هو النمساوي نيكولا تسلا -الذي احتال عليه إيديسون أيضاً في المولد الكهربائي عام 1884 عندما عرض عليه مكافأة في حال تنفيذ مشروعه، ولكن لم يف بوعده وقال مازحاً: إن تسلا لا يفهم روح الدعاية الأميركية!- فقد قام تسلا بتقديم أوراق اختراعه للمذياع لمكتب الاختراعات في الولايات المتحدة عام 1897 وتم قبول طلبه عام 1900، في الوقت والعام نفسه تقدم ماركوني بأوراق الاختراع نفسه وتم رفضه ثلاث مرات من قبل مكتب الاختراعات لأن براءة الاختراع كانت تعود بالفعل لتسلا.. إلا أنه بعد سنوات طويلة وبسبب علاقته القوية [واسطة] تم تسجيل براءة الاختراع للراديو باسم ماركوني عام 1904.

(1) د. أحمد إدريس الطعان-العلمانيون والقرآن الكريم- ص 56.

(2) المصدر السابق-ص 56.

8- الليزر

المخترع الحقيقي له هو جوردن غولد وليس تشارلز داون. حيث حصل الأول على أحقيته من المحكمة في براءة الاختراع بعد حرب قضائية مع داون دامت لنحو ثلاثين عامًا.

9- الكمبيوتر

فكرة كونراد نسوزه، نسبها هوارد ايكن لنفسه.

10- الطيران

فكرة عباس بن فرناس نسبت قسرًا للأخوان رايت.

11- الطائرة العمودية

اختراع بول كورنو نسب لـ "إيغور سيكورسكي".

12- التطعيم

فكرة العثمانيين نسبت لـ "إدوارد جينر".

13- نظام الترقيم

اكتشفه الخوارزمي، نسبه فيبوناتشي لنفسه.

14- تردد FM

فكرة إدوين أرمسترونغ، أخذته شركة Rcq.

15- الحمض النووي

فكرة واكتشاف روزاليند فرانكلين انتحلها منها جميع واتسون وفرانسييس كريك وموريس ويلكنز.

16 – الكاميرا

فكرة ابن الهيثم نسبت لـ "داجير".

17- التليفزيون

فكرة فيلو فارنسورت نُسبت إلى جون بيرد.

18- الدورة الدموية

المكتشف الحقيقي لها هو ابن النفيس، ونسبت إلى ميكائيل سرفت الإسباني وويليام هارفي الإنجليزي.

19- البندول

اختراع ابن يونس الذي نسبته ليوناردو دي فينشي لنفسه.

20- أميركا

اكتشفها البيروني واستعمرها كولومبس.

21- آلة الخياطة

هي من اختراع بارتيليمي تيمونيه وليس إسحاق سنجر.

22- ماسحات زجاج السيارات المتقطعة

فكرة روبرت كيرنز. نُسبت إلى شركتي فورد وكارايسلر.

23- النظارات

فكرة واختراع سالفينو أرماتي نُسبت إلى بنيامين فرانكلين.

24- الأكياس الورقية

ابتكار مارغريت نايت، نسبت إلى تشارلز آنان.

25 – النجوم النابضة

اكتشفها جوسلين بورنيل وليس إنتوني هويش.

26- القلم الجاف

هو من حق جون لاود ونسب لـ "لازلو بيرو".

27- محرك أقراص الفلاش [usB]

اختراع فوجيو ماماسوكا وليس أميربان ودوف موران واورون أوغادن.

28- الحاسوب اللوحي

فكرة آلن كاي نسبها ستيف جوبز لنفسه.

29- البريد الإلكتروني

فكرة براي توميلينسون وليس صابريهاتيا.

30-حبوب منع الحمل

سبق جريجوري ينكوس لها قبل كارل ديغراسي.

31- أحمر الشفاه

فكرة أبو قاسم الزهراوي وليس موريس ليفي.

32- الدائرة المتكاملة

تنسب في الحقيقة إلى جيفري دامر وليس جاك كيلبي.

33- الصراف الآلي

فكرة لوثر كينج سيجمان،نسبت إلى جون شيفرد بارون.

34- الآلة الكاتبة

فكرة هنري ميل نسبت إلى ويليام أوستن بيرت.

35- الانشطار النووي

اكتشفه ليزمايتنر نسب لـ "أوتوهان".

36- التخدير

ويليام مورتون، سبقه كرو فورد لونغ .

37- القرص المدمج

من اختراع سوني فيلبس نسب لـ "جيس راسيل".

38- الواي فاي

فكرة هايدي لامار نسبت لـ "جون أو سوليفان".

39- السونار

فكرة لويس نيكسون ونسبها بول لانجفين لنفسه.

العلماء بشر مثلنا، غير معصومين من الخطأ والذلل، وفي نفس الوقت يجب ألا يكونوا معصومين من الأخلاق! سواء الاجتماعية أو العلمية .. وألا نخلط بينهما. ولعل الفساد العلمي سببه الرئيسي الخلط وعدم الفصل بين كلتا البيئتين، وأخلاق ومبادئ كليهما، والمشكلة أن البيئة الاجتماعية فاسدة "بطبعها"! فكان من الحكمة هو مساهمة العلم في تقويم المجتمع وإصلاحه، لا الفساد والتخريب في الأرض.



خاتمة

إن هناك معايير وضوابط معينة وأساسية لنطلق لفظ "حضارة أو "تحضر" على شعب من الشعوب أو أمة من الأمم أو مجموعة من الناس في منطقة جغرافية معينة.. من عدمه، يمكن تلخيصها في معيارين اثنين أساسيين هما:

1. الأخلاق

2. إنسانية الطابع

لذلك يمكن القول إن العصر الحديث هو عصر العشوائية و"العدمية"، فلا أخلاق ولا احترام ولا إنسانية .. ولا حضارة، هو عصر اللاشيء، حيث إن ما يسمى بالحضارة الغربية أو الحضارة الحديثة هي وهم مطبق وكذب مركب.

فليس هناك ما يدل على صور التحضر والحضارة في العصر الحديث، خلال رحلتنا لم نجد ما يشير ويعبر عن الحضارة والتحضر والتقدم، نحن نتقدم زمنيًا، وننحط إنسانيًا وعلميًا وأخلاقيًا، التطور الوحيد الذي نعرفه هو التطور الدارويني، وهو الخرافة التي أسهمت، بل ووضعت أسس انحطاط الإنسان والإنسانية.

ولذلك فإن رحلتنا لم تنتهِ بعد..

فما قدمناه عبارة عن مقدمة لعصر الخرافات والانحطاط.. رحلة البحث عن الحضارة وعن البديل الحضاري ما زالت مستمرة.



قائمة المراجع

1. القرآن الكريم.
2. أميركا والإبادات الجنسية – منير العكش – داررياض الرئيس.
3. أميركا والإبادات الجماعية: حق التضحية بالآخر – منير العكش دار رياض الرئيس للكتب والنشر.
4. أميركا والإبادات الثقافية: لعنة كنعان الإنجليزية – منير العكش دار رياض الرئيس للكتب والنشر.
5. تلمود العم سام: الأساطير العبرية التي تأسست عليها أميركا-منير العكش-داررياض الرئيس.
6. العولمة- جلال أمين-دار الشروق.
7. قيمة القيم-المهدي المنجرة-دار الشروق.
8. لماذا العلم؟ جيمس تريفييل، ترجمة: شوقي جلال-عالم المعرفة.
9. أميركا مرة أخرى-عماد الدين خليل-دار ابن كثير.
10. حفارو القبور: الحضارة التي تحفر للإنسانية قبرها-روجيه جارودي ترجمة: عزة صبيحي-دار الشروق.
11. الصدام داخل الحضارات: التفاهم بشأن الصراعات الثقافية-دييتر سنغاس-ترجمة: شوقي جلال.
12. 501 سنة الغزو مستمر-نعوم نشومسكي –ترجمة: مي النيهان دار الهدي.
13. الحرب الحضارية الأولى-المهدي المنجرة-دار الشروق.
14. عطاء الإسلام الحضاري-أنور الجندي-رابطة العلم الإسلامي.
15. الصدام داخل الحضارات: التفاهم بشأن الصراعات الثقافية دييتر سنغاس، ترجمة: شوقي جلال. دار العين للنشر.
16. ماذا يريد العم سام؟ نعوم تشومسكي، ترجمة: عادل المعتم. دار الشروق.

17. فتح أميركا مسألة الآخر، تزفيتان تودوروف. ترجمة: بشير السباعي
الناشر: دار العالم الثالث.
18. المسيحية والسيف: وثائق إبادة هنود القارة الأميركية، برتولومي دى
لاس كازاس. ترجمة: سمية عزمي. المعهد الدولي للدراسات الإنسانية.-الولايات
المتحدة طليعة الانحطاط. روحيه جاروذي. ترجمة: مروان حموي. دار الكتاب.
19. النظام العالمي القديم والجديد. نعوم تشومسكي. ترجمة: عاطف
معنصم عبد الحميد. دار نهضة مصر.
20. السيطرة على الإعلام. نعوم تشومسكي. ترجمة: تميمة عبد اللطيف
الناشر: مكتبة الشروق الدولية.
21. اخلاقيات العلم -ديفيد ب. رزنيك. ترجمة: عبد النور عبد المنعم.
المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
22. التفكير العلمي-د. فؤاد زكريا-دار الوفاء.
23. سقوط نظرية داروين: في ضوء الاكتشافات العلمية الحديثة. ماهر
خليل الناشر: المركز العربي.
24. صناعة الأفكار المبتكرة- أحمد الضبع -دار أجيال.
25. اكبر خمس مشكلات في العلوم. آرثرويجنز، تشارلزوين. ترجمة:محمد
الموجي الناشر، كلمات عربية.
26. ميليشيا الإلحاد: مدخل لفهم الإلحاد الجديد عبد الله بن صالح
العجيري الناشر: تكوين للدراسات والأبحاث.
27. رحلة عقل د.عمرو شريف مكتبة الشروق الدولية.
28. خرافة الإلحاد: د.عمرو شريف.مكتبة الشروق الدولية.
29. الإلحاد مشكلة نفسية: د.عمرو شريف.نيويورك للنشر والتوزيع.
30. قطيع القطط الضالة: بين تناقضات دوكتينزومغالطات هيتشنز سامى
احمد الزين.الناشر مركز دلائل.
31. صندوق داروين: الأسود- مايكل بيبى.
ترجمة: مؤمن الحسن، أسامة إبراهيم، زيد الهبزي وآخرون. الناشر: دار الكاتب.

الموقع الإلكتروني والبحثية:

32. طريق الإسلام.
33. موسوعة أحسن الكلام من الفتاوى والأحكام.
34. إسلام ويب.
35. الباحثون المسلمون.



فهرست الموضوعات

6.....	مقدمة المقدمة
11.....	المقدمة
13.....	الجزء الأول
14.....	الثقافة
14.....	• تمهيد
17.....	• تقسيم وتصنيف وتكوين الثقافات
18.....	• ثقافات بعض الشعوب الأوروبية - الغربية
34.....	• عوالم الثقافات
43.....	• الإله أميركا
49.....	• الأخلاق والإنسانية: نظرة عن كثب؟
53.....	• المدينة .. والمبادئ "الثقافة" الأميركية
56.....	• تأثير أفلام اللارثون الثقافي
58.....	• الهدف إنتاج شخصية كثرثوية
63.....	• ما الثقافة .. ومن المتق؟!

- الإبادة الثقافية..... 65
- 1992 .. الحفنة الكولومبية.. والسوق الكبير للعالم الجديد..... 70
- هذا ما يعبدون 75
- مخالب الاستعمار الجديد 76
- شيء عن القارة المرفونة فسرًا 77
- دين العصر الجديد! 81
- امدرست .. أداة التذويب الثقافي..... 87
- ثقافة قطع الرؤوس 95
- العنصرية الثقافية 98
- التعرف العنصرية .. بين الإسلام والغرب 101
- الخلاصة 110

- الجزء الثاني..... 114
- المعرفة..... 114
- المعلومات:..... 114
- الإيمان: 121

- "هواهم" أم "هدانا"؟ 148
- الفكر في رأس من لا يفكر 155
- معرفة "نخت السلم" ! 162
- كريستوفر كولومبوس .. وأمة الإرهاب 165
- النمل الأبيض 168
- الهنود في أعين الإسبان 175
- التهجير القسري .. "رحلة الدموع" 181
- خطبة الوداع 184
- فنون القتل من الحرق إلى الأكل! 191
- تطور الحمجية! : كذبة الديمغرافية 204
- امدينية في عيون الحمجم .. بداية القصيدة كفر! 214
- أكلوا لحوم البشر 229
- الصراعات العربية: النسخة الهندية! 249
- صحفي من امريخ! 260
- السلام .. في الحضارة امادية 271
- أميركا من الداخل .. نظرة إلى امراءة 280

306	الجزء الثالث.....
306	العلم.....
306	• مقدمة.....
331	• العلم والإيمان.....
341	• ماذا أُلحدوا؟.....
348	• الإلحاد السفسطائي وأنماطه.....
369	• الإلحاد.. ومسألة الأخلاق.....
377	• تشريع عقل الملحد.....
394	• " لا دينيين " أم " ضد الدين "؟.....
401	• التطور .. بين العلم والخرافة:.....
424	• نوايع الداروينية.. الاخطااط المدوي:.....
434	• شيخ الملحدين يعلن أن: "هناك إلهًا" !.....
438	• الإله ليس نقيضًا للعلم!.....
447	• الإلحاد.. تمهيد وتهديد:.....
458	• فطبع ينبع الفطبع!.....
460	• الأخلاق عند من لا يؤمن بالخالق.....

- حقائق علمية أم خيال علماء؟ 479
- حقيقة الحيوان البشرية! 489
- أنت حر .. ما لم تعترف بالتصميم الذكي! 492
- الخيال العلمي .. بين الأدب والعلم! 498
- الاشتغال بالعلم 504
- قالوا .. عن التعليم .. الذاتي والدراسي 509
- التقدم .. ليس مرادفًا للتكنولوجيا 512
- حتى أنت يا إنشئانين! 520
- خاتمة 529
- قائمة المراجع 530
- فهرست الموضوعات 533



